الجمهورية العربية السورية
وزارة التعليم العالي



تاريخ العلوم الطبية

لطلاب السنة التحضيرية في الكليات الطبية

الدكتور

أحمد شوكت الشطي

بتصرف

٢٠١٥ - ٢٠١٦ م

١٤٣٦ - ١٤٣٧ هـ

فهرس المحتويات

الكتاب الاول

في

تاريخ الطب



تاريخ الطب

يستطيع الباحث في تاريخ الطب أن يضع فيه تصنيفا مستوحى من الأزمنة التي مر بها . مر الطب في مراحل أولية طغى فيها الجهل والشعوذة ، والخرافات والشعبذة ، واحتكره اناس ، سيطروا على الناس بشتى الأساليب ففرضوا أنفسهم كهانا لابل آلهة فتبارك الناس بهم وبوثنيتهم ، وشيدوا لهم المعابد وجهزوها بالأوثان والأصنام. استمرت هذه المراحل حتى ظهور ابقراط من أطباء اليونان .

ولا يخفى أن الطب اليوناني مر بحالة بدائية يصح نعته فيها بأنه لم يكن علما ، غير أن ابقراط فصل الطب عن الآلهة واعتمد في طبه على القياس والتجربة وقاوم احتكاره وعمل على تعليمه للغرباء عنه فتقدم بفضله الطب وازدهر وأينع وأثمر ، ثم انحط وتأخر ، حتى كاد يندثر ، لو لم يبعثه العرب والاسلام حياً من جديد .

لقد مر الطب القديم في ثلاث مراحل :

١ - مرحلة ابتدائية : شعر الانسان الأول خلالها بحاجته الى الطب فآمن في صدده بما أوحاه اليه عقله البدائي ومحيطه وتجاربه ومصادفاته ، فكان من ذلك الايمان بالأصنام والأوثان والتنجيم وما الى ذلك .

٢ - مرحلة ثانية : تكوّن فيها للطب كيان خاص واحتكره أناس مخصوصون فأحاطوا أنفسهم بهالة من القدسية رفعتهم الى مصاف الآلهة .

٣ مرحلة ثالثة : دونت فيها الاقوام الأول في معابدها وهياكلها ومكتباتها حصيلة اختبارها وعلمها وجعلت الاطلاع على هذه المعارف وقفاً على ملوكها وكُهّانها وآلهتها . كان الطب في ذلك الزمان مشوبا بخرافات كثيرة واعتقادات باطلة ، احتكرته فئة من الناس فتناقلته من سلف الى خلف ، دون أن تبوح بأسراره لغيرها ،فلم يكن بذلك علماً صحيحاًبكل مافي هـذه الكلمة من معنى على أن هذا لاينفي عنه صحة كثير مما جاء فيه وانما لنقسم أبحاث كتابنا هذا الى سبعة أقسام :

قسم أول : نبحث فيه عن الطب عند الانسان الأول .

قسم ثاني : نبحث فيه عن الطب عند الآشوريين والكلدانيين والبابليين والسوريين وغيرهم من الأمم التي وجدت في الجزيرةالعربية كمانبحث فيه عن الطب عند المصريين والهنود والصينيين وعن الطب في الامبراطورية الرومانية ثم عند الفرس واليونان .

قسم ثالث : نبحث فيه عن الطب عند العرب قبل الاسلام .

قسم رابع : نبحث فيه عن الطب في ظل الايمان والأديان وعن الانبياء وطبهم وعن حوادث الشفاء الخارقة وعن التواصي الصحيةفي كتب العهد القديم وحوادث الشفاء في أسفار العهد الجديد وعن اليعاقبة والنساطرة وطب الأديرة

قسم خامس : نبحث فيه عن الاسلام والطب وعن الطب عند العرب والمسلمين .

قسم سادس : نبحث فيه عن طب الأسنان .

قسم سابع : نبحث فيه عن طب الحيوان .

القســم الأول

الطب عند الانسان الاول

نبحث في هذا القسم عن الطب عند الانسان الأول وعن أمراض الأقدمين وأسبابها وأساليب معالجتها . شعر الانسان منذ وجوده بعـذاب المرض وألم الداء ، ونعيم الصحة وما تجلبه من هناء ، لذلك سعى منذ الأزل الى المحافظة على صحته باجتناب مايؤذيها ، والعمل على مايديمها فولـّد ذلك عنده حب البحث عن الداء والدواء ، وهكذا كان الطب أسبق ماسعى اليه الانسان ، لأن مـداره البحث عن صحة الأبدان .

والواقع أننا وان كنا لا نعلم شيئاً عن الانسان الأول غير أن شبهه بالانسان البدائي في يومنا الحاضر وما يُكشف بين حين وحين من آثار دفن الانسان فيها سره يدلاننا على الحالة التي كان عليها . لقد كافح الانسان الأول في سبيل الحياة معتمداً على صحته فاذا اعتلت خارت قواه واضطرب عيشه وتهدد كيانه ، لذلك كان همـه التمتع بتمام العافية ، غير أن تطور عقله البطيء جعل تقدمه في المعارف الطبية ضئيلا جدا ، حتى يصح أن تقاس مداركه بمدارك الأفراد الذين يعيشون في يومنا هذا عيشة قبلية ، لا تختلف عما كان عليه الانسان في العصر الحجري ، لذلك جاز أن يُتخذ هؤلاء الأفراد مادة للدرس والبحث والمقارنة والقياس ترشد الى

ما كانت عليه المعالجة عند الانسان الأول . لقد كان البحث في المعالجة أول ماسعى الانسان اليه وما ذلك الا لأن الدواء هو الوسيلة لوقف ألم المريض . كان الانسان الأول يعالج لدغ الحشرات التي لايؤدي لدغها الى الموت بتبليلها بريقة وكان يعالجها اذا كان لدغها مميتاً بتخديش مكان لدغها وإدمائه ومصه لاخراج المادة السامة منه وكان يضمد الجروح بأوراق الأشجار وما فيها من عصارات وكان يرقب الحيوان الداجن في مرعاه ويرى آثار النبات والكلأ فيه، كما كان يتذوق الأعشاب ويمضغها ويتعرف بالتجربة عن خواصها ، يدلنا ذلك على أن الطب بدأ عاماً، لعب فيه الالهام والاتفاق والتصادف شأناً كبيراً وكان يزاوله كل انسان ، لذلك بدأت تعاليمه متفرقة غير منظمة ، تعالج الأمراض دون معرفة طبائعها ، وتستعمل الأدوية دون معرفة جميع خواصها ، ولكن الحاجة الملحة الى الطب دعت الى التجربة ومراقبة النتائج فاتسع بذلك أفق الطب شيئاً فشيئاً وتقدمت معارفه بتقدم معارف الانسان .

أمراض الاقدمين : لقد دعت الأمراض التي شاهدها الأقدمون الى جمعها في زمرتين :

١ - زمرة الأمراض الباطنة .

٢ - زمرة الأمراض الجراحية .

آ - الامراض الباطنة : يبدو أن كثيراً من الأمراض العفنة الشائعة اليوم لم تكن موجودة فيما قبل التاريخ، اذ من المعروف أن هذه الأمراض رافقت بدء حركة التمدين وكذلك الأمراض المزمنة يبدو أنها كانت مفقودة بفقدان موجباتها وأسبابها ،حيث كان الناس قبل التاريخ مضطرين الى العيش معرضين للشمس ، يغتذون بأغذية نضرة، كما كانوا مجبرين على الحركة باستمرار لتدارك مايحتاجون اليه من شراب وطعام ، سواء بمنازلة الحيوان لاقتناصه أو بالصيدأو

بتسلق الأشجار وغير ذلك مما يدعو الى عمل جسماني دائم لايفسح مجالاً لظهور أمراض مزمنة، تعزى في زماننا هذا الى السكون والرفاه أو الى الاقامة في أمكنة ناقصة التهوية، قليلة التعرض الى الشمس أو الى الانسمام الذاتي بكسل الامعاء وغير ذلك .

وقد استدل على قلة الأمراض الباطنة من اكتشاف جماجم لأناس، من عالم ماقبل التاريخ، كاملة الأسنان، لانخر فيها، مع أنها متآكلة حتى اعناقها، مما يوحي بأنها أسنان شيوخ سليمي البنية . ويبدو أن أمراض الغدد الصم لم تكن نادرة فقد دل البحث في عظام الانسان الأول على أن أمراض الغدد الصم المشوّهة للعظم كانت تعتريه وقد أيد ذلك كشف عدد من التماثيل في الكهوف أو صور في جدرانها تمثل أثداء كبيرة متدلية، وبطوناً رخوة سمينة، واعجازاً بارزة وأوراكاً عراضا وأفخاذا ممتلئات بالشحم .

ب – <u>الأمراض الجراحية</u> : كان يتعرض الانسان البدائي الى الخلوع والكسور والعض والتمزقات وجروح المخالب والجروح الوخزية وجروح النطح كما كان يتعرض للغرق في صيد الأنهار والبحار، وكانت الحروب والغزوات تعرضه الى جروح الآلات التي كانت مستعملة حينذاك وهي :

١ – الحربات والرماح : كان لها أنواع، منها حربات ذوات رؤوس مصنوعة من خشب قاس أو من صوان أو من عظم أو من قرن مؤنف .

٢ – الخناجر كانت تصنع من العظام أو من حجر منحوت .

٣ – السهام كانت تتميز بقوتها الخارقة فقد شوهدت فقرات شُكّت بسهام اخترقت الجلد والعضلات فالسحايا والنخاع واستقرت أخيراً في الوجه الخلفي من الجسم الفقري، كما وجدت سهام مستقرة في عظام مختلفة كالعجز والكتف وغير ذلك .

٤ ـ الحجارة والمقاليع : وكان من جملة وسائل الصيد والقتال عند الانسان لابتدائي تراشق الحجارة بوسائل بدائية منها المقاليع .

ه ـ الفؤوس والمطارق : كانت هذه الآلات تستعمل في المبارزات فتنتج منها عادة كسور في الجمجمة .

ان العيش القبلي يوحي الى القول بان الكسور المحدثة بالفؤوس والمطارق كانت كثيرة وكذلك الخلوع العارضة . يؤيد هذا القول مايشاهد عند الأقوام الابتدائيةالتي تحيا اليوم حياة تحاكي حياة الاقدمين وما يشاهده رحّالو العصور الحديثةفي اسفارهم وما أثبته علماء الآثار اذ كشفوا في المقابر والنواويس المطمورة عظاما مكسورة كسورا واسعة وقدرممت كأحسن مايمكن أن ترمم به في عصرنا هذا ، ويبدو أن الأقوام الابتدائية كانت تتقن التمسيد والتدليك اتقانا لم نبلغ درجته في يومنا هذا ، إذ كانت تعتمد على هاتين الوسيلتين في معالجة الضمور العضلي والقصور الوظيفي وغير ذلك ممـــا يصحب الرضوض عامة والكسور والخلوع خاصة وقد أثبتت أعمـال الحفر الحديثة التي كشفت عن آثار العصر الحجري ان كسور الكعبرة كانت نسبة حدوثها أعلى من الكسور الاخرى ، هذا فيما يتعلق بالكسور المغلقة وأما الكسور المفتوحة والمعرضة فمـــاذا كانت حالها ؟ وكيف كان يكافح تعرضها للتقيح والعفن ؟ ان ممـا لاشك فيه ان كهنة ذلك الزمان كانوا يعرفون خواص بعض أنواع النبات الطبية واثر راتنجها في تطهير الجروح والتئامها وكانوا يحصلون في الكسور المفتتة المكشوفة على نتائج حسنة مما يدل على أنه كانت لهم خبرة ممتــازة ، وليدة التجارب ، اوصلتهم الى إتقان معالجة الكسور اتقانا ادى الى محاشاة تشوهها وتجنب عطل عملهـــا والى حسن اندمالها وترميمها ترميما نوجو الحصول على امثاله في معالجاتنا الحديثة .

اسباب الامراض ، وقايتها ومعالجتها : عرف الانسان الاول العوامل

الظاهرة التي تؤذيه فكافحها ، عرف اذى الحيوانات المفترسة البحرية والمائية والبرية فاجتنبها او كافحها وعرف الحشرات فتحاشاها للتوقي منها او كافحها بما لديه من وسائل ، ولكن هذا الانسان تعرض للاصابة بامراض لم ير سببا ظاهرا لها ولم يستطع مكافحتها فعزاها الى قوى خارقة ، زعم انها تنبعث من ارواح خبيثة ونظرات مؤذية ، لاسلطان له عليها ولا تتأثر بمشيئته ولا تنالها قدرته فولد ذلك فيه التشاؤم والخوف وحب البحث عن وسائل يتقرب بها من القدرة الواقية والقوى الشافية ويتوسل اليها لتنجيه مما يحيق به وما يخبؤه له طالعه .

ورأى الانسان الاول أن الامراض تفد مع الفصول وتتبدل بتبديلها وتصحب الزلازل وتتلو الزوابع وتتأثر بالحر والبرد وبالصواعق والطوفان ، وانها تصاحب احتجاب الشمس مدة من الزمن أو توافق ظهور المذنبات وتبدل مطالع القمر ، فعزا حدوثها الى الشمس والقمر والكواكب والنجوم وآمن بقدرتها على توليد الداء فوُلد بذلك التنجيم وظهر المنجمون الذين كانوا يزعمون أن لهم أثراً في ابعاد الاذى واستجلاب الخير وكانوا يستعينون في المعالجة بعقاقير فعالة ، نباتية أو حيوانية أو معدنية ويربطون تأثيرها بالاجرام السماوية إمعاناً في كسب ثقة الناس .

وظن الانسان أن بينه وبين النبات والحيوان صلة في الخير والشر فولد ذلك فيه عقيدة تقديس بعض أنواعها والتوقي من الامراض أو الاستشفاء بها فوجدت بذلك الطوطمية .

وقد اشتغل الطب اناس استفادوا من خصائص الجسم والنفس وتبادل التأثير بينهما فلجأوا الى اساليب أثرت في عقل الانسان البدائي ثم اوهموه أن فيهم صفات خاصة بهم كقوة جسدية خارقة أو قوة عقلية فائقة أو حالة من الشرود والغيبوبة وغير ذلك من صفات جعلت الناس ينظرون اليهم نظرة تختلف عن نظرتهم الى

الاشخاص العاديين وقد زعم هؤلاء الاشخاص انفسهم أن المزايا التي اكتسبوها باتصافهم بصفات خاصة متّعتهم بحقوق لايتمتع بها غيرهم ، هي ارث لهم لايحق لسواهم التصرف بها وكان من ذلك تخصيص حق المعالجة بهم والتماس الشفاء عن طريقهم فصدّقهم الناس وانزلوا كثيرين منهم منزلةالتقديس وهكذا عرف آلهة الطب كما عرفت الوثنية الطبية وكان الكهان بما لديهم من خبرة يعلّمون افراد القبيلة ويروضونهم بطقوس من شأنها وقايتهم من بعض الامراض الجراحية التي يتعرضون لها ولا سيما جروح المعارك .

لقد اضطر الانسان فيما قبل التاريخ الى منازلة الحيوان للخلاص من شره أو لصيده كما أن عيشه القبلي كان يضطره الى غزو القبائل الاخرى أو الدفاع عن نفسه من الغزو وقد أدى هـــذا وذاك الى عناية الكهان بوقايته من الامراض الجراحية وتجنب حدوثها من جهة ، والى معالجتها بعد حدوثها من جهة ثانية ، ومما لاشك فيه أن الانسان البدائي اضطر الى ترويض جسمه قبل رحلته محاربا أو طالباً للصيد والقنص وقد دعا ذلك الكهان الوثنيين الى حشد الذكور في أماكن خاصة يقومون فيهـــا بطقوس ، من شأنها أن تزيد ثقتهم بانفسهم على الكفاح،وعلى الايمان بالنصر والنجاح ، وان تعلمهم طرق اقتناص الوحش كأن يجتمعوا في كهف واسع رسمت على جدرانه أو وضعت فيه تماثيل سباع الحيوان فينشدون الاناشيد الحماسية بينما تقرع الطبول ثم يهاجمون الصور ويغرزون سيوفهم أو رماحهم في مقاتل الحيوان وكان هذا المران يستغرق ساعات وساعات ولا يكاد ينتهي حتى يصبح القبلي خبيراً باساليب المنازلة والعراك ، عارفا النواحي القتالة في منازلة خصمه، انسانا كان أم حيواناً ، عظيم الثقة بنفسه قادراً على قتل الحيوان والتوقي منه[1] .

«١» يحاكي هذا الترويض مايقوم به المروضون على منازلة الثيران في اسبانيا .

وكان يوزع الكاهن ، في آخر مراسم الترويض على تبادل القتال مع الانسان ومنازلة الحيوان حمولات [1] الوقاية ، والواقع أن هؤلاء المقاتلين للانسان أو المنازلين للحيوان كانوا يقومون بطقوسهم على خلاء ، دون إرهاق المعدة بالامتلاء ويبقون كذلك مدة القنص والصيد أو القتال والغزوات وكانت هذه الطقوس بما فيها من حركات وجهد تؤدي الى جعل الأمعاء فارغة والى تصريف النفايات من الدم بالعرق المفرز بما يجعل المقاتل أو المنازل ممتعاً بحالة من سلامة الجسم والدم والعقل تصيره أكثر نشاطاً في القتال ، وأثبت جنانا في النزال ، وأشد مقاومة للأمراض وأقل تعرضاً لاختلاطات الجروح اذا أصيب بها .

ولقد سعى الانسان أيضاً الى التوقي من المؤثرات المؤذية حتى لا يكون ضحيتها ويتخلص من خبثها وبما أنه آمن بأن اذاه يتولد من أرواح شريرة فقد سعى الى حماية نفسه منها من جهة ، والى تسليطها على أعدائه من جهة ثانية فعرف بذلك السحر والسحرة وآمن الانسان أيضاً بوجود أرواح خيّرة تُستجلب بالتمائم والتعاويذ والرقى والعزائم وغير ذلك وقد حبب اليه ذلك البحث عن وسائل تدنيه منها . وقد تولد أيضاً من ايمان الانسان بصلة الحيوان بخيره وشره أن آمن بالزجر والعيافة . وقد تخيل الانسان الأول أن من جملة مصادر الأرواح المؤذية حقد الآخرين عليه وحسده والغيرة منه ونقمة أرواح الموتى الناقمين الضارة وغضب المكبوتين ونقمة المحزونين والفقراء والمساكين وقد دعته بعض المصادفات الى الايمان بذلك فسعى الى معرفة سبل التخلص منها فأوهموه أن هنالك وسائل للوقاية منها ، والشفاء من اصابتها ، قوامها التحرز بالأحجار

---

(١) حمولات ترجمة كلمة Amulette ويرى بعضهم ان هذه الكلمة محرفة من كلمة حمولة العربية وهي في كل حال تعني ابعاد الشر

والخرزات وغير ذلك من وسائل متنوعة ومنها أيضاً الايهام والترغيب والتخييل والاقناع والترهيب وحتى الشعوذة والتهريج مما قد يؤثر في بعض الناس . والواقع أن الوسائل التي كانت مستعملة تهدف الى خلق الايمان في نفس المريض ليعتقد أن معالجه قادر على وقايته وشفائه ومتى تم ذلك عاد الشفاء ممكناً من أدواء نفسانية ، كانت تبدو عاصية على الدواء؛ أو ليس فيما نشاهده في يومنا هذا من حوادث شفاء غير مألوفة مايدل على أثر الايمان بالشفاء .

خلاصة القسم الاول : شعر الانسان منذ وجوده بنعيم الصحة فسعى الى المحافظة عليها واجتناب مايؤذيها فكان من ذلك الطب .صنف الاقدمون الامراض في زمرتين ، زمرة عرفوا اسبابها فعالجوها بما لديهم من وسائل ، وزمرة غمضت اسبابها فعزوها الى ارواح مؤذية ؛ ونظرات ممرضة وغير ذلك من اسباب خفية لاسلطان للانسان العادي عليها فولد ذلك فيه التشاؤم والخوف وحب البحث عن وسائل واقية منها وشافية لها رأى الانسان الاول ان الامراض تفد مع الفصول وتتلو الزوابع وتصاحب احتجاب الشمس وترافق ظهور المذنبات وتبدل مطالع القمر فولد التنجيم وظهر المنجمون . واستغل الطب اناس ، استفادوا من خصائص الجسم والنفس وتبادل التأثير بينهما فلجأوا الى اساليب أثرت في عقول الناس فالتمسوا منهم الوقاية من الداء ومعالجة المرض بالدواء وسموهم الكهنة ورفعوهم الى مصاف الآلهة فراح هؤلاء يوهمون الناس بوجود ارواح خيّرة تستجلب بالتمائم والتعاويذ والرقى والعزائم وغير ذلك وجعلوا الانسان يؤمن بصلة الحيوان بخيره وشره فنتج من ذلك الزجر والعيافة ، وقد دعت المصادفات الى الايمان بأن لدى الكهان وسائل يُتوقى بها من الامراض أو تشفى بجملها فكان من ذلك الايمان بالاحجار والخرزات وغير ذلك ، والواقع أن الوسائل المستعملة كانت تهدف الى خلق الايمان في نفس المريض فيعتقد أن كاهنه قادر على وقايته وشفائه ،ولما كان كثير من الامراض يشفى من نفسه أو بقوة الايمان ، استطاع الكهان أن يكونوا ذا شأن في طب الابدان .

القسم الثاني

طب الأمم التي وجدت في شبه الجزيرة العربية قبل الاسلام
وطب الهند والصين والرومان وطب فارس واليونان

الباب الأول

طب البابليين والآشوريين والكلدانيين والفينيقيين

يقول هيرودوت [١] أن البابليين كانوا يعرضون مرضاهم في الساحات العامة خارج المدن وذلك لكي يتصل بهم المارة ويستفسرون منهم عن شكواهم ، حتى اذا سبقت لأحدهم مثلها ارشد المصاب لاستعمال الوسائل نفسها طلبا للشفاء . على أن هذا الزعم لايتلاءم مع ماعرف عن المدنية القديمة في شبه الجزيرة العربية فقد كان في العراق وضواحيه مدارس طبية فيها ألواح ، تتضمن وصايا طبية وعلاجات . كان البابليون أول من استخدم التنجيم في الطب فحسبوا ان للكواكب والأبراج الفلكية أثراً في الولادة وفي وظائف الجسم وفي الأمراض وعلاجها .. ذكر القاضي صاعد الأندلسي [٢] علوم الكلدان فقال : كان من الكلدانيين

(١» هيرودوتس ٤٨٤ - ٤٢٥ ق م Hérodote مؤرخ ورحالة يوناني ملقب بأبي التاريخ ، زار العالم المعروف آنذاك لاسيا العراق وفينيقيا ومصر ، له تاريخ ، وهو أم المراجع لمعرفة احوال الأقدمين .

٢ صاعد الاندلسي ١٠٢٩ - ١٠٨٠ م ولد في المرية ، درس في قرطبة ، اشتهر بالفقه والتاريخ والحساب والهيئة ، له كتاب طبقات الامم .

علماء – من أجل الناس فضلاً وحكماً – متوسعون في فنون المعارف، من المهن التعليمية والعلوم الرياضية والالهية وقد ظهر منهم الأفاعيل الغريبة والنتائج العجيبة من انشاء الطلسمات وغيرها من صناعة السحر، وأشهر علمائهم وأجلهم هرمس البابلي، والواقع أن المدنية البابلية الآشورية ظلت مسيطرة من السنة ٤٠٠٠ الى السنة ٢٣٠٠ قبل الميلاد وكان الطب من أهم ماعنيت به تلك المدنية وكان طب الآشوريين مدوناً في الهياكل على آجر قمعي الشكل وفي آجر مكتبة آشوريا مئات من الآجر، تبحث في المداواة والعلاجات على أن الذي يدعو الى العجب في الطب الآشوري البابلي هو فقدان البحث عن الأسباب، ويضم متحف فيلادلفيا أثراً كشفت عنه الحفريات التي أجريت في العراق منذ خمسين سنة يرتد تاريخه الى ٢١٠٠ سنة قبل الميلاد، ويشتمل هذا الأثر على علاجات، وضعها طبيب لم يعلن عن اسمه، وبين هذه العلاجات أدوية للاستعمال الداخلي ومراهم للاستعمال الخارجي؛ ومما هو جدير بالذكر أن الأثر المبحوث عنه لايشمل كلاما عن الأرواح الشريرة والشياطين والسحر وقد جاء فيه بحث عن فوائد بعض الاملاح وكلام عن الاستشفاء باللبن وجلد الحيات ودرع السلاحف وذكر لادوية نباتية كثيرة منها الآس والحلتيت والزعتر كما بحث فيه عن الادوية المشتقة من أقسام الاشجار المختلفة بما في ذلك أزهارها وأوراقها وثمارها وبذورها وقشرها وجذورها وصمغها .

هذا ولا يخفى أن سكان جزيرة العرب كانوا منقسمين، لم يعرفوا الوحدة الا قبل الميلاد بألفي سنة على يد حمورابي الذي وضع قوانين استخلصها من شرائع المدن التي أخضعها له بعد أن صاغها صياغة جديدة وأضاف اليها الشيء الكثير مما ساعد على وضع أسس للتعامل بين الافراد والجماعات، وبينها وبين

الدولة وقد أشارت قوانين حامورابي[1] الى اجور الأطباء فحددتها كما حذرت الأطباء من الوقوع في الخطأ وجعلتهم مسؤولين عن الأخطاء التي يرتكبونها فتودي بحياة المريض أو تؤذيه كما ذكرت قوانين حامورابي المرضعات وفرضت عقوبات صارمة عليهن إذا أهملن الرضيع .



الشكل -(١)

صورة تمثل الطب البابلي وتبين غرفة مريض ممدد على فراشه يشرف على معالجته طبيب كاهن « نقلا عن بارك دافيس » .

درس البابليون والآشوريون التشريح ولاسيما الكبد وعرفوا التشوهات التي تطرأ على الانسان والحيوان ، ويرتد سبب تعمق البابليين في دراسة الكبد الى اعتقادهم بان هذا العضو يسيطر على سائر اعضاء الجسم وأنه رئيسها كلها .

«١» حمورابي (Hamorabi) مؤسس امبراطورية بابل ، وضع مجموعة شرائع تعتبر اقدم ماوضع في هذا الشأن . ايام ملكه بين ١٧٢٨ — ١٦٨٦ ق.م

ويبدو أن الجهاز الطبي كان مرتبطاً بالملك نفسه وأن الاطباء كانوا مقسمين الى ثلاث فئات ، فئة تعالج بالنصح واخرى بالأدوية من نباتية وحيوانية ومعدنية وثالثة بالطلاسم وكانوا يعتقدون أن للطب آلهة . لقد بحث القانون الآشوري عن ربط العروق في جروح الخصية ونصح الأطباء الآشوريين للسكرين الامتناع عن كل شراب روحي وعرفوا من العلاجات الآلية التمسيد .

أما العلاجات التي كانوا يستعملونها فانها عديدة منها ماهو نباتي أو حيواني أو معدني وكان من بينها الزيوت على اختلاف انواعها ومنها زيت الزيتون وزيت الخروع وزيت الأرز والغار والآس كما عرفوا البابونج والخردل واستعملوا عصير قشر الفواكه والثمار ، كقشر الرمان والليمون والتفاح كما استعملوا الحشيش والأفيون للتخدير ، لجأ الآشوريون الى الجراحة أيضاً في طبهم وقد عرفوا التحنيط ومارسوه باتقان : ولقد انتقلت العلوم التي عرفها الآشوريون الى النساطرة واليعاقبة [1] .

أما الفينيقيون فيبدو أن وطنهم الأصلي الواقع شرقي البحر الأحمر كان منطقة تبادل تجاري عظيم ، زاهرة بتجارتها ، غنية بعلومها ومنها الطب والصيدلة وكانت تجارة الأدوية مزدهرة بينهم ينقلونها الى بلاد العرب والبلاد الواقعة حول البحر الابيض المتوسط وغربيه ، كان للدين عندهم تأثير كبير في الطب ، لذلك كان الكهان يتعاطون مهنة الطب .

«٢» النسطورية فرقة من اتباع المسيح عليه السلام كانت غالبة على الموصل والعراق وخراسان وفارس وأما اليعقوبية فهي فرقة من النصارى كانت غالبة على مصر وبلاد النوبة والحبشة ، انتقلت العلوم من الآشوريين الى النساطرة واليعاقبة خاصة في زمن العرب وبتشجيعهم كما انتقلت في الوقت نفسه الى العرب والمسلمين.

الباب الثاني

الطب عند المصريين

لقد أجمع الباحثون على أن الطب ازدهر عند المصريين ازدهاراً فسح المجال لمتعاطيه الكهنة إمكان المعالجة لكثير من الأمراض وقد دونت معارفهم الطبية في ملفات من أوراق البردى ، وجدت بين الدفائن المصرية التي كشفت عنها الحفريات بعد أن صبرت على انياب الدهر الفي عام أو ثلاثة آلاف عام أو أكثر ولم تزل على رونقها الأول منقوشة مذوقة .

ولقد قسمت الابحاث في الأوراق الطبية المذكورة الى أبواب بحث بعضها في الطب الباطني وبعضها الآخر في الطب الجراحي أو الطب النسائي أو طب الاختصاص بامراض الفم والاذنين أو العينين أو الانف كما تضمنت الأوراق المذكورة اسماء الأدوية وبينت أثرها في الجسم ومايصنع منها من اشربة وغير ذلك كما ذكرت صفاتها ومقادير استعمالها وكيفيته ، كما اتت على ذكر الطلاسم والتعاويذ والرموز السحرية التي لابد منها في المعالجة الفرعونية .

ولم تكن دراسة هذه الأوراق لمعرفة مضمونها سهلة على الشعب ، بل كان ذلك وقفاً على الكهان ومما يجدر ذكره في هذا الشأن أن الكهان كانوا موظفين يتقاضون رواتبهم من دخل المعابد ، وكان قدماء المصريين – كما كان

الكلدانيون – لايستنكفون عن استقصاء طرق العلاج من أهل البادية والقرى أو من المعمرين المجربين ، فكانوا إذا أصيب أحدهم بمرض استعصى شفاؤه ، وضعوه في أشهر ميدان في بلدتهم ليراه الغادون والرائحون وكانوا يرفقون المريض برجل من أقاربه ليخدمه ويشرح للناس سيرة مرضه وكان المارون يقدمون ماعندهم من خبرة ومعرفة تساعد على شفاء المريض الى القائم بالعناية عليه الواقف بجانبه فيدونها ولايلبث أن ينفذها وهكذا نشأ علمهم في الطب الاختباري وجمعت



الشكل (٢)

طبيب مصري يكوي ورماً نامياً في الصدر « ليدرلي »

طرائقهم التجريبية في مداواة الأمراض . وكان المصريون يسلمون مدوناتهم التي جمعوها بالطريقة المذكورة الى الكهنة لتدوينها . وكان المصريون يدينون بعقيدة ثابتة وهي أن الحياة خالدة متى بدأت استمرت ، الا اذا أصابها عارض يلحق بها العدم ، وهذا العارض روح من أرواح الموتى أو روح شريرة تدخل جسم الانسان خفية من خلال العين أو الأذن أو الفم وأن الانسان يموت اذا لم يطردها وكانوا يعتقدون أن لكل انسان أو حيوان أو نبات أو جماد روحاً وأن مجموعة هذه الأرواح مستقرة بين السموات والأرضين وانها ليست في الأصل شريرة ولكنها قابلة للتأثر بما يحيط بها فتميل الى الخير أو الشر وكان فن المعالجة يقضي بأن تعرف حقيقة الروح الغريبة الحالة في الجسم ليستعان على طردها بالتمائم التي تطردها وقد تعدمها وكانوا يرفقون التعزيم بالأدوية .

ولقد اعتبرت طرق المعالجة وما يتصل بها من معارف مؤدية الى الشفاء

أسراراً دونت في كتاب مقدس نسب للمعبود تحوت[1] وقيل فيه أن مصدره وحي الهي وذلك لكي لايقع فيه تغيير أو تبديل ثم نسخوا عن هذا الكتاب صوراً متعددة ، وزعت على المعابد .

ولقد كانت الجراحة متقدمة عند أطبائهم وكانوا يقسمون الآفات الجراحية الى عفنة وطاهرة كما كانوا يضعون العلامات الواسعة لآفات الجسم في كل من أعضائه ، وكانوا يعالجون الانتفاخ بما في ذلك الأورام ، لا بالبضع فحسب بل بالكي أيضاً وذلك رغبة في التخلص من المرض وسعياً وراء اجتناب النزف .

وتدل الآلات الجراحية التي وجدت على أن الأطباء المصريين كانوا يقومون بعمليات جراحية دقيقة كما أن العظام المكسورة المرممة أحسن ترميم التي وجدت في الموميات تدل على تقدم فن التجبير عندهم .

بحث القاضي الطليطلي عن الطب المصري فقال كان في مصر بعد الطوفان علماء بضروب الفلسفة من العلوم الطبيعية والرياضية والالهية والكيمياء وغير ذلك وكانت دار الملك والعلم مدينة منف ثم صارت مدينة الاسكندرية ويعد اتوتيس بن منيا ، من ملوك الدولة الاولى المصرية اول من كتب في الجراحة ، ولقد وصفت عام ١٨٦١ بعض نقوش مصرية قديمة، وجدت على جدران بالكرنك يرجع تاريخها الى العائلة التاسعة عشرة أي حوالي ١٣٠٠ سنة قبل الميلاد ، تمثل الختان عند ولدين يتراوح سنهما بين ست سنوات وثماني سنوات ويظن أن هذين الولدين هما ولدا الملك رعمسيس الثاني .

ومما لاشك فيه ان قدماء المصريين هم اول من عمل عملية الختان حوالي

---

(١) : Thot

٢٧٠٠ سنة ق.م ، اما الغرض من هذه العملية فهو الوقاية من الامراض وحفظ الصحة ويمكن ان يقال ايضاً بأن العناية الصحية كانت متوفرة عند المصريين يدل على ذلك عنايتهم بدفن الموتى ومراقبة غش اللحم مراقبة دقيقة واهتمامهم بنظافة المسكن والمأكل والمشرب وغير ذلك من امور صحية تُجنّب الانسان المرض وكان عند المصريين إله للطب اسمه امحتب وآلهة للشفاء اشتهرت منهم ايزيس .



الشكل (٣)
صورة تمثل الختان عند المصريين

آ ــ **امحتب**[١] : عاش في الاسرة الثالثة حوالي عام ٣٥٠٠ ق.م . اشتهر بميزات وصفات عالية فاحبه الشعب ورفعه الى مصاف انصاف الآلهة ، فسمي ابن الآله الأعظم بتاح ، واصبح أحد الآلهة الثلاثة في ممفيس واعتبر بعد ذلك إله الطب خاصة ، وكان المصريون يسمونه الطبيب الطيب ، الإله الرحيم ، الذي يواسي المتألمين ويشفي المرضى ، ويمنح النوم الهادىء للقلقين ، يهب الحياة للناس ويعاونهم اينما كانوا ، وهو الذي يرزقهم الاولاد ، وكان يشترك مع اتباعه في التحنيط وكان المصريون يرددون عند الصلاة على الميت الكلمات الآتية : ستتحد روحك بأمحتب ، وستكون معه كالابن في منزل ابيه .

(١) Amhoteb

اشتهر امحتب بانه طبيب ووزير وكاهن وكاتب ومهندس وكيمياوي وفلكي ولكن عظمته في الطب فاقت على غيرها وقد صوره النحاتون والرسامون بصورة رجل أصلع الرأس جالساً على ركبتيه، فوقها ملف مفتوح من ورق البردي كما صوروه أحياناً ممسكاً بيده رمز الحياة .

ب — **ايزيس**[1] : **آلهة الشفاء** : كانت الآلهة المحبوبة ، المعتنية بصحة الناس ، حبيبة النساء وحاميتهن ، اكتسبت معارفها من السحر . ومما كان يوصف من الأدوية لطفلها الرضيع . وكانت توجّه اليها الأدعية في التعازيم عند تحضير الأدوية ولعل هذا هو أول اساسٍ لرعاية الطفل والأمومة في العالم .

وتوجد اسطورة مشهورة تبين كيف أوقعت ايزيس إله الشمس (رع) في حبائلها فطلبت منه أن يبوح لها بسر الاسم الاعظم لتستطيع معالجة من لسعته العقرب فعرّفها بذلك وصارت بعدئذ أكبر ساحرة ومعالجة . كان السائد أن ايزيس ترشد الى العلاج في الاحلام لذلك كان المصريون يعنون بتفسير الاحلام وكان ينام مريضهم في المعبد ليهتف به الهاتف وينصحه باتباع العلاج اللازم وكانت في وادي النيل معابد كثيرة ، هي في الوقت نفسه معاهد العلاج الرئيسية يحج اليها طالبوا الشفاء من كل حدب وصوب .

اوراق البردي[2] الطبية والقراطيس : نبحث فيما يلي عن اشهرها :

١ – قرطاس ايبرس (٣) : سميت باسم العالم الأثري الالماني الذي حصل عليها سنة ١٨٧٢ وقد كانت ملفوفة في قماش وموضوعة في علبة معدنية وهي محفوظة الآن في

---

(١) Isis : زوجة اوزيريس معبودة المصريين الاقدمين ،نسبوا اليها حراسة الموتى والطب والقبالة والعناية بالزواج وبزراعة القمح .

(٢) : Papyrus médicaux

(٣) : Ebers

جامعة لايبزيغ الالمانية . ويبدو ان اوراق ايبرس كتبت في هليو بوليس في زمن موسى عليه السلام . رتبت في هـــذه الاوراق الوصفات بحسب الاعضاء وتتألف الوصفة من : دواء يوضع على العضو المتألم ومن ابتهال الى المعبودة ايزيس كوسيلة لشفاء المريض ومن عزيمة تتلى عند استعمال الدواء .

وكان السحر من وسائل المعالجة وربما افاد بالايحاء وكانت الادوية من العنـــاصر النباتية والحيوانية والمعدنية ولقد تفننوا في تحضير الادوية فاستعملوا من الشجر فروعها وازهارها وثمارها وبذورها وكانوا يحلون طعم الدواء لإخفاء مرارته كما كانوا يعطرونه لاخفاء رائحته الكريهة ، وكانوا أيضاً يخلطون الأدوية بالجعة (١) – البيرا – الغابيتين المذكورتين . وكانوا يستعملون لبن الانسان والبقر والمـاء المعـــدني ومنقوع بذر الكتان وغير ذلك .

٢ – قرطاس برلين : اهدي الى متحف برلين عام ١٨٨٦ ويتألف من مجموعتين من أوراق البردي وقد حفظتا في برلين وذكر أنها وجدا في الحفائر التي اجريت بجوار اهرام سقارة (٢) على مقربة من منف (٣) بعمق عشرة اقدام عن سطح الارض وتحوي هذه الاوراق على تشخيص امراض متعددة وعلاجها في ١٧٠ تذكرة طبية كما فيها بيان خاص بالعروق والدورة الدموية وبحوث عن أمراض النساء ، لقد نقل جالينوس بعض معلوماته في العقاقير عنها .

٣ – قرطاس هيرست (٤) : يرجع تاريخه الى السنة التاسعة لحكم الملك امنوفيس الاول ويبدو انه كتب في نفس الوقت الذي كتبت فيه اوراق ايبرس فقد وجـــد بين المجموعتين تشابه كبير مع أنهما ليستا متماثلتين .

ان تصفح اوراق هيرست يدل على ان قدماء المصريين كانوا يرتبون طرق العلاج حسب الاعضاء ويعالجون المرضى بانقاذهم من الارواح الشريرة ومن السحر الذي اثرفيهم ومن الخوف الذي حل بهم والجزع الذي ساورهم وكانوا يستعملون بعض الادوية للاستعانة بها على الشفاء وكان قوام المراهم عندهم الدهن والشحم وزيت الزيتون وكانوا يعتمدون على

---

(١) : Bière بيرا

(٢) : سقارة . قرية جنوبي القاهرة عندها الاهرام المعروفة باسمها .

(٣) : منف أو منفيس Menphis : عاصمة مصر قديماً على يسار شاطىء النيل بالقرب من القاهرة .

(٤) : Herst

العزائم ويظهر انه كان للزيت والعسل والجعة شأن خاص في معالجاتهم وكان الكاهن يكتب اسم المريض بالمداد الاحمر والوصفة بالمداد الاسود وكان يضع امام الوصفة مقاديرها بالحبر الاحمر وكانت لديهم علاجات لامراض الاسنان والثدي والمعدة والقلب ولكسور العظام والتهابها واورام الاعضاء والدمامل ولعلاج العضة – عضة التمساح والخنزير والجاموس البحري والسبع والانسان وغيرها – كما كانوا يستعملون ادوية خاصة لادرار البول ومعالجة التهاب المثانة ومكافحة الضعف العام .

٤ - قرطاس لندن : هذا القرطاس صغير الحجم وقد لحقه التلف وهو يحتوي على الكثير من العزائم والقليل من التذاكر ولعل هذا يدل على تغلب السحر على الطب ، والرقية على الادوية في عصره كما انه يبحث عن المعالجة بالكي ويبدو انه وضع سنة ١٥٠٠ ق.م .

٥ – قرطاس ادوين سميث الطبي «١» : اشترى هذا القرطاس المستر ادون سمث اثناء اقامته في طيبة وكان في حالة التلف وقد فقدت أوائل نصوصه لكنه اهتدى اليها واشتراها بعد ذلك على دفعتين ، ثم توفي وانتقل القرطاس الى ابنته (ليونوراسمث) فأهدته الى الجمعية التاريخية بنيويورك . يمتاز هذا القرطاس عن غيره بترتيب تحريره وعدم بحثه عن السحر وهذا يدلنا على أنه كان عند المصريين أطباء يزاولون الفن لنفسه ولا يميلون الى خزعبلات السحر .

تعليقات العرب وغيرهم على الطب المصري: لخص العرب ماجاء في كتب اليونان عن الطب في مصر القديمة فقالوا عن المصريين انهم موجدو الطب ومجودوه على ان وايز (٢) يقول في كتابه شرح الطريقة الهندية في الطب ان مصر مدينة بعلومها الطبية الى بعض امم الشرق القديمة وخاصة منها الهند بين سنة ٤٠٠٠ و ٢٥٠٠ قبل الميلاد كما ان الحفريات التي اجريت في الشمال الغربي من الهند دلت على ان هنالك حملات قديمة علمية وتجارية بين مصر وبابل والهند.ويبدو ان الكهنة المصريين هم الذين كانوا يشدون الرحال من ضفاف النيل الى ضفاف الكنج والسند ليغترفوا من مناهل الحكمة الهندية.ويرى عدد من الباحثين في تاريخ الطب انه بدأ في اشور وبابل وانه انتقل منها الى مصر والهند فتقدم في كل منها. (٣)

---

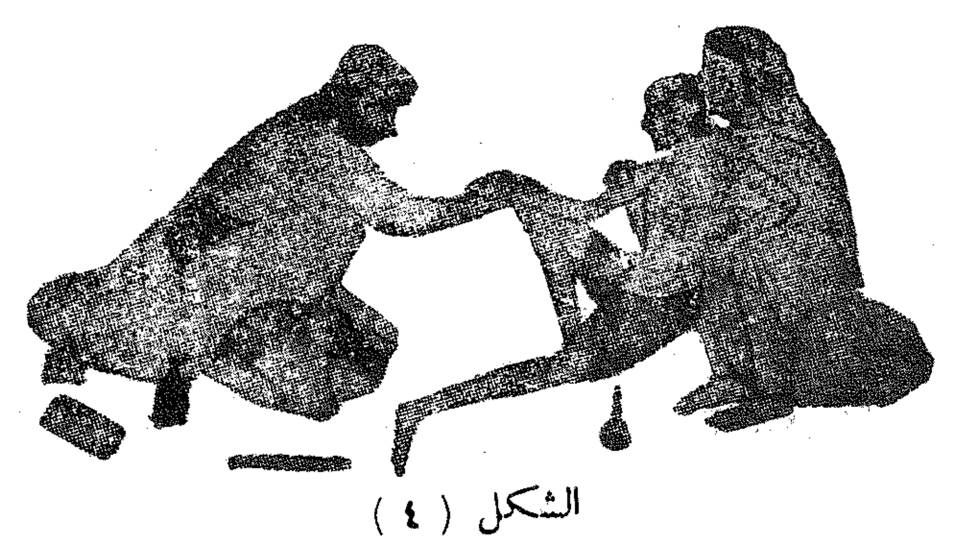
(١) : Edwin smith : اكتشف هذا القرطاس في قبر في ضواحي الأقصر سنة ١٨٦١. (٢) Wise: - Indian medical Record

(٣) : مراجع هذا البحث التراث العلمي لمصر القديمة مقتطف سنة ١٩٣٦ المصريون القدماء والجراحة عندهم .وقرطاس ادون سميث :للدكتور حسن كمال .

الباب الثالث

الطب الهندي

زعم كتيزياس[1] وهو طبيب هندي عاش قبل الميلاد بسبعة قرون أن الهنود قلما يتعرضون للأمراض ويعمّرون طويلاً وان سبب العمر المديد في بلاد الهند يرجع الى عنايتهم الصحية .



الشكل (٤)

صورة تمثل طبيباً هندياً يجس نبض المريض (عن سيبا)

وتروي قصة الطب في الهند أن الطب أصبح علماً انسانياً بفضل براهما[2]

---

(١) Ctésias

(٢) Brahman : هو الاله الاعلى في معتقد الهنود الاقدمين

الذي جمعه ولخصه، ثم انتقل من بعده الى أشخاص متألهين . وقد ذكرت التعاليم البوذية أنه وجد في الهند مركزان علميان كبيران، كان الطب من جملة العلوم التي تدرس فيها وقد جمعت التعاليم الطبية الهندية في كتاب سسرد[1] وشارا كا[2] وهما كتابان متشابهان فيما يحتويان عليه من معارف .

انتقلت الى العرب في جاهليتهم بعض أدوية الهنود ومنها العود الطيّب[3] الذي كان يُتبخر به ويستعمل للمعالجة والوقاية .

تأثر العرب بالثقافة الهندية من ناحيتين :

١ ناحية مباشرة: وذلك باتصال العرب انفسهم بالهند من طريق التجارة ومن طريق الفتح العربي فان هذا الفتح صيّرا كثر بلاد السند جزءاً من المملكة الاسلامية العربية تجري عليها احكامها وينتقل العرب اليها كما ينتقل الهنود الى أنحاء العالم الاسلامي والعربي المختلفة ويحملون اليها ثقافتهم ومنها الطب .

٢ ـ ناحية غير مباشرة : وذلك بواسطة الفرس فان الفرس اتصلوا بالهنود قبل الفتح الاسلامي اتصالا وثيقا واخذوا كثيراً من الثقافة الهندية الطبية وأدمجوها في ثقافتهم ، فلما نُقلت الثقافة الفارسية الى العربية كان معنى هذا نقل جزء من الثقافة الهندية في ثناياها .

بحث القاضي صاعد بن احمد الاندلسي أبو القاسم في طبقاته عن الهند فقال : عُرفت الهند عند جميع الامم وعلى مر الدهور وتقادم الازمان بانها معدن الحكمة

---

(١) Suçruta يشتمل على أسماء العقاقير الهنديه .

(٢) Charaka

(٣) وقد قال فيه عدي بن الرقاع :

رب نار بت ارمقها تقضم الهندي والغارا

وينبوع العدل والسياسة وأهل الاحلام الراجحة والآراء الفاضلة والامثال السائرة والنتائج الغريبة واللطائف العجيبة وأنهم أعلم من غيرهم بصناعة الطب وأبصر بقوى الادوية وطبائع المولدات وخواص الموجودات وقد نقل العرب عن اللغة الهندية خاصة في عهد الخليفة المنصور وهرون الرشيد كثيراً من كتب العلم ومن بينها الطب . وكان البيروني من علماء الاسلام الذين قصدوا الهند فعاش فيها بين ١٠١٧ و ١٠٣٠ م .

تقول نظرية الطب الهندية بان الجسم مؤلف من العناصر التي يتألف منها العالم وهي الماء والنار والهواء وتعتبر عناصر فاعلة والتراب والغضار ويعدان عنصرين منفعلين . أما الماء فهو في الرأي الهندي عنصر الثقل والبرد وأما النار فهي عنصر الحرارة وما الهضم في نظر الطب الهندي الا عمل حروري يشبه حادث الطبخ وأما الهواء فانه القوة المحركة يمر في أنحاء الجسم كله سالكا سبيل الدم وتقول النظرية الهندية أن الصحة تأتي من عمل العناصر الفعالة في العنصرين المنفعلين ومن اتزان هذا العمل فاذا اختل ، أو فسد وضل ، وقع المرض .

ويعتمد الطب الهندي في المعالجة على توصيات صحية وعلى أدوية طبية نباتية وحيوانية ومعدنية ،توصف هذه الادوية باشكال متنوعة من نقوعات أو دهونات أو قطرات أو تبخيرات أو غير ذلك، أما المعالجة الجراحية فكانت موضع عناية الطب الهندي اذ يجد الباحث في الكتب وصفا لمداخلات جراحية صغيرة كما أن فيها وصفاً لمداخلات جراحية كبرى كالشق العجاني وتفتيت الجنين وقدح الساد وتجميل الأنف حتى أنه كان يلجأ في حالات انسداد الامعاء وانثقابها الى فتح البطن ولا تزال عملياتهم لترقيع الانف تعمل حتى اليوم .

انتشر الطب الهندي في بلاد العرب والفرس والمنغول واليابان وجزر جافا فكان له من التأثير في آسيا ما كان للطب اليوناني من تأثير في البلاد الغربية والعربية.

نقل العرب عن اللغة الهندية - السنسكريتية - كثيراً من الكتب الطبية ويظهر مما كتبه العرب بعد العصر العباسي في الأدب أو الطب أو الصيدلة أنهم اعتمدوا في جملة مصادرهم على كتب هندية، فانك اذا راجعت كتب الطب العربية الكبرى رأيتهم يذكرون بعض الامراض والادوية ويشيرون الى أن الهنود يسمونها كذا وكذا ويعالجونها كذا وكذا ، ومن الكتب الطبية التي نقلت من الهندية الى لسان العرب كتاب سسرد في الطب وهو أسماء عقاقير الهند ، وكتاب مختصر في العقاقير ، كتاب في علاجات الحبالى ، كتاب في علاجات النساء وكتاب التوهم في الأمراض والعلل وكتاب رأي الهند في أجناس الحيات وسمومها وكتاب في أسرار الاعمار وكتاب اسرار المواليد وكتاب في علامات الأدواء ومعرفة علاجها وكتاب فيما اختلف فيه الروم والهند في الحار والبارد وقوى الادوية وكتب اخرى في فروع الطب وقد نقل العرب أيضاً عن جماعة في بلاد الهند ذوي تصانيف معروفة في صناعة الطب وغيرها ، وكان للبرامكة عناية باستقدام الاطباء الهنود الى بغداد . وقد ذكر الجاحظ في كتابه البيان والتبيين اسماء بعضهم وقد عرفت بغداد منهم كنكه وصنجهل وشاناق وجودر ومنكه وصالح بن بهله .

وكان مع هؤلاء الأطباء الهنود صحف في موضوعات غير موضوعاتهم الطبية وكان العلماء يخالطونهم ويسألونهم في شتى المسائل وكان هناك تراجمة يترجمون من الهندية الى العربية وكان هنالك شوق عند العرب لتعلم ماعند كل امة ليقارنوا بينها ويأخذوا أحسنها .

الطب الهندي في العصر الحالي: من الخطأ الظن بأن الطب الهندي زال واندثر، وامحى فلم يعد له أثر ، لقد اعتقد به الغربيون وكان في عداد اطباء القيصر طبيب

تبتي هندي الثقافة ، ويبعث اليوم بعض علماء الهنود التعاليم الطبية الهندية بعثاً جديداً بعد إلباسها حلة عصرية، كما أن هنالك كثيراً من مفردات الطب الهندي مازالت مستعملة من قبل الهنودوالغربيين حتى اليوم ومن بينها زيت الشولموغرا المعدود في رأس الادويةالنافعة في الجذام، على أن هذه المواد هي اليوم موضوع دراسة جدية جديدة من قبل الاطبـــاء الهنود الذين تعلموا الطب العصري في المعاهد الغربية وجمعوا بين الثقافتين، الهندية القديمة والغربية الحديثة . وما يقال في شأن المفردات الطبية ينطبق على الحمية الطعامية واختلاف صفاتهـا وتنويـع ترتيبها بالنسبة الى الاجسام وما تشكوه من أدواء واسقام

ويعد الدكتور تاراماناندا ماريا داسو[١] في طليعة الأطبـــاء المعاصرين الآخذين بدراسةعناصرالطب الهندي القديم وتطبيقه على الطب العصري الحديث ومما لاشك فيه أن عملا من هذا القبيل يحتاج الى جهود وعناء ، وعزيمة ومضاء واطلاعٍ واسع على العلم الحديث وتعمقٍ بالعلم الهندي القديم وهذا ما أسست من أجله في كالكوتا سنة ١٩٢١ جمعية خاصة سميت جمعية تدريس الكتب الطبية الهندية فكان لها مشافيها الذي بلغ عدد مراجعيها السنوي مابين ١٩٣٥ و ١٩٤٦ ما يعادل لسبع مئة شخص كل سنة . ان للطب الهندي فرعاً روحياً رياضياً يعتمد على ايمان عميق وفلسفة خاصة ورياضة نفسية وجسمانية يدعى باليوغا[٢] وهو ذو شأن كبير ولا سيما في الامراض النفسية وله تطبيقات طبية ذات فائدة ، يعتمد اليوغا على مراقبة اللاشعور النفساني والتأثير عليـــه وعلى تقوية الارادة بصورة تدريجية وهكذا توصل اليوغاويون الى حبس أنفاسهم زمنا غير قصير والى توقيف القلب توقيفاً ظاهرياً خلال زمن يسير وقد حامت الشبهـات حول صحة مايقال

---

(١) Taramanda Mariadassou .

(٢) Yoga .

عن عمل اليوغاويين وتخفيضهم لحركات القلب مما دعى تيريز بروس[١] الى تخطيط قلوب اليوغاويين المخفضين لحركات قلوبهم تحت إشراف الاستاذ لوبري[٢] فكانت النتيجة اعلان صدق مايدعيه اليوغاويون وقد فُسرت بعض المظاهر التي يقوم بها هؤلاء بانها منبعثة عن إخضاع الالياف العضلية الملس لتأثير الارادة ، وعلاوة على ذلك فان لليوغاويين تربية بدنية خاصة ذات شأن بير في الطب ، يحاول بعض العلماء المعاصرين من الهنود وغيرهم ادخالها في الطب وحشرها في زمرة المداواة الحكمية فيفسح بذلك المجال لمزج الثقافتين الطبيتين ولمعالجة ما يحل بالانسان جسما ونفسا من ادواء واسقام وامراض واوهام[٣] .

طبقات الأطباء الهنود الذين اشتهروا في البلاد العربية[٤] : نذكر في بحثنا هذا ترجمة عدد من الأطباء الهنود الذين اشتهر أمرهم في البلاد العربية فعملوا فيها أو نُقلت كتبهم اليها وتُرجمت فيها : .

«١» Thérèse Bross .

«٢» Laubry استاذ شهير بأمراض القلب في باريز .

«٣» ننقل ماجاء في هذا الفصل عن :

أ – الجزء « ١٥ » من مجلة سيبا الصادر سنة ١٩٤١ . الجزء « ٧٤ » الصادر سنة ١٩٤٩ .

ب – طبقات الأطباء لابن أبي اصيبعة .

ج – العدد العشرين من مجلة Médecine de France صفحة ٩٣ سنة ١٩٤١

د – كتاب ضحى الاسلام لمؤلفه أحمد امين ص ٢٤٤ .

هـ – البيان والتبيين للجاحظ ج ١ ص ٧٨ .

و – طبقات الامم للقاضي أبي القاسم صاعد بن احمد الاندلسي .

«٤» لخصنا ترجمة الرجال الذين جاء ذكرهم في هذا البحث عن كتاب عيون الأنباء في طبقات لمؤلفه ابن ابي اصيبعة الصفحة ٣٢ – ٣٤ ج ٢ .

١ ـ كنكه[1] : حكيم بارع من متقدمي حكماء الهند وأكابرهم وله نظر في صناعـة الطب وقوى الأدوية وطبائع المولدات وخواص الموجودات وله أيضاً كتب كثيرة من تأليفه ؛ بينها كتاب في الطب .

٢ ـ صنجهل[2] : كان من علماء الهند وفضلائهم المجيدين بعلم الطب والنجوم، ولصنجهل من الكتب، كتاب المواليد الكبير .

٣ ـ شاناق[3] : وهو من المشهورين أيضاً من أطباء الهند، كانت له معالجات وتجارب كثيرة في صناعة الطب تفنن في العلوم وفي الحكمة وكان بارعاً في علم النجوم ، حسن الكلام ، متقدماً عند ملوك الهند ومن كلام شاناق الذي جاء في كتابه المسمى منتخل الجوهر يا أيها الوالي ! اتق عثرات الزمـان واخش تسلط الأيام ، ولوعة غلبة الدهر، واعلم أن الأعمال جزاء ، فاتق عواقب الدهر والايام فان لها غدرات ، فكن منها على حذر ؛ والأقدار مغيبات فاستعدلها ، والزمان منقلب فاحذر دولته ، لئيم الكرّة ، فخف سطوته ، سريع الغرة ، فلا تأمن دولته واعلم أن من لم يداو نفسه من سقام الآثام في أيام حياته فما أبعـــده من الشفاء في داء لا دواء لها ، ومن أذل حواسه واستعبدهـا أبان فضله وأظهر نبله ومن لم يضبط نفسه وهي واحدة لم يضبط حواسه وهي خمس فاذا لم يضبط حواسه مع قلتها وذلتها صعب عليه ضبط الأعوان مع كثرتهم وخشونة جانبهم فكانت عامة الرعية في أقاصي البلاد وأطراف المملكة أبعد من الضبط ، ولشاناق من الكتب كتاب السموم في خمس مقالات فسره من اللسان الهندي الى اللسان

---

١ ـ Kanka ٢ ـ Sanajhal ٣ ـ Chanac

الفارسي منكه الهندي وكان المتولى لنقله بالخط الفارسي رجل يعرف بأبي حاتم البلخي فسره ليحيى بن خالد بن برمك ثم نُقل للمأمون على يد العباس بن سعيد الجوهري ومن كتب شاناق أيضاً كتاب في البيطرة وكتاب في علم النجوم .

٤ ـــ جودر [١] : حكيم فاضل من حكماء الهند وعلمائهم متميز في أيامه وله نظر في الطب وتصانيف في العلوم الحكمية وله من الكتب كتاب المواليد، الذي نقل الى اللسان العربي أيضاً .

٥ ـــ منكه [٢] : كان عالماً بصناعة الطب، حسن المعالجة ، لطيف التدابير فيلسوفاً من جملة المشار اليهم في علوم الهند ، متقناً للغة الهند ولغة الفرس وهو الذي نقل كتاب شاناق الهندي في السموم من اللغة الهندية الى الفارسي . كان في أيام هارون الرشيد وسافر من الهند الى العراق في أيامه واجتمع به وداواه وقد ذكرت بعض الكتب ان منكه الهندي كان ينقل الكتب من اللغة الهندية أو الفارسية الى العربية وقد جاء في كتاب أخبار الخلفاء والبرامكة أن الرشيد اعتل علة صعبة فعالجه الاطباء ، فلم يجد من علته إفاقة فقال له ابو عمر الاعجمي، بالهند طبيب يقال له منكه فلو بعث اليه أمير المؤمنين فلعل الله أن يهب له الشفاء على يده . قال فوجه الرشيد من حمله ووصله بصلةٍ تُعينه على سفره فقدم وعالج الرشيد فبرىء من علته بعلاجه فأجرى عليه رزقاً واسعاً وأموالاً كافية وجاء عن منكه روايته الآتية : بينا كنت ماراً في السوق ، اذا برجل قد بسط كساءه وألقى عليه عقاقير كثيرة وقام يصف أحد المعاجين مردداً : هذا دواء للحمى الدائمة وحمى الغب وحمى الربع ولوجع الظهر والركبتين والبواسير والرياح

---

١ ـ Jawdar

٢ ـ Manka

ووجع المفاصل ووجع العينين ولوجع البطن والصداع والشقيقة ولتقطير البول والفالج والارتعاش ولم يدع علة في البدن الا ذكرها . قال منكه : ان الشريعة أباحت دم هذا ومن أشبهه ، لأنه ان تُرك وهذا الجهل قتل في كل يوم نفساً وبالحرى أن يقتل اثنين وثلاثة أو أربعة في كل يوم وهذا فسادٌ في الدين ووهن في المملكة .

هذا وخلاصة القول كان في بغداد أطباء هنود يمثلون الطب الهندي بجانب الطب اليوناني اشتهر منهم في عهد الرشيد صالح بن بهلة . ويقول الجاحظ في هذا الصدد ان يحيى بن خالد جلب أطباء من الهند مثل منكه وبازيكر وقليرقل



الشكل (٤)

صورة تمثل طبيباً هندياً يجس نبض المريض (عن سيبا)

وسند باد وغيرهم . وكان مع هؤلاء الأطباء الهنود صحف في موضوعات غير موضوعاتهم الطبية وكان العلماء يخالطونهم ويسألونهم في شتى المسائل وكان هناك تراجمة يترجمون من الهندية الى العربيـــة وكان هنالك شوق عند العرب لتعلم ما عند كل امة ليقارنوا بينها ويأخذوا أحسنها .

اثر العرب في نقل العلوم الهندية ومنها الطب الى الديار الغربيـــة :

ان اكثر المؤرخين يُظهرون العرب بانهم نقلوا العلوم اليونانيـــة الى اللغة العربية وانهم أضافوا اليها اضافات كبرى ولا يشيرون الى عملهم المماثل في العلوم الهندية واذاعتها ، لذلك رأينا ان نتبع بحثنا عن الطب الهندي ببحث نتعرض فيه الى هذه الناحية فنقول :

نقل العرب عن اللغة الهندية خاصة في عهد الخليفة المنصور (٧٥٤-٧٧٥م) وهرون الرشيد (٧٦٦ - ٨٠٩ م) كثيراً من كتب الطب والنجوم والرياضيات والحساب والتواريخ وهكذا ترجمت كتب تشاراكا [١] وسوسروتا [٢] وفاغباتا [٣] وغيرها . والواقع أن الكتب الطبية المنقولة الى اللغة العربية عن اللغة السنسكريتيه كثيرة جداً وقد تم اكثر ذلك في بغداد التي كانت محط آمال رجال العلم والطب يفدون اليها من اقطار الدنيا ليتزودوا بما فيها ويزودونها بما يحملونه من النفائس التي تليق بها وكان للبرامكة عناية باستقدام الاطباء الهنود اليها وقد بعث يحيى بن خالد فاستقدم من اشتهر بالعلم والفضل منهم وتوسط في نقل كتبهم وقد أتينا في البحث السابق على ذكر افراد منهم اشتهر امرهم ببغداد فزودوا الخزانة العربية الغنية بالعلوم الهندية على أن من واجبنا أن نبين أيضاً أن علماء العرب قصدوا الهند للدراسة وجمع العلوم فيها ومن هؤلاء البيروني [٤] الذي عاش في الهندبين (١٠١٧و١٠٣٠م)

١ - Tcharaka   ٢ - Sousrouta   ٣ - Vagbhata

٤ - Al Birouni .

وكتب عن هـــذه البلاد كتاباً يعد من أنفس المراجع .

ويظهر مما كتبه العرب بعد العصر العباسي في الادب أو الطب أوالصيدلة أو السّيَر انهم اعتمدوا في جملة مصادرهم على كتب هنديه الاصل ، فانك اذا راجعت مثلا قانون ابن سينا أو الملكي للرازي أو غيرهـــا من كتب الطب الكبرى ، رأيتهم يذكرون بعض الامراض ويشيرون الى أن الهنود يسمونها مثلا كذا وكذا أو يعالجونها بكذا وكذا .

ولقد نقل العرب الثقافة الهندية التي تزودوا بها – سواء عن طريق استقدام العلماء الهنود الى البلاد العربية أو عن طريق ارسال البعثات العلمية الى البلاد الهندية – الى أوروبا وكان الرازي في عداد الذين احتوت مؤلفاتهم العلمية على شطر من العلوم الهندية . ولقد ترجمت الكتب العربية الى اللغة اللاتينية فكانت مصدر انبعاث المدنية في أوروبا والنهضة العلمية فيها ، وبذلك يكون الغرب مديناً في نهضته العلمية الى علماء العرب الذين لم يلقنوه علوم اليونان فحسب بل أضافوا اليها علوم المدنيات المعاصرة لذلك الزمن والسابقة له ومنها علوم المدنية الهندية والفارسية .

الباب الرابع

الطب الصيني

عزا الصينيون حدوث الامراض الى الحر والبرد والجفاف والرطوبة لذلك عدوا الفصول مسؤولة عن الامراض الى حد كبير فقالوا أن أمراض الصدر تحدث في الشتاء وأن الحميات تكثر في الخريف وأن الامراض العصبية تحدث بتأثير الربيع كما أن الامراض الجلدية تأتي في الصيف وقالوا بأن المرض الواحد تختلف مظاهره باختلاف الاشخاص وتعنى معالجتهم بتقوية المريض لتقضي الطاقة الحيوية في جسمه على المرض وكان من عادة الاطباء الصينيين أن يصرح كل منهم لذوي المريض عن أسباب المرض وانذاره .

لقد عرف الصينيون الدورة الدموية ووضعوا التبدلات التي تطرأ على النبض في الامراض ووضعوا كتاباً فيه وكان للصينيين معرفة بنباتات يستعملونها في في المعالجة وكانوا يزعمون أن الحلو يغذي العضلات والمالح يغذي العروق والمر يقوي الجسم واستشفوا بالوسائل الطبيعية كالحمامات والتمسيد وقد عرفوا بعض الآلات الجراحية البسيطة .

بحث فلاسفة الصين واطباؤهم عن الوسائل التي تطيل العمر ويعد

وايبويانج[1] من كبارهم وعرضت عليه وظيفة في البلاط الصيني فرفض هذا الشرف وقد وصف نفسه بانه رجل بسيط من بلدة كوى لايأبه بعظمة الدنيا وفخارها ولايتطلع الى الشهرة أو الغنم ، يقضي يومه في عزلة هادئة بسيطة في واد غير مطروق بحثاً عن علاج يطيل أمد الحياة . ويعد شان نونغ[2] المعروف باسم الامبراطور فو[3] أول باحث عن خواص النباتات الطبية كان



الشكل (٥)

يختبر تأثيرها على نفسه ويعزى صورة تمثل قصة البحث عن دواء يطيل العمر (بابر) اليه التعريف بخواص شجرة الافيدرا[4] التي دُرس مفعولها مجدداً منذ ربع قرن واستخرجت منها مادة الأفيدرين[5] الكثير الاستعمال في الطب .

وتربو مركبات الادوية الصينية على خمس مائة نوع عرف العرب شيئاً منها[6] على أن اكثر مايعتمد عليه الطب الصيني هو مايعرف اليوم بالكي

---

(١) Weipo yang .

(٢) Shen Nung .

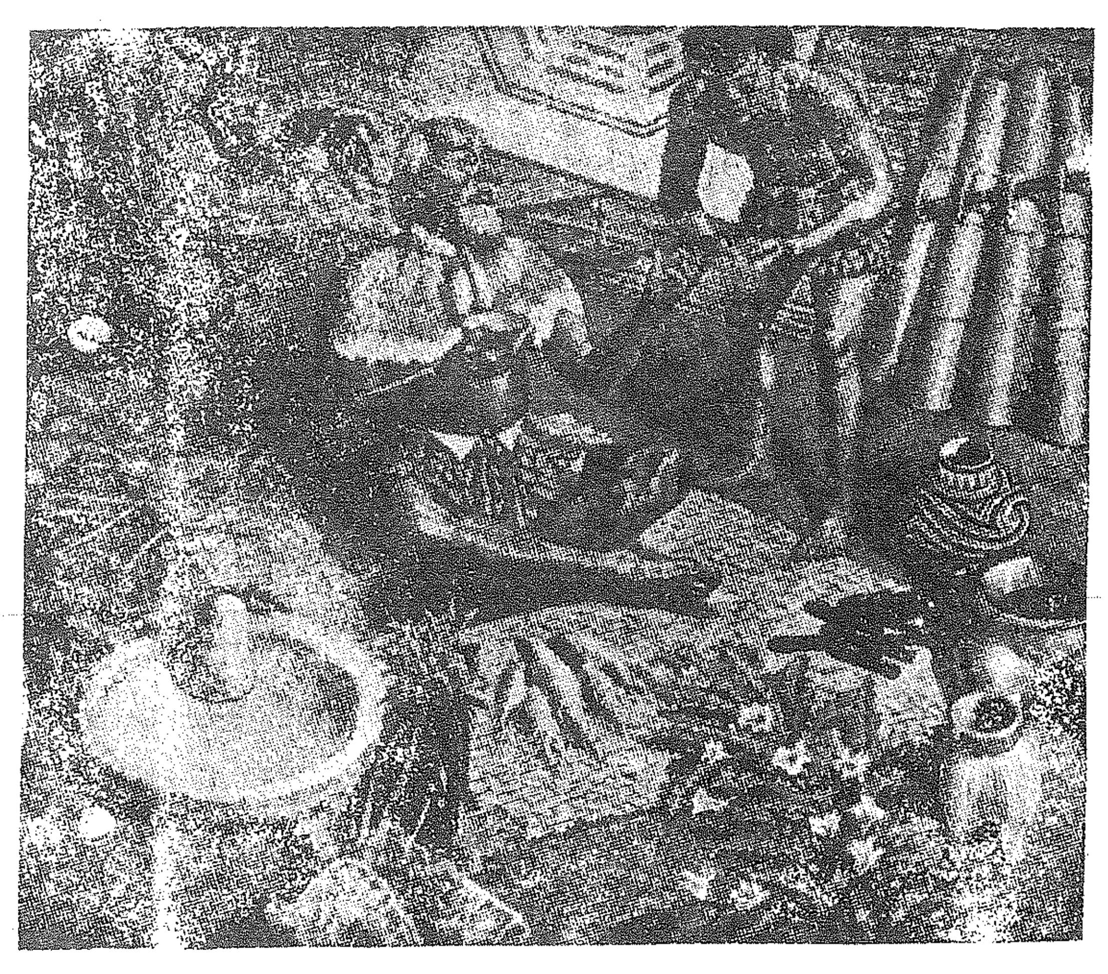
(٣) Feu : عاش قبل الميلاد بما يقرب من ٣٠٠٠ عام .

(٤) Ephédra .

(٥) Ephédrine .

(٦) الدليل على ذلك ذكر اسم الكباية وتفسير الكلمة بانها دواء صيني .

النقطي[1] واساسه غرز أبر محمية في الجلد ، فان في سطحه ٣٣٧ علامة خلقية يجب على كل من شاء احتراف الكي النقطي أن يعرفها ويتعلم اسماءها ويدري مواضعها بالتدقيق ، إذ لكل منها في زعمهم علاقة بجزء من اجزاء الجسم الباطنة وهم يحذرون من كي نواحي الشرايين فلذلك يضطرون الى درسها ويكون ذلك على تمثال



الشكل (٦)

صورة تمثل امبراطور الصين شان يونج

انساني رُسمت على سطحه الشرايين ودُل فيها على المواضع التي لا يُحدث غرز الابر فيها ضرراً . أما الابر فتشبه في منظرها ابرة الخياطة العادية ولكنها أطول منها وأغلظ . ولقد عرف اطباء الصين بعض الآلات الجراحية وكانوا أول من استعمل اللقاح للوقاية من الجدري وقد خصصت القبالة عندهم بالنساء فقط .

«١» Ignipuncture .

الباب الخامس

الطب في الامبراطورية الرومانية

لم تكن صناعة الطب في نظر الرومانيين محترمة على الرغم من عنايتهم بتنمية قوى الانسان الجسمية وملكاته العقلية ، لذلك لم يقدموا على تعلم الطب وظلوا مايقرب من ستة قرون دون أن يشتهر بينهم طبيب وكان الطب في روما مهنة يحترفها العبيد والمعتوقون ، خلافاً لما كان عليه الامر في مصر واليونان ،وغيرهما من البلدان. كان اكثر أطباء الرومانيين في بادىء الأمر من اليونانيين وكان النبلاء يلحقون بحاشيتهم اطباء عبيداً يستصحبونهم في رحلاتهم وغزواتهم وكان الاطباء الاحرار يستخدمون ايضاً أطباء عبيداً ويقسون عليهم في عتقهم وتحريرهم لئلا ينافسوا بعد تحريرهم اسيادهم .

غير أن هذه الحالة لم تطل بل طرأ على مهنة الطب في امبراطورية الرومان تبديل كبير اذ قصد روما اطباء يونانيين ومصريين وزاد فيها عدد الاطباء من الاحرار والعبيد حتى عاد في كل مدينة كبيرة أو صغيرة طبيب حكومي كما أنه الحق الاطباء بالجيوش البحرية والبرية وكان عددهم في كل فيلق لايقل عن ٢٤ طبيباً .

وقد كان يوليوس قيصر سخياً في أعطائه الجنسية الرومانيـــة لعدد من

مشاهير أطباء الاغريق ، غير ان اوضاع هؤلاء الاطباء لم تتحسن ولم تستقر امورهم الا في ايام خلفه الامبراطور اوغسطس الذي كان يشكو من مرض لم يستطع اطباء العصر تشخيصه ومعالجته ، وفي لحظة من لحظات اليأس استدعى



شكل (٧)

آلات جراحية بدائية

اوغسطس الى حجرة مرضه عبداً من عبيده السابقين هو انطونيوس موسا فرأى هـذا بثاقب نظره أن مرض الامبراطور قد استعصى على الحمامات الدافئة فعزم على ان يقلب الآية فنصح الملك بالماء البارد وحبّب اليه الاكثار من تناول

الحس فشفي من علته وكافأه باغداق الاموال عليه ومنحه الجنسية الرومانية وخاتم الفروسية الذهبي ، ورعى اكتتاباً شعبياً لرفع تمثال من النحاس للطبيب العظيم انطونيوس موسا الى جانب تمثال إله الطب في جزيرة تايبر ، واصبح منذ ذلك الحين رذاذ الماء البارد مبدأ اساسياً في العلاج وذاعت بعد ذلك شهرة موسا حتى تداوى على يديه مشاهير عصره ولم تصلنا من مؤلفاته سوى نتف ضئيلة لا يعتد بها

لقد اعتنق أطباء روما[1] واكثرهم يونانيون نظرية توازن الاخلاط الاربعة الدم والصفراء ، والبلغم والسوداء وقبلوا القول القائل بأن توازنها يضمن الصحة وان فساده مجلبة للمرض كما بينوا ان في الهواء عنصرا لا تمكن الحياة الا به .

كانت عناية الرومانيين بالوقاية كبيرة ، يدل على ذلك كثرة الحمامات في مدنهم ، كما كانت الرياضة منتشرة فيهم كوسيلة للوقاية من الأمراض وللاستعداد الى الحروب وكانت الجراحة معروفة لديهم يستعملون في التبنيج مزيجا ، مادته الاساسية السكوبولامين[2] . ومن أشهر الاعمال الجراحية التي اشتهر امرها فيهم هي ماأجري للملك روما غايوس يوليوس الذي لقب بالقيصر ومعناه السليل لأن امه ماتت وهي تلده فشقوا أحشاءها وسلوه منها وصار هذا الاسم بعد ذلك اسماً علماً لملوك رومية .

حرم الرومانيون الخصي وتشددوا في مقاصصة فاعله أو طالبه كما فرضوا عقوبات صارمة على واصف السم باسم العلاج .

هذا وان يكن الرومانيون لم يعنوا في بادىء الأمر بالطب العناية اللازمة

«١» Roma : هي رومية بتخفيف الياء من تحتها نقطتان كذا قيده الثقات وبها يسكن البابا ورومية من عجائب الدنيا بناء وعظما وكثرة خلق فيها مجاميع لمن يلتمس صنوف العلوم من الطب والنجوم « معجم البلدان » .

«٢» Scopolamine

ولكنهم شعروا بعد حين بضرورته حتى ان اتيناووس [٢] طالب بايجاد مدارس تُعلم فيها مهنة الطب ويُدرس فيها التشريح وعلم منافع الاعضاء وعلم الامراض ومفردات الطب وفن المداواة .



شكل (٨)

صورة العملية القيصرية كما شرحها العرب في كتبهم

وكان على الطبيب انذاك ان يستيقظ في الصباح فيقصد مدرج السلام ثم يناقش زملاءه مدة من الزمن ، يعود بعدها الى داره لاستقبال المرضى ومعالجتهم بأنواع من الادوية النباتية أو الحيوانية أو المعدنية

٢ – Oethenaous .

ثم يقوم بمعالجة من تدعوا اصابتهم الى مداخلات جراحية مستعينا بمساعديه ،وقد يستدعى لزيارة مريض في داره حيث يجد زملاء ينـاقشونه في موضوع المريض واسلوب المعالجة وقد تكون المناقشة حادة فتنتهي بشغب وشجار .

طبقات الاطباء في الامبراطورية الرومانية : كان الرومانيون يستخدمون الاطباء لقاء أجر معروف وكان من بين هؤلاء أطباء رسميون ينتخبون من قبل الملاكين يخضعون لاختبارات تثبت حذقهم في الطب ، ظهر فيهم حوالي السنة ٤٠٠ قبل الميلاد ديوقليس دوكاريستوس [١] فبين أن الحمى عرض لامرض وكان الاطباء في رومية كحالين يعالجون أمراض العين أو جراحين يعالجون الامراض الخارجية أو باطنيين يعنون بالطب الباطني وقد اشتهر من بين الكحالين في عهد نيرون الطبيب ده موسته ن [٢] واننا لمترجمون فيما يلي سيرة بعضهم .

ار كاغاتوس : يعتقد ان اركاغاتوس (٣) أول يوناني طبب في روميه حوالي سنة ٢١٩ قبل الميلاد ، وفق في مراحل عمله الاولى ونال شهرة واسعة مالبثت ان سقطت لقساوته في معالجاته الجراحية بالكي والقطع وعدم توفيقه في كثير منها حتى انه لقب بالجــزار فنفر الرومان من الطب والاطباء ومن علماء اليونان حتى ابعدوا عن بلاد الرومان .

اسقلبياديس : هاجر اطباء اليونان بلادهم بعد استيلاء الرومان عليها وقصد كثير منهم روما فاستقروا فيها وكان من أبرزهم المدعو اسقلبياديس (٤) الذي رفع مكانة الطب في نظر الرومان وجعلهم ينظرون اليه كمهنة نبيلة من أشرف المهن . ولد اسقلبياديس سنة ١٢٤ قبل الميلاد في بورصة ، تعلم الطب في مدارس اتينا والاسكندرية ثم طاف في البلاد الواقعة على شواطىء البحر الابيض المتوسط واستقر أخيراً في روميه ومالبث ان صادق فيها مارك انطونيوس (٥) وشيشرون (٦) كراسوس (٧) من كبار الادباء والخطباء كما تتلمذ عليه الشاعر لوكرت (٨) فنشر آراءه وعرف الناس بها .

١ – Diocles de Caristos
٢ – Démostene
٣ – Archahatos
٤ – Asklépiadis
٥ – Marc antonius
٦ – Cicéron
٧ – Crassus
٨ – Lucréte

وقد استطاع هذا الطبيب ان يميز الامراض بعضها من بعض فعرف ان من الحمى مايرتد في اصله الى برداء أو مرض مزمن كما بين ان الصرع والجنون مرضان ينتجان من اضطراب الدماغ وفرق بين ذات الجنب وامراض الصدر الاخرى واثبت ان اعضاء الجسم مرتبط بعضها ببعض .

كان يختار من الادوية ماكان سهل الاستعمال ، حسن المذاق ، بسيط التركيب ولم يكن يلجأ للفصد الا فيما ندر وكان يناهض الافراط في استعمال المقيئات والمسهلات وكان طبه قائماً على الصيام والاستشفاء بشرب النبيذ او تحريم شربه وعلى النزهة والتدليك والرياضة بالحركات المنفعلة . وقد الف مايقرب من عشرين كتابا عالج فيها مواضيع عامة منها كتاب العناصر وقد بحث فيه عن وظائف الاعضاء وكان يوصي المصدورين بالسفر الى مصر او الى مراكز صحية مرتفعة وكان يعتمد في معالجته على الحمية والرياضة بما في ذلك التجديف والمسايفة والمبادحة اي اللعب بالكرة والتحطيب والسباحة والاستشفاء بالماء وتنظيم توزيع ساعات اليوم بين يقظة ونوم وحركة وسكون .

سورانوس : وهو من آسيا الصغرى ومن متخرجي الاسكندرية عانى سورانوس (١) القرع والجس لاستجلاء التشخيص ووضع كتبا عديدة منها : كتاب في امراض النساء عالج فيه اسباب عسرات الولادة كما بين ان بين الطمث والشهر القمري صلة حسابية وان زواج البنات غير جائز الا بعد انتظام الطمث عندهن ويعد اول من نصح بالمس المهبلي لتشخيص الاعتلان ومعرفة وضع الجنين في الرحم كما انه اوصى بقثطرة المثانة قبل خروج الجنين اثناء الولادة كما انه بين استطباب تفتيت الجنين واستئصال اطرافه وكان يقول ، في حالة تعسر الولادة ، بترجيح حياة الام على الطفل وكان سورانوس خبيرا بطب الاطفال ايضا .

ارشيجن الآبامي : ارشيجن (٢) طبيب سوري معتمد في صناعة الطب مدحه جالينوس . عاش في رومية وعالج فيها نخبة ممتازة من الناس ، ووضع كتبا كثيرة منها كتب : في النبض وفي الحميات وفي الافات الموضعية وفي التشخيص وفي معالجة الالام المزمنة والحادة وفي الاستطباب الجراحي وزمن المداخلة الجراحية وفي النزوف الرحمية والمفردات الدوائية وصناعة الادوية ، وقد برع في طب النساء ، ووصف الدفتريا

---

١ - Soranos

٢ - Archigène d' Apame

والجذام وعرف بأنواع من الحمية وبقواعد صحية وكان يعتمد في طبه على الفصد والحجامة والقيء .

روفوس ديفز : جاء ذكره في كتاب ابي الفرج وفي كتاب ابن ابي اصيبعة وغيرهما وصفته الكتب المذكورة بأنه كان حكيما بارعا اقام في مصر ، عرف التشريح ،استشهد به جالينوس ومؤلفو الغرب ، وضع كتباً في امراض الكلى والمثانة ، شرح القردة ليتعلم التشريح على جثتها ، عرف التصالب البصري وقسم الاعصاب الى حسيه ومحركة ، وصف الطاعون والجذام والحمرة والسرطان ،بين وسائل استخراج الحصى من المثانة وقال بشق العجان عرضا .

عرف الطب النفساني ، ووضع اصول المشاهدة الطبية المستندة الى الاستجواب والفحص ودراسة احوال النبض وقال عن الحمى انها مظهر دفاع الجسم ضد المرض .

ديوسقوريديوس: ولد في شمال سورية ، ويعرف أيضاً بـ :بيدانيوس[1]

شامي يوناني حشائشي ولد في شمال سورية حين كانت تابعة للامبراطورية الرومانية، صحب الجيوش الرومانية في غزواتها فزار ايطاليا واليونان وبلاد الغول واسبانيا وقد وضع إثر أسفاره كتباً دوّن فيها مذكراته الطبية وذلك في السنة السابعة والسبعين بعد الميلاد ، نعته يحيى النحوي الاسكندري في تاريخه بأنه صاحب النفس الذكية ، النافع للناس المنفعة الجليلة ، العالم البحاثة السائح في البلاد ، المقتبس للعلوم والادوية المفردة من البراري والجزائر والبحار والمصور لها وقال فيه جالينوس : تصفحت اربعة عشر مصنفاً في الادوية المفردة لاقوام شتى فما رأيت فيها اتم من كتاب ديوسقوريديس . عرف ديوسقوريديس الأدوية

---

١ - Pedanuis نعت بصاحب النفس الزكية والسائح والحكيم الحشائشي والعين زربي عاش في الدور الاول والثاني من التاريخ المسيحي ولايعرف وقته تماماً ومعنى دياسقوريدس شجار الله من دياشقور اشجار وديوس الله اي الملهم من الله على القول في الاشجار والحشائش .

الحيوانية والنباتية والمعدنية فذكر أوصافها وتأثيرها ، وقد قدر اليونانيون واللاتينيون والعرب آراءه فنقلوها حتى اصبحت دعامة النهضة العلمية في القرون الوسطى ، قال عنه ابن جلجل : هو أعلم من تكلم في اصل علاج الطب وهو العلم في العقاقير المفردة

كورنيليوس سلس ، كورنيليوس[1] : نابغة كبير وبحاثة جليل قام بعمل عظيم اذ دوّن العلوم المعروفة في زمنه بعد ان عانى في جمعها جهداً كبيراً وخص منها الطب بثمانية كتب ، كان منصرفاً للعلم ، متفرغاً ، له على أنه كان يطب الالاهله واصدقائه فقط ، كانت اقواله مستوحاة من آراء اليونانيين والرومانيين فجاءت كتبه في الطبقة الثالثة بعد مؤلفات ابقراط وجالينوس ، وقد تضافر بعد نظره ونزاهته وحكمته وقوة ملاحظته وبلاغة اسلوبه على جعل مؤلفاته الطبية آثاراً لا تمحى ، كتب في الجراحة فوصف آفات الرأس كما وصف استخراج الحصى وجبر الكسر ورد الخلع وربط الشرايين المجروحة واجرى عمليتا الفتق والبتر. وكتب سيلسوس في وصف الجراح يقول : ان الجراح يجب ان يكون فتى أو على الاقل يجب ان لا يكون هرماً ، ويجب ان تكون يده ثابتة لا تهتز أبداً ويستحب ان يكون قادراً على استعمال يده اليسرى قدرته على استعمال يده اليمنى ، أما بصره فيجب أن يكون حاداً صافياً وذهنه متزناً كما يجب أن يكون قلبه مفعماً بالرأفة والشفقة بحيث تشتد رغبته في شفاء المريض ولكن ليس الى الحد الذي يجعله يتألم لصياحه ، ويجب أن يسلك جادة الحكمة فلا يُطيل امد العملية أكثر مما ينبغي أو يقصره دون الضرورة بل يقوم بما ينبغي القيام به دون زيادة او نقصان .

---

١ - Cornelius celse

وقد اشتهر سيلسوس بوصفه لعلامات الالتهاب وهي الاحمرار والتورم والحرارة والالم وكان أول من استخدم اصطلاح مرض القلب والجنون واول من وصف البتر وقال عنه أنه آخر العلاجات المؤسفة التي لا يصح اللجوء اليها الا في حالات الغنغرينا . وقد دعا سلس الأطباء الى تمييز المرض العقام من المرض القابل للشفاء وطالبهم ببيان عاقبة المرض الخطر المميت والتحدث عن انذاره تحاشياً من اتهام الطبيب بقتل المريض وكان سلس يقول بتعلم علم وظائف الاعضاء مخطئاً المعتمدين على تشريح الجثث فقط ، مبيناً عدم صحة المقارنة بين جسم حي وجسم ميت .

سكريبونيوس لارغوس : عاش في عصر من الفسق والفجور والمؤامرات والدسائس ، عصر كانت فيه الزوجات يدسسن السم لأزواجهن بقصد التسلية ، عصر الطاغية نيرون ، وقد احتفظ سكريبونيوس لارغوس رغم مؤثرات عصره على شرف المهنة واحترم قسم ابقراط ، ولم يكن الكتاب الذي الفه مجرد دائرة معارف صيدلية فحسب بل كان ناموساً لمبادىء الاخلاق . وكان سكريبونيوس لارغوس اول من قدم طريقة دقيقة للحصول على الافيون واول من اقترح استخدام الصعقة الكهربائية المنبثقة عن جسم السمك الرعاد في معالجة الصداع ، وربما كانت هذه أول مرة في تاريخ الطب تستخدم فيها الكهرباء للمعالجة .

الباب السادس

الطب عند الفرس ، مدرسة جنديسابور ، مدارس انطاكيةوالرها
وصلة العرب بالفرس وكلماتهم في لغة الطب

الفصل الأول

الطب الفارسي

ندر الباحثون في الطب عند فارس القديمة وذلك لان العارفين بلغة الفرس القديمة قليلون من جهة ولأن مخطوطات تلك الحقبةمن الزمان مفقودة، وان وجدت كانت نادرة ! لقد كان في فارس القديمة حضارة زردشتية[1] أما حضارة فارس بعد الاسلام فانها مندمجةبالمدنيةالعربيةبسببانتشار الاسلام في تلك البلاد

كان الطب عند الايرانيين الاوائل بدائياً كما كان عليه عند الاقوامالاخرى ولكن سرعان ما انتقل اليهم الطب من الأقوام التي سكنت الجزيرة العربية من

---

١ – زرادشت وجد في بلاد مادي حوالي ٦٢٠ – ٥٨٣ ق . م أصلح الديانة القديمة في ايران وأنشأ الطائفهالجوسيةووضع كتاباًفي الحضارةالزرداشتية.

بابليين وآشوريين وكلدانيين ، ومن الراجح أن يكون هؤلاء قد نقلوا معارفهم الطبية عن سكان سورية ، والواقع أن الطب بدأ في بابل قبل ستة آلاف سنة وقد ذاع امر الطب الآشوري عند الفرس فكانوا يزعمون مثلهم ان هنالك آلهة تُمرض الناس قصاصاً لهم وآلهة تشفي علل الناس متى تطهّروا من ارجاسهم ، وأن عمل الآلهة في توليد المرض مباشر لا يحتاج الى وسيط وأما شفاء الامراض من قبل الآلهة فلا بد له من وسطاء ،هم الكهان الذين يستطيعون وحدهم التقرب من الآلهة والتوسل اليها بالعزائم والرقى ، على انه ما لبث ان فُصل الكهنة الاطباء عن غيرهم من الكهان فى بابل وآشور وفي ايران لقد اشتمل كتاب زرداشت على تعليمات طبية تحاكي ماقدمناه من معلومات عن الطب الآشوري والبابلي وقد اعتمد الطب عند الفرس على الادوية اعتماده على العزائم والرقى هذا ولا يخفى أن الفرس غزوا بلاد اليونان والهند ومصر وبابل وكلدان فنقلوا اليهم جميع حضارات البلدان المذكورة وعلومها ولذلك يصح ان يقال في الطب الفارسي أنه كان آشوريا في بدايته ومتنوع التعاليم في ثاني مرحلته ، يدل على ذلك ما اشتمل عليه كتاب زرداشت من ابحاث طبية ذُكرت فيها اسماء ادوية عديدة لأمراض مختلفة، كانت معروفة لدى الآشوريين كما ذكرت فيه الصفات التي يجب أن يتحلى بها الطبيب، منها ان يكون قارئاً، كاتباً تعلم الطب ودرس فنونه، يكثر من المطالعات الطبية ويتذكر ما اطلع عليه، يعرف الاعضاء ووظائفها ، يستفيد من التجارب التي تمر به ، يحسن تشخيص المرض فيعالجه بالادوية النافعة بأمانة ووجدان . ولقد كان عند الفرس أطباء يعنون بملوك ايران حسب الطريقة المصرية ، وآخرون حسب الطب الهندي، ومنهم من كان يتبع طريقة الطب اليوناني وكان لداريوس طبيب خاص مصري ، استبدله بطبيب يوناني يدعى

ديموسيديس[1] ،حاز على ثقته حتى أنه كان لا يأكل الطعام الا بصحبته ، وقد زادت ثقته به على أثر ما تم على يديه من شفاء آتوصا[2] زوجة داريوس وبنت سيروس التي أصابتها بثرة في ثديها عصت الدواء حتى عالجها ديموسيديس فنالت بعنايته الشفاء . ولقد كان في زمرة الاطباء اليونانيين الذين عملوا في ايران طبيب يدعى كته زياس[3] وقع اسيراً لدى الفرس في الحرب التي دارت رحاها بين ايران واليونان سنة ١٩١٤ ق . م وقد قدّرت في ايران معارفه الطبية فألحق بحاشية الملك .

غزا الاسكندر سنة ٣٣١ ق . م بلاد اليونان ومصر وآسيا الصغرى والهند وأفريقيا وكان معه في حملته على بلاد الفرس صديقه الطبيب[4] فيليبوس كما كان في جيشه أطباء من اليونان ، ومن مصر والكلدان ولم يكن بينهم أطباء من ايران . تعلم الاسكندر الطب في صغره من اريسطا طالس الذي ما انفك يزوده في حملاته برسائل متتابعة يبعث بها اليه ، نقل الرسائل المذكورة الى اللغة العربية أبو زكريا يحيى بن البطريق وكان مما اشتملته دعوة الاسكندر الى عدم قبول المشورة الطبية من أحد مالم يقرها اكثر من طبيب وقد جاء فيها تحذير من جاريات الهند اللاتي تعودن على سم الافاعي فعدن قاتلات لمن يضاجعهن[5] .

يزعم بعض الكتاب أن حملة الاسكندر على بلاد فارس أضاعت معالم

---

١ - Démocidis ٢ - Attossa

٣ - Ctesias ٤ - Philippus Acarnama .

«٥» وقد ذكر ابن سينا والخازن شيئاً عن ذلك ، قال الخازن ومن جملة عجائب الهند نبات يدعى البيش ،يغتال به ملوك الهند خصومهم فانهم يأخذون البنات حين ولادتهن ويجعلون ثيابهن وفراشهن من نبات البيش ثم يجرعونهن هذه المادة ولا تلبث أن تصبح الجاريات قاتلات لمضاجعهن فيتم بذلك لحكام الهند اغتيال من يريدون اغتياله .

الحضارة الزرد اشتية والواقع أن الطب الفارسي تقدم في عهد الاسكندر في بلاد إيران لأنه تأثر بطب الهنود ولا سيا طب اليونان وان مدرسة جند يسابور الشهيرة يونانية العلم والحضارة . وينقل عن حكماء فارس أقوال كثيرة تتصل بالصحة والمرض منها قول برزجمهر ، ان كان شيء فوق الحياة فالصحة وان كان شيء مثلها فالغنى وان كان شيء فوق الموت فالمرض وان كان شيء مثله فالفقر وكان الفرس يقسمون الطب الى نفسي ومادي وعام وخاص وعلاجي ووقائي وكان طبهم يعتمد على المفردات النباتية والوسائل الكاوية والجراحية . ويرى مؤرخو العرب ان الطب الفارسي مزيج من الطب اليوناني والمصري والبابلي والاشوري وقد شهد القاضي صاعد الاندلسي بحضارة الفرس الطبية فقال : ومن خواص الفرس عناية بالغة بصناعة الطب ومعرفة ثاقبة باحكام النجوم وتأثيرها في العالم السفلي .

الفصل الثاني

مدرسة جندي سابور [1]

كان من أسباب دخول الطب اليوناني بلاد الفرس أن ملكهم ، سابوراً تزوج ابنة اورليانوس القيصر فبنى لها مدينة جند يسابور ومنح الأطباء اليونان

«١» Joundei Sabour جنديسابور مدينة بخوزستان بناها سابور بن اردشير وتعرف اليوم بشاه آباد في الجنوب الشرقي من ايران وكانت تعرف عند العرب بالاهواز، يقول فيها حمزة المؤرخ العربي ان جند يسابور تعريب ازاند يوشافور ومعناه خير من انطاكية ، زارها ياقوت الحموي فقال : لم يبق منها الا مايدل على آثار بائدة .

الذين رافقوها مكانا لبناء مدرسة ومستشفى فانتقل بهذه الواسطة الطب اليوناني من الاسكندرية الى البلاد الفارسية وكان ممن استقر في هذه المدينة الطبيب تيودوراوتيودوس[1] الذي ألف كتـــابا في الطب أتى علىذكره ابن النديم في فهرسته وأشار الى أن الكتاب المذكور كان في عداد الكتب الطبية الفارسية التي نقلت الى اللغة العربيـــة ، وقد حصل تيودور لدى سابور على منزلة عظيمة فرجاه فك أسر عدد كبير من الأسرى اليونانيين ففعل سابور ذلك تلبية لالتماسه.

يرى بعض المؤرخين أن مدرسة جندي سابور يرجع تأسيسها الى كسرى الأول وأن من عوامل ازدياد النشاط العلمي وكثرة العلماء فيهـا لجوء الرهبان النسطوريين[2] اليها بعد أن طردهم البيزنطيون من الرها لاسباب عقائدية ومما زاد في قيمتها، استقرار علماء الفلسفة الافلاطونية الجديدة فيها بعد نفيهم من البلاد اليونانية وحسن معاملة انو شروان لهم واستقدام عدد من اطباء الهنود والمصريين اليها بحيث اصبحت جندي سابور اكبر مركز علمي احتكت فيـه الثقافة اليونانية بالثقافات الشرقية .

ذكر الطبري في تاريخه أن سابوراً جلب الى جند يسابور اطباء من الهنود فاخذ علماؤها عنهم علوم الطب الهندي وأضافوها الى العلوم الطبية اليونانية ، وكان من بين الاطباء الساسانيين الذين اشتهروا فيهابرزويه.[3] ترجم نفسه بقوله : كان والدي من صنف العساكر وأمي ابنة عائلة من الكهان ولما كان لي سبع سنوات من العمر ، درست في مدرسة ابتدائية فتعلمت القراءة والكتابة ثم استهواني

١- Théodor théodose .

٢ - رهبان منسوبون الى نسطور بطريرك القسطنطينية ٤٢٨ — ٤٣٠ .

٣- Perzoes

الطب فتعلمته وتعاطيت صناعتـــه ومالبثت أن اشتهر أمري فعينت طبيباً لانوشران فاستوزرني وتتلمذ علي ولده هرمز[1] . وقد استوحى الرازي بعض ماجاء في كتابه الكامل من كتب بوزويه كما نقل عنـه الى العربية كتابه عن حِكم الهند الذي جمعها حين مقامه فيها ونقل برزويه أيضاً الىفارس كثيراً من المخطوطات الباحثة في الطب وغيره من العلوم .

لقد عنى انوشروان بمدينة جند يسابور وساعد جامعتها فشجع على التوسع في علم الطب وأوعز بوضع مؤلف في السموم فوقع ذلك المؤلف في ثلاثين مجلداً نقله العرب الى لغتهم ولم يعثر حتى اليوم على اثرٍ له ، وفي زمنه ترجمت الكتب العلمية من الهندية واليونانية الى الفارسية . كانت مدرسة الطب الجند يسابورية في أوج مجدها حين فتح العرب بلاد فارس ،ولقد التقت فيها في عهدها العربي حضارات اليونان بحضارات الشرق بفضل السوريين الذين كانوا فيها أوهاجروا اليها ، فتح العرب جندي سابور سنة ١٩هفيعهدعمر بن الخطاب فجعلوهامركزاً مرموقاً بين مراكز الاسلام العلمية وكان الخلفاء الاول من بني العباس متجهين الى رعاية مدرسة جنديسابور وخاصة منهم الخليفة المنصور المتوفى سنة ٧٧٥ م ، لقد كانت لغة العلم في جند يسابور يونانية ومع ذلك فان اللغات الفارسية والسريانية والعربية لم تكن مهملة فيهـــا ، يدل على ذلكاسماء بعض الادوية الفارسية وكتابتها بالعربية . كان من أعمال هذه المدرسة نشرها كتـــاب الاقرباذين تأليف سابور بن سهل في سنة ٨٦٩ ولقد اشاد عيسى بن يحيى الجرجاني بالوصفات الطبية التي كانت مستعملة في مستشفى جند يسابور وعدّدها . نبغ في مدرسة جندي سابور اطباء عديدون خدموا الصناعة والعلم بؤلفـــاتهم وشفوا

---

١ - Hermez اسم ملوك من بني ساسان

الناس من آلامهم . بحث ابن القفطي عن مدرسة جندي سابور والعلم فيها فقال:

ان أهل جندي سابور من الأطباء ،فيهم حذق بهذه الصناعة ، وعلم بها من زمن الأكاسرة . وذلك سبب وصولهم الى هذه المنزلة ثم قال : ولم يزل أمرهم يقوى في العلم ويتزايدون فيه ويرقبون العلاج على مقتضى امزجة بلادهم حتى برزوا في الفضائل ، وجماعة منهم يفضلون علاجهم وطريقهم على طريقة اليونان والهند ، لأنهم أخذوا فضائل كل فرقة فزادوا عليها بما استخرجوا من قبل نفوسهم ورتبوا دساتير وقوانين وكتباجمعوا فيها كل حسنة ،مما يستدل على فضلهم وغزارة علمهم . وكان الطلاب يؤمون معهد جندي سابور ومستشفاها من كل حدب وصوب من البلاد المجاورة وكان العرب قبل الاسلام يستمدون أطباءهم من خريجي جندي سابور واستطب النبي صلى الله عليه وسلم والخلفاء الراشدون من بعده أطباء تخرجوا من جند يسابور كالحارث بن كلدة وابنه النضر بن الحارث ابن كلدة واستطب خلفاء بني امية ابن اثال الجنديسابوري وابو الحكم الدمشقي وتياذوق وغيرهم من الاطباء الذين تعلموا في جند يسابور ، وكان لمدرسة جند يسابور مستشفى يعد من اكبر المشافي في العصر السابق للاسلام بثلاثة قرون وكان للسريان نصيب كبير في جند يسابور وكانوا أول من ساعد الخلفاء المسلمين على نشر الطب في بلادهم .

الفصل الثالث

مدارس انطاكية والرهاونصيبين وحران وصلة اساتذتها بمدرسة جندي سابور

اشتهرت انطاكية بأنها من أولى المدن التي قام فيها زعماء الدين المسيحي باول حركة فكرية أدت الى ذيوع الفلسفة اليونانية [1] قام بهذه الحركة معلمان أحدهما ديودوروس والثاني تيودوروس المصيصي وكانا شديدي الاعتقاد بناسوتية المسيح عليه السلام وكان من أكبر المؤيدين لهما راهب في انطاكية سوري الاصل يسمى نسطوريوس ، ترقى الى أن انتخب بطركاً للقسطنطينية وكثر القائلون برأيه من الرهبان فسموا النساطرة . لم يقبل رجال الدين في الاسكندرية بآراء رجال الدين في أنطاكية مما دعا الى عقد مجلس ديني سنة ٤٣١ م انتصر فيه رأي رجال الدين في الاسكندرية وتقرر فيه أيضاً اعتبار نسطوريوس وأتباعه هراطقة فأبعدوا وتنقلوا بين عدد من البلدان كان آخرها صعيد مصر حيث توفي نسطوريوس منفياً سنة ٤٤٠ م . استطاع بعض أتباع نسطور أن ينتشروا في غربي آسية وفي بلاد العرب وسورية

---

١ ـ على من أراد التوسع أن يرجع الى :

آ ـ مجلة المعهد الطبي العربي ص ٢٢٥ ج «١٠»

ب ـ تأثر الثقافة العربية بالثقافة اليونانية ، هدية المقتطف السنوية سنة ١٩٣٨ ص ٣٦ .

ج ـ النساطرة في تاريخ العرب المطول لمؤلفيه حتى ، جبريل ، جبور ص ٤٣٥ .

وما بين النهرين وأخذوا يستعينون على بث أفكارهم بأقوال ومذاهب منتزعة من الفلسفة اليونانية فأصبح كل راهب نسطوري بحكم الضرورة معلماً في الفلسفة اليونانية فنقلوا بذلك فلسفة ارسطا طاليس ، ولم يكتفوا بذلك بل نقلوا مع الفلسفة علوم الطب والكيمياء والفلك لاعتقادهم أن بين تلك العلوم والفلسفة آصرة قريبة ونسباً أدنى ، وكان الاعتقاد السائد في ذلك العصر أن علم الفلك متصل بعلم الطب لأن للفلك علاقة بنشوء الأمراض وصلة كبرى بالصحة والمرض والحياة والموت وما زلنا نرى آثار ذلك الاعتقاد في العالم المتمدن اليوم. وقد أنشأ أتباع نسطور في سورية وما بين النهرين وخاصة في الرها ونصيبين وحرّان وفي جوارهما مدارس تدرس باللغات السريانية واليونانية والفارسية وكان لهذه المدارس شأن عظيم كمعاهد علمية في أواخر القرن الخامس بعد الميلاد ، وكانت العناية بمدرسة الرها الطبية شديدة فألحق بها مستشفيان كبيران وعدت مدينة الرها[1] في ذلك الحين أثينا الشرق . يرجع تاريخ الرها الى سنة ٣٠٤ ق.م وهي واقعة في ملتقى طرقٍ تتجه الى فارس وروما ومصر واليونان وهي في الوقت نفسه طريق القوافل بين الصين واوروبا. لقد كان في الرها جامعة تدرس علوم الدين والدنيا وكان أساتذتها وأكثرهم من النسطوريين ضليعين باللغة اليونانية وبين أيديهم محفوظات من تعاليم أبقراط وجالينوس وكان للنسطوريين

---

١ ـ الرها بضم أوله والمد والقصر مدينة بالجزيرة بين الموصل والشام سميت باسم الذي أنشأها وهو الرهاء بن البلندي بن مالك دعر واسمها بالرومية اذسا بنيت في السنة السادسة من موت الاسكندر والنسبة اليها رهاوى « معجم البلدان » .

وقد ذكرت الرها بعضهم بالفتح وهي اورفا Urfa . Edesse مدينة بين النهرين اشتهرت بين القرن ٣ و ٥ بمعاهدها العلمية فتحها العرب سنة ٦٣٩ م .

أيضاً مدارس في حرّان[1] . لم يطل المقام بالنسطوريين في تلك البلاد وبالعمل في مدارسها حتى أمر بطردهم منها الاسقف الارتودوكسي (سيروس) سنة ٩٨٩ ميلادية فهاجروا الى ايران حيث ساهموا بترقية مدرسة جنديسابور الذائعة الصيت بتعليم الفنون المعروفة في ذلك الزمن وخاصة مؤلفات أرسطو وبقراط ، ولحق بهم الى منفاهم فلاسفة من أتباع أفلاطون اضطهدهم الامبراطور جستينيان[2] فطردهم من أثينا سنة ٥٢٩ م ، وقد أحسن الفرس استقبالهم تكريماً لعلومهم من جهة ولأنهم كانوا حينها من أخصام بيزنطية ، عدوة الفرس من جهة ثانية وهكذا زود النسطوريون بعض بلاد الشرق : سورية ، ما بين النهرين ، وايران بالحضارة اليونانية فنشروها وزادوا عليها وساعدهم في ذلك أتباع أفلاطون المنفيون من عاصمة اليونان ، ونقل هؤلاء جميعاً مؤلفات فلاسفة اليونان وترجم النسطوريون الكثير منها الى اللغة السريانية وظلوا كذلك الى أن دخل العرب بلاد ما بين النهرين .

---

١ ــ حران : بتشديد الراء : كانت مدينة مشهورة من ديار مصر وهي على طريق الموصل والشام والروم فتحت في أيام عمر بن الخطاب على يد عياض بن غنم ، نزل عليها قبل الرها فخرج اليه مقدموها فقالوا ليس بنا امتناع عليكم ولكنا نسألكم أن تمضوا الى الرها فعلينا ما عليهم فأجابهم عياض الى ذلك وصالحهم كما صالح أهل الرها .

٢ ــ Justinien

الفصل الرابع

صلة العرب بالفرس وكلماتهم في لغة الطب العربية

لقد أدت صلة الفرس بالعرب الى استعمال كلمات فارسية في لغة الطب العربية منها :

البرسام : مركبة من (بر) ومعناها صدر و (سام) ومعناها التهاب وقد اشتقوا منها قولهم مبرسم .

البيمارستان : بفتح الراء وسكون السين مركبة من كلمتين (بيمار) بمعنى مريض أو عليل أو مصاب و (ستان) بمعنى مكان أو دار فهي اذ أدار المرضى .

الجلاب : الورد المعقود بالسكر من (كل) ومعناها ورد و (آب) ومعناه ماء .

الخشكنان : معناها الخبز الجاف أو ضرب من الحلوى .

الزيرباج : وهو من (زير) وهو الكمون و (باج) لون الطعام أي أحد ألوان الطعام عربته العرب بباج واستعمل هذه الكلمة عمر بن الخطاب

سرسام : مركبة من (سر) ومعناها رأس و (سام) ومعناها التهاب وقد اشتقوا منها قولهم مسرسم واستعملها العامة فجعلوها (مسرسب) .

السمادير : ومعناها أشباح تتراءى للناظر مشتقة من كلمة (سمراد) ومعناها الوهم والخيال وقد جمعوها تبعاً لقواعد الجمع في اللغة العربية وكان يجب أن تجمع على سماريد ولكن قدموا وأخروا .

القولنج : نوب الآلام في المعدة والكبد والكلية وغيرها .

المزر : نبيذ الشعير .

النعناع : تعريب نانة .

الباب السابع

الطب عند اليونان

وجد الطب منذ وجد الانسان ولكن درجة تقدمه اختلفت باختلاف البلدان وقد اخذ المؤلفون يتباهون في نسبة الطب الى هذه الامة أو تلك وكادت كلمة الاطباء تجمع على أن الطب يوناني النشأة والدليل على ذلك اتخاذهم شعار اسكلابيوس الطبي «العصا والثعبان رمز الطب»، ولكن بعض مدونات التاريخ تثبت أن الطب في مصر كان أرقى من طب اليونان، ويروى أنه عندما القى أولاد يعقوب أخاهم يوسف في البئر فالتقطه بعض السيارة ثم نقلوه الى مصر حيث ولي على خزائن الأرض وجاءه اخوته على غير علم منهم بما كان من امره، كانت أرض مصر قد امتلأت بالآثار القديمة، وعندما كان الغربيون لايزالون يطلون اجسامهم بالمغرة، كان الهرم في مصر اثراً قديماً يرجع الى آلاف السنين، وفي الالياذة تمجيد للطب المصري فقد جاء فيها: وبادرت هيلانه الى الخمرة التي كانوا يشربونها فالقت فيها عقارا يهدىء جميع الاوجاع، لقد كانت لدى هيلانه عقاقير عجيبة، عقاقير شافية، اخذتها من بوليداما المصرية، لأن مصر مستودع كبير للأدوية، ولا يأخذنا العجب بتبجيل هوميروس لمصر، لأن الاغريق بعده بزمن طويل اعتبروا مصر نبع الحكمة الاول، واعترفوا لها بفضلها الفكري عليهم. لقد كانت كريت، التي تطل عليها قارات أوربا وآسيا وافريقيا، موطن أول

حضارة يونانية ، كان سكانها من الاغريق الاوائل ، استوطنوها في عصور ماقبل التاريخ وخلفوا فيهاسجلات هامة من الآجر نقشت عليه كتابات هيروغليفية.

واذا عدنا الى المعرفة القديمة عند اليونان كان أول مفكر كبير نلتقي به طاليس ، كبير حكماء اليونان السبعة فقد أوجد أساس علم الطبيعة بقياسه ارتفاع الاهرام من ظلالها كما أوجد الفلسفة الاغريقية باعلانه أن الماء مصدر كل شيء وكان اناكسياندر ، صديق طاليس أول من بحث في النشوء والتطور وقال ان الانسان نفسه انحدر من حيوانات مائية .

جرت العادة أن يرجع في تاريخ الطب اليوناني الى بضعة عهود وهي : عهد الطب قبل هوميروس ابي الشعراء ويناسب ذلك زمن اسقليبوس وعهد الطب كما عرّفه هوميروس في الياذته وعهد الطب في زمن اسكندر الكبير وعهد الطب في زمن جالينوس .

وكان للطب آلهة عند اليونانيين منهم :

ابولن[1] وقد جاء عنه في كتاب طبقات الأطباء والحكماء لابن جلجل : هو أول حكيم تكلم في الطب ببلد الروم واول من استنبط حروف اللغة الاغريقية ، تكلم في الطب وقاسه وعمل به أي أنه كان من اهل القياس والتجربة جاء بعد موسى عليه السلام وكانت له آثار عظيمة وهو في كثرة العجائب كاسقلابيوس.

هيجي[2] : معبودة اليونان الاقدمين ، آلهة الصحة وقيل انها ابنة اسكولاب إله الطب .

---

١ - Appolon

٢ - Hygie

الفصل الأول

الطب قبل هوميروس

ينتمي الى تلك الفترة من تاريخ اليونان اول طبيب وصلت الينا عنه معلومات صادقة وهو ديموسيديس .

ديموسيديس الكروتوني[1] : ذكره المؤرخ هيرودتوس فقال عنه كان طبيباً ماهرا ، اشتهر اسمه في آجينا ثم ذاع خبره في الآفاق فدعي الى أثينا ثم الى ساموس ، حيث طار صيته بشفاء بوليقراط الظالم على يده . ولقد اشترك ديموسيديس بالحرب التي دارت رحاها بين الفرس واليونان فوقع في الاسر في احدى الحملات ، وقد حدث ذات مرة ان التوت قدم داريوس ملك الفرس بينما كان يترجل عن جواده وعجز اطباؤه عن معالجته وذُكر امامه اسم ديموسيديس فأمر باحضاره واستطبه فشُفي على يده فأخذه احد الخصيان وقدموه الى نساء الملك ، فقدمت له كل امرأة وعاءً مملوءاً بالنقود ، حتى ان الخادم الذي كان يسير خلفه جمع ثروة من النقود التي تساقطت على الأرض ، ولقد لقي ديموسيديس حظوة لدى الملك داريوس الذي أغدق عليه العطايا وقربه اليه ولم يخيب له رجاء سوى طلب العودة الى وطنه ولم يمض وقت طويل حتى رأت اطوسا[2] بشرة في ثديها مالبثت ان ازدادت اتساعا وقد أخفت ألمها في أول الأمر خجلا ، ولكن عندما ازداد الألم ارسلت في طلب ديموسيديس واطلعته على مافي ثديها فوعدها بأن يشفيها وجعلها تقسم بأن تكافئه بتلبية أي طلب يتقدم به ، بعد ان وعدها بأنه لن يطلب أمراً مشيناً ، فطالبها بالسعي الى عودته الى وطنه وتوصل أخيراً الى العودة .

---

(١) Démocidis

(٢) زوجة داريوس

الفصل الثاني

الطب في زمن اسكولاب[1]

اشتهر في هذا الزمن اسقلبيوس[1] وقد تي على ذكره يحيى النحوي فقال: أن اول من أظهر الطب على ماتناهى الينا في الكتب المكتوبة والاحاديث المشهورة من العلماء الثقات هو اسقلبيوس الاول وهو الذي استخرج الطب بالتجربة . احتل اسقلبيوس إمامة الطب بما كان له من صفات حميدة معينة على التمهر في صناعة الطب فقد كان ذكي الطبـع ، قوي الفهـــم . مختبراً ، مجرباً حريصاً ومجتهداً ،انكشفت لهأمورعجيبة من أحوال العلاج ، وبلغ من أمره أن أبرأ المرضى الذين يئس الناس من برئهم ولما شاهد الناس افعاله ظن العامة أنـه يُحيي الموتى فانشد فيه شعراء اليونان روائع الشعر ، خلـّف ابنين ماهرين في صناعة الطب وعهد اليهما أن لايعلما الطب إلا لأولادهما وأهل بيته وعهد الى من يأتي بعده كذلك وأمرهم بأمرين احدهما أن يسكنا وسط المعمور من أرض اليونانيين والثاني أن لا يُخرجا صناعة الطب الى الغرباء بل يعلمها الآباء الابناء لذلك انحصر الطب في الكهنة من سلالته وكانت الاماكن التي يدوس فيها الطب ثلاثة : رودس و كوس وفيرس ، لقد كان اسقلابيوس تلميذاً لهرمس المصري وكان مسكنه أرض الشامات[2] ويصور اسقلبيوس آخذاً بيده عصامعوجة ذات

(١) اسكولاب Asculape ، Asklepios اسقلبيوس ، اسكلبيوس جاء عنه في كتاب ابن جلجل انه تلميذ لهرمس المصري واسقلابيوس في لسان اليونانيين ،مشتق من البهاء والنور .

(٢) جاء في معجم ياقوت ، الشام جمع شامة سميت كدلك لكثرةقراها وتداني بعضها من بعض فشبهت بالشامات وقيل سميت كذلك لان ارضها شامات بيض وحمر ، وقد كانت بلاد الشام في تلك الآونة ضمن حدود الدولة اليونانية وكانتتسمى في اول الاسلامبلادالروم.

شعب من شجرة الحطمي التف حولها تنين أو حية ووقف على أحد اغصانها ديك كما استقرت قرب جذرها سلحفاة ، أما الحطمي فقد اتخذ رمزاً لأنه علاج نافع في كثير من الامراض وأما اعوجاج العصى فاشارة الى كثرة الاصناف والتفنن



الشكل (٩)

صورة اسكولاب ـ نقلا عن سميث ـ

في صناعة الطب ، وأما التنين أو الحية فلأن كلا منهما يعمر كثيراً ويقال ايضاً بأن التنين المعروف بحدة بصره يشير رمزه الى أن من واجب الطبيب أن يكون ساهراً على اتقان صنعته بصيراً بها ، وأما الحية فلانها تمثل الحكمة بتيقظها

ودهائها أو لاتخاذ بعض علاجات السموم منها واما اكليل الغار على الرأس فيرمز الى ان الطبيب يجب ان يقصي الحزن عن المريض لذلك كان هـذا النبات رمز الفرح والانفراج ، والنصر والابتهاج واما الديك فلليقظة والسلحفاة للتؤدة والثبات .

بقي اسقلبيوس مزعوماً به انه إله للطب عصوراً طويلة فشيدت له الهيا كل ونحتت له التماثيل في بلدان شاسعة ومنها سورية .

ومن الجدير بالملاحظة انه على الرغم من أن الألياذة والأوديسة تعج بالآلهة والآلهات فقد ذكر فيهـا ايسكولابيوس انساناً عادياً وطبيباً ماهراً ورئيساً بسيطاً لاحدى قبائل (تيسالي) ، ولكن ما حدث في مصر حدث مثله في اليونان أيضاً ، فكما ان امحوتب الذي كان أصلاً شخصية تاريخية ،تحول مع الزمن الى إله ، كذلك تحول ايسكولابيوس مع الزمن الى إله الطب عند اليونان . وكان من بين الأوائل الذين رفعوا ايسكولابيوس عن مستوى البشر هو الشاعر (اركتينوس) ، خليفة هوميروس الذي أتم قصة طروادة ، وقـد أنشئت الهيا كل المخصصة لإله الطب ايسكولابيوس في سائر أنحاء اليونان ، وبطبيعة الحال كان كهنة الهيا كل اكثر دهاء من عامة الشعب ، فبنوا هيا كل ايسكولابيوس في بقاع حبتها الطبيعية بجمال المنظر والمناخ الطيب ، في وسط غابات عليلة الهواء أو قرب ينبوع اشتهرت مياهه بفائدتها الطبية ، او على قمة جبل مرتفع ، فكان المنظر وحده كافياً في أغلب الأحيان لانعاش المريض ،فتعود إليه إشراقة الوجه والأمن في الحياة ، أما المرضى الذين لا أمـل في شفائهم فلم يكن يسمح لهم بالاقتراب من هذه البقاع المقدسة ، وكانت هـذه الهيا كل تحوي نماذج من عظمـة الفن الاغريقي ، كتمثال فينوس البديع ، وتمثال باكوس المرح الضاحك ، والى جانبها كانت احواض المياه تبنى وسط الأشجار الظليلة ،تحيط بهـا مقاعد من الرخام في شبه دائرة ، فاذا اتخذ المرضى أماكنهم فوقها صدحت الأنغام

الموسيقية من أماكن خفية ، وتموجت فوق الورود والرياحين ومـــع امتزاج الألحان الموسيقية بعطر الزهور كانت أصوات المرضى ترتفع بالتسبيح والشكر للإله يسكولابيوس ولم تكن أبواب الهيكل تفتح أمام اي مريض الابعدان يتلقى دروساً خاصة بأصول التغذية والنظافة ، ومتى دخل الهيكل دخله بقلب عامر الايمان ، وكان يحدث كثيراً ، عندما يغط المريض في النوم ان يسترق بعض الكهنة الخطى ، فيجبرون ساقاً مكسورة عند مغمي عليه أو يضعون المراهم على عضو جريح على انه لم يكن بالمستطاع ان يجوز هذا الدجل على جميع الإغريق خاصة بعد ما نشرت تعـــاليم زرداشت وبوذا وكونفوشيوس فعاد اليونانيون ينظرون الى الطبيعة ويتساءلون عن أسرارها .

لقد جاء في طبقات الاطباء والحكماء لمؤلفه ابن جلجل الأندلسي قوله عن اسقلابيوس ان هذا الاسم في لسان اليونانيين مشتق من البهـاء والنور وقد ذكر جالينوس في احدى كتبه عن الطب ان الله اوحى الى اسقليبياذيس ، أنـك ، إن اسميك ملَـكاً اقرب منك الى ان اسميك انساناً وقـد اختلف المؤلفون في نعته فاطلقوا عليه الملك والنبي والحكيم والإلهي .

الفصل الثالث

الطب في زمن فيثاغورس

تذكر الكتب التي صدرت عن فيثاغورس أنه عبقري ، وانه سبق زمنه فعمت العالم إشراقة فكره ، تطلع هذا الرجل الى ابناء جنسه فرآهم ينحرون كل يوم الالوف من الحيوانات فوق المذابح ، فطالب بأن تحترم الحياة مهما تنوعت الاجناس ، فقد كان نباتياً . إن تعاليم فيثاغورس ما زالت تسيطر حتى أيامنا هذه على الناس ، ولقد مضت ألفان وخمسمائة سنة على وفاته ، ولكن تلاميذه اليوم جيش جرار، ليسوا بفلاسفةولكنهم طبيعيون ونباتيون،أشخاص قرروا أن يضعوا حكمة الفيلسوف : « العقل السليم في الجسم السليم » موضع التطبيق ، وكان فيثاغورس عفاً يبتعد عن الشبع ويكتفي بالقليل من الطعام لتخفيف حدة الجوع . وكان أفراد الخلية التي أنشأها ، وجعلها شبه مدينة فاضلة ، يتغذون بالخبز والعسل والزيتون . فقد اكتشف فيثاغور أن هذه المآكل تشكل بحد ذاتها مورداً غذائياً كافياً ، وكانت تتجلى في كل ناحية من نواحي حياته البساطة وكان يطلب من المتتبع لتعاليمه أن يكون عفاً ، نقياً ، نشيطاً قليل الطلب، عزوفا عن الغضب والانفعالات العنيفة[1] وكان يرتدي تلاميذه عادة الملابس البيضاء ، رمز كل طهارة ، أما النساء فكن يتبعن نفس

(١) وقد أقرت الطبابة الحديثة اليوم هذا المبدأ .

البساطة في الملبس والمأكل . وكان فيثاغور ينصح مريديه بالتهرب من فكرة التغلب الاعلى وكانوا يقومون مهما كانت أعمارهم كل صباح بتمارين رقص ايقاعي ورياضي في الهواء الطلق والشمس المشرقة ، وبعدها ينصرفون الى الوضوء فالى الغناء والانشاد وحركات التنفس. واذا حان موعد الغذاء ، فقليل من الاكل ، ومضغ جيد بصمت ثم قيلولة تحت ظلال الزيتون . وأما بعد الظهر فدروس عملية في الهواء الطلق . الطبيعة هي الام ، والهواء والتراب والماء هي الملاذ .

ولما بلغ هذا الفيلسوف الستين من عمره كان قد اتم رحلات درس وتمحيص في مصر والهند فأسس مدرسته ، مدرسة (العقل العالمي) ودرّس فيها الرياضيات والحكمة وعلم الفلك والموسيقى والرياضة والاخلاق والمعلومات المدنية . وجد في الستين من عمره الزوجة الصالحة العذراء تيان التي جاءت تبثه حبها وتعلقها بمثله ، وانجب المعلم منها عدة اولاد ، وأصبحت ساعده الايمن في المدرسة تقوم بتثقيف النساء والاطفال ، فكانت تنصح الامهات بتغذية أطفالهن بأنفسهن أو باختيار مرضعة قوية صحيحة البنية ، ذات أخلاق حميدة ، وأن تكون مواطنة صالحة لا أجنبية . ومن تعاليمها ألا تترك المرأة الطفل ينام طويلاً ، وان تهدهده حتى ينام . لقد عمم فيثاغورس الطب ، بعد أن كان وقفاً على المعابد والرهبان ولكنه لم ينكر قط فائدة العلاج الروحي الى جانب المعالجة الجسدية ، وقد استعمل النار والحديد في الجراحة ، وكان يفضل المعالجة بالموسيقى ويعتقد بأن الانغام والالحان تعيد التوازن للمزاج . ولم يمرض قط في حياته ، ولكنه لم يمت ميتة طبيعية بل اختفى عن العالم في ظروف مريبة ، وفي الساعة التي اختارها لنفسه . لقد ذهب المعلم ، ولكن ذكراه ما زالت خالدة ، وتعاليمه صامدة ، تتنقل كل يوم الى مئات ومئات من المريدين الجدد في القرن العشرين .

الفصل الرابع

الطب في زمن هوميروس

عاش هوميروس حوالي السنة الألف قبل الميلاد فكان مؤسس الشعر الروائي يصف الانسان وصفاً واقعياً كما يراه بدون طلاء يحجب حقيقته ويأتي على ذكر أجزاء كثيرة من الجسم في وصف الجراح ويقول عن الطبيب أنه يساوي عدداً كبيراً من الرجال العاديين .

ويستنتج مما جـــاء في الياذة هوميروس[1] أن الطب باطني وجراحي وأن ولدي اسقلبوس كانا طبيبين اشتغل أحدهما بالمعالجات الجراحية والثاني بمعالجـة أمراض الباطنية . وقد بينت الياذة هوميروس حياة الطبيب وطريقة عمله اليومية في السلم والحرب ، في المدن والميادين ، وذكرت أن اسقلبوس لم يكن آلهاً بل ملكاً تعلم الطب على شيرون وأن ولديه ماشاون[2] وبود الير[3] كانا طبيبـــين عسكريين اشتركا في المعارك وعالجا الجرحى وان الأول كان طبيباً جراحـاً والثاني طبيباً داخلياً .

وقد اشتهر في عهد هوميروس النساء الطبيبات فكان من بينهن هه كامهد[ ] وسيرسه[5] وآغمد[6] ويولي داما[7] وكانت هذه الاخيرة مصرية أرشدت هيلين[8] الى النبات الذي يذهب الحزن . وبينت الاليـاذة ان من واجب الطبيب أن يكون ساهراً على اتقان صنعته بصيراً بها .

---

١ - Homère .
٢ - Circé
٣ - Machaon
٤ - Podalaire
٥ - Hécaméde
٦ - Circé
٧ - Agmède
٨ - Polydamna
٩ - Hélene

الفصل الخامس

الطب في زمن بقراط

عرف تاريخ الطب اليوناني سبعة أطبـــاء باسم بقراط وكان لكل منهم تلاميذ ومريدون ولكن التاريخ جمع ذكرهم في وحدة واحدة على ان بقراط الذي عاش في القرن الخامس قبل الميلاد كان اشهرهم لذلك نعته بلاتون بالكبير فعرف ببقراط العظيم .

ابقراط[1]: كلمة ابقراط لفظ تعني القابض على عنان جواده بمعنى الفارس الماهر وهو من آل اسقليبوس ، ولد في جزيرة قوس[2] سنة ٤٦ ق . م ومات في لاريسة (بني شهر) بين سنتي ٣٧٥ و ٣٥١ ق م ، وأول عمل قام به فصل الطب عن الشعوذة وبناء العلاج على قاعدة ثابتة ، كان طبيباً عليماً بكل ما في هذه الكلمة من معنى كما كان كامل الفضائل تضرب به الأمثال ، اعتمـد في طبه على القياس والتجربة اعتماداً كلياً ولم يحتكره في نسله بل علمه للغرباء . تعلم صناعة الطب من ابيه وجده . وجال في البلاد اثنتي عشرة سنة ثم حط رحـاله بعدها في مدينة كوس وكان عمره خمسة وثلاثـين سنة فتعاطى صناعة الطب وعملها في المدينة المذكورة ، عاش خمساً وتسعين سنـــة ،منها صبي ومتعلم ست عشرة سنة ، وعالم معلم تسعاً وسبعين سنة ، علّم الطب الى المستعدين والمستحقين

---

١ - Hypocrate ٢ - Cos

من الناس وعهد اليهم العهد الذي كتبه وأحلفهم بالأيمان المذكورة فيـــه أن لا يخالفوا ماشرطه عليهم ، وان لا يعلموا هذا العلم أحداً الا بعد اخذ العهـد عليه ، فكان بذلك أول مؤسس لمدرسة طبية .

قال ابو الحسن علي بن رضوان : كانت صناعة الطب قبل بقراط كنزاً وذخيرة يكنزها الآباء ويدخرونها للابناء وكانت في اهل بيت واحد منسوب الى اسقليبيوس الذي يعتبر المعلم الأول في الطب ، كان الطبيب يعلم ولده او ولد ولده فقط وكان تعليمهم بالمخاطبة فقط وما احتاجوا الى تدوينه دونوه بلغز حتى لا يفهمه احد سواهم فيفسر ذلك اللغز الأب للابن الى ان جاء ابقراط فدون الطب في الكتب واخرجه من دائرته الضيقة فعممه واستحلف المتعلم ان يكون ملازماً للطهارة والفضيلة ثم وضع ناموساً عرّف فيه من الذي ينبغي له ان يتعلم صناعة الطب ثم وضع وصية عرّف فيها جميع ما يحتاج اليه الطبيب في نفسه ، وفيما يلي كلمات من نسخة العهد الذي وضعه ابقراط .



(الشكل ١٠)
صورة ابقراط

اقسم بالله رب الحياة والموت وواهب الصحة وخالق الشفاء على أني أرى أن المعلم لي هذه الصناعة (الطب) بمنزلة آبائي اواسيه في معاشي واقصد بقدر طـــاقتي منفعة المرضى ولا اعطي اذا طلب مني دواء قتالا ولا اشير ايضاً بمثل هـــذه المشورة ولا أدني من النسوة فرزجة تسقط الجنين واحفظ

نفسي في تدبيري على الزكاة والطهارة واما الأشياء التي اعانيها في أوقات علاج المرضى أو اسمعها في غير أوقات علاجهم فأمسك عنها .

وقال ابقراط ينبغي أن يكون المتعلم للطب حديث السن ، جيد الفهم حسن الحديث ، صحيح الرأي عفيفاً شجاعاً مالكاً لنفسه عند الغضب وان يكون مشاركا للعليل مشفقاً عليه حافظاً للاسرار . ويقال ان ابقراط أول من أوجد المستشفى وذلك أنه عمل بالقرب من داره في موضع من بستان مجمعاً للمرضى جعل فيه خدما يقومون بمداواتهم . ومن ألفاظ ابقراط الحكيمة في الطب قوله عنه : انه قياس وتجربة ومن كلامه أنه قال : للقلب آفتان وهما الغم والهم ، ومنه قوله استدامة الصحة تكون بترك التكاسل عن التعب وبترك الامتلاء عن الطعام والشراب ، ولبقراط كتب كثيرة ، عددها ستون مؤلفاً طبعت مرارا وافضل طبعاتها ماشرع بطبعه في باريز بعد مقابلة نسخ الخط الباقية في المكاتب ،ومن أشهر كتبه كتاب المقالات في الطب ومن هذه المقالات ماهو له لامحالة ومنها ماهو مزور على اسمه ، ولقد كانت خبرة بقراط بتشريح القسم المرئي من الجسم ممتازة. وكانت خبرته بتأثير الأهوية والمياه والبلدان ،على الأخلاق كبيرة وله في ذلك كتاب نقله الى العربية الدكتور شيلي شميل(١٨٦٠-١٩١٧)

أما خبرته في تشريح الأعضاء غير المرئية فكانت ناقصة ذلك لأن التشريح كان محرما في عقائد اليونانيين

ولطب بقراط مبدآن الأول ان اسباب الامراض البعيدة هي اما من قبل الاقليم وأما من قبل الأطعمة ، والثاني ان الأسباب القريبة هي من فساد في واحد من الاخلاط فتعالج الامراض بالوسائط الآيلة الى انضاج هذه الأخلاط واخراجها من الجسد

وكان بقراط يرى للعامل الممرض الواحد مظاهر مختلفة في اعضاء الجسم

فالبرد مثلا يسبب الزكام في الأنف ،والتهاب القصبات أو ذوات الرئةوالقصبات في الصدر ،والالتهاب في الاذنوالرثيةفي المفاصلوكان يقول بأن العامل الممرض يتسلط على أضعف اعضاء الجسم فينزل في ساحاتها ، وقد وصف الاوبئة واثارها وذكر في صددها أن وباء النكاف قد ينتقل الى الغدد التناسلية فيعقم الشخص، وقد بحث عن الحمية في الامراض الحادة فأوصى بها وبيّن فوائـــدالثوم وأنواع الجبن واللحوم ولم يكن من أنصار التشديد في الحمية وكان يقول قـــد يموت المريض من التشديد بالحمية لامن المرض وكان يقول باستعمال المسهلات والملينات واللجوء الى الفصادة واللبخ والضمادات وكان يعتبر الحجامة رمزاً للصناعةالطبية.

ويروي ان ابقراط سكن بحمص الشام وكان اسمها فيروها وانه كثيراً ما كان يختلف الى مدينة دمشق ويقيم في بستان له فيها للرياضة والتعليم وكان موضع تنزهه يسمى (بصفة بقراط) الى زمن ابن القفطيفي القرن السابع وقد روى ذلك في تاريخه اخبار العلماء ، ويقال ان ذلك المكان يسمىالنيرب وهو من منتزهات دمشق الى غربي الصالحية تحت قبة السيـــار وبذلك تكون دمشق أول مدينة ُعلم فيها الطب بصورة نظامية .

كان ابقراط يعتقد ان الأمزجة أربعة دموية وبلغمية وصفراوية وسوداوية وانها ناتجة من سيطرةاحد العناصر الأربعة وهي الدموالبلغم والصفراءوالسوداء وكان لابقراطاثنا عشر تلميذا لايزيد عليهم الا بعد الموت ولا ينقص منهـــم وكانت له ابنة تسمى مالانا ارسا وكان لها براعة في صناعةالطب فاقت فيهأخويها وقد بقيت تعاليم ابقراط تتناقل على لسان تلاميذه الذين اذاع ابقراط فيهـــم صناعة الطب . وقد جاء عن بقرط في كتاب الملل والنحل للشهرستانيالمطبوع على هامش كتاب المللوالاهواءوالنحل للامامابن حزم الظاهريالأندلسيمايلي:

ابقراط واضع الطب الذي قال بفضله الاوائل والأواخر كان اكثر حكمته في الطب وشهرته به ، وكان لا يأخذ على المعالجة اجرة من الفقراء وأواسط الناس وقد يشترط أن يأخذ من الاغنياء أحد ثلاثة اشياء طوقاً او اكليلا أو اسواراً من ذهب فمن حكمه أن قال : استهينوا بالموت فان مرارته في خوفه وقيل له أي العيش خير ؟ قال : الأمن مع الفقر خير من الغنى مع الخوف وقال : الحيطان والبروج لا تحفظ المدن ولكن يحفظها آراء الرجال وتدبير الحكماء وقال: يداوى كل عليل بعقاقير ارضه فان الطبيعة متطلعة الى هوائها ونازعة الى غذائها ولما حضرته الوفاة قال : خذوا جامع العلم مني : من كثر نومه ولانت طبيعته ونديت جلدته طال عمره وقال : الاقلال من الضار خير من الاكثار من النافع ودخل على عليل فقال له: أنا وانت والعلة ثلاثة فان اعنتني عليها بالقبول لما تسمع صرنا اثنين وانفردت العلة فقوينا عليها والاثنان اذا اجتمعا على واحد غلبا .

ويروى عنه قوله : الجسد يعالج جملةً على خمسة اضرب مافي الرأس بالغرغرة وما في المعدة بالقيء وما في البدن باسهال البطن وما بين الجلدتين بالعرق وما في العمق وداخل العروق بارسال الدم وقال : الصفراء بيتها المرارة وسلطانها في الكبد والبلغم بيته المعدة وسلطانه في الصدر والسوداء بيتها الطحال وسلطانها في القلب والدم بيته القلب وسلطانه في الرأس وقال لتلميذ له : ليكن أفضل وسيلتك الى الناس محبتك لهم والتفقد لامورهم ومعرفة حالهم واصطناع المعروف اليهم ويحكى عن بقراط قوله لتلاميذه: اقسموا الليل والنهار ثلاثة اقسام فاطلبوا في القسم الاول العقل الفاضل واعملوا في القسم الثاني بما احرزتم من ذلك العقل ثم عاملوا في القسم الثالث من لاعقل له وانهزموا من الشر ما استطعتم وقال عن الطبيعة : انها القوة التي تدبر جسم الانسان فتصوره من النطفة الى تمام الخلقة

وقال اخيراً : ان الطب هو حفظ الصحة ودفع المرض بما يضاده وقال من سقى السم من الاطباء والقى الجنين ومنع الحبل واجترأ على المريض فليس من شيعتي .
وكان الطبيب في نظر بقراط خادم صنعة الطب ، يكافح المرض وعلى المريض ان يساعده في الوصول الى الشفاء

طبقات الاطباء اليونانيين الذين اذاع بقراط فيهم صناعة الطب : يقال ان ابقراط كان له اثنا عشر تلميذا وانه نبغ من مدرسته ثلاث نسوة احداهن ابنته المدعوة مالانا ارسا والثانية كلاوو بطرة والثالثة انتيوشيس .

١ ــ **مالانا ارسا**[1] : ابنة ابقراط تتلمذت على والدها فكان لها براعة في صناعة الطب حتى فاقت اخويها المذكورين في الفترة التي بين ابقراط وجالينوس.

٢ ــ **كلاوو بطرة أو كليوباطرا**[2] : امرأة طبيبة فارهة اخذ عنها جالينوس أدوية كثيرة وعلاجات شتى وخاصة ما كان ذلك من امور النساء .

٣ ــ **انتيوشيس**[3] : عاشت هذه الطبيبة في طولس[4] من مدن آسيا الصغرى، وكانت امرأة فاضلة برعت في الطب وتفانت في خدمة المرضى مما جعل سكان طولس يقيمون لها نصباً تذكارياً يخلدون فيه ذكرها بنقشهم عليه الكتابة الآتية :تقيم مدينة طولس لـ :انتيوشيس بنت ديودوتوس[5] تمثالا اعترافاً ببراعتها في الطب وتقديرا لخدماتها الانسانية ، يبلغ طول هذا التمثال مترا كما يبلغ عرضه ستين سنتمترا وهو موجود في احدى متاحف ويانة .

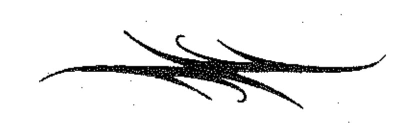
درست هذه المرأة الطب في مدرسة (كوس)[6] وعاصرت جالينوس أو

«١» Malana Arsa
«٢» Cleopâtre
«٣» Antiochis
«٤» Tols
«٥» Dioaoltos
«٦» Cos

سبقته قليلا ، اشتهر امر وصفاتها بين الاطباء كما عرفت وصفاتها في محافل روما فذكر بعضها جالينوس في كتبه .

وقد نبغ من مدرسة ابقراط ، من رجال الطب اريستوت[1] (٣٨٤ – ٢٣٢ ق . م) وهو من سلالة اسكلبياديس وتشسالوس[2] ودراكون[3] ولدا بقراط وبوليب[4] صهره وديوقلس[5] الذي اعتبر اكبر طبيب بعد بقراط وبراكساغوراس[6] الذي كان جراحاً جريئاً فتح البطون لمعالجة الامعاء المحتاجة الى معالجة جراحية .

وكان يدين هؤلاء جميعاً باراء ابقراط ومنها ان الطبيب خادم صنعة الطب وانه يساعد الطبيعة في الوصول الى الشفاء وان قواها الكامنة هي التي تعيد العافية الى المريض وتساعده على البرء وان الدواء معاون للطبيعة في حسم الداء .



١ – Aristote
٢ – Thessalos
٣ – Dracon
٤ – Polype
٥ – Diocles
٦ – Praxagoras

الفصل السادس

الطب في عهد اسكندر المقدوني

١ — **اسكندر المقدوني** : اننا نعتبر اسكندر المقدوني في عداد الأطباء لأنه تعلم الطب وأحبه وتعاطاه لقد حبّب الطبيب الفيلسوف ارسطوطاليس الاسكندر بالطب فشغف به وتعاطاه علماً وعملاً فكان يهبُّ لنجدة أصدقائه متى ألمَّ بهم مرض ويصف لهم بعض العلاجات وقد برع في معالجة الجراح بالسهام المسمومة.

لقد اختلفت آراء المؤرخين في الاسكندر فوصفه بعضهم من كبار الغزاة المحتالين ووصفه آخرون من كبار المصلحين العاملين تقول الفئة الأولى ان السنوات السبع التي قضاها ارسطوطاليس برفقة الاسكندر لم تفده لأن أستاذه الحقيقي كان أمه الرهيبة (اوليمبياس) التي دبرت اغتيال والده ، وكانت تعذب الرجال وتزهق أرواحهم ، وقد تعلم الاسكندر عن أمه ان الناس لا حقوق لهم ، وما كان باستطاعة ارسطوطاليس او مائة مثله ان يروّضوا الاسكندر الذي أحرز انتصارات فريدة في نوعها حتى أصبحت أوروبا وافريقيا وآسيا طوع يديه الفتيتين مما زاد في غروره وخيلائه لم يخض الاسكندر أية معارك في وادي النيل لأن مصر التي كان يحكمها طاغية فارسي معتوه ، رحبت بالاسكندر كمنقذ ومخلص ، ولكن الاسكندر نفسه فقد حجاه في مصر .

ان أعظم أثر من آثار الاسكندر في مصر هي المدينة التي أنشأها ونسبها

اليه فسماها الاسكندرية ولقد استولى بعد موت الاسكندر بطليموس سوتر أذكى قواده وأعظمهم دهاء على مصر ، فاتصل اسم البطالسة بها اتصالاً وثيقاً حتى أننا نكاد ننسى انهم من أصل مقدوني . وكانت كليوباترة ، أشهر ملكات مصر في التاريخ القديم من نسل البطالسه ولم تكن تجري في عروقها قطرة واحدة من الدم المصري . تلك هي سيرة الاسكندر كما يرويها بعض المؤرخين على انني أستميح لنفسي ان اذكر رأي الفئة الثانية وأن أبين نظرة العرب الى الاسكندر الكبير فيه وأن أتحدث عنه حديثاً يخيل الى ان بعض عناصره غير معروفة حديثاً يروي طرائف عن بعض العلماء الذين نبغوا في الاسكندرية القديمة ، عن الحضارة التي أضاءت بنورها اكثر اصقاع الدنيا ، تلك الحضارة التي يصح في نظري تسميتها بالحضارة الاسكندرية ، لأنها حضارة صهرت في بوتقتها حضارات الشرق القديم كله من عربية ومصرية وبابلية وآشورية وفارسية وفينقية فأخرجتها للعالم حضارة رائعة ، وان اكذب الادعاء الذي يتهم العرب بانهم احرقوا مكتبة الاسكندرية[١] .

الصحيح في سيرة الاسكندر[٢] : ولد الاسكندر سنة ٣٥٦ قبل المسيح في العام الثالث فورث ملك أبيه فليبس على مكدونية كما تعلم منه الحكمة وسداد الرأي وحسن النظر في العواقب والمبادرة الى اغتنام الفرص وعن أمه حدّة الطبع ومحبة الأصدقاء والشفقة على الضعفاء والرهبة من المعبودات . كان بين الثانية عشرة والثالثة عشرة لما جاء أرسطو لتعليمه وكان أرسطو حينئذ في الثانية والأربعين فالتقى أستاذ وتلميذ ، فعل كلٌ منهما ما عجز عنه غيرهما ، هذا

«١» راجع بحثنا المقدم للمؤتمر الثاني عشر في تاريخ الطب المعقود في اثينا مابين ٤-٤ ايلول سنة ١٩٦٠ ص ٣٩٣-٤٠٨ والمنقول للغات الفرنسية والالمانية والانكليزية واليونانية .

«٢» المقتطف مجلد ٢٣ ص ٦٦٦ ، ٧٢٤ ، ٧٣٤

غلب المسكونة وساد عليها ، وذلك أخضعها لنورالعقل ونبراس العلم ، ولم ينقطع عن الدرس الا حينما تبوأ أريكة الملك ورسخت أخلاقـــه وآدابه على الاساس المتين الذي وضعه لها ذلك الاستاذ العظيم ولقد كان يقول انه مديون لأبيه بحياته ، ولأستاذه بمعارفه ، وبجعله يحيا حياة تستحق الذكر . وكان من مذهب أرسطو ان الشاب تتملك منه ملكات الخير اذا رُبي مع شبان مثله ،من ذوي الأخلاق الكريمة ولذلك جمع جماعة من نخبة الشبان وجعلهم يتلقون العلوم مع الاسكندر وكانت اشعار هوميروس خزانة معارف وبستان الآداب ونبراس الهدى لكل منهم وبقي الاسكندر، عمره كله، يضع نسخة منها مع سيفه تحت وسادته كلما نام ، ولقد علم أرسطو الاسكندر ما عرفه من صناعة الطب ، لكن الأمر الذي اتجهت إليه عناية أرسطو بنوع خاص في تعليم الاسكندر وتهذيبه هو الجمع بين علم الأخلاق وعلم السياسة فانه كان يحسبهما صورتين لعلم واحد ، لكن الاسكندر لم يجر في سياسته على ما رسمه له أستاذه لأنه ملك بلداناً لا يمشي عليها نظام واحد فتدبر سياستها كرجل حكيم يعرف المبادىء العامة ويستعملها حسب مقتضى الحـال ، وكان أساس الفضائل عند أرسطو اختيار الامر أو العمل بعد التروي وامعان النظر بشرط ان لا يكون خارجاً عن الاعتدال وعما يقضي به العقل السليم ، ولقد أثرت تعاليم أرسطو في الاسكندر فولدت فيه طبيعة حكيمة فلسفية ينسب إليها ما ظهر منه من الترفع عن الدنايا والسعي وراء ما منه نفع عام ورجوعه باللائمة على نفسه كلما بدرت منه بادرة او فرط منه أمر يلام عليه وإكرامه للنساء وحبه للصيانة والعفاف ، وكان الشعب كله مع الاسكندر ولا سيما الشبان منهم ، اقتحم الاسكندر اليونان فجأة بخمسة وعشرين ألفاً من الابطال المكدونيين وكان أبوه فيلبس قد عودهم المشاق ودربهم على السير خمسة وثلاثين ميلاً في اليوم ، وكان أبوه قـد أعد العدات

لغزوة المشرق ،اما هو فكان يرمي الى أبعد من هذا الغرض لأنه كان يقصد امتلاك الأرض كلها لذلك أصلح ذات البين بينه وبين اليونانيين ، ليكونوا له ظهراء على ما يريد ، ويروى انه لما وصل الى كورنثش جاءه عظماؤها للتسليم عليه الا ديوجنس الفيلسوف الزاهد وأراد الاسكندر ان يراه فمضى إليه بنفسه مع حاشيته فرآه جالساً يتمشى في ساحة المدرسة فعرفه بنفسه قائلاً : أنا الاسكندر الملك فقال ديوجنس : وأنا ديوجنس الزاهد ولم يزد فقال الاسكندر : هل لك طلبة فأقضيها إليك ؟ قال : ان تحيد من شمسي أنت ورجالك ،فعجب الاسكندر من جوابه وزاد توقيراً له وقال : لو لم أكن الاسكندر لوددت ان أكون ديوجنس .

حوّل الاسكندر - بعد أن توطدت دعائم ملكه في اليونان - نظره الى المشرق والى ممالكه الواسعة الأرجاء، الكثيرة الخيرات، التابعة للفرس وكانت أوسع من مملكة الاسكندر خمسين ضعفاً ، وسكانها اكثر من سكان مملكته خمسة وعشرين ضعفاً ، وقد يظن لأول وهلة ان الاسكندر سار في هذه الحملة سير الغزاة الذين يعتمدون على الفرص اكثر مما يعتمدون على التقدير والتدبير . لكنه كان على الضد من ذلك فانه ضرب أخماسه لأسداسه قبل الحملة وقدرها تقدير الخبير وكان يعلم ضعف مملكة الفرس وانها محفوظة بقوة الاستمرار ،لا بقوة حية فيها ، وسار الاسكندرفي طريق الساحل قاصداً ان يقطع الدردنيل في أضيق مكان منه ، ولم تكد حملة جنود الاسكندر تقترب من الضفة المقابلة حتى انهالت عليها سهام الفرس وحرابهم انهيال السيل، لكنها لم تبال بذلك بل سارت رويداً رويداً الى ان بلغت البر واشتد القتال وظلت جنود الاسكندر تعبر البحر وتعضد الجنود التي تقدمتها والاسكندر يفرغ جعبة حيله ليضعف جيش الفرس من قلبه، مقدراً انه اذا تقهقر

القلب تبعته الميمنة والميسرة فكان ماقدره وانهزم فرسان الفرس كلهم شر هزيمة وتحققت أمنيته التي تمناها وهي ان يرى اليونانيين فيه زعيماً مؤيداً بقوة إلهية فلا يكون النصر الا له ، لقد أحبه اليونانيون ومن لايحب شاباً في الثانية والعشرين من عمره طلق المحيا ، قوي الذراع ، سديد الرأى صبوراً على الشدائد عطوفاً على الأصدقاء ، كريماً مبذالاً ، لايعرف الأثرة ولا الخوف ، حصينا عفيفا لايشارك شبان عصره في شيء من الآثام ، محبا للعلم والعلماء ورجال الأدب وأهل الصناعات وكان كبير القامة مجدول العضل ، أبيض الوجه ، أشم الأنف ، أشقر الشعر ، غزيره ، وتلتف خصل شعره حول رأسه حتى كانه رأس الأسد .

تنسجم سيرة الاسكندر في القرآن الكريم مع هذه النظرية الثانية ويرى فيه أكثر العرب والمسلمين قائد فكر عالمي آمن بالله فمنعه ذلك من التعصب لقومه والتحيز لأهل مذهب دون آخر وفرض عليه أن يكون للناس جميعاً فاستطاع بذلك أن يتخذ من اصدقائه وتابعيه ومن خصومه وأعدائه على اختلاف أجناسهم ، وتباين أهوائهم وتفاوت حظوظهم من الرقي العقلي جيشاً عظيماً منظماً عبر به البحر الى آسيا فافريقيا وأصبح ذا سلطان على ملك الفراعنة والبابليين والآشوريين والفرس والفينيقيين واليونان ثم ارتاح في بابل استعداداً لحركة أبعد أثراً من الحركة الأولى يبسط فيها سلطانه على اوروبا الغربية فيتم بذلك دورته من حيث بدأها في مقدونيا داعيا الى الخير ، عاملا على اصلاح المجتمع .

يتضح من ذلك أن الاسكندر في رأي العرب وبعض المفسرين [1] فتح الأرض تمهيداً لفتح العقل وسعياً وراء نشر المودة والمحبة والأخوة والمساواة بين الناس ، غير أن المثل العليا التي توخاها الاسكندر حال موته المبكر دون

---

(١) انظر الى سيرة الاسكندر في تفسير القاسمي لمؤلفه المغفور له الأستاذ العلامة جمال الدين القاسمي .

بلوغها فلم يستطع تحقيقها ولكنه غرس هذه الفكرة في جميع أقطار الأرض التي وطئتها جيوشه فلم يكد ينتهي القرن الثامن حتى أصبحت الحضارة اليونانية حضارة جمعت بين حضارة الشرق القديم وحضارة اليونان ، وأخذ الشرق يشارك اليونان في ادابهم وفنونهم وفلسفتهم فامتزجت بذلك العقلية الشرقية بالعقلية الغربية وأصبح الشرقي والغربي قادرين على التفاهم ، تلك هي نظرة العرب الى باني الاسكندرية ، الراغب في جعلها عاصمة ملك ومنهل علم ومركزاً لتبادل البضائع العقيلية وقد تحقق له ماأراد واصبحت الاسكندرية القديمة لايذكر اسمها الا ويقرنه البحاثون بمدرسة الاسكندرية العظيمة التي عادت مركز الثقافة والحضارة على الساحل الجنوبي للبحر الأبيض المتوسط ،كما كانت أثينا مركز الثقافة في الشمال . وامتلأت مكتبة الاسكندرية بآلاف من لفائف البردى التي تبحث في كل فن ولون من ألوان العلوم، منها علوم الطب والتشريح ،وامتلأت قاعات جامعة الاسكندرية بطلاب الطب ،وازدهر الطب في هذه الجامعة قرونا طويلة بشكل لم يكن له نظير حتى لقد كان يكفي الطبيب فخراً انه تلقى علومه الطبية في الاسكندرية ولقد حقق الكثيرون من تلامذة الاسكندرية الشهيرة المجد لأنفسهم فسجل التاريخ ان هيروفيلوس[1] وايراسيستراتوس[2] مؤسسيها كانا طبيبين شرّحا الجسم البشري علنا وكلاهما يوناني من اسيا وكلاهما تلقى اصول الطب عن كريسيبوس الذي تلقنها بدوره من المصريين وهو اي كريسيبوس الطبيب الذي كان يتحاشى العقاقير القوية المفعول ويعالج النزف بربط الاطراف ويعارض في الحجامة والفصد لأن الدم كما كان يقول هو غذاء الروح ،ولقد تتلمذ هيروفيلوس على براكساغوراس الذي سار بالتشخيص خطوات الى الامام

١ - Herophilus ٢ - Erasistratus

عن طريق مراقبة النبض وكان أول من فرق بين الأوردة والشرايين ، ومن الأقوال المأثورة عن هيروفيلوس .

أ ـ ان صبر الأطباء هو الذي يستطيع التفريق بين الممكن والمستحيل .

ب ـ الادوية في حد ذاتها اذا لم تستخدم استخداما صحيحا ليست شيئا مذكورا ولكنها اذا استخدمت حسب المنطق والفطنة كانت عبارة عن أيدي الآلهة نفسها .

ج ـ ان فقدان الصحة يجعل العلم باطلا والفن تافها والقوة واهية والثروة عقيمة والفصاحة عديمة القوة . وله غير ذلك من اقوال تستحق ان توضع على قدم المساواة مع أقوال ابقراط ونظرا لان هيروفيلوس كان أول من قطع أوصال الجسم البشري ودرس أعضاءه دراسة منظمة فقد عرف باسم (أبي التشريح) .

لم يكن ابقراط مدركا لمغزى النبض وكان هيروفيلوس اول من درس الدفقات الدموية المنتظمة التي تنتج في الشرايين من جراء دقات القلب ، وقد حذق في ملاحظة النبض في حالتي الصحة والمرض ونظراً لأن هيروفيلوس وجد ان طول الجزء الاول من المعى الدقيق يبلغ حوالي اثني عشر قيراطاً فقد اطلق عليه اسم الاثني عشري ، وما من رجل اهتم مثل اهتمامه بتشريح اعضاء الانثى وبدراسة مشاكل الولادة وامراض النساء ، وقد لقن تلامذته الأسباب المختلفة لتعسير الولادة وألف كتاباً شهيراً للقابلات ، وقد كانت سعة اطلاعه في هذا المجال سبباً في اقتران اسم هيروفيلوس باسم القابلة اغنوريس ، وقد علمها فن القبالة فمارسته في أثينا .

ان كلية الطب في الاسكندرية التي كانت تضم هذا الاستاذ النابغة كانت تضم ايضاً محققاً آخر لا يقل عنه موهبة ، لقد كان يدعى ايراستستراتوس ، وكان ملماً بوظائف الأعضاء الماماً عظيماً جعله يتمتع بلقب (ابي الفسيولوجيا) .

ومما يدل على نباهة ايراستستراتوس أنه كان يعارض في بزل البطن عند معالجة الاستسقاء، علماً منه بأن اخراج السائل لا يقضي على المرض وأن هذا السائل لن يلبث ان يتكون من جديد ، ولقد نبذ عدداً من العقاقير واوصى بالتمارين الرياضية والراحة والتغذية الجيدة والحمامات الساخنة . وقد شكا من اهمال اطباء عصره لقواعد الصحة فكتب مقالة حول هذا الموضوع، وضعته في مصاف رواد الطب الوقائي

لقد شكل اتباع هيروفيلوس وايراستستراتوس مدرستين متنافستين ، وفي بعض الأحيان كانت منازعات الطرفين تحدث ضجة عالية ، وبعد ان انتقل هذان الاستاذان الى دنيا الفناء بزمن طويل ظل تلاميذهما يبشرون بتعاليمهما ولكنهم اكتفوا بالأقوال دون التجارب العملية فأثبتوا بذلك ان الجدل وحده شيء عقيم .

الفصل السابع

مدرسة الاسكندرية ومتحفها ومكتباتها وأطباء الاسكندرية

١ ـ **مدرسة الاسكندرية** : اهمل الطب بعد موت ابقراط وظل كذلك الى ان جاء عهد الملك اسكندر[١] الاكبر الملقب بذي القرنين لأن نقوده كانت تمثل صورة ابلون مالكا قرني الشمس على زعمهم . خطط الاسكندر مدينة الاسكندرية نحو سنة ٣٠ قبل الميلاد ولم تلبث ان صارت اجمل مدن وادي النيل وأزخرها بالعلماء ويعود السبب في ذلك الى صفات الاسكندر العالية ومزاياه

١ ـ معناها المعين .

السامية فأحبه العلماء والأدباء وأرباب الصنائع ممن كانوا مهملين في البلاد اليونانية فتوافدوا الى المدينة الجديدة وأنشأوا المدرسة الاسكندرية التي لم يكن لها نظير في ذلك الحين والتي كان الغرض منها ، لا تحصيل العلوم فحسب بل التوسع فيها حيث كان للعلماء ندوات ومباحثات وقد خصصت لهم الحكومة الأرزاق الواسعة لتغنيهم عن الأشتغال بالكسب ولتجعلهم متفرغين للعلم وقد ألحق بالمدرسة معامل لتنتج الوسائل اللازمة للتجارب العلمية لذلك اتسع نطاق العلوم والفنون والصنائع في المدينة الجديدة وأوجد فيها متحف عظيم وخزانة كتب غنية ويقال ان المعاريج التي بالاسكندرية مثل الدرج كانت مجالس العلماء يجلسون عليها على طبقاتهم .

لقد نبغ في مدرسة الاسكندرية عدد من الأطباء جعلوا بأبحاثهم العلمية مدرسة الطب في الاسكندرية تفوق ما كانت عليه المدرسة الابقراطية بحيث عادت المدرسة المذكورة شعلة شع منها نور العلوم مدة طويلة من الزمن وقد بقيت هذه المدرسة مركز الطب والثقافة عدة قرون ومنها تخرج جالينوس وكانت أول منهل علمي لجأ إليه العرب في عصر الأمويين .

يعد هيروفيل[1] وارستسترات[2] مؤسسي مدرسة الاسكندرية من الناحية العلمية ويعد هيروفيل أول من شرح جثث الانسان ووصف الاثني عشري والمبيضين وغير ذلك من أعضاء الجسم كما عرّف على الأعصاب الحسية وقال بخروجها من الدماغ وذكر الصفات الخاصة بالعروق الكيلوسية وكانت له أبحاث عن تبدلات النبض المرضية . لم يعثر على الكتب التي وضعها هيروفيل وقد جمعت أقواله وتعاليمه مما أورده عنه جالينوس وروفوس أما اراسيسترات فكان

---

١ - Hérophile

٢ - Erasistrate .

مشرحاً وعالماً بوظائف الأعضاء والأمراض ، عرف البطينا -. الد ماغية ومنشأ الأعصاب الجمجمية والإسامات السينية والمثلثة الشرف وذلك بنتيجة تشريحه جثث الانسان والحيوان وقد عني بذكر التبدلات التي تطرأ على الأعضاءفتبدل معالمهاالتشريحية. يكون اراسيستراتِ بذلك أول من بحث عن التشريح المرضي وقد ذكر عن الدماغ بأنه مركز الذكاء .

٢ – متحف الاسكندرية : لم يكن متحف الاسكندرية مكاناً تجمع فيه الآثار القديمة فحسب بل كان أشبه بمدرسة كلية ، أوقافها كثيرة ،تدفع من ريعها رواتب أساتذتها وكان حول المتحف أراض فسيحة ، فيها حديقة عمومية ، المقاعد مبثوثة في جوانبها ، والتلامذة يدرسون على معلميهم الشعر والرياضيات والفلك والطب .

٣ – مكتبة الاسكندرية : كانت تحتوي على ٧٠٠ ألف مجلد او كتاب وقد احترقت بما فيها . زعم بعض المؤلفين انها أحرقت عمداً والواقع ان جيش يوليوس قيصر كان يقاتل الجنود المصرية التي كانت تحارب تحت قيادة اخلاس فاضطر ان يضرم النار في سفنه التي كانت في المرفأ اذ أصبح وقوعها في يد أعدائه أكيداً فاندلع لسان اللهب وامتد الى القصر فأحرق مكتبة الاسكندرية العظيمة . وقد أكد هذا النبأ جندي ومؤلف اسمه مارسلنوس فوصف مكتبة الاسكندرية بقوله انها مكتبة ثمينة . اتفق الكتاب الأقدمون على ان ما فيها من الأسفار والكتب التي جمعها البطالسة بعد طول الجهد والعناء ذهبت طعم النار في الحرب المذكورة

وقد كتب بولس اوروسيوس في تاريخه الذي ألفه نحو سنة ٤١٦ ب . م يقول : صدرت الأوامر في غضون القتال باضرام النار في الأسطول الملكي الذي كان راسياً قرب الشاطىء فاتصلت النار بقسم من المدينة وحرقت كتب المكتبة الواقعة في بناء قريب من مكان النار .

الفصل الثامن

جالينوس والمذاهب الطبية في زمنه

نذكر في هذا الفصل جالينوس ثم نقدم ملخصاً عما ذكره عنه مؤرخو العرب ونتبع ذلك ببحث عن طبقات الأطباء الاسكندرانيين

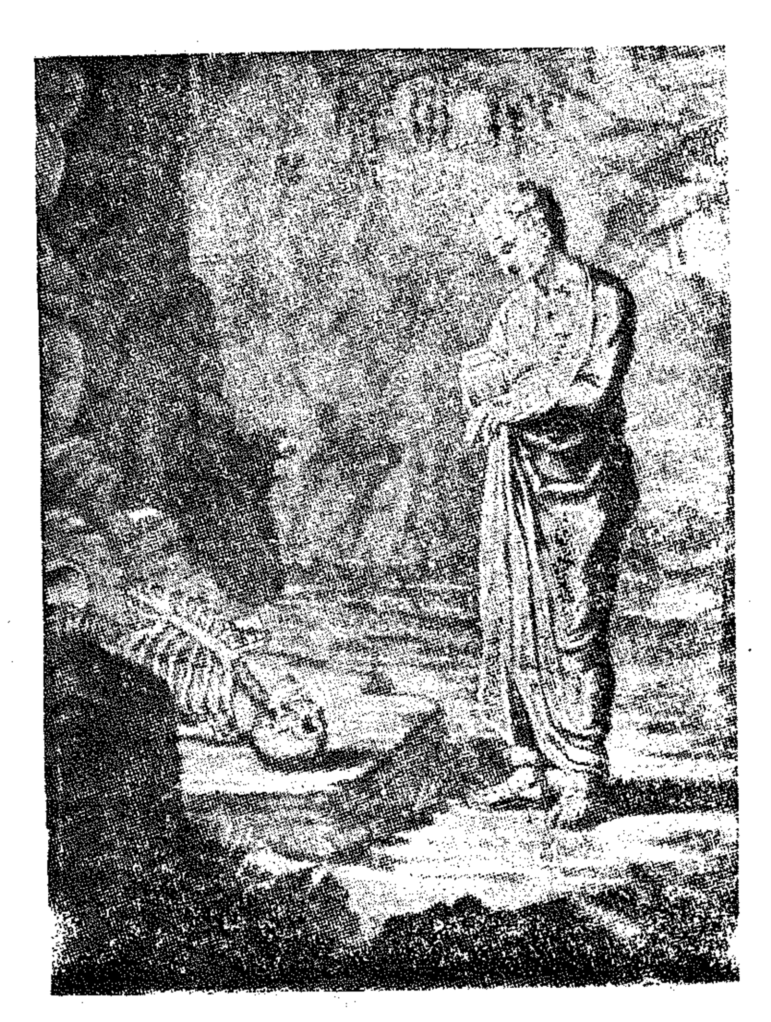
جالينوس :[1] هو كلوديوس جالينوس ومعناها الهادىء ولد في خريف سنة ١٣٠ بعد الميلاد في برغاموس[2] (برغمش) من أرض اليونان ومات في صقلية نحو سنة ٢٠٠ ب . م[3].

كانت برغاموس في ذلك الحين مدينة شهيرة بعمرانها ، زاهرة بتجارتها ، زاخرة بالعلماء والحكماء ، ورجال الطب والفلسفة ، بدأ جالينوس دراسته فيها ثم انتقل الى غيرها لمتابعة الدراسة والتعليم حتى برع في الطب . وصف تشريح بعض الأعضاء المكشوفة مستنداً في وصفه الى ما شاهده فيها بعد الرضوض المكشوفة ،قام ببعض التجارب لمعرفة منافع الأعضاء لذلك كان خليقاً به ان

١ ـ Galien ٢ ـ Prgame برغمش من بلاد آسيا شرق القسطنطينية .

٣ ـ اكد ذلك ابن العبري ومما جاء في تاريخه ص ٧٢ أنه لم يكن في زمان المسيح عليه السلام ولكن بعده .

يلقب بموجد علم منافع الأعضاء الاختباري[1] .شرح جثث المعدومين بالقائهم الى الحيوانات المفترسة كما درس أنواع الحيوانات وقارن بين أعضاء جثثها من الوجهة التشريحية . قال عن نفسه في تاريخ حياته : « ان ابي لم يزل يؤدبني بما كان



الشكل (١١)
صورة جالينوس متأملاً في الهيكل العظمي (عن ج سميث)

يحسنه من علم الهندسة والحساب والرياضيات التي تؤدب بها الأحداث حتى انتهيت من السن الى خمس عشرة سنة ثم انه وجهني الى تعلم المنطق ورغب في

---

١ - Physiologie expérimentale .

تعليمي الفلسفة فرأى رؤيا حورت هدفه ودعته الى تعليمي الطب وقد أتت على من السنين سبع عشرة سنة » .

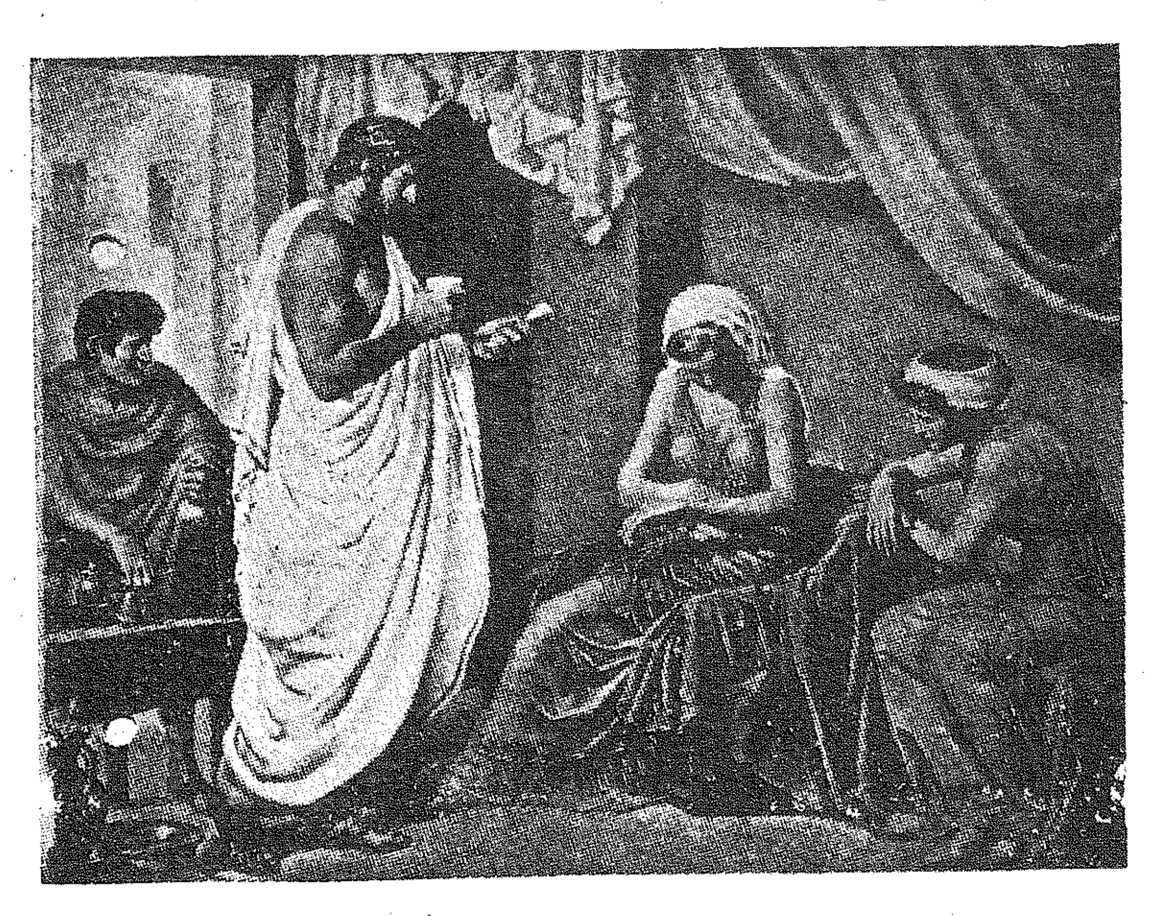
هذا ولما بلغ جالينوس من العمرعشرين سنة توجه الى ازمير فالاسكندرية وبعد مكثه مدة فيها عاد الى برغاموس فجعله رئيس كهنتها طبيب مدرسة السيافين . جال جالينوس في البلاد فانتقل الى مدينة رومية مرتين وسكنها ورافق ملكها في غزواته لتدبير الجرحى .

برع جالينوس في الطب والفلسفة والعلوم الرياضية وجدد من علم بقراط وشرح من كتبه ما كان قد درس ففاق أهل زمانه وكان له بمدينة رومية مجالس علمية خطب فيها وأظهر من علمه بالتشريح ما عرف به فضله . بدأت النصرانية في أيامه بالانتشار فلم يتنصر بل بقي وثنياً ولكنه مدح المسيحيين في بعض كتبه مدحاً بليغاً وقد همّ بالتعرف الى اتباع المسيح عليه السلام بعد ان قيل له انه ابرأ الاكمه والابرص وقد خرج لهذا الغرض من رومية قاصداً بيت المقدس فبلغ صقلية ومات فيها حيث يوجد قبره . عاش ثمانياً وثمانين سنة وكان عالماً بطريق البرهان وله كتاب ناقض به الشعراء . كان جالينوس وجيهاً عند الملوك كثير الوفادة عليهم ، كثير التنقل في البلدان وكانت اكثر أسفاره الى مدينة رومية لأن ملكها كان في أيامه مجذوماً وكان يستحضره كثيراً وكان جالينوس كثيراً ما يلتقي مع الاسكندر الافروديسي الدمشقي الذي كان يلقبه برأس البغل لعظم رأسه وقيل لعناده في المناظرة .

دخل جالينوس الاقليم المصري وسلكه الى آخره وعرف مدنه وبواديه . درس ترتيب أعضاء الجسم وتعمق في علم وظائف الاعضاء وأقر بتوزيع النفس في أجزاء الجسم وفرض أن المؤثرات فيها أربعة عوامل هي البرد والحر

والرطوبة والجفاف وبنى اختلاف الأمراض على اختلاف هذه العوامل وقد اعتمد العرب على مؤلفاته وذكره الكثيرون منهم شعراً ونثراً ومنهم المعري حيث يقول :

سقياً ورعياً لجالينوس من رجل ورهط بقراط غاضوا بعد أو زادوا



الشكل (١٢)

جالينوس مشرفاً على استعمال العلاج

فكل ما أصّلوه غير منتقضٍ به استغـــاث أو لو سقم وعوّاد

كتب لطاف عليهم خف محملها لكنها في شفاء الداء أطواد

ومن بينهم أيضاً المتنبي حيث يقول :

نحن بنو الموتى فما بالنا نعاف ما لابـــد من شربه

يموت راعي الضأن في جهله ميتة جالينوس في طبـه

استند جالينوس في تعاليمه الى نظرية ابقراط في الأخلاط الأربعة .

أما مصنفات جالينوس فتبلغ ٥٠ رسالة لم يبق منها الا ٨٣ رسالة .

كان الاطباء قبل عصر جالينوس شيعاً مختلفة منهم شيعة القانونيين الذين زعموا أن للطب قوانين لا يعتورها الخلل ومنهم شيعة المجربين الذين اعتمد علاجهم على المجربات ومنهم شيعة الرتيبين وقد زعموا أن للأمراض انواعاً مرتبة ومنهم شيعة المختارين الذين اختاروا من كل مذهب أحسن ما فيه . أما هو فلم يتبع مذهباً وسمى التابعين عبيداً ولكنه كان ميالاً لمذهب القانونيين والمختارين ثم تلاشت تلك الآراء بين الأطباء وصار الجميع على رأي جالينوس وتابعي تعاليمه وقد ترجمت أكثر مصنفاته في القرن التاسع الى اللغة العربية وطبعت كتبه في أوربة مرات كثيرة .

ويعد من أشهر كتبه كتب التشريح وعلم وظائف الأعضاء وعلم الجنين ، الأخلاط وحفظ الصحة والأطعمة وتعديل الأخلاط وعسر التنفس والخفقان والتشنجات .

قال الوزير جمال الدين أبو الحسن علي بن القاضي الأشرف يوسف القفطي في كتابه أخبار الحكماء عن جالينوس (ص٨٥-٩٢)ما نلخصه بما يلي :[1]

هو امام الأطباء في عصره ، ورئيس الطبيعيين في وقته ، ومؤلف الكتب الجليلة في صناعة الطب وغيرها من العلوم ، وقد ألف كتاباً في الحيل ، وسبب تأليفه هذا الكتاب أنه كان ماراً بمدينة رومية ، إذ هو برجل قد حلّق حوله جماعة من السفهاء وهو يقول : أنا رجل من اهل حلب لقيت جالينوس وعلمني علومه أجمع ، وهذا دواء ينفع من الدود في الأضراس ، وكان الخبيث قد أعد

---

١ - وقد وصفه بعضهم بأنه كان ذرب اللسان يحب الفخفخة والتظاهر .

بندقاً معمولاً من القار والقطران وكان يضعها على الجمر ويبخر بها فم الذي بـه الاضراس المدودة بزعمه ، فلا يجد بداً من غلق عينيه ، فاذا أغلقها ، دس في فمه دوداً قد أعدها في حق ، ثم يخرجها من فم صاحب الضرس فيلقي البسطاء بامعهم ، ثم تجاوز ذلك حتى قطع العروق ، فلما رأيت ذلك ، أبرزت وجهي للنـاس وقلت : أنا جالينوس ، وهذا سفيه مجرم وكذاب ثم حذرت منه واستعديت عليه السلطان . ُوجدجالينوس بعد المسيح بنحومائتي سنة وبعد ابقراط بنحو ستمائة سنة وبعد الاسكندر بنحو خمسمائة سنة ونيف ، كان أبوه مساحاً لم يكن في زمانه أعلم منه بعلم المساحة وكان جالينوس عالماً بطريق البرهان ، لم يكن في زمانه أدأب منه في قراءة الكتب ، كان حلو الحديث خطيباً حتى ان اخوانه وأصحابه كانوا يلقبونه بالبديع القول وبقوّال الأوابد ، كان متصفحـاً لكلام جميع المؤلفين يشرح غامض العلم ويبسط مستصعبه ولم يأخذ من احد الملوك شيئاً ولا واكلهم وكان عياراً على جميع المؤلفين فلم يسلم أحد منهم الا مشدوخاً.

فهذه صفة جالينوس ومقداره في نفسه وعلمه ولولاه ما بقي الطب ولدرس ودثر من العالم جملة ، لكنه أقام أوده ، وشرح غامضه وبسّط مستصعبه ، وكان لجالينوس بمدينة رومية مارستان يداوي فيه الجرحى فبزّ كل من دبّر من الجرحى ، بان بذلك فضله وظهر علمـه وكان لا يقنع في علم لأشياء بالتقليد دون المباشرة ويمكن القول في صدر الطب القديم انه قام على مادونه بقراط وجالينوس.

بعض أقوال جالينوس كما يرويها مؤرخو العرب: قيل له : انك تقل الطعام قال : غرضي من الطعام أن آكل لأحيـا وغرض غيري من الطعام ان يحيـا ليأكل . روى الشهرستاني : سأل جالينوسَ عصبةٌ من اهل الجهل ما غذاؤك ؟ قال : ما عفتم يعني الحكمة ، قالوا : فما عفت ؟ قال :ما استطبتم ، يعني الجهل ،

قالوا : كم عبد لك ؟ قال : أربابكم : يعني الغضب والشهوة والأخلاق الرديئة الناشئة منهما ، قالوا : فما أقبح صورتك : قال : لم أملك الخلقة الذميمة حتى أُلام عليها ولا ملكتم الخلقة الحسنة فتحمدوا عليها وأما ما صار في ملكي وأتى عليه تدبيري فقد استكملت ترتيبه وتحسينه بغاية الطوق وقاصية الجهد واستكملتم شيئين ما في ملكم ، قالوا فما الذي في الملك من التزيين والتهجين ؟ قال : أما التزيين فعمارة الذهن بالحكمة وجلاء العقل بالأدب وقمع الشهوة بالعفاف وردع الغضب بالحكم وقطع الحرص بالقنوع وأمانة الجسد بالزهد وتذليل المرح بالسكون ورياضة النفس حتى تصير مطية قد ارتاضت فتصرفت حيث صرفها فارسها في طلب العليات ، وهجر الدنيات ، ومن التهجين تعطيل الذهن من الحكمة وتوسيخ العقل بضياع الأدب وإثارة الشهوة باتباع الهوى واضرام الغضب بالانتقام ، وامداد الحرص بالطلب وقدم اليه رجل طعاماً وقال له : استكثر منه فقال . عليك بتقديم الأكل وعلينا باستعمال العدل وقال زمام العافية بيد البلاء ورأس السلامة تحت جناح العطب ، وباب الأمن مستور بالخوف فلا تكونن في حال من هذه الحالات الثلاث غير متوقع لضدها ، وقيل له ما لك لا تغضب ؟ فقال أما غضب الانسانية فقد أغضبه وأما غضب البهيمية فاني تركته كتركي الشهوة البهيمية .

٤ ـ **طبقات الاطباء الاسكندرانيين** : منهم من عاصر جالينوس وهو الاسكندر الافروديسي الدمشقي ومنهم من جاء بعده وقد قال عنهم المختار بن الحسن بن بطلان ان الاسكندرانيين الذين جمعوا كتب جالينوس الستة عشر وفسروها كانوا سبعة وقد اشتهر من بينهم فيلينوس[١] وسيرابيون[٢] وهيرا قليد[٣] وكراته ناس[٤] ويحيى النحوي .

---

١ – Philinos ٢ – Serapion

٣ – Héraclide ٤ – Craténas

الاسكندر الافروديسي الدمشقي : وجد بعد الاسكندر الملك ، رأى جالينوس واجتمع معه ويقال بأنه هو الذي لقبه برأس البغل لعناده ، وكان بينهما مشاغبات ومخاصمات كما أشرنا الى ذلك في ترجمة جالينوس وكان الاسكندر فيلسوفاً متقناً للعلوم الحكمية وله مجلس عام يدرس فيه الحكمة . ألف كتباً كثيرة ضمنها مقالات عديدة منها مقال في السوداء (ماليخوليا) ومقالة في الرد على جالينوس ومقالة في العلل التي تحدث في المعدة ومقالة في النفس وغير ذلك .

فيلينوس وسيرابيون : عاشا حوالي ٢٩٠ بعد الميلاد ، يعتبران من مؤسسي مدرسة الاعراضيين الذين يقولون بالاعتماد في المداواة على اثر الأدوية في العلامات المرضية والأعراض ، مهملين الأسباب والإمراض .

هيراقليد وكراتاناس : عني هراقليد بالمفردات الدوائية وبيّن خواص الأفيون الطبية فذكر استطباباته فكان بذلك أول من وصفه كعلاج وأما كراتة ناس فقد كان طبيب ميتريدات الرابع ، درس السموم ومضاداتها عملا بأوامر صاحب البلاط الذي كان يخشى الموت مسموماً .

يحيى النحوي :قال عنه [1] محمد ابن اسحق النديم في كتاب الفهرست أنه كان في أول امره اسقفا اكرمه عمرو بن العاص لما فتحت مصر على يديه . كان قوياً في النحو والمنطق والفلسفة . وقيل إن سبب قوته في الفلسفة أنه كان في أول امره ملاحاً يعبر الناس في سفينته وكان يحب العلم كثيرا فاذا عبر معه قوم من دار العلم بجزيرة الاسكندرية يتحاورون فهشّت نفسه للعلم فلما قويت رويته في العلم فكّر في أمره وقال : بلغت نيفاً وأربعين سنة من العمر وما

---

(١) ملخصة عن كتاب طبقات الاطباء ج١ ص ١٠٣ .

ارتضت بشيء وما عرفت غير الملاحة فكيف يمكنني أن أتعرض الى شيء من العلوم . فبينما هو مفكر اذ رأى نملة قد حملت نواة ثمرة وهي تريد أن تصعد بها الى علو وكلما صعدت بها سقطت فلم تزل تجاهد نفسها وهي في كل مرة يزيد ارتفاعها عن الأولى حتى بلغت غايتها فلما رآها النحوي قال لنفسه : اذا كان هذا الحيوان الضعيف قد بلغ غرضه بالمجاهدة فأنا أولى ان ابلغ غرضي بالمجاهدةفخرج من وقته وباع سفينته ولازم دار العلم وبدأ بعلم النحو واللغة والمنطق والطب فبرع في هذه الأمور وبرز وبما أنه ابتدأ بالنحوأولاً فنسب اليه واشتهر بهووضع كتباً كثيرة،منهامصنفاتفي الطب، بينها كتاب الصناعة الصغيرة و كتابالنبض الصغير و كتاب الخراج و كتاب العلل والأعراض و كتاب علل الأعضاءالباطنة و كتاب النبض الكبير و كتاب الحميات و كتاب البحران و كتاب حيلة البرء و كتاب تدبير الأصحاءو كتاب منافعالأعضاء وجوامع كتاب الترياقوجوامع كتاب الفصد وكلها شروح على ماذكره جالينوس .

تلك هي سيرة يحي النحوي الاسكندراني اليعقوبي الذي اجتمع بعمرو ابن العاص وهوغير يحي النحويالملقب بالبطريقوالذي كان فيلسوفاًوطبيباًايضاً.

هذا ولابد لنا اتماماً للبحث عن يحي النحوي من ذكر ما أورده في صدد يوحنا الغراماطيقي ويحيالنحوي بعض المؤلفينالذينحاولوا أن يميزواالشخصيتين الأولى من الثانية فلم يوفقوا بل أضاعوا شخصية الطبيب يحي النحوي والى القارىء قولهم :

اشتهر في تاريخ مصر في زمن الفتح العربي رجلان باسم يوحنا،الأول يوحنا فيلبونس أو الغراماطيقي والثاني يوحنا النخوي أو النحوي نسبة الى نخو أونحو أو نقو ، مدينة في القطر المصري وكان الأول من الفلاسفة المشائين والمرجح أنه مات قبل الفتح الاسلامي والثاني كان اسقفاً قبطياً ولد زمن الفتح وألف

تاريخاً بالقبطية بعد الفتح بنحو خمسين سنة . نقل عنه مؤرخو العرب الذين التبس عليهم اسم يوحنا الغراماطيقي باسم يوحنا النحوي فظنوهما اسمين لمسمى واحد فاستنتجوا أن كلمة نحو مرادفة هنا لكلمة غراماطيق . عاش يوحنا النحوي الى ان فتحت مصر على يدي عمرو بن العاص فأكرمه .

أما ابدال كلمة يوحنا بكلمة يحي فسببه أن كلمة يوحنا كانت تكتب بالحروف هكذا يحنا (يُحَنّا) من غير نقط لأن الكتابة العربية بقيت الى أواسط القرن الثالث من غير نقط فلما وضعت النقط للتمييز نقطت هذه الكلمة (يحيا) بالياء بدلاً من أن تنقط بالنون. يبين هذا الرأي أن يوحنا الغراماطيقي فيلسوف مشائي لم يدرك على الغالب الفتح الاسلامي بل توفي قبله ببضع سنوات وأما يوحنا النحوي أو النخوي فهو مؤرخ قبطي أخذ العرب عنه . على أننا نميل الى تصديق رواية ابن أبي اصيبعة لأنها منقولة عن يحي النحوي .

خلاصة القسم الثاني : شعر الإنسان منذ وجد بحاجته الى حفظ صحة بدنه والى وقاية نفسه ومجتمعه من الأمراض والى تبعيد ساعة الفناء طمعاً باطالة الحياة فكان من ذلك كله الطب البدائي تعالج به الأمراض بدون معرفة طبائعها وتوصف الأدوية دون معرفة خواصها وكان يستند في وصفها غالباً على نتائج تجريبها ومراقبة الآثار الناتجة عن استعمالها . بقي الطب عاماً يمارسه كل انسان حتى اتسع مداه فانتقل من طور التجربة الخشنة الى طور الاحتكار حيث اختص به بعضهم فتوارثوه ولم يسمحوا لسواهم التصرف به فمزجوه بالخرافات وادعوا به لأنفسهم حق الامتياز فصدقهم الناس وانزلوا كثيرين منهم منزلة آلهة وأبطال ثم جاء الكهنة فأقاموا المعابد والآلهة وأخذوا يأمرون الناس بالإذعان لمشيئتها

ولقد ظل الطب مدفوناً في المعابد وهيا كلها اجيالاً عديدة ولم تتسع أبحاثه الا بعد تحرره منها .

١ - **الطب عند البابليين والآشوريين والكلدانيين والفينيقيين** : يعد البابليون من أقدم الأمم التي عنيت بالطب . وقد دُون طبهم على آجر قمعي الشكل استخلص منها **حامورابي** (١٩١٢ - ١٩٥٥) قبل الميلاد قوانين حدد فيها أجور الأطباء كما حذرهم من الوقوع في الأخطاء وفرض على المرضعات التي تثبت عليهن جريمة اهمال المرضع عقوبات صارمة .

كان الأطباء عند البابليين مقسمين الى ثلاث فئات: فئة أولى تعالج بالنصح والارشادات وفئة ثانية تعالج بالأدوية والنباتات وفئة ثالثة بالطلاسم والشعوذات وكان من بين الادوية التي استعملوها الزيوت على اختلاف أنواعها وبعض انواع النبات بقشورها وورقها وأزهارها وثمرها وفواكهها وعصيرها وقد عرفوا التحنيط ومارسوه باتقان . وكان الطب الكلداني والآشوري والفينيقي مماثلا للطب البابلي وكان الفينيقيون يعنون بتجارة الادوية وكان كهانهم يتعاطون مهنة الطب .

٢ - **الطب عند المصريين** : اختص بصناعة الطب عند المصريين الكهان ، كان أحدهم يلبس عند التطبيب جبة بيضاء كما كانوا يحلقون شعورهم وقاية من انتقال الحشرات . برعوا في التحنيط وكان طبهم غنياً بالمفردات مدوناً في أوراق البردي . مارس الاطباء المصريون الجراحة وعرفوا مبادىء التبنيج وكانوا يستعملون أدوات مصنوعة من حجر الصوان والبرونز وقد شوهدت في المومياءات بعض آثار لعمليات جراحية عالج المصريون الكسور وعرفوا الجبائر ومارسوا الختان . وأخذ الاحباش الطب عن المصريين كما أن العبرانيين تعلموا

منهم الختان . ويبدو أن موسى عليه السلام بتردده على مصر أتقن الطب المصري.

٣ ـ **الطب الهندي** : قال الجاحظ عن الهنود بأنهم اشتهروا بالحساب وعلوم النجوم وأسرار الطب . نقل العرب عنهم كثيراً من كتب الطب وقد اشتهر في العصر العباسي منهم **كنكة** وهو من متقدميهم في الطب وله مؤلفات كثيرة منها كتاب في الاعمار وكتاب في أسرار المواليد وكتاب في التوهم ومنهم **صنجهل** . وقد اشتهر من مترجميهم **منكه** الذي أتى بغداد امتثالاً لامر يحي بن خالد ، ومن مشهوريهم **شاناق** وله كتاب في السموم نقله أبو حاتم البلخي الى العربية بايعاز من يحي بن خالد العباسي . ويعد **صالح بن بهلة** من كبار مشهوريهم ، كان خبيراً بالمعالجات منافساً لجبرائيل بن بختيشوع في تطبيب الرشيد وقد اشترك الاثنان في معالجة ابراهيم ابن عم الرشيد فكان نظر صالح أدق من نظر جبريل فلم يمت ابراهيم من مرضه على عكس ماأخبر جبريل .

٤ ـ **الطب الصيني** : عرف الصينيون تأثر النبض بالامراض فبحثوا عن تغيراته فيها وقد عزوا الامراض الى الجفاف والحر ، والرطوبة والقر ، فعدوا الفصول مسئولة عن الامراض واعتبروا لكل منها امراضاً خاصة . يعد **واي بويانج** بينهم من كبار الفلاسفة والاطباء ، بحث عن أسرار التعمير ويعتبر **شان نونج** المشهور باسم الامبراطور فو أول باحث عن خواص النباتات فكان يختبر تأثيرها على نفسه ويعزى اليه التعريف بخواص شجيرة الافيدرا التي استخرجت منها مادة الافيدرين الكثيرة الاستعمال في الطب .

٥ ـ **الطب في الامبراطورية الرومانية** : لم تكن صناعة الطب في نظر الرومانيين محترمة لذلك لم يحترفها في بادىء الامر إلا العبيد وإذا وجد بعض الأطباء الأحرار فكانوا يستخدمون أطباء عبيداً ويعسّرون عتقهم خشية من

أن يصبحوا منافسين لأسيادهم . غير أن هذه الحالة لم تطل كذلك إذ قصد روما أطباء يونانيون ومصريون وزاد عددهم حتى عاد لكل مدينة طبيب حكومي وأُلحق الأطباء بالجيوش البرية والبحرية . اعتنق اطباء روما نظرية الأخلاط الأربعة وهي الدم والصفراء والبلغم والسوداء وقبلوا القول القائل بان توازنها يضمن الصحة وان فساده مجلبة للمرض كما بينوا ان في الهواء عنصراً لا تمكن الحياة بدونه واعتمدوا في معالجتهم الدوائية والوقائيـة على الوسائل الطبيعية وكانوا يستعملون في التبنيج مزيجاً ، مادته الأساسية السكوبولامين . ويقال بان اطباء الرومان استلوا غايوس يوليوس الملقب بالقيصر من احشاء أمه . كانوا يربطون الشرايين ويجرون عمليات جراحيـة كالبتر واستئصال السرطان من الثدي ، حرّموا الخصي وتشددوا لا في مقاصصة فاعلة فحسب بل وطالبه ايضاً . اشتهر من بين الأطباء في الامبراطورية الرومانية :

اسقلبياديس : ولد سنة ١٢٤ ق.م في بورصة ، تعلم في مدارس اثينا والاسكندرية ثم طاف في البلاد الواقعة على شواطىء البحر المتوسط تتلمذ عليه الشاعر لوكرت فنشر آراءه وعرّف الناس بها . كان اسقلبياديس يختار من الأدوية ما كان سهل الاستعمال ، يناهض الافراط في استعمال الفصد والمقيئات والمسهلات وكان طبه قائماً على الحمية والصيام والتدليك والرياضة وتنظيم العمل ، أحبه الرومانيون فعدوه خليفة اسكولاب . ألف مايقرب من عشرين كتاباً .

سورانوس : يعد أول من نصح بالمس المهبلي لتشخيص الاعتلان ومعرفة وضع الجنين في الرحم وأوصى بقثطرة المثانة قبل خروج الجنين اثناء المخاض ونصح باستعمال كرسي خاص للولادة وكان خبيراً بطب الاطفال .

ارشيجن : طبيب سوري أُلّه لحذقه في طبه وبراعته في أدبه ، ربط العروق

وخفف من نسبة الوفيات في بتر الاطراف . كوى بالنار لمعالجة النزوف واستخدم المنظار لفحص الرحم وبتر الاثداء المتسرطنة

دوفوس دهفهز : كان حكيماً بارعاً اقام في مصر وشرّح القردة عرف التصالب البصري وقسم الاعصاب الى حسية ومحركة . عرف الطب النفساني ووضع اصول المشاهدة الطبية .

ديوسقوريديس : ولد في شمال سورية ، صحب الجيوش الرومانية في غزواتها وقد وضع كتباً دون فيها مذكراته الطبية وذلك في السنة السابعة والسبعين بعد الميلاد . قدر اليونانيون واللاتينيون والعرب آراءه فنقلوها حتى أصبحت دعامة النهضة العلمية في القرون الوسطى .

كورنيليوس سلسوس : بحاثة جليل دوّن العلوم المعروفة في زمنه وخص منها الطب بثمانية كتب وكان يقول باتقان علم وظائف الأعضاء مخطئاً المعتمدين على تشريح الجثث فقط ، مبيناً عدم صحة المقارنة بين جسم حي وجسم ميت وكان يحذر الأطباء عند معالجتهم الأمراض المستعصية ويوصيهم ببيان انذارها وعاقبتها لذوي المرضى .

٦ – **الطب الفارسي** : الطب الفارسي مزيج من الطب اليوناني والهندي والمصري . دخل الطب اليوناني بلاد فارس اثر زفاف ابنة اولينوس القيصر الى ملك الفرس سابور وكان في حاشية الأميرة عدد من الأطباء اليونانيين ساهموا بنقل الطب اليوناني الى فارس كما استقدم ملوك فارس أطباء مصريين ليعالجوهم فتعلموا منهم التحنيط ، اشتهرت في بلاد فارس مدرسة جندي سابور الطبية والمستشفى الملحق بها . ويُنسب تأسيسها أيضاً الى كسرى الأول ومما لاشك فيه أنه كان من عوامل ازدياد النشاط العلمي في المدرسة المذكورة استقرار الرهبان النسطوريين فيها وحسن معاملة أنوشروان لهم واستقدامه عدداً من أطباء الهنود

بحيث أصبحت جندي سابور آنذاك أكبر مركز علمي احتكت فيه الثقافة اليونانية بالثقافة الشرقية وكان لمدرسة جند يسابور مستشفى يعد من أكبر المشافي في العصر السابق للاسلام بثلاثة قرون . ولقد تأثرت بمدرسة جندي سابور مدارس أنطاكية والرها وحران وكان للنسطوريين تأثير كبير فيها .

أما النساطرة فهم من أتباع نسطور، يعتقدون بناسوتية المسيح عليه السلام عدهم رجال الدين في الاسكندرية هراطقة فأبعدوهم . وقد انتشروا بعد نفيهم في غربي آسية حيث أخذوا يستعينون على بث أفكارهم وتأييدها بأقوال منتزعة من الفلسفة اليونانية حتى صار كل راهب نسطوري معلماً في الفلسفة اليونانية ونقلوا مع الفلسفة علوم الطب والكيمياء . أنشأوا مدارس كثيرة في البلاد التي انتشروا فيها ، أهمها مدرسة نصيبين ومدرسة الرها التي كانت العناية بها عظيمة، فألحق بها مستشفيات حتى عدت أثينا الشرق ثم طُرد النساطرة منها بأمر الأسقف (سيروس) فهاجروا الى ايران حيث ساهموا بترقية مدرسة جند يسابور وقد لحق بهم الى منفاهم فلاسفة افلاطونيون طردهم جستينيان وساهموا في جند يسابور بنشر العلوم اليونانية . قام النسطوريون بترجمة المؤلفات اليونانية الى اللغة السريانية .

أما اليعاقبة أو اليعقوبيون فينتمون بفلسفتهم الى يعقوب السروجي ويحاكون بآرائهم النسطوريين لذلك اضطهدتهم امبراطورية بوزنطية فانتشروا خارجها وبثوا تعاليمهم بنفس الاسلوب الذي اتبعه النسطوريون . اشتهر منهم سرجيوس الرأس عيني فكان من أعظم كتابهم ومترجميهم وقد اشتهرت مؤلفاته بين النساطرة واليعاقبة معاً وكانت مرجعاً لهم في الطب والفلسفة، لم يكن لليعاقبة مدارس ظاهرة الأثر كما كان للنساطرة ولكنهم استعاضوا عنها بأديرة .

الصلات بين العرب والفرس وكلمات الطب الفارسية في البلاد العربية :

ذكرت شاهنامة الفردوسي صلة المصاهرة والخؤولة بين العرب والفرس وبينت ان لرستم بطل ابطال الفرس خؤولة في العرب . وقد بقي كثير من الفرس في اليمن واستعربوا فيها وقد نتج من اتصال العرب والفرس قبل الاسلام وبعده انتشار كلمات فارسية في اللغة العربية مازال بعضها مستعملاً حتى اليوم نذكر منها : البيمارستان وجلاب وسرسام والقولنج والنعناع تعريب ناناه .

ويستطيع الباحث أن يجد مئات من الكلمات الفارسية ذائعة الاستعمال بين العرب حتى اليوم .

٧ ـ **الطب عند اليونانيين** : لقد خلّدت الياذة الشاعر اليوناني هوميروس المعتبر أباً للشعراء ذكراه وجعلت من زمنه مرجعاً تاريخياً ، يُرجع في تاريخ الطب الى ماقبل هوميروس ويناسب ذلك زمن اسكليبوس (إله الطب) والى زمن هوميروس والى زمن ابقراط فزمن اسكندر الكبير وأخيراً زمن جالينوس.

زمن اسقليبوس : سمي هذا العهد باسم اسكولاب لنميزه به . احتل اسقليبوس إمامة الطب بما كان له من صفات حميدة وبلغ من أمره أن نبرأ المرضى الذين يئس الناس من شفائهم فظن العامة أنه يحيي الموتى فألّهوه . كان يعتمد في طبه على التجربة ويوصي بأن يعلمها الآباء الأبناء فلا يخرجوها للغرباء لذلك انحصر الطب في الكهنة من سلالته ويصور اسكولاب متوجاً بالغار ، آخذاً بيده عصا معوجة من شجرة الخطمي التف حولها تنين ، وقف على أحد غصونها ديك وبجانبه سلحفاة .

شُيدت لأسقليبوس هياكل ونُحتت له التماثيل في بلدان عديدة ومنها سورية

زمن هوميروس : ذكر هوميروس الشاعر في الياذته الشهيرة عن حرب

تروادة الطب فبين أنه باطني وجراحي وان ولدي اسقبليوس كانا طبيين عسكريين ولقد اشتهر في عهد هوميروس النساء الطبيبات وكانت بولي دامنا احداهن وقد أرشدت زميلتها هيلين الى النبات الذي يذهب الحزن والأسى .

زمن بقراط : تعني كلمة بقراط الفارس الماهر . ولد سنة ٤٦٠ ق.م، اعتمد في طبه على القياس والتجربة ، علمه للغرباء المستعدين فكان بذلك أول مؤسس لمدرسة طبية اشتهر ابقراط بالقسم الذي وضعه وطلب من كل طبيب أن يتمسك به وقد جاء فيه ، « اقسم بالله رب الحياة والموت وواهب الصحة والشفاء على أني أرى المعلم في هذه الصناعة بمنزلة آبائي وأقصد بقدر طاقتي منفعة المرضى ولا أعطي دواء قتالاً أو مسقطاً للجنين وأحفظ نفسي على الزكاة والطهارة وأحافظ على السر الطبي » .

ويقال ان ابقراط أول من أوجد مستشفى وأنه سكن بحمص الشام وانه كثيراً ما كان يختلف الى مدينة دمشق ويقيم في بستان له فيها للرياضة والتعلم والتعليم . كان ابقراط يعتقد بأن الأمزجة أربعة : دموية وبلغمية وصفراوية وسوداوية وقد وضع كتباً عديدة في الطب . اشتهرت من بعده بنته مالانارسا وانتيوشيس التي خلد ذكراها في طولس باقامة نصب تذكاري باسمها يوجد الآن في احدي متاحف ويانه .

الطب في عهد الملك اسكندر المكدوني : اشتهرت في هذا الزمن مدرسة الاسكندرية التي توافد اليها العلماء والأدباء وأرباب الصنائع ممن كانوا مهملين في البلاد اليونانية . وقد نبغ من مدرسة الطب في الاسكندرية عدد من الأطباء بزّوا رجال المدرسة الابقراطية وجعلوا من الاسكندرية مدينة علم تشع نور

المعارف الى الأقطار المعمورة حينها ، منها تخرج جالينوس و كانت اول منهل علمي لجأ اليه العرب في عصر الأمويين . وقد اشتهر هذا العهد بمتحف الاسكندرية ومكتبتها . لم يكن متحف الاسكندرية مكاناً تجمع فيه الآثار القديمة فحسب بل كان أشبه بمدرسة كلية ، ريعها كبير ، تدفع منه رواتب أساتذتها و كان حول المتحف أراض فسيحة ، المقاعد مبثوثة فيها و كانت تحتوي المكتبة على ٧٠٠ الف مجلد أو كتاب وقد احترقت بما فيها .

جالينوس (الهادىء) والمذاهب الطبية في زمنه ، ولد سنة ١٣٠ ب.م في برغاموس، برع في الطب ، وصف تشريح بعض الاعضاء وقام ببعض التجارب لمعرفة منافعها فكان بذلك موجد علم منافع الاعضاء الاختباري. جدد جالينوس علم بقراط وشرح كتبه و كان لهبمدينة روما مجالس علمية يحاضر فيها ، كان وجيهاً عند الملوك ، كثير التنقل في البلدان و كانت أكثر أسفاره الى روما لان ملكها كان مجذوماً و كان يستحضره كثيراً ، دخل الا قليم المصري وعرف مدنه وبواديه ، اقر في تعاليمه بتوزيع النفس في أجزاء الجسم وفرض ان المؤثرات فيها أربعة هي البرد والحر والرطوبة والجفاف وبنى اختلاف الامراض على اختلاف هذه العوامل . .كان الاطباء قبله فرقاً : منهم فريق **القانونيين** الزاعمين ان للطب قوانين لا يعتورها خلل ، و فريق المجربين الذين اعتمد علاجهم على المجربات و فريق الرتيبين الزاعمين ان للأمراض أنواعاً مرتبة ، وفريق المختارين الذين اختاروا من كل مذهب احسن ما فيه، اما جالينوس فلم يتبع مذهباً وعد

القسم الثالث

الطب العربي وطبقات الأطباء العرب قبل الاسلام

الطب العربي قبل الاسلام ان آثار العرب الذين أسسوا مدنيات قديمة راقية تدل على أن الطب لابدّ وأن يكون قدساير تلك المدنيات وانه كان راقياً مثلها ولكن لم تصل الينا شيء من أخباره وكل مانعلمه عن الطب العربي قبل الاسلام هو طب عرب الجاهلية .

الطب الجاهلي : كان للعرب في الجاهلية حظ وافر من معرفة الطب المبني في غالب الامر على تجارب قاصرة ، ووصفات متوارثة عن مشايخ الحي وعجائزه ألزمها الاعتياد ربما يصح منها البعض ، الا انه ليس على قانون طبيعي ولا على موافقة المزاج ، بعقاقير وأدوية من نباتات وأغذية ، وكان عماد معالجتهم الكي بالنار الذي يكاد يكون الدواء الوحيد للأمراض المعضلة . كان الجاهليون يعتقدون ان سبب الامراض أرواح شريرة لا يوقي منها ولا يشفي الا الكهان وأصحاب القافة والمتفرسين والعرافين وزاجري الطير والعيافين والمنجمين والسحرة والمشعوذين[1] من دون واسطة او بواسطة كالأحجار والخرزات او ببعض الأوهام.

---

(١) يستطيع الباحث ان يرى في الشعر الجاهلي تهكما على الطب من ذلك قول عنترة:

يقول لك الطبيب دواك عندي ... اذا ما جس زندك والذراعا

ولو علم الطبيب دواء داء ... يرد الموت ما قاسا النزاعا

كما يستطيع ان يرى في قول شعرائهم مايبين اعتقادهم بالتمائم كما يستنتج من قول قائلهم:

اذا مات لم تفلح مزينة بعده ... فنوطي عليه يا مزين التمائما

أ ـ **القيافة على قسمين** : قيافة الأثر وقيافة البشر وتم قيافة الاثر بتتبع آثار الأقدام والاخفاف والحوافر في المقابلة ويحكى ان اهل القيافة كانوا يفرقون بين اثر قدم الشاب والشيخ ، وقدم الرجل والمرأة ، والبكر والثيب .

وأما قيافة البشر فهي الاستدلال بهيئات أعضاء الشخصين على المشاركة والاتحاد بينهما في النسب والولادة وفي سائر أحوالهما وأخلاقهما ويروى ان مجزّزا الاسلمي كان قائفاً [1] دخل فرأى اسامة بن زيد وزيداً وعليهما قطيفة قد غطيا رؤوسهما وبدت أقدامهما فنظر اليها مجززاً الاسلمي وقال : ان هذه الاقدام بعضها من بعض . وكان أهل القافة من المتطببين في أغلب الأحايين.

ب ـ **الفراسة** : هي الاستدلال بهيئة الانسان ، وأشكاله ، وألوانه ، وأقواله ، على أخلاقه وفضائله ورذائله وأمراضه فهي صناعة صيادة لمعرفة أخلاق الانسان وأحواله وأدوائه.

ان اول من استخرج علم الفراسة فليمون الرومي الطرسوسي ثم توسع الناس فيه . وهو مأخوذ في الاصل من المشاهدة على طول الزمان ، فانهم حين تأملوا غالب الأشخاص وما يصدر عنها عدوا ما استمر أصلاً يُرجع اليه وقاعدة يجوز الاستناد اليها فزعموا ان كبر الدماغ دليل على العقل وان خشونة الشعر دليل على الشجاعة وان كبر الرأس تدبير وعقل وان نتوء الجبهة فهم وادراك وان صغرها واستدارتها جهل وان تساويها شر وخصومة وان سعة الفم شره وان تفريق الاسنان ضعف وان غور العين خبث وان صغر العيون مع كثرة حركتها مكر وحيلة وان حمرة الوجه حياء وبروز عظم الوجه كسل، واعتداله قوة رأي وان استدارة

---

(١) القائف هو الذي يتتبع الاثار ليعرفها ويعرف شبه الرجل بأخيه وأبيه، والجمع القافة (اللسان) .

الوجه حمق وسوءخلق،وطوله وقاحة،وغلظ الصوت اقدام،وسرعةالكلام طيش وسوء فهم وحمق وان علوه عدم حياء وسوء طبع وان قصر العنق مكر وغلظة وبطش وان دقة الكتفين ضعف عقل وان طول الذراعين كبر ورياسة وان استواء الظهر حسن خلق وان لطافة الكعبين والقدمين مرح وخفة وان غلظ الساقين بلهوان قصر الخطا وسرعتها همة وتدبير وان كثرة الضحك قلة اعتناء بالأمور واجتنابه عقل وتدبير ومتى كان الرجل منتصب القامة أبيض اللون، مشربا بالحمرة ، لين اللحم ، مفرج الاصابع عظيم الجبهة أشهل العين فهو حكيم عاقل حسن الرأي .

وقد وصف موجد هذا العلم الطرسوسي متعلمه بأنه يحتاج الى ذكاء ولذلك حرّم دراسته على الاغبياء .

ج ـ **الكهانة** : هي ادعاء علم الغيب واعطاء الخبر عن الكائنات في مستقبل الزمان ، ومعرفة أسرار الانسان وما يتعرض له في يومه ومستقبله ويسمى متعاطي الكهانة كاهناً [1] ان العرب يفزعون الى الكهان في تعرف الحوادث ويتنافرون اليهم في الخصومات ليعرّفوهم بالحق فيها وكان بعض الكهان يزعم ان له تابعاً من الجن ورَئِيًّا يلقي اليه الاخبار وكان الكهان يروجون أقاويلهم باسجاع تروق السامعين فيستميلون بها القلوب ويستصغون اليها الاسماع .

د ـ **العرافة** : هي الاستدلال على الامور الماضية أو الحاضرة او المقبلة بأسباب ومقدمات ويسمى محترفها العرّاف ويستعين عادة بكلام من يسأله او حاله او فعله ويرشد الى الضالة والشيء المسروق ونحوهما وكان في العرب عدد

---

(١) الكاهن : سمى عرب الجاهلية كل من تعاطى علماً دقيقاً كاهناً ومنهم من كان يسمى المنجم والطبيب كاهناً ايضاً « اللسان » .

كبير من العرافين منهم عراف [1] اليمامة : رباح بن عجلة ، وعراف نجد : الابلق الاسدي .



الشكل (١٣)

صورة تمثل الزاجر يراقب حركات الطير

هـ ـ الزجر [2] والعيافة : الزجر : هو الاستدلال بأصوات الحيوانات ، وحركاتها وسائر أحوالها وخاصة طيرانها على حاضر الانسان ومستقبله . كانوا يزجرون الطير والوحش ويثيرونها فماتيا من منها وأخذ ذات اليمين سموه سانحاً

---

(١) العراف : سمى عرب الجاهلية الطبيب عرافاً وكذلك الحازي والقناقن بسبب معرفة كل منهم بعلمه كما يستدل من قول شاعرهم في عراف اليمامة :

فقلت لعراف اليمامة داوني   فإنك ان داويتني لطبيب

(٢) عرف ابن خلدون الزجر بأنه ما يحدث عند بعض الناس من التكلم بالغيب عند سنوح طائر او حيوان او الفكر فيه بعد مغيبه .

وما تياسر منها وأخذ ذات اليسار سموه بارحاً وما استقبلهم فهو الناطح ومن جاءهم من خلفهم فهو العقيد وكانت أهل نجد تتيمن بالسانح وتتشاءم بالبارح وأهل العالية عكس هذا ويسمى المتكهن بالطائر وغيره من السوانح عائفاً وقد تكون عيافته بالحدس وان لم ير شيئاً ومن مذاهبهم التشاؤم بالغراب ونحوه من الطيور ، وكانوا يضربون الغراب مثلاً في الشؤم فيقولون فلان أشأم من الغراب قال ابن رشيق في العمدة : الغراب أعظم ما يتطيرون به وكانوا يتشاءمون بالثور الاعضب المكسور القرن واما السانح فهو ماولاك ميامنة واما البارح فهو ما ولاك مياسرة ، وقد انكر المرقش[1] الزجر والطيرة وجاراه عدد من الشعراء منهم الكميت[2] والرقاعي الكلبي[3] وقال بعضهم ما يفيد ان المرافقات هي من قبيل المصادفات وان الباطل فيها كثير .

وقد اقتبس العرب هذه العلوم المزعومة من الأعاجم الذين كان لهم مذاهب عديدة في العيافة والاستدلال بها منها . ولقد زعموا أنه اذا فشا الموت في الخنازير عم الناس السلامة والعافية وانه اذا فشا الموت في الجرذان خصب الناس وانه اذا أنّ ديك في دار فشا فيها مرض الرجال واذا أنّت دجاجة فشا فيها مرض النساء

---

(١) يدل على ذلك قوله :

ولقد غدوت وكنت لا	أغدو على واق وحاتم
فاذا الأشائم كالأيا	من والايامن كالاشائم
وكذاك لا خير ولا	شر على احد بدائم

الواقي : الصرد والحاتم : الغراب الاسود

(٢) يدل على ذلك قوله كما جاء في عيون الاخبار ج ١ ص ١٤٤

ولا انا ممن يزجر الطير همه	اصاح غراب ام تعرض ثعلب

(٣) قال في مدح مسعود بن بحر :

ولبس بهياب اذا شد رحله	يقول عداني اليوم واق وحاتم

وانه اذا اكثر البوم الصراخ في دار، برىء مريض ان كان فيها[1] .

التنجيم والسحر والطلسم والحوف : زعموا أنها علوم بكيفية واستعدادات تقتدر بها النفوس البشرية على التأثير في عالم العناصر بغير معين أو معين[2] .

١ **التنجيم والنجامة** : زعموا أن بين طلوع النجوم وغروبها امراضاً واوبئة وعاهات في الناس والابل وكانوا ينسبون اليها (النجوم) التأثيرات من خير وشر وكان أهل الجاهلية يسألون المنجمين زاعمين انهم يخبرون بالغيب .

٢ **السحر** : هو اراءة الباطل في صورة الحق وهو رُقى وعزائم وعقد زعموا انها تؤثر في الابدان والقلوب فتمرض أو تقتل أو تفرق بين المرء وزوجه وعرّف السحر بعضهم بانه اظهار امر مؤذٍ خارق للعادة من نفس شريرة خبيثة لان السحر انما يقوم على فعل الشر في الغالب كالتفريق بين الزوجين وضمان حدوث الضرر للاعداء وهو على أنواع :

أ ـ النيرنج : قيل هو معرب نيرنك من الفارسية وهو التمويه والتخييل .

ب ـ الحلقطيرات : وهي خطوط عقدت عليها حروف واشكال أي حلق ودوائر .

ج ـ الشعبذة : ويقال لها الشعوذة معرب شعباذة اسم رجل ينسب اليه هذا العلم وهي خيالات مبنية على خفة اليد او اخذ البصر في تقليب الأشياء .

٣ ـ **الطلسم** : [3]هو اظهار امر عجيب بالاستعانة الى الجمع بين مفعول العقاقير الارضية ومؤثرات الكواكب العلوية ولذلك يستعين صاحبه بالنجامة . وقد تطلق على خطوط واعداد يزعم كاتبها انه يربط بها قدرة الكواكب العلوية

---

(١) عيون الاخبار ج١ ص ١٥ .

(٢) التعريف مقتبس من مقدمة ابن خلدون ص ٣٤٨ .

(٣) زعموا أن الطلسم مقلوب مسلط والواقع انه معرب تالسما اليونانية ومعناها الشيء النفيس وقد خصها البيزنطيون بالشيء المقدس .

بالطبائع السفلية ويزعم اوغوست ميسر[1] أن غاية الطلاسم اجتذاب المؤثرات الحميدة وتوفير الإلفة بين المتحابين واجتماعها .

٤ ـ **أسرار علم الحروف** : هو علم باحث عن خواص الحروف افراداً وتركيباً وموضوعه الحروف الهجائية ، ومرتبته الروحانيات والفلك والنجامة ويحتاج الى الطب من وجوه كثيرة؛ منهامعرفةالطبائع والكيفيات والامزجة.

ويزعم محترفو هذا العلم ان للحروف جسما وروحاً ونفساً وقلباً وعقلاً وقوة كلية وقوة طبيعية وانهم يمزجون بعلمهم قوى الحروف والكلمات بقوى الكواكب فيرشدهم هذا المزج الى المغيّبات ويدلهم على المقدرات .

وقد توهموا ان للحروف انواعاً فمنها نارية وهوائية ومائية وترابية على حسب تنوع العناصر فالالف للنار والباء للهواء والجيم للماء والدال للتراب ثم يرجع كذلك على التوال من الحروف والعناصر الى أن تنفذ ويلجأ الى الحروف النارية لدفع الامراض الباردة ولمضاعفة قوة الحرارة حيث تُطلب مضاعفتها إما حساً أو حكما.

ويلجأ الى الحروف المائية لدفع الامراض الحارة من حميات وغيرها ولتضعيف القوى الباردة حيث تُطلب مضاعفتها حساً أو حكماً .

وقد جاء في مقدمة ابن خلدون مايلقي شعاعاً على تاريخ هذه العلوم وذلك بقوله : ولما كانت هذه العلوم مهجورة عند الشرائع لما فيها من الضرر ولما يشترط فيها من الوجهة الى غير الله من كوكب وغيره كانت كتبها كالمفقود بين الناس إلا ماوجد في كتب الامم الاقدمين

وكانت هذه العلوم في أهل بابل من السريانيين والكلدانيين وفي أهل مصر

---

١ ـ Auguste Messer استاذ الفلسفة في جامعة جيسن (Giessen) .

من القبط وغيرهم وكان لهم فيها التآليف والآثار ولم يترجم لنا من كتبهم فيها الا القليل .

وقد جاء مسلمة بن احمدالمجريطي،إمام أهل الاندلس في التعاليم والسحريات فلخص جميع تلك الكتب وهذبها وجمع طرقها في كتابه الذي سماه غاية الحكيم ولم يكتب احد في هذا العلم بعده .

٥ **الاحجار والخرزات والرقى والعزائم والعوذة**: لقد تعلم الجاهليون ممن سبقهم من الاقوام ماتوهموا دفع الشر وجلب الخير به من وسائل[١] ووسائط لاتقع عند حصر منها ان اليشب[٢] يقي من العطش وان اليشم[٣] ينفع من الصرع وان الفيروز[٤] يحول دون المشاغبات بين الزوجين وان العقيق[٥] ييسر شفاء عضة الحيوانات وان الزمرد يحول دون أذى العائن . يدعي بعض مؤلفي الغرب ان هذه المزاعم انتقلت الى اوربا على يد فلكي عاش مابين سنة ٣٧٢ – ٢٨٧ ق م يدعى ته ثوفراست[٦] كما يزعمون بانها جاءتهم من الشرق بواسطة فيلسوف وجد قبل المسيح عليه السلام ببضع سنوات يدعى آبولونيوس دوتيان[٧] ساح في

---

١ ـ استعمل الفرنج من هذه الخرافات وسائل اطلقوا عليها كلمة Fétiche وهي مشتقة من كلمة Factus البرتغالية ومعناها الشيء المصطنع كما اطلقوا على غيرها كلمة Amulette من كلمة Amuletten اللاتينية وتعني إبعاد الشر وزعم بعضهم انها محرفة من كلمة حمولة العربية .

٢ ـ حجر كريم يماني يشبه الزبرجد لكنه اصفى منه Agate .

٣ ـ حجر كريم نقي Jade

٤ ـ الفيروز Tourquoise

٥ ـ ضرب من الفصوص

٦ ـ Théophroste

٧ ـ Apolonius de Tyane

بلاد الشرق وتعرّف على بابل والهند ثم عاد الى اوربا فقام بأفعال جعلت الناس تعتقد بقوته الساحرة وتؤمن بالاشياء التي قال عنها انها تحمل قوة قاهرة . لقد آمن بعض جاهليي العرب بالخرزات وغيرها وانكرها بعضهم ، أما الخرزات فانها على أنواع منها :

التميمة : هي خرزة رقطاء تنْظم في السير ثم يعقـــد في العنق وقيل هي قلادة يجعل فيها سيور وعوذ ، كان الأعراب يعلقونها على اولادهم واصحاب الآفة كالحمى والصرع يتقون بها المرض والعين[1] فجعلوها واقية من المقادير والموت .

السلوانة : هي خرزة يشفى بها المبتـــلى بالعشق فيسلو ويزول داؤه وهي بيضاء شفافة تعلق بالعنق وقد يسقى نقيـع مائها .

الهنمّة : هي خرزة يجتلب بها الرجال وتستعطف بها قلوبهم وتتقى بهـا الأمراض ورقيتها .

أخذّته بالهنمة ، بالليل زوج وبالنهار أمة .

الفطسة : هي خرزة يمرض بها العدو أويطلب بها من الزوج أن يفعل مايراد منه تقول الراقية[2] فيها :

أخذّته بالفطسة ،بالثوباء والعطسة فلا يزل في تعسه ، من أمره ونكره حتى يزور رمسه .

فهي بذلك تدعو عليه بملازمة التثاؤب والعطاس له حتى يفعل ما يراد منه .

---

١ - من (عان يعين عينا) الرجل اذا اصابه بعينـه فهو عائن والمصاب معين ومعيون والعيون الشديد الاصابة بالعين تقابل كلمة jettatore الايطالية وقد جاء عنها في قول سلمة بن الخرشب .

تعوذ بالرقى من كل عين وتعقد في قلائدهـــا التميم

٢ - الراقية مؤنث الراقي والراقي من يصنع الرقية وربما ضمن معنى قرأ .

العُقرة : هي خرزة تشدها المرأة على حقويها[1] فتمنع الحبل .
الكَرّار : خرزة تعلق بالعنق .
ورقيتها : يا كرارُ كرّيه ، إن أقبل فسريه وإن أدبر فضريه .
الخَصمة : هي خرزة للدخول على السلطان .
الوجيهة : خرزة حمراء كالعقيق تعلق للتوقي من الأمراض .
الكحلة : خرزة سوداء تجعل على الصبيان للوقاية .
ومن الرقى النشرة ضرب من الرقية والعلاج ،يعالج به من كان يظن ان به مسّ الجن وسميت نشرة لأنه يُنشر بها عنه ويحل عنه ماخامره من الداء[2] .
التولة[3] : وهي ضرب من الحرز للوقاية من السحر والأرواح الشريرة .

٦- **بعض أوهام الجاهليين في الوقاية والمعالجة** :اننا نكتفي بذكر بعضها لبيان طرافتها منها :

ان الغلام اذا سقطت له سن أخذها بين السبابة والابهام واستقبل الشمس اذا طلعت وقذف بها منادياً يا شمس ! ابدليني بسن أحسن منها، زعماً منهم أنه اذا لم يفعل ذلك ربما نبتت سنه الثانية مشوشة أو غير صحيحة وكانت العرب تعتقد أن دم الملك أو الرئيس يشفي من عضة الكلب لذلك كانوا يأخذون بضع قطرات من دم الملوك ويمزجونها بالماء ويسقونها للمصاب بالكلَب فيشفى على حد زعمهم[4] .

---

١ – الحقو : موضع شد الأزرار وهو الخاصرة .
٢ – جاء ذكر النشرة في قول جرير :
ادعوك دعوة ملهوف كان بـــه   مساً من الجن او ريحاً من النشر
٣ – التولة : جاءت ايضاً بمعنى ما يحبب المرأة للرجل او غيره .
٤ – وفي ذلك يقول الشاعر .
بناة مكارم وأساة جرح   دماؤهم من الكلب الشفاء
الأساة في البيت بمعنى الاطباء .

ومن مذاهبهم ان الرجل منهم كان اذا خدرت رجله او مذلت ، ذكر من يحب أو دعاه فيذهب خدرها ومن مزاعمهم ان الرجل منهم كان اذا عشق وافرط عليه داء العشق كوي بين اليتيه فيذهب داؤه[1] . وكانت العرب تعلق على الصبي سن ثعلب او سن هرة خوفاً من الخطفة والنظرة ويقولون ان جنية ارادت صبي قوم فلم تقدر عليه فلامها قومها من بني الجن فقالت تعتذر اليهم : كان عليه نُفَرَه ، ثعالب وهررة يعني كان عليه ما ينفّرني منه لأن اتعرض له . وتسمى هذه الأشياء التي تعلق على الصبي النفرات ، ومن مزاعمهم : اذا بثرت شفة الصبي حمل منخلاً على رأسه ونادى بين بيوت الحي الحلأ الحلأ[2] فتلقي له النساء كسر الخبز وأقطاع التمر واللحم في المنخل ثم يلقى للكلاب فتأكله فيبرأ من المرض فان أكل صبي من الصبيان من ذلك الذي القاه للكلاب ، تمرة أو لقمة بثرت شفته .

ومن مزاعمهم ان الرجل منهم كان اذا ظهرت فيه القوباء عالجها بالريق .

ومن مزاعمهم ان من ولد في القمراء تقلصت غرلته فكان كالمختون . ومن مذاهبهم التشاؤم بالعطاس وكانوا اذا عطس من يحبونه قالوا له : عمراً وشباباً واذا عطس من يبغضونه قالوا له : وريا وقحابا ، والوري كالرمي داء يصيب الكبد فيفسدها والقحاب كالسعال وزناً ومعنى فكان الرجل اذا سمع عطاساً

---

١ ـ قال اعرابي :

شكوت الى رفيقي اشتياقي	فجا آني وقد جمعا دواءا
وجاءا بالطبيب ليكوياني	ولا ابغي عدمتها اكتواءا
ولو اتيا بسلمى حين جاءا	لعاضاني من السقم الشفاءا

٢ ـ يشير الى ذلك شاعر في قوله :

الاحلا في شفة مشقوقة	فقد قضى منخلنا حقوقه

والحلأ : محركة العقبول وهو واحد العقابيل وهي بقايا العلة وما يخرج على الشفة عقب الحمى .

يتشاءم به قال : بكلابي ، شؤم عطاسك ، بك لا بي . ومن مزاعمهم ان الرجل منهم كان اذا اختجلت عينه[1] قال : أرى من أحبه فان كان غائباً توقع قدومه وان كان بعيداً توقع قربه ، وان كان مريضاً استبشر بشفائه وهذا الوهم باق في الناس اليوم . وهنالك مزاعم اخرى آثرنا ذكرها على الرغم من عدم اتصالها بالطب وذلك لأنها ما زالت شائعة بين الناس منها : انهم اذا رحل الضيف او غيره وأحبوا أن لا يعود كسروا شيئاً من الأواني وهذا ما يعمله بعض الناس اليوم أيضاً[2] . ويحق لنا ان نتساءل عن مصدر هذه الخرافات لدى الجاهليين هل هي من مبتكراتهم ام جاءتهم من غيرهم ويبدو انها انتقلت اليهم من كتب الامم الاقدمين قبل نبوة عيسى عليه السلام مثل النبط والكلدانيين واهل بابل الذين كان لهم فيها التأليف والآثار[3] .

ونرى من الفائدة ان ننهي ابحاث هذا الفصل السابقة ببعض ما جاء في كتاب الفهرست لابن النديم[4] عن اخبار المعزمين[5] والمشعبذين والسحرة واصحاب النيرنجيات[6] والحيل والطلسمات[7] . قال محمد بن اسحق النديم : زعم المعزمون ان الشياطين والجن والارواح تطيعهم وتخدمهم وتتصرف بين امرهم ونهيهم وزعمت السحرة انها تستعبد الشياطين بالقرابين والمعاصي وارتكاب

---

١ – قال احدهم : اذا اختلجت عيني تيقنت انني ارا كو ان كان المزار بعيدا

٢ – قال احدهم : ولا نكسر الكيزان في اثر ضيفنا ولكننا نكفيه زاداً ليرجعا

٣ – راجع للتوسع في مقدمة ابن خلدون بحث علوم السحر والطلسمات ص ٣٤٨ .

٤ – كتاب الفهرست ص ٤٢٩ .

٥ – يقصد بالمعزمين الراقين من الرقية والعزائم بمعنى الرقى .

٦ – نوع من السحر .

٧ – جمع طلسم تطلق على خطوط واعداد يزعم كاتبها أنه تربط بها قدرة الكواكب العلوية بالطبائع السفلية .

المحظورات مما لله جل اسمه في تركها رضا ، وللشياطين في استعمالها رضاً مثل اباحة الدم ونكاح ذوات المحرم وغير ذلك من الأفعال الشريرة وزعم الجميع من المعزمين والسحرة ان لهم خواتيم وعزائم ورقى وغير ذلك مما يستعملونه في علومهم وزعم طائفة من عبدة النجوم انهم يعملون الطلسمات على ارصاد الكواكب لجميع ما يريدونه من الافعال والتهيجات ،والعطوف والتسليطات، ولهم نقوش على الحجارة والخرز والفصوص وللهند اعتقاد في ذلك ، وافعال عجيبة ، وللصين حيل وسحر من طريقة أخرى ، وللهند خاصة علم التوهم ، ولها في ذلك كتب ، قد نقل بعضها الى العربي ، وللترك علم من السحر تكلم عن السحر فالشنانس فذكر خواص الأشياء والنيرنجات والطلسميات وتكلم عن الطلسمات بلنياس الحكيم وأروس وهما روميان (يونانيان) وكتب هرمس في النيرنجات والطلسمات وفي النشر والتعاويذ والعزائم ولفريقوبوس كتاب في الاسماء والتمائم والعوذ .

وقد اشتهر من السحرة ابن وحشية الكلداني وكان يدعي انه ساحر يعمل أعمال الطلسمات وله كتب فيها وفي السحر ،منها كتاب السحر الكبير وكتاب السحر الصغير وكتاب مذاهب الكلدانيين في الاصنام وكتاب الاشارة في السحر وكتاب أسرار الكواكب .

٧ـ الخرافات الطبية في بلاد الحضارة اليوم[١] : حارب الدين والعلم الخرافات ومع ذلك فما زالت معتقدة بين الناس . إن ما نسميه نحن الآن بالخرافات ظاهراً نكبر امرها باطناً ونعاملها معاملة الحقائق لا الأوهام مع أن عصرنا عصر النور والحضارة والعرفان .

١ ـ من مقال للمقتطف عنوانه الخرافات في بلاد الحضارة مجلد ٤٩ ص ٣٥١ .

سر أينما كان من اوروبا تجد ما يدهشك من آثار تشبث أهلها بالخرافات واعتقادهم بشفاء الأمراض بقوة خارقة سرية وأذى العين واتقائها بالتعاويذ والرقى والتمائم والسحر والشعوذة الى آخر ماهنالك . ومن خرافاتهم أن حمل أشعار الدببة مبشر بالخير دافع للضر وكذلك شأن الأقمشة التي يلامسها هذا الحيوان وهذا الوهم شائع في بعض قرى الغرب . وقد جاوزت هذه السخائف البلاد القديمة العهد بالحضارة الى الحديثة العهد وانتقلت بمثل العدوى من رؤوس الجهلاء الى رؤوس العقلاء ، ويُعتقد في أكثر بلدان العالم بتعليق قطع معدنية بشكل نعل الفرس في الدور لرصد الشرر المتطاير من العيون ويحمل بعضهم أمتعة تمثل رأس الشيطان أو غير ذلك من أشياء مستهجنة ، واذا مر قوم بمن لاتروقهم مصادفته لمسوا الخشب اعتقاداً منهم ان ذلك ينجيهم من الشر الذي قد يأتيهم من شؤم عابر السبيل الذي مر بهم .

وفي امريكا يعتقدون بصنوف عديدة من علامات الفأل والشؤم أو السعد والنحس ومن أشهر تلك العلامات وأكثرها شيوعاً بينهم ان الرقم ١٣ رقم نحس فالسياح منهم لاينزلون في غرفة عددها ١٣ في الفنادق أو البواخر والمتعلمون رجالاً ونساء لايجلسون على مائدة عدد الآكلين حولها ١٣ . وترى المنجمين وقراء الكف والجمجمة والعائفين والقافة زاهين زاهرين في كل بلدة وقد بلغ التنجيم غايته في بلد أكب علماؤه على درس علم الفلك حتى ان الصحف اليومية تنشر جدولاً يومياً للطوالع تزعم انه مبني على حسابات فلكية وكثيراً ماتنشيء مقالات طويلة في تكهنات ما انزل الله بها من سلطان وكل سنة تصدر في أمريكا كتب في التنجيم بتصرف كاتبوها في هذا البحث كأنه من مباحث العلوم القانونية وفروعها الرسمية وكثيراً ماتقرظ هذه الكتب في اعظم المجلات فتقدم للجمهور ككتب

باحثة عن تأثير الكواكب في الناس واعمالهم وحركاتهم وسكناتهم وقد قيل ان هنالك كلية للتنجيم وهي في نمو وازدياد ولها اساتذة خاصون بها . وقدتجمع المعرفة والعرافة في صفحة واحدة من صفحات بعض المجلات المحترمة .

وخلاصة القول أن تصديق الخرافات صفة قديمة رسخت في النفوس بمرور القرون الكثيرة عليها فلا تزول منها ،لا بأثر العلم ولا اثر الدين والغريب في امر المعتقدات الخرافية ان جماعة من اكبر العلماءوارسخهم في العلوم الطبيعية كعبا لايستطيعون ان يحرروا انفسهم من قيد الخرافات مع محاولتهم ذلك فما قول القاريء بجماهير العامة السريعة التصديق . وفي كل بلد نجد فئة من اصحاب الغرض الاذكياء الذين يرون موضع الضعف هذا من الجماهير فيتخذونه آلة للكسب وجر الربح وهي فرصة سانحة لهم وهم اقدر الناس على اقتناصها فلا يتركونها تفلت من ايديهم .

طبقات الاطباء العرب قبل الاسلام : عرف منهم لقمان بن عاد الملقب بالحكيم وكان يقيم في بلاد الشام ودامیان وكوسم وزهير بن جناب وحذيم وزينب .

لقمان الحكيم : كان لقمان عبداحبشياً جاء ذكره في القرآن الكريم بقوله عز وجل : « ولقد آتينا لقمان الحكمة » « وإذ قال لقمان لابنه وهو يعظه»[1].

واننا لذاكرون من حكمه ما له صلة بالطب والنفس فقد روي عنه انه بينما هو مع مولاه إذ دخل المخرج فأطال فيه الجلوس فناداه لقمان قائلًا : انطول الجلوس على الخلاء يتجع منه الكبد ويورث الباسور ومن أقواله ليس مال كصحة ولا نعيم كطيب عيش ، ومنها لا تقلق نفسك بالهموم ولا تشغل قلبك

---

١ - سورة لقمان ٣١ آية ١٢ وآية ١٣

بالاحزان ، كل داء حسم بالكي آخر الأمر ومنه المثل : آخر الدواء الكي واياك والطمع وارض بالقضاء واقنع بما قسم الله لك ،يصف عيشك وتسر نفسك ، وتستلذ حياتك ويروى ان قال له مولاه اذبح لنا شاة وائتني بأطيب مضغتين وأخبث مضغتين فيها فجاء باللسان والقلب فقال له أمرتك ان تأتيني بأطيبها



الشكل (١٤)
صورة تبين عناية الشقيقين بأحد المرضى

وأخبثها فاتيتني باللسان والقلب فقال : انه ليس بأطيب منهما اذا طابا ولا أخبث منهما اذا خبثا .

داميان وكوسم : عد داميان وكوسم ابوي الطب والصيدلة وهما شقيقان توأمان عربيان عاشا في سورية حوالي السنة الثلاثمائة بعد الميلاد ، خبرا الطب والصيدلة ، عالجا المرضى بتوفيق عجيب ، ورثا عن أصولهما ثروة طائلة صرفاها في

عمل الخير وفي الانفاق على المرضى . اعتنقا المسيحية فكانا من العناصر المبشرة بها وقد عذبا بسبب عقيدتهما من قبل حكام الرومان المناهضين للديانة الجديدة حتى مـــاتا في سبيل النصرانية وبقي ضريحاهما محجة المرضى المزمنين . ويحـدث التاريخ ان الامبراطور جوستينيان[1] نال بقدسية مثواهما البرء من مرض خطر ألم به لذلك عمر المدينة التي طبا فيها وجمّلها بكنيسة زينت باسمهما كما أشـــاد على شرفهما كنيسة أخرى في العاصمة البيزنطية وألحق بها صيدلية ومستشفى وقد نقلت في زمن البابافيليكس[2] رفاتهما الى رومـا حيث شيدت فيها كنيسة خلدت ذكراهما . شغلت سيرة داميان وكوسم عدداً من الفنيين الرسامين كبوتيشللي[3] وميكائيل آنج[4] وتينتورل[5] وتيتيان[6] وفراانجليكو[7] فأوحت اليهم تخليــــد صورهما في لوحات فنية رائعة تمثل احداهما اداميان قائماً بعمل صيدلاني وكوسم منكباً على قارورة يفسر فيها تشخيص المرض .

زهير بن جناب بن هبل الحميري : كان من معمري العرب ويقال كانت فيه عشر خصال لم يجتمعن في غيره من أهل زمانه منها انه كان سيد قومـه ، وشريفهم وخطيبهم وحازي[8] قومه وفارس قومه وله البيت فيهم والعـدد منهم ومما جاء في وصيته الى بنيه :

يا بني إني قـد كبرت سني فأحكمتني التجارب والأمور فاحفظوا عني ما أقول وعوه : اياكم والخور عند المصائب ، والتواكل عنـد النوائب فإن ذلك

---

١ ـ Justinien
٢ ـ Fèlix
٣ ـ Botticelli
٤ ـ Michel Ange
٥ ـ Tintorel
٦ ـ Titien
٧ ـ Fra Angelico
٨ ـ الحازي : الكاهن .

داعية للغم وشماتة للعدو ، وايا كم أن تكونوا بالاحداث مغترين ، ولها آمنين ، ومنها ساخرين فإنه ما سخر قوم قط الا ابتلوا ولكن توقعوها فإن الانسان غرض[1] تعاوره الرماة ،فمقصر دونه ، ومجاوز لموضعه، وواقع عن يمينه وشماله، ثم لا بد أن يصيبه . لم يكن في العرب انطق من زهير ولا اوجه منه عند الملوك وكان لسداد رأيه يسمى كاهناً وكان سيداً مطاعاً شريفاً في قومه . كان طبيبهم والطب في ذلك الزمن شرف ، عاش حتى هرم وذهب عقله فلم يكن يخرج الا ومعه بعض ولده او ولد ولده قيل انه عاش ثلاثمائة سنة وخمسين عاما كما زُعم أن زهيراً عاش أربعمائة سنة وعشرين سنة . وليس طول العمر الى هذا الحد معقولاً وترد في نظرنا مزاعم طول البقاء في القديم الى احد امرين اوالى كليهما معاً.

١ - ان سنة التاريخ القديم قد تكون غير سنتنا وهذا ما يراه بعض البحاثين.

٢ - خطأ طريقة حسابهم الاعمار، إذ كانوا يعتمدون على الانسر وعلى عمرها وهو ثمانون عاماً فيأخذون فرخ النسر الذكر فيعيش ما عاش فاذا مات أُخذ آخر كما يستدل من أقوال الضبي والاعشى[2] ولبيد في ذلك. ولا شك أن هذه الطريقة عرضة لأخطاء كثيرة وهي السبب في الزعم بالتعمير المديد في التاريخ القديم وذلك لانه اذا كانت مدة حياة النسر المتوسطة ثمانين عاماً كما زعموا فقد يموت النسر أو يهرم في عشر سنين أو أكثر أو اقل .

ابن حذيم : كان لابن حذيم قدم راسخة في علم الطب وله فيه اطول باع وهو رجل من تيم الرباب كان أطب من الحرث بن كلدة وكان أطب العرب .

---

١ - الغرض : كل ما نصبته للرمي .

٢ - قال الاعشى مشيراً الى طريقة حساب العمر بالأنسر :

لنفسك اذ تختار سبعة أنسر	اذا ما مضى نسر خلوت الى نسر
فعمر حتى خال ان نسوره	خلود وهل تبقى النفوس على الدهر

اختلف الرواة في اسمه فقال بعضهم انه حذيم واستندوا في ذلك الى المثل السائر فيه وهو: أطب من حذيم وقال الآخرون انه ابن حذيم حذف منها المضاف.

وفي كل حال ان كلمة حذيم تدل على الحذق ولما كان الطبيب المذكور حاذقاً في صنعته فقد عُرّض بصنعته دون النظر الى اسمه الاصلي أكان حذيماً أم ابن حذيم.

بنت عامر بن الظّرب العدواني: حكم عامر بن الظرب العدواني العرب في الجاهلية وكانت بنته من حكيمات العرب حتى جاوزت في ذلك مقدار صُحْر بنت لقمان وهند بنت الحسن وخُمُعَة بنت حابس بن مليل الإياديَّيْن.

زينب طبيبة بني اود: كانت عارفة بالاعمال الطبية خبيرة بالعلاج ومداواة آلام العين والجراحات مشهورة بين العرب[1]:

خلاصة القسم الثالث: كان طب الجاهلية مبنياً على تجارب قاصرة ووصفات متوارثة

علوم الطب الجاهلي الباطلة والخرافات الطبية: شعر الانسان منذ وجوده بنعيم العافية وشقاء المرض لذلك سعى الى المحافظة على صحته باجتناب ما يؤذيها والتشبث بما يديمها وقد عزا الامراض التي تنتابه او البؤس الذي يحل به الى عوامل معروفة فكافح في سبيل التخلص منها ورأى أن هنالك اسباباً للشقاء والداء، عواملها مجهولة لديه فنسبها الى قدرة خارقة من ارواح شريرة وغير ذلك من قوى لا تخضع لسلطته فقاومها بما أُوحي اليه من وسائل غريبة آمن بحسن فائدتها فكان من ذلك القيافة والفراسة والكهانة والعرافة والزجر والعيافة والتنجيم والسحر والطلسم وعلم الحرف والرقى والتمائم والعوذة بما توهمه وما زال يتوهمه الانسان دافعاً للأذى، مديماً للصحة، شافياً للمرض، جالباً للحظ وداعياً للتفاؤل

---

١ – قال فيها ابو سماك الازدي:

اختر مني ريب المنون .. ولم ازر   طبيب بني اود على النأي زينبا

وهذا ماجعل الاطباء في الماضي ثلاث فئات : فئة اولى تعالج بالنصح والارشاد وفئـة ثانية تداوي بالادوية وفئة ثالثة تعتمـد في الوقاية والشفـاء على سبل خارقة للعادة :

١ القيافة : هي الاستدلال باعضاء الأشخاص على سائر أحوالها والاتحاد بينها وهي على نوعين قيافة الأثر وقيافة البشر .

٢ ـ الفراسة هي الاستدلال بهيئة الانسان وأشكاله وألوانه وأقواله على صفاته. وامراضه فهي صناعة صيادة لمعرفة اخلاق الانسان واحواله .

٣ ـ الكهانة هي ادعاء علم الغيب واعطاء الخبر عن الكائنات في مستقبل الزمان ، ومعرفة اسرار الانسان وما يتعرض له من امراض وغيرها وما يخبؤه له الغد من هناء او بلاء ويسمى متعاطى الكهانة كاهناً . وقـد سمى عرب الجاهلية كل من تعاطى علماً دقيقاً كاهناً وهكذا سمو المنجم والطبيب كاهناً ايضاً .

٤ ـ العرافة هي الاستدلال على الامور الماضية او الحاضرة او المقبـلة بأسباب ومقدمات وقد سمى عرب الجاهلية الطبيب عرافاً ايضاً .

٥ ـ الزجر : هو الاستدلال بأصوات الحيوانات وحركاتها وسائر احوالها وخاصة طيرانها على حاضر الانسان ومستقبله بما في ذلك مرضه وشقاؤه او موته ويسمى المتكهن بالطائر وغيره عائفاً وزعموا انه إذا أنّ ديك في دار فشا فيهـا مرض الرجال واذا أنت دجاجة فشا فيهـا مرض النساء وأنه اذا أكثر البوم الصراخ في دار برىء مريض، إن كان فيها . ويعتقـد في صراخ البوم غير ذلك في بلاد كثيرة حتى اليوم .

٦ ـ التنجيم : زعموا ان بين طلوع النجوم وغروبها امراضاً واوبئة وعاهات وكانوا ينسبون الى النجوم التأثيرات من خير وشر .

٧ ـ السحر : هو اراءة الباطل في صورة الحق ويتم برقى وعزائم وعقـد زعموا انها تؤثر في الابدان فتمرض او تقتل او تميت او تفرق .

٨ ـ **الطلسم**: هو اظهار أمر عجيب بالاستعانة الى الجمع بين مفعول العقاقير الارضية ومؤثرات الكواكب العلوية كما يطلق على خطوط واعداد يزعم كاتبها أنه يربط بها قدرة الكواكب العلوية بالطبائع السفلية .

٩ ـ **اسرار علم الحرف** : يزعم محترفو هذا العلم ان للحروف قوة كليـة تمزج بقوى الكواكب فيرشدهم هذا المزج الى المغيبات ويدلهم على المقدرات .

١٠ ـ **الاحجار والخرزات** زعموا ان حمل اليشب يقي من العطش وان فصّ اليشم ينفع من الصرع وان الفيروز يوفق بين الزوجين وان العقيق ييسر الشفاء وان الزمرد يحول دون اذى العائن وأن التميمة وهي خرزة رقطاء واقية من المقادير والموت وأن السلوانة وهي خرزة بيضاء شفافة يشفى بها المبتلى بالعشق وان خرزة الفطسة يمرض بها العدو وأن العقرة خرزة تمنع الحبل وان خرزة الوجيهة وهي حمراء كالعقيق تعلق للتوقي من الأمراض وان التولة خرزة للوقاية من السحر والارواح الشريرة

ومن مزاعمهم ان دم الملك او الرئيس يشفي من عضة الكلب وأن الرجل اذا اختلجت عينه استبشر برؤية حبيب او قدوم قريب او شفاء عليل . ويبدو أن هذه الخرافات انتقلت الى الجاهليين من الأمم التي سبقت نبوءة عيسى عليه السلام.

الخرافات الطبية في زماننا : حارب الدين والعلم الخرافات ومع ذلك فانها ما زالت معتقدة بين الناس سواء في الغرب او في الشرق . وتعلق في اكثر بلدان العالم قطع معدنية بشكل نعل الفرس على الدور لرصد الشر المتطاير من العيون ، واذا مر قوم بمن لا تروقهم مصادفته لمسوا الخشب اعتقاداً منهم ان ذلك ينجيهم من الشر الذي قد يأتيهم من شؤم عابر السبيل ويعتقد الاميركيون بصنوف عديدة من الفأل والشؤم ومنها التشاؤم من الرقم الثالث عشر (١٣) والواقع ان تصديق الخرافات صفة قديمة قد تأصلت في النفوس تستثمرها فئة

من أصحاب الغرض الأذكياء الذين يرون موضع الضعف هـــذا من الجماهير فيتخذونه آلة للكسب وجر الربح وهي فرصة سانحة لهم وهم أقدر الناس على اقتناصها فلا يتركونها تفلت من أيديهم .



الشكل (١٤)

صورة تمثل مشعوذاً يقدم قطعة قماش لامست الدب لكل من السيدتين الواقفتين أمامه

أطباء العرب قبل الاسلام : منهم : **لقمان الحكيم** : كان عبداً حبشياً جاء ذكره في القرآن الكريم ،له أقوال طبية مأثورة منها قوله كل داء حسم بالكي آخر الامر ومنهم **داميان و كوسم** وهما شقيقان توأميان عربيان،عدا أبوي الطب والصيدلة،عالجا المرضى بتوفيق عجيب،صرفا ثروتهما الطائلة في الانفاق على المرضى، اعتنقا المسيحية فكانا من العناصر المبشرة بها وقد عذبهما الرومانيون بسبب ذلك ومنهم **زهير بن جناب بن هبل الحميري** : كان من معمري العرب وكان سيد قومه وشريفهم وخطيبهم وحازيهم وفارسهم وطبيبهم وكان الطب في زمانه شرفاً ومنهم **ابن حذيم** : يقال أنه كان اطب من الحرث بن كلدة وقد زعم ابن السكيت ان الطبيب هو حذيم لا ابن حذيم ومنهم **زينب** : طبيبة بني أود اشتهرت بالكحالة والجراحة .

القسم الرابع

الطب في ظل الأديان والإيمان

لم تخل شريعة من الشرائع السماوية ولا دين من الأديان الالهية من أسس صحية قويمة تهدف الى اصلاح الفرد جسماً ونفساً والى اصلاح الجماعات باصلاح الأفراد .

يشتمل هذا القسم على بابين يبحث : أولهما عن الأنبياء وطبهم وعن طبقات الأنبياء الذين مارسوا الطب . وثانيهما عن اليعاقبة والنساطرة وعن طب الأديرة .

الباب الأول

الأنبياء وطبهم وممارسوه منهم وخوارق الشفاء ، الصحة والطب في الكتاب المقدس

أ ـ الأنبياء والرسل : الأنبياء والرسل في نظر علماء العرب والاسلام أشخاص اصطفاهم الله سبحانه من البشر وفضلهم بخطابه وفطرهم على معرفته وجعلهم وسائل بينه وبين عبـــاده ، يعرّفونهم بمصالحهم ويعلمونهم سبل الخير ويرشدونهم الى سواء السبيل ويدلونهم على طريق النجاة .

يتفق تعريف الرسل والأنبياء الذي ذكرناه مع ما سماه عظيم كتاب العالم

نيتشه[1] بالانسي الاسمى الذي يعيش بجسمه كانسان ويلامس بكمال عقله ودقة فكره القدرة الالهية فيكون حلقة الوصل بين الرب القدير والانسي البشير .

يقول فلاسفة العرب ان العلة الموجبة لاختلاف الاخلاق في الانسان والى تنوعه هي النفس[2] وان للنفس ثلاث قوى وهي القوة الشهوانية والقوة الغضبية والقوة الناطقة ، وجميع الاخلاق تصدر عن هذه القوى .

اما القوة الشهوانية فهي للانسان ولسائر الحيوان وهي التي تكون بها جميع اللذات والشهوات الجسمانية كالقرَم الى المآكل والمشارب وهذه القدرة قوية جداً فاذا لم يقهرها الانسان ويؤدبها ملكته واستولت علية وانقاد لها وكان بالبهائم اشبه منه بالناس فهو الانسان الخالص الحيوانية .

فأما القوة الغضبية فيشترك فيها ايضاً الانسان وسائر الحيوان وهي التي بها يكون الغضب والجرأة ومحبة الغلبة وهي اقوى من القوة الشهوانيـة وأضر للمجتمع ولصاحبها اذا ملكته وانقاد لها . واذا استمرت في الانسان وسيطرت عليه كان بالسباع أشبه منه بالناس[3] .

وأما القوة الناطقة وهي التي بها يتميز الانسان من جميع الحيوان وهي التي بها يكون الفكر والذكر والتميز والفهم وهي التي بها شرف الانسان وعظمت همته ، بها تستحسن المحاسن وتستقبح القبائح وبها يمكن للانسان ان يهذب قوتيه الأخريين وهما الشهوانية والغضبية ويضبطها ويُكيّفها .

---

١ — Nitchet

٢ ـ راجع للتوسع كتاب تهذيب الاخلاق للعلامة الجاحظ ورسالة كيمياء السعادة للامام الغزالي .

٣ ـ يتابع الجاحظ حديثه عن هذا النوع من الانسان فيقول : فربما دعا ـ هذا الانسان ـ قوماً الى حمل السلاح فأقدموا على القتل والجراح .

تلك هي القوى المسيطرة على الانسان والتي تسمح بتصنيفه الى الانسان الحيوان والانسان السبع والانسان الكامل .

أين تأتي فئة الأنبياء بين هؤلاء ؟ مما لا شك فيه انهافئة ، تميزت من أنواع الانسان التي ذكرناها ، بأن القوة المدركة البصيرة في أفرادها طغت على القوتين السابقتين فهي تأكل مثلاً لا للذة ، بل لتأمين الحياة وهي تغضب لا لمصلحة انانية ، بل لاقامة العدل في كل مكان ، وتأييد الحق في كل زمان وإسعاد الانسان من أي عرق أو لون كان ، لا يقف ارشادها وعملها لتوفير رغد العيش الى فئة من الناس دون الآخرين او على حساب الآخرين ، فارشادها وهديها ونصحها موجه للناس أجمعين ، لا تفرق بين أُناس وأناس . وقد تحلت هذه الفئة من البشر بنقاء السريرة وطهارة الضمير والجرأة والاقدام وبالمجاهرة بالدعوة الى الحق والعدل والمساواة بين الناس .

يعالج العلم الحديث انواع الانسان فيقرر ان الانسان جسم ونفس[1] ويقول بتنوع البشر باختلاف حدود النفس في أفراده[2] فهي في بعضهم محدودة تلبس الجسم فلا تتعدى حدودها حدوده ، وتحرك عناصر الجسم وأعضاءه لتأمين حاجاته وتلبية رغباته وقضاء شهواته . ان هـــذه الزمرة من الاشخاص هي كالسائمة بل اضل منها سبيلا . ان حدود النفس في البعض الآخر أوسع مدى من ذلك ، وتختلف من انسان الى انسان فان كانت النفس صالحة أرشدت الى

---

١ ـ يقول ابو الفتح علي بن محمد البستي في ذلك :

أقبل على النفس فاستكمل فضائلها　　　فأنت بالنفس لا بالجسم إنسان

٢ ـ راجع للتوسع كتاب الإنسان ذلك المجهول تأليف الكسيس كارل ص٢٤٧

أ ـ بحث حدود الانسان التشريحية وحدوده الروحية

ب ـ بحث حدود الانسان في الزمان والفضاء

الحرية والاخاء ودعت الى العدل والتعاطف وغير ذلك من الصفات الانسانية العليا ، وقد تكون سعتها بالغة حداً كبيراً فتنفع المجتمع انتفاعاً يختلف مداه وشمول خيره للناس ، وهناك فئة ثالثة ، تصحح بنور البصيرة قصص الماضي وتحدث بنور العين الباصرة عن سير الحاضر وتنبىء عن وقائع المستقبل وتنافس بعملها للخير والمجتمع أعظم عمل انساني مهما كانت غايته . هذه الفئة من الناس هي فئة الرسل والأنبياء وقد خص الله الشرق بهم ، اولئك هم الرسل والأنبياء في رأي المؤمنين من علماء اليوم ، اولئك هم البشر الممتاز في رأي العلماء الباحثين فيهم بحثاً مجرداً عن الايمان ، اولئك هم العباقرة الخالدون والعظماء الباقون في رأي الكتاب والمؤرخين على اختلاف مللهم ونحلهم ومعتقداتهم . جاء هؤلاء الرسل بشرائع يكمل بعضها بعضاً في هدي الانسان فهم فروع دوحة تُسقى بنور من فيض الاله ليعم طيب اريجها الفضاء ، وليستظل بوارف ظلها العالم وينعم بثمرها سكان الغبراء على مدى الايام ومرور الزمان .

ب ـ طبقات الرسل والأنبياء الذين مارسوا الطب : عانى عدد كبير من الأنبياء والرسل عليهم السلام الطب قولاً وعملاً .

ادريس عليه السلام : ولد بمصر وسموه هرمس الهرامسة وسماه الله عز وجل في كتابه العربي المبين ادريس[1] لكثرة درسه الكتب ، تعلم في مصر ثم خرج منها وجاب في الارض وقيل : انه ولد ببابل ونشأ بها ولما كبر ادريس آتاه الله النبوة فنهى المفسدين فأطاعه أقلهم وخالفه جلهم فنوى الرحلة عنهم ، وأمر من أطاعه منهم بذلك فثقل عليهم الرحيل عن أوطانهم فقالوا له اين نجد

١ ـ كتاب اخبار الحكماء لابن القبطي ص ٢ وقد جاء ذكره في القرآن الكريم بقوله عز وجل : « واذكر في الكتاب ادريس انه كان صديقاً نبياً ورفعناه مكاناً عليا » سورة مريم ١٩ (آية) ٥٦ ، ٥٧

اذا رحلنا مثل بابل وبابل و كأنهم عنوا بذلك دجلة والفرات فقال : إذا هاجرنا لله رزقنا غيرهـا فخرج وخرجوا الى أن وافوا مصر فرأوا النيل فقال : نهر مبارك . وكان في سفره بطبيعة الحال مرشد قومه وطبيبهم . أقام ادريس ومن معه بمصر يدعو الخلائق الى الامر بالمعروف والنهي عن المنكر وعلـّمهم العلوم الطبية وغيرها وهو أول من استخرج الحكمة وعلم النجوم وعدد السنين والحساب ، وحضّ على الزهد والعدل وأمر مطيعيه بصيام أيامٍ معروفة من كل شهر وحثهم على الجهاد وأمرهم بزكاة الأموال معونةً للضعفـاء وشدد عليهـم في الطهارة وحرم عليهم السكر . كان ادريس متأنياً في كلامه كثير الصمت ، كانت مدة مقامه في الأرض اثنين وثمانين سنة و كانت له مواعظ وآداب تجري مجرى الأمثال والرموز فمن ذلك قوله : حياة النفس بالحكمة . ويعتبر ادريس اول من نظر في الطب وتكلم فيه وخط بالقلم [1] و كان مسكنه صعيد مصر . تنبأ بالطوفان وخاف ذهاب العلم ، فبنى البرابي [2] وصور فيها جميع الصناعات وصانعيها نقشاً ، وصور جميع آلات الصناع وأشار الى صفات العلوم برسومٍ لمن بعده ، خشية ان يذهب رسم تلك العلوم و كان أول من خاط الثياب ولبس المخيط .

أيوب عليه السلام [3] كان ابوه كثير المال والماشية ، لم يكن في ارض الشام أغنى منه فلما مات صار ذلك جميعه لأيوب و كان يومئذ ابن ثلاثين سنة

---

١ - نهاية الارب ج ١٣ ص ٣٨ .

٢ - البرابي يقول صاحب معجم البلدان البرابي بالفتح وبعد الألف باء أخرى وهو جمع بربا كلمة قبطية وأظنه اسماً لموضع العبادة او البناء المحكم .

٣ - نهاية الاوب ج ١٣ ص ١٠٧ وقد اثبتنا ماله صلة بالطب من سيرته لانها تبحث عن الاستشفاء بالمياه .

فتزوج رحمة فرزقه الله منها اثني عشر بطناً ثم بعثه الله تعالى الى قومه رسولاً وهم أهل حوران والبَثينية ، كان حسن الخَلق والخُلُق ، شرع لقومه الشرائع ووضع موائده للفقراء والاضياف ، نُعت بالصبر إذ تحمل ذهاب الاموال والأولاد وبلاء المرض . وقد بُشر بالشفاء وشُفي بماءٍ أذهب عنه ماحل به من آفات وقد دفن الى جانب العين التي اذهب الله بلاءه فيها .

سليمان عليه السلام ان في سيرة سليمان مايبين تعرفه على منافع النباتات وفعلها الشافي في الامراض .

موسى عليه السلام مرض موسى فذُكر له الدواء فأبى ولما طالت علته أوحي اليه من بارئه : وعزتي وجلالي لا أبريك حتى تتداوى ، أتريد أن تبطل حكمتي .

عيسى عليه السلام لقد كان عيسى عليه السلام من أكثر الرسل أثراً في تبيان مايحدثه وحي النفس الطاهرة في جسم الانسان من مظهر خارقٍ للعادة يضمن تنشيط الكامن من أعضائه ، وتنبيه عمل المعطل من أحشائه ، فتعود بالدعاء والايحاء الى سيرتها الطبيعية وعملها الرتيب . لقد كان شفاء البكم والعميان والزمنى والمقعدين من بعض ماظهر من معجزاتٍ على يدي هذا الرسول الحليم[1] . وقد خصص كتاب نهاية الأرب فصلاً أتى فيه على ذكر ماظهر لعيسى من معجزات حين خروجه مع أمه مريم عليها السلام الى مصر نذكر واحدة مما له صلة بالطب منها .

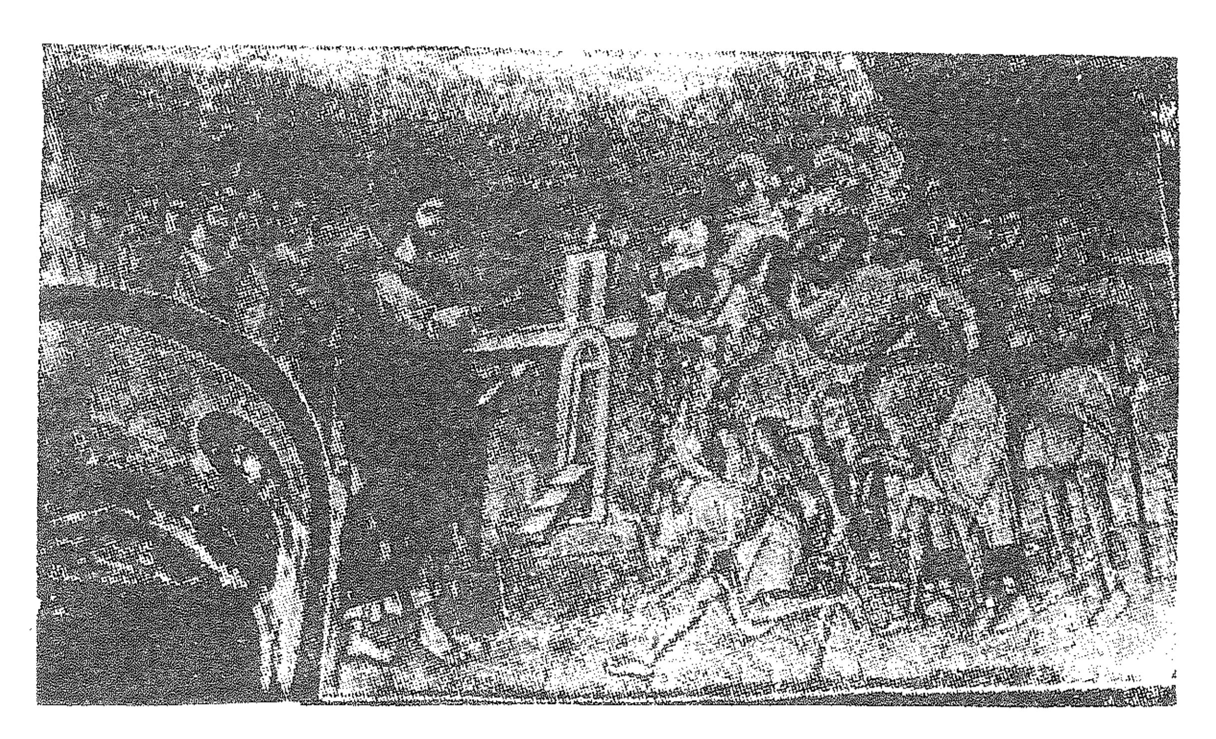
قال المؤلف شهاب الدين احمد بن عبد الوهاب النويري : ثم ساروا حتى دخلوا قرية عامرة وقد اجتمع الناس على باب ملكها ومعهم صنم من حجر وهم يبكون

---

١ - كتاب قصص الانبياء المسمى بالعرائس تأليف الامام العلامة ابن اسحق احمد بن محمد ابراهيم الثعلبي ص ٢٩٦ .

ويسجدون لذلك الصنم فقال عيسى عليه السلام: ماشأنكم أيها القوم ؟ فقالوا ان امرأة هذا الملك قد عسر عليها وضع الولد ، وقد أمرنا الملك أن نسجد لهذا الصنم ونسأله أن يخفف عنها ماهي فيه .

قال عيسى : اذهبوا الى الملك وقولوا له : لو وضعت يدي على بطنها يخرج الولد عاجلا فأخبروا الملك فقال : ائتوني به ، فأدخلت مريم وعيسى على الملك



الشكل (١٥)

صورة المسيح عليه السلام يعالج المرضى

فعجب من نطقه وأُدخل على المرأة ، فقال عيسى ، ان خرج مافي بطنها أتؤمن بربي قال : نعم ثم وضع يده على بطن المرأة وقال : أيها الجنين ، بالذي خلق الخلق وأسبغ عليهم سعة الرزق ، أخرج ، فخرج الولد فهمّ الملك أن يؤمن . فقال وزراؤه ان هذه المرأة ساحرة وهذا الصبي مثلها وقد طردوهما من بيت المقدس ومازالوا به حتى ردوه عن الايمان .

قال الكسائي : ثم أوحى الله تعالى الى عيسى عليه السلام بعد أن تمت له ثلاثون سنة أن يبرز الى الناس ويدعوهم الى الله تعالى فكان يسير في البلاد ويدعوهم الى الله ويزهدهم في الدنيا ويضرب لهم أمثالا ويداوي المرضى والزمنى ويبرىء الأكمه والأبرص فأحبه الناس وسكنوا اليه وكثرت اتباعه وعلا أمره . قالوا : وربما اجتمع عليه من المرضى والزمنى في الساعة الواحدة خمسون الفا ، فمن أطاق منهم أن يبلغه بلغه ، ومن لم يقدر على ذلك أتاه عيسى يمشي اليه وانما كان يداويهم



الشكل (١٦)

صورة المسيح عليه السلام يعالج الزمنى

بالدعاء بشرط الايمان . وكان الغالب على زمن عيسى الطب فأراهم الله تعالى المعجزة من جنس ذلك . وقد أشار القرآن الكريم الى شفاء الناس على يدي عيسى عليه السلام بالآية الكريمة : « وتبرىء الأكمه والأبرص باذني »[1] .

محمد صلى الله عليه وسلم تعاطى الطب وجمعت أقواله فيه وأقر حسنات

---

١ - سورة المائدة (٥) الآية ١١٣ .

طبه عظماء ، من البحاثين الغربيين ، واننا سوف نعالج موضوع طب النبي العربي في القسم المخصص بالبحث عن الاسلام والطب عند العرب والمسلمين .

ج - الآراء العلمية الحديثة في حوادث الشفاء الخارقة : الامراض على ثلاثة أنواع منها ما يُحدث تغييراً في بناء الجسم وتعرف هذه الامراض بالأمراض العضوية وتصحبها تبدلات تشريحية وآفات نسيجية في أحد أعضاء الجسم أو بعضها ، ومنها ما يُحدث اضطراباً في وظائف أعضاء الجسم فتفرط في عملها[1] أو تفرّط[2] في اداء وظيفتها فينتج من هذا وذاك حالات مرضية تكون في بدء امرها غير مصحوبة بأفات نسيجية وتبدلات تشريحية وتدعى هذه الامراض بالامراض الوظيفية ولكنها لا تلبث بعد زمن قصير أو مديد أن تحدث تغيرات نسيجية فتصبح بذلك في عداد الامراض العضوية . ومنها أمراض تبدو بعلامات واعراض لا يناسبها تبدل تشريحي أو آفة نسيجية او اضطراب وظيفي وتعرف هذه الامراض بالامراض النفسية وهي على أنواع عديدة ، بعضها بسيط الأثر في الانسان وبعضها شديد الاثر فيه . ومما لا شك فيه ان اطار الامراض النفسية يضيق بتقدم الفن بينما يتسع إطار الامراض العضوية ولا سيما الامراض الوظيفية .

إن شفاء الامراض النفسية المستعصية على الطب بتأثير الايمان أو الايحاء أمر لا يعد في نظر الطب والاطباء خارقاً للعادة ولكنه في نظر الناس اجمعين أمر خارق للعادة وما قيل عن شفاء الامراض النفسية يصح الى حد كبير في شفاء الحالات الناتجة عن اضطراب وظائف الاعضاء ، ولا سيما الغدد الصم ، شفاءاً يبدو في نظر الناس خارقاً للعادة ولكنه في نظر الطب والاطباء أمر عجيب مع

---

١ - ونقصد بذلك ان عملها يكون ناشطاً نشاطاً يفوق الحد الطبيعي ويؤدي الى حالة مرضية وظيفية .

٢ - ونقصد بذلك ان عملها يكون مقصراً عن الحد الطبيعي مما يؤدي الى حالة مرضية وظيفية.

أنه غير نادر الوقوع . أما شفاء الامراض العضوية المصحوبة بآفات خلوية فهو أمر خارق للعادة في نظر الناس والعلماء ولا سيما الاطباء منهم .

يقول العالم الحيوي الكسيس كارهل[1] في هـذا الصدد ان حوادث الشفاء الخارق[2] واقعة وان كانت نادرة وهي تدل في كل حال على وجود انفعالات عضوية وعصبيـة ونفسية مجهولة لدينا تتم بالعبادة الخالصة النية والصلاة الحقيقية وغيرها من أنواع العبادات . ناقش هذا الرأي كبار العلماء فأقروا بوجوده كما اعترفوا بحوادث الشفاء الخارقةفي الاماكن المقدسة . ولا يقصد بحوادثالشفاء الخارقة مدلول هذا التعبير عندعامة الناس أو الفئات المثقفة منهم بل يقصدبذلك مدلوله العلمي في نظر عدد كبير من الاطباء العلماء وما ذلك الا لأن حوادث الشفاء المذكورة لاتتناول الامراض النفسية أو الوظيفية بل تشمل الأمراض العضوية المتميزة بآفات نسيجية كما بينا . لقد رويت حوادث شفاءٍ من امراض عضوية راقبتها بعثات طبية شُفي بها شفاءً سريعاً ، مصابون بالسل العظمي أو بالسل الصفاقي أو بخراج بارد أو التهاب مقيح مزمن أو بسل الجلد أو بسرطان أو غير ذلك منأمراضمعروفة الآفات وقد تميزت حوادث الشفاء الخارق في الامراض العضوية بسرعة سير الانفعـــالات الطبيعية المؤدية للشفاء كما تميزت بطوعية الشفاء .

وانا لنجيز لانفسنا ، بعد أن اتينا على ذكر حوادث الشفاء الخارقةوانواعها وبينا إمكانية شفاء الامراض العضوية شفاءاً، يصح أن يقال فيه أنه تم بمعجزة،أن نعود الى تعليل معجزات عيسى وغيره من الانبياء عليهم السلام المتعلقة بشفاء

---

١ - Alexis Carrel .

٢ - Guérisons miraculeuses والخارق هنا مشتقة من الخرق بالتحريك وهو الدهش وقد اخرقته أي ادهشته .

الزمني والمقعدين لنقول : أن ماتحلى به الأنبياء ، من اخلاص لرسالة الله ومحبة للناس ورغبة في هديهم الى مافيه خيرهم وعزوفهم عن كل غرض شخصي ومأدى ذلك الى الايمان باقوالهم وافعالهم ايماناً خالصاً جعل دعواتهم وعباداتهم وافعالهم ذات أثر عجيب في أجسام المؤمنين بهم ونفوسهم .إن هذه الحالة النفسية ،حالة العبادة الخالصة من كل مطمع أو غرض ، حالة الاستغراق التي تفصل نفسية العابد عن بيئته فتجعله غير شاعر بما يحيط به ، هذه الحالة القدسية الجليلة المتعالية ، حقيقة واقعة لاتصل اليها بحوث الفلاسفة ولا اختبارات العلماء، على أنها اذا كانت فوق مداركهم مهما سمت ، واعمق من بحوثهم مهما غاصت فآثارها موجودة ولا مجال للجحود بها وانكارها ويدخل شفاء الامراض العضوية الخارق في نطاقها . واذا قدمنا ما مر من كلمات كإقرار من العلم الحديث بوجود حالات شفاء خارقة بتأثير العبادة الخالصة فانما نقدمه باسم العلم ، على أن الايمان العميق الذي يدين به المؤمنون المخلصون يغني عن الحاجة في تعليل الشفاء الخارق الى أي تعليل او إقامة أي دليل[1] .

د ـ **الصحة والطب في الكتاب المقدس**[2] نذكر أولاماجاء في أسفار العهد القديم عن الصحة والطب ثم نذكر حوادث الشفاء الوارد ذكرها في اسفار العهد الجديد .

---

١ - راجع للتوسع في كتاب الانسان ذلك المجهول L'Homme, cet inconnu ص ١٣٧ و ١٣٨ .

٢ - اقتبسنا هذا الموضوع من كتاب الفه المرحوم الشيخ امين الجميل بحث فيه عن الصحه والطب في الكتاب المقدس استهله بمقدمة كتبها شارل أشار العضو في المجمع العلمي الفرنسي وكاتم الاسرار العام الدائم لمجمع العلوم الطبي الفرنسي وقد جاء في خاتمتها انه لعمل عظيم الشأن لكونه ينير الطب بالتاريخ والتاريخ بالطب ،انه أيضاً لعمل فلسفي لاستخلاصه من حوادث الماضي العبر الادبية .

١ - التواصي الصحية الواردة في كتب العهد القديم : جاء في صدد التحذير من الخمر والزنى .

الخمر مستهزئة . المسكر عجّاج ومن يترنّح بها فليس بالحكيم . لاتكن بين شرّيبي الخمر ، بين المتلفين أجسادهم . لاتنظر الى الخمر اذا احمرت حين تُظهر حبابها في الكأس وساغت مرقرقة ، في الآخر تلسع كالحية وتلدغ كالافعوان .

جاء في صدد الختان [١] : ابنَ ثمانية أيام يُختَن منكم كل ذكر في أجيالكم .

وجاء في هذه الأسفار أيضاً تواصي صحية عديدة تتعلق بنظافة الطعام والشراب منها :

كل اناء مفتوح ليس عليه سداد بعصابة فإنه نجس [٢] . كل مايدخل النار تجيزونه في النار فيكون طاهراً [٣] . وأما كل مالايدخل النار فتجيزونه في الماء .

كما جاء فيها تواصي للوقاية من الأمراض منها :

كل رجل يكون له سيلٌ من لحمه فسيله نجس [٤] . وهذه تكون نجاسته بسيله . ان كان لحمه يبصق سيله أو يحتبس لحمه عن سيله فذلك نجاسة . كل فراش يضطجع عليه الذي له السيل يكون نجساً وكل متاع يجلس عليه يكون نجساً . لاتقترب الى امرأة في نجاسة طمثها لتكشف عورتها [٥] .

عنت شريعة السيل هذه بصورة خاصة التدابير الواجب اتباعها عند المصابين بحرقة البول أو التدابير الواجبة الاتباع في حالات الطمث والاضطجاع .

وقد جاء في الاسفار المذكورة آنفاً عن الصفات الخُلقية ومالها من أثر في

---

١ - سفر التكوين الاصحاح السابع عشر ١١ ، ١٢

٢ - سفر العدد الاصحاح التاسع عشر ١٥

٣ - سفر العدد الاصحاح الحادي والثلاثون ٢٣ ، ٢٤

٤ - سفر اللاويين الاصحاح الخامس عشر ٢ ، ٣ ، ٤

٥ - سفر اللاويين الاصحاح السابع عشر ١٩

الجسم كلمات كثيرة منها : المرأةالفاضلة تاج لبعلها ، أما المخزية فكنخر في عظامه . الغم في قلب الرجل يُحنيه . حيوة الجسد هدوء القلب ونخر العظام الحسد . القلب الفرحان يطيب الجسم والروح المنسحقة تجفف العظم .

وجاء في كتب العهد القديم أيضاً كلمات مستفيضة عن البرص والقوباء والجذام والبهق والحزاز والكي والقرح وعن التجريد ووضع المريض تحت المشاهدة وغير ذلك مما له صلة بالوقاية والمعالجة والتشخيص والشفاء وعلاماته .

٢- **حوادث الشفاء الوارد ذكرها في أسفار العهد الجديد** : جاء في الاسفار المذكورة[١] وكان يسوع يطوف كل الجليل يُعلّم في مجامعهم ويُكرّز ببشارة الملكوت ويشفي كل مرض وكل ضعف في الشعب فذاع خبره في جميع سورية فأحضروا اليه جميع السقماء المصابين بأمراض واوجاع مختلفة ، والمجانين والمصروعين والمفلوجين فشفاهم .

وجاء فيها أيضاً[٢] واذا ابرصُ قد جاء وسجد له قائلاً ياسيد !إن أردت تقدر أن تطهرني . فمد يسوعُ يده ولمسه قائلاً أريد، فاطهر وللوقت طهر برصه . ولما دخل يسوع كفرناحوم جاء اليه قائد مئة يطلب اليه ويقول يا سيد غلامي مطروح في البيت مفلوجاً متعذباً جداً فقال له يسوع أنا آتي واشفيه ، فأجاب قائد المئة وقال يا سيد لست مستحقاً ان تدخل تحت سقفي ، لكن قل كلمتك فقط فيبرأ غلامي . فلما سمع يسوع تعجب (من شدة ايمانه). ثم قال يسوع لقائد المئة اذهب وكما آمنت ، ليكن لك فبرأ غلامه في تلك الساعة . ولما جاء

---

١ - انجيل متى الاصحاح الرابع ٢٣ ، ٢٤ .

٢ - انجيل متى الاصحاح الثامن ٢ ، ٣ ، ٥ ، ٦ ، ٧ ، ٨ ، ١٠ ، ١٣ ، ١٤ ، ١٥ ، ١٦ .

يسوع الى بيت بطرس رأى حماته مطروحة ومحمومة ، فلمس يدها فتركتها الحمى. فقامت وخدمتهم .

وورد فيها ما نصه[1] : فدخل السفينة واجتاز وجاء الى مدينته ، واذا مفلوج يقدمونه اليه مطروحاً على فراش فلما رأى يسوع ايمانهم قال للمفلوج ثق يا بني ، مغفورة لك خطاياك ، واذا قوم من الكتبة قد قالوا في انفسهم هذا يُجَدِّف ، فعلم يسوع افكارهم فقال لماذا تفكرون بالشر في قلوبكم ، أيما أيسر أن يقال مغفورة خطاياك ، أم يقال قم وامش ... حينئذ قال للمفلوج : قم احمل فراشك واذهب الى بيتك ، فقام ومضى الى بيته . ـ واذا امرأة نازفة دم منذ اثنتي عشرة سنة قد جاءت من ورائه ومست هدب ثوبه ، لانها قالت في نفسها أن مست ثوبه فقد شفيت ، فالتفت يسوع وأبصرها فقال ثقي يا ابنة ايمانك قد شفاك. فشفيت المرأة من تلك الساعة .ـ ولما جاء يسوع الى بيت الرئيس ونظر المزمرين والجمع يضجون ، قال لهم تنحوا . فان الصبية لم تمت لكنها نائمة . فضحكوا عليه ، فلما أخرج الجمع دخل وامسك بيدها فقامت الصبية ، فخرج ذلك الخبر الى تلك الارض كلها .

كما جاء فيها ايضاً[2] :

ثم دعا تلاميذه الاثني عشر وأعطاهم سلطاناً على ارواح نجسة حتى يخرجوها ويشفوا كل مرض وكل ضعف .

وذكر فيها[3] ، واذا انسان يده يابسة ـ ثم قال للانسان مد يدك فمدها .

---

١ ـ انجيل متى الاصحاح التاسع ١ ، ٢ ، ٣ ، ٤ ، ٥ ، ٦ ، ٧ ، ٢٠ ، ٢١ ، ٢٢ ، ٢٣ ، ٢٤ ، ٢٥ ، ٢٦ ، ٣٥ .

٢ ـ انجيل متى الاصحاح العاشر .

٣ ـ انجيل متى الاصحاح الثاني عشر ١٠ ، ١٣ ، ٢٢ .

فعادت صحيحة كالاخرى -حينئذ أُحضِر اليه مجنون أعمى، وأخرس فشفاه حتى ان الاعمى الأخرس تكلم وابصر .

وقد ذكر في كتب العهد الجديد[1] : ثم انتقل يسوع من هناك وجاء الى جانب بحر الجليل وصعد الى الجبل وجلس هناك ، فجاء اليه جموع كثيرة معهم عُرج وعمي وخرس وشُل وآخرون كثيرون ، وطرحوهم عند قدمي يسوع فشفاهم ، حتى تعجب الجموع اذ، رأوا الخرس يتكلمون والشل يصحون والعرج يمشون والعمى يبصرون .

وقد جاء فيها[2] ، ولما جاءوا الى الجمع تقدم اليـــه رجل جاثياً له ، وقائلاً يا سيد ارحم ابني فانه يصرع ويتألم شديداً ويقع كثيراً في النار وكثيراً في المـاء ، وأحضرته الى تلاميذك فلم يقدروا أن يشفوه فأجاب يسوع وقال أيها الجيل غير المؤمن الملتوي . الى متى أكون معكم الى متى أحتملكم . قدموه الى ههنا فانتهره يسوع فخرج منه الشيطان فشفي الغلام من تلك الساعة ، ثم تقدم التلاميذ الى يسوع على انفراد وقالوا لماذا لم نقدر نحن ان نخرجه ، فقال لهم يسوع لعدم ايمانكم .

كما جاء فيها[3] ، وفيما هم خارجون من أريحا تبعه جمع كثير ، واذا اعميان جالسان على الطريق فلما سمعا ان يسوع مجتاز، صرخا قائلين ارحمنا يا سيد يا ابن داود ، فانتهرهما الجمع ليسكتا فكانا يصرخان قائلين ارحمنا ياسيد يا ابن داود ، فوقف يسوع وناداهما وقال ماذا تريدان ان افعل بكما ، قالا له يا سيد ان تنفتح أعيننا ، فتحنن يسوع ولمس أعينها فللوقت أبصرت أعينها فتبعاه .

---

١ - انجيل متى الاصحاح الخامس عشر ٢٩ ، ٣٠ ، ٣١ .

٢ - انجيل متى الاصحاح السابع عشر ١٤ ، ١٥ ، ١٦ ، ١٧ ، ١٩ ، ٢٠ .

٣ - انجيل متى الاصحاح العشرون ٢٩ ، ٣٠ ، ٣١ ، ٣٢ ، ٣٣ .

وجاء فيها أيضاً[1] ، واذا امرأة كان بها روحُ ضعف ثماني عشرة سنـــة وكانت منحنية ولم تقدر أن تنتصب البتـة ، فلما رآها يسوع دعاها وقال لها ياامرأة انكِ محلولة من ضعفك ، ووضع عليها يداه ففي الحال استقامت ومجدت الله.

وذكرت اسفار العهد الجديد[2] ، وفيما هو داخـل الى قرية استقبله عشرة رجال برص فوقفوا من بعيد ، ورفعوا صوتاً قائلين يا يسوع يا معلم ارحمنا ، فنظر وقال لهم اذهبوا وأروا انفسكم للكهنة ، وفيما هم منطلقون طهروا .

كما جاء فيها[3] فحدث أن أبا بوبلس كان مضطجعاً معترى بحمى وسحج ، فدخل اليه بولس وصلى ووضع يديه عليه فشفاه ، فلما صار هذا كان البـاقون الذين بهم امراض في الجزيرة يأتون ويشفون .

---

١ ـ انجيل لوقا الاصحاح الثالث عشر ١١ ، ١٢ ، ١٣ .

٢ ـ انجيل لوقا الاصحاح السابع عشر ١٢ ، ١٣ ، ١٤ .

٣ ـ اعمال الرسل الاصحاح الثامن والعشرون ٨ ، ٩ .

الباب الثاني

اليعاقبة والنساطرة وطب الأديرة

ان اليعاقبة والنساطرة جمعوا بين الفلسفة والطب والدين ، شتتوا بسبب آرائهم فاتخذوا الأديرة مقاماً لهم وأخذوا يبثون منها تعاليمهم حتى جعلوها مراكز اشعاع علمي ديني ، وأمكنة طب جسماني وتطبيب نفساني،لذلك أفردنا هذا البحث لنبين عناية الأديرة بالطب ولنشيرالى ما كان منها يعقوبياً أونسطوريا على قدر مايساعدنا تقصينا لهذا الموضوع الذي ابتكرنا بحثه وانفردنا بذكره بين جميع من عانوا البحث في تاريخ الطب .

الدير في اللغة الدار ،ثم خصص للموضع الذي تسكنه الرهبان وصار علماً له ولا يكاد يكون في الامصار ،انما يكون في الصحاري ورؤس الجبال وقد اعتبر الناس في الشرق الأوسط الأديرة أماكن تبرك يستشفي فيها من استعصى عليه الداء . وقدجمعت أديرة اليعقوبيين والنسطوريين وغيرهابين العبادةووسائل المعالجة فكان بعضها أشبه بمشافي دينية ومراكز علمية واننا نذكر فيما يلي ماهو مشهور من الأديرة ، مما اندثر أو مازال باقياً .

دير أبي هور : ذكر الشابشتي انه بشرياقوس من أعمال مصر وهي بيعة عامرة كثيرة الرهبان فيها اعجوبة للتعالج .

دير الأعلى : بالموصل ظهر تحته سنة ٣٠١ عدة معادن كبريتية ومرقشيتا وقلقطار ويزعم اهل الموصل انها تبري من الجرب والحكة والبثور وتنفع المقعدين والزمنى

دير ايوب : قرية بحوران من نواحي دمشق بها كان أيوب عليه السلام وبها ابتلاه الله وبها العين التي بها شفاه .

دير بُصرى : بليدة بحوران من أعمال دمشق وبه كان بحيرا الراهب الذي بشر بالنبي صلى الله عليه وسلم وقصته مشهورة . حكى المازني ، قال : دخلت دير بصرى فرأيت في رهبانه فصاحة وهم عرب متنصرة من طي من بني الصادر وهم أفصح من رأيت .

دير بَلوذان : بناؤه قديم بديع الحسن . وافر الغلة ، كثير الكروم والفواكه والماءالجاري وهوقائم بقرية بلوذان وهي محاذية لكفر عامر ، تطل من مشترفها على جبة الزبداني ، ببلاد دمشق . وبه رهبان نظاف وغلمان من أبناء النصارى ظراف .

دير الجب : دير في شرقي الموصل يقصده الناس لأجل الصرع فيبرأ منه بذلك كثير .

دير سعيد : بغربي الموصل قريب من دجلة حسن البناء واسع الفناء وهو الى جانب تل يكتسي أيام الربيع ظرائف الزهر وهو منسوب الى سعيد بن عبد الملك بن مروان وكان يتقلد امارة الموصل في أيام أبيه فاعتل وكان له طبيب يقال له سعيد أيضاً فلما برأ قال له : اختر ماشئت فقال : أحب ان أبتني ديراً بظاهر الموصل وتهب لي أرضه فأجابه الى ذلك فبنى الدير لم يقبل الخالدي هذه الرواية وصححها بقوله ان ثلاثة من الرهبان اجتازوا بالموصل قبل الاسلام بأكثر

من مائة سنة فاستطابوا أرضها فبنى كل واحد منهم ديراً نسب اليه وهم سعيد وقنسرين وميخائيل .

دير سمعان : يقال بكسر السين وفتحها وهو دير بنواحي دمشق في موضع نزه وبساتين محدقة وعنده قصور وفيه قبر عمر بن عبد العزيز وروي أن صاحب الدير دخل على عمر بن عبد العزيز في مرضه الذي مات فيه ، بفاكهة أهداها له فأعطاه ثمنها فأبى الديراني أخذه، فلم يزل به حتى قبض ثمنها ثم قال ياديراني: اني بلغني ان هذا الموضع ملككم فقال: نعم فقال اني احب أن تبيعني منه موضع قبر لمدة سنة فاذا حال الحول ،فانتفع به فبكى الديراني وحزن وباعه فدفن به وفي ذلك يقول الشريف الرضي :

يا ابن عبد العزيز لو بكت العيـــن فتى من أميّة لبكيتك

أنت نزّهتنـــا عن السب والشتـــم فلو أمكن الجزا لجزيتك

دير سمعان لاغدتك الغوادي خير ميت من آل مروان ميتك

دير صيدنايا[1] ـ مشهور في بلادالشام ،قريب من دمشق : يروي المؤرخون أنه شيد في العهد الروماني ،في منتصف القرن الخامس الميلادي ، ويقول بعضهم أنه كان قبل ذلك العهد معبداً عادياً في زمن النصرانية ثم أقام أسواره القيصر جستينيان فشمل الرابية المقام عليها بكاملها . وللسيدة العذراء مقام عجائبي في الدير يقصده الزائرون من جميع المناطق والأقطار بنسبة ٢٠٠ الف شخص في كل سنة،وفي عيد مولد العذراء المصادف في الثامن من ايلول في كل عام تجري احتفالات ومهرجانات رائعة وله مغلات، واسعة ، وتأتيه نذور وافرة ، وطوائف النصارى من الفرنج تقصد هذا الدير وتأتيه للزيارة وللتبرك والاستشفاء.

دير القيّارة : وهو فوق دير باعربا لليعقوبية على أربعة فراسخ من الموصل

---

١ ـ مسالك الابصار في ممالك الامصار لابن فضل الله العمري .

في جانب دجلة الغربي ، مشرف على دجلة ، نسب الى عينٍ تفور بماء حار وتصب في دجلة فهي حمة عظيمة . يقصد الدير من به علة أعيت الأطباء ، فيقيم به خمسة أيام مستنقعاً في مائها ، فيبرأ من علته ويشفى من النقرس ويُنْسط من التشنج ، وتزول منه الأورام الجاسية والرياح الغليظة ، وتلحم الجراحات. قال الخالدي : وسبيل من قصدها ، أن يظل نهاره في مائها ، ويأوي ليله هيكل ديرها ، ويدهنه رهبانه بالطيبوث . فيشفى باذن الله

دير الكَلْب [1] : وهو قرب معلَّثايا بنواحي الموصل ، في سفح جبل ، والماء ينحدر عليه ، وقلاليه مبنية بعضها فوق بعض ، في صعود الجبل ، فمنظرها أحسن منظر ، وينبوعه ينصب عليه من أعلاه وفيه من الزيتون والرمان والآس والكرم والزعفران والنرجس شيء كثير . ولرهبانه مزارع في السهل ، وغلاته كثيرة . قال الخالدي [2] : ولهذا الدير خاصية في برء عضة الكلب الكلِب ، وله عيد في وقتٍ من السنة يخرج اليه خلق من النصارى نساء ورجال للاقامة عنده [3] ، وخلق من المسلمين للنظر اليه والنزهة فيه . وحكي أن أخاً لأبي السفاح الشاعر عضه كلبٌ كلِب ، فحمله الى هذا الدير فتداوى به . فبرىء . وقد جاء عنه في معجم البلدان أنه بنواحي الموصل بينها وبين جزيرة ابن عمرو ، من عضه الكلب الكلِب وبودر بالحمل اليه وعالجه رهبانه برىء وان تجاوز الأربعين يوماً فلا حيلة لهم فيه وله رستاق ومزارع وفيه يقول السفاح :

سقى ورعى الله دير الكَلْب ومن فيه من راهب ذي أدب

---

١ — يؤكد هذا الضبط ويؤيده مارواه ياقوت من ان « عجائب الدنيا ثلاثة : دير الكلب ، ونهر الذهب ، وقلعة حلب » .

٢ — هو أحد الخالديين الشاعرين الشهيرين . ينتسبان الى الخالدية ، قرية بقرب الموصل كانا خازنين لسيف الدولة ممدوح المتنبي . ولهما اشعار واخبار وتآليف منها كتاب « الهدايا والتحف » .

٣ — في الأصل عندم وهو خطأ .

دير اللّج : دير اللج وهو بالحيرة ، ممـا بناه النعمان ابن المنذر وهو من أنزه دياراتها وأحسنها بناء ، لما يطيف به من البساتين . وكان النعمان يأتيه يتعبد فيه ، ويستشفي به من مرضه .

دير معلولا : وهو بباطن جبة عسّال . وهو بناء رومي بالحجر الابيض وبه صدع ، فيه ماء ينقط ، نحو الذي بصيدنايا . ويأخذه النصارى للتبرك ، معتقدين فيه نحو اعتقادهم في الآخر . وانما الاسم للذي بصيدنايا .

دير ميماس : بين دمشق وحمص وهو في موضع نزْه يشفي المرضى وكان البطين الشاعر قد مرض فجاءوا به يستشفي فيه .

دير نجران : بأرض دمشق من نواحي حوران ببصرى واليه ورد النبي ﷺ وعرفه الراهب بحيرا في القصة المشهورة .

دير هند الصغرى : بالحيرة في موضع نزه وهو دير هند الصغرى بنت النعمان بن المنذر ، قال هشام الكلبي كان كسرى قد غضب على النعمان بن المنذر فحبسه فأعطت بنته عهداً لله ، إن رده الله الى ملكه ان تبني ديراً فخلى كسرى عن ابيها فبنت الدير وأقامت به الى ان ماتت ودفنت فيه وهي التي دخل عليها خالد بن الوليد رضي الله عنه لمافتح الحيرة فسلمت عليه فقال : سليني حاجة قالت : مالي حاجة ، فاني ساكنة في هذا الدير الذي بنيته ملاصقاً لهـذه الاعظم البالية من أهلي حتى ألحق بهم ؛ فأمر لها بمعونة ومال وكسوة قالت : انا في غنى عنه ، لي عبدان يزرعان مزرعة لي أتقوّت بما يخرج منها ويمسك الرمق وقد اعتددت بقولك فعلاً وبعرضك نقداً فقال لها اخبريني بشيء ادركت ؟ قـالت : لم تطلع الشمس بين الخورنق والسدير ، الاعلى ما هو تحت حكمنا فما امسى المساء حتى صرنا خوَلاً لغيرنا : ثم قالت اسمع مني دعاءاً! شكرتك يدٌ افتقرت بعد

غنى ، ولا ملكتك يدٌ استغنت بعدفقر ، وأصاب الله بمعروفك مواضعه ،ولا ازال عن كريم نعمة ، الا جعلك سبباً لردها اليه ، ولا جعل لك للئيم حاجة

دير هند الكبرى : وهو أيضاً بالحيرة ، بنته هند أم عمرو للاله الذي يغفر خطيئتها ويترحم عليها وعلى ولدها ويقبل بها وبقومها الى امانةالحق ويكون الله معها ومع ولدها الدهر الداهر

دير يونس : هو دير في جانب دجلة ينسب الى يونس بن متّى عليه السلام وتحت الدير عين تعرف بعين يونس يقصدها الناس للاغتسال فيهاوالاستشفاءبمائها.

تلخيص ابحاث القسم الثالث : نوجز في الصفحات التالية ابحاث القسم الثالث:

١ _ **الكلام عن الأنبياء والرسل** : الأنبياء والرسل في نظر علماء العرب والاسلام أشخاص اصطفاهم الله ففضلهم بخطابه ، وجعلهم رسلاً بينه وبين عباده يرشدونهم الى ما فيه صالح المجتمع وصالحهم، في يومهم وغدهم ، وهم في نظر الفيلسوف نيتشه أشخاص يعيشون بأجسامهم كانسان ويلامسون بكمال عقلهم ودقة فكارهم القدرة الالهية فهم حلقة الوصل بين الرب القدير والانسي البشير.

يعالج العلم الحديث أنواع الانسان فيقر ما أثبته العلم القديم ، من ان الانسان جسم ونفس ويقول بتنوع البشر باختلاف حدود النفس في أفراده ، فهي في بعضهم محدودة تلبس الجسم فلا تتعدى حدودها حدوده ، وهي في فئة ثانية اوسع مدى من ذلك ، اذ تتعدى حدودها فيهم حدود الجسم فتنتشر انتشاراً تختلف سعته فان كانت النفس صالحة ارشدت الى الحرية والاخاءودعت الى العدل والتعاطف وغير ذلك من الصفات الانسانية العليا ، وقد تكون سعة أفراد هذه الفئة بالغة حداً كبيراً فتنفع المجتمع انتفاعاً يختلف مداه وشمول خيره للناس . وهنالك فئة ثالثة عظيمة بأعمالها ، قليلة بكميتها ، كبيرة بكيفيتها ترى بالبصيرة ما يخفى على الباصرة ، تصحح بنور البصيرة قصص الماضي وتحدث بنور

العين الباصرة عن سير الحاضر وتنبىء - بسمو الادراك والتفكير - عن وقائع المستقبل فتحدث بآيات بينات وتنافس بعملها للخير والمجتمع أعظم عمل انساني مهما كانت غايته هذه الفئة هي فئة الرسل والأنبياء في رأي المؤمنين ، فئة البشر العلوي (سوبرمن) في رأي العلماء الباحثين ، فئة العباقرة الخالدين في رأي الكتاب والمؤرخين على اختلاف مللهم ونحلهم .

٢ - الرسل والأنبياء والطب : نذكر منهم :

١ً - **ادريس عليه السلام** : سمي ادريس لكثرة درسه الكتب جاء ذكره في القرآن الكريم بقوله تعالى « واذكر في الكتاب ادريس انه كان صديقاً نبياً ورفعناه مكاناً علياً » . قيل انه ولد ببابل وجاب في الارض واستقر أخيراً في مصر . يعتبر ادريس اول من نظر في الطب وتكلم فيه ، تنبأ بالطوفان وخاف ذهاب العلم فبنى البرابي وصور فيها جميع الصناعات وصانعيها نقشاً وأشار الى صفات العلوم برسوم ، لمن بعده خشية أن يذهب رسم تلك العلوم وكان أول من خاط الثياب ولبس المخيط .

٢ً - **ايوب عليه السلام** : بشر بالشفاء من مرضه الطويل وشفي بماء اذهب عنه ما حل به من آفات وهكذا تشير سيرته الى مرضه والى الاستشفاء بالمياه المعدنية .

٣ً - **سليمان عليه السلام** : في سيرته ما يبين تعرفه على منافع النباتات في معالجة الامراض .

٤ً - **عيسى عليه السلام** : كان شفاء البكم والعميان والزمنى والمقعدين من بعض ما ظهر من معجزاتٍ على يدي هذا الرسول الحليم وكان يجتمع عليه من المرضى والزمنى في الساعة الواحدة خمسون ألفاً ، فمن أطاق ان يبلغه بلغه ومن لم يقدر على ذلك أتى وعيسى يمشي اليه وكان يداويهم بالدعاء بشرط الايمان

وقد أشار القرآن الكريم الى شفاء الناس على يدي عيسى عليه السلام بالآية الكريمة « تبرىء الأكمه والأبرص باذني » كما جاء فيه قوله عز وجل « وإذ علمتك الكتاب والحكمة » .

٣ **الآراء العلمية في حوادث الشفاء الخارقة** : ان شفاء الامراض النفسية المستعصية على الطب بتأثير الايمان والايحاء أمر ، لا يعد في نظر الطب خارقاً للعادة ولكنه في نظر الناس اجمعين أمر خارق للعادة وما قيل عن شفاء الأمراض النفسية يصح الى حد كبير في شفاء الحالات الناجمة عن اضطراب وظائف الأعضاء ولا سيما الغدد الصم ، شفاءاً يبدو في نظر الناس خارقاً للعادة ولكنه في نظر الطب والأطباء أمر عجيب . اما شفاء الأمراض العضوية المصحوبة بآفات خلوية فهو أمر خارق للعادة في نظر الناس والعلماء ولا سيما الأطباء منهم ويستدل من ذلك ألكسيس كارل على وجود انفعالات عضوية وعصبية ونفسية مجهولة لدينا تتم بالعبادة الخالصة النية والصلاة الحقيقية وغيرها من أنواع العبادات. ناقش هذا الرأي كبار العلماء فأقروا أثر العبادة في حوادث الشفاء الخارقة التي تكاد تكون أحياناً آنية فقد شفي بذلك مصابون بالسل العظمي او بالسل الصفاقي او بالتهاب مقيح مزمن وغير ذلك من امراض معروفة الآفات وقد تميزت هذه الحوادث بسرعة الانفعالات الطبيعية المؤدية للشفاء كما تميزت بطوعية الشفاء .

٤ **الصحة والطب في الكتاب المقدس** ذكرت كتب العهد القديم تواصي صحية ، منها تواصي تحض على اجتناب الخمر والزنى (الزنى والخمر والسلافة تخلب القلب) ، (لا تكن بين شريبي الخمر المتلفين اجسادهم) ومنها كلمات تأمر بالختان ـ ابن ثمانية ايام يختن منكم كل ذكر في أجيالكم .

ومنها تواصي تؤدي الى طهارة الطعام والشراب والى الوقاية من الامراض ولا سيما من سيلان حرقة البول واذى الطمث وقد سمي ذلك بشريعة السيلان

ومنها تواصي تشير الى اثر الصفات الخلقية في الجسم من ذلك، المرأة الفاضلة تاج بعلها اما المخزية فتنخر في عظامه ، الغم في قلب الرجل يحنيه ، القلب الفرحان يطيب الجسم والروح المنسحقة تجفف العظم

وجاء في كتب العهد القديم كلمات مستفيضة عن البرص (الجذام) والقوباء والبهق والحزاز والكي والقرع والتجريد ، ووضع المريض تحت المشاهدة وغير ذلك مما له صلة بالوقاية والمعالجة والتشخيص والشفاء وعلاماته .

وذكرت كتب العهد الجديد حوادث الشفاء التي تمت على أيدي عيسى عليه السلام وتلامذته بشرط الايمان كما يستدل على ذلك من مخاطبة تلاميذه له سائلين على انفراد قائلين لماذا لم نقدر نحن ان نخرجه (المرض) فقال لهم يسوع لعدم ايمانكم .

٥ـ **النسطوريون** : هم من أتباع نسطور يعتقدون بناسوتية المسيح عليه السلام ، عدهم رجال الدين في الاسكندرية هراطقة فابعدوهم . وقد انتشروا إثر نفيهم في غربي آسية وبلاد العرب وما بين النهرين حيث اخذوا يستعينون على بث افكارهم وتأييدها بأقوال منتزعة من الفلسفة اليونانية حتى صار كل راهب نسطوري معلماً في الفلسفة اليونانية ونقلوا مع الفلسفة علوم الطب والكيمياء . أنشأوا مدارس كثيرة في البلاد التي انتشروا فيها أهمها مدرسة الرها ومدرسة نصيبين وكانت العناية بمدرسة الرها شديدة فالحق بها مستشفيان وعُدت الرها في ذلك الحين اثينا الشرق .لم يطل المقام بالنسطوريين في البلاد المذكورة حتى طُردوا منها بأمر الاسقف (سيروس) فهاجروا الى ايران حيث ساهموا بترقية مدرسة جنديسابور التي كانت ذائعة الصيت بتعليم العلوم ومنها الطب . وقد لحق بهم الى منفاهم فلاسفة أفلاطونيون ، طردهم جستنيان فلجأوا الى فارس وساهموا فيها وخاصة في جنديسابور بنشر العلوم اليونانية . قام النسطوريون بترجمة المؤلفات اليونانية الى اللغة السريانية .

٦ **اليعاقبة أو اليعقوبيون** : أنشأ هذه الفرقة في مصر يعقوب السروجي وكانت تحاكي بآرائها آراء النسطوريين لذلك اضطهدتهم امبراطورية بوزنطية فانتشروا خارجها وبثوا تعاليمهم بنفس الاسلوب الذي اتبعه النسطوريون اشتهر منهم سرجيوس الرأس عيني فكان من أعظم كتابهم ومترجميهم وقد اشتهرت مؤلفاته بين النسطرة واليعاقبة معاً وكانت مرجعاً لهم في الطب والفلسفة. لم يكن لليعاقبة مدارس ظاهرة الاثر كما كان للنساطرة ولكنهم استعاضوا عنها بأديرة أشهرها :

دير أبي هور : بسرياقوس من أعمال مصر فيها اعجوبة للتعالج .

دير الاعلى : بالموصل ظهر تحته عدة معادن كبريتية ومرقشيتا وقلقطار ويزعم أهل الموصل انها تبرىء من الجرب والحكة والبثور وتنفع المقعدين والزمنى .

دير الجب : بشرقي الموصل يقصده الناس لأجل الصرع فيبرأون .

دير حميم : من قولهم ماء حميم حار موضعه بالأهواز .

دير صيدنايا : في الشام فيه مقام عجائبي يقصده الزائرون والمرضى .

دير القيارة : مشرف على دجلة نسب الى عين تفور بماء حار فهي حمّة عظيمة ، يقصد الدير من به علة فيقيم به خمسة أيام مستنقعاً في العين ، فيبرأ من علته ويشفى من النقرس ويُبسط التشنج وتزول الآلام .

دير قنسرين : على ضفة الفرات اليسرى لليعاقبة .

دير الكلب : بنواحي الموصل لهذا الدير خاصيّة في برء عضة الكلب على أن يُبادر بحمل المصاب اليه قبل اربعين يوماً وان تجاوزها فلا حيلة لهم في برئه .

دير مياس بين دمشق وحمص يستشفى به المرضى .

دير يونس : في جانب دجلة وتحت الدير عين يقصدها الناس للاستشفاء بمائها.

القسم الخامس

الاسلام والطب ، الطب عند العرب ، الطب العربي في الغرب ، الطب عند العرب في هجعتهم ويقظتهم ، الطب عند العرب بعد استقلال بلادهم ، تذكرة أبجدية باعلام الطب عند العرب

الباب الأول

الاسلام والطب

الطب النبوي : كان النبي يداوي نفسه ويأمر بذلك لمن أصابه مرض من أهله وأصحابه وكان غالب أدويته مفردة لا مركبة تماشيا مع القاعدة التي مازالت متبعة حتى الآن وهي العدول عن الدواء المركب اذا كان الحصول على الشفاء

ممكناً بالدواء المفرد ، ولقد ورد في ذلك أحاديث عديدة تبرر اعتبار الرسول الكريم أول عربي وضع كتاباً عن الطب في الاسلام ، ولقد جاء ذكر هذه الأحاديث في كتاب الأحكام النبوية في الصناعة الطبية وغيره من الكتب وإليك بعضها مع تعليقات عليها :

١ ـ الحث على المداواة وانتقاء أحذق الأطباء روي « ما أنزل الله من داء الا أنزل له شفاء » ولقد لمحت الأحاديث الشريفة الى اثبات الأسباب والمسببات وأبطال قول من أنكرها والرد على من أنكر التداوي والحث عليه والأخذ برأي أحذق الأطباق .

٢ ـ المسؤولية الطبية في الاسلام وتضمين من طب الناس وهو جاهل بالطب : روى من تطبّب ولم يعلم منه الطب قبل ذلك فهو ضامن ، وقد استنتج من هذا الحديث ان من طبب الناس وهو جاهل بالطب ، ضمن الأضرار التي لحقت بالمريض من جراء تطبيبه .

٣ ـ صفات الطبيب الحاذق في الاسلام : الطبيب الحاذق هو الذي يراعي في علاجه ما يلي :

النظر في نوع المرض ، من أي الامراض هو ؟ النظر في سببه ، ومن أي شيء حدث والعلة الفاعلة التي كانت سبب حدوثه ماهي ؟ وفي قوة المريض ومزاج البدن الطبيعي ، ما هو ؟ والمزاج الحادث على غير المجرى الطبيعي ؟ وفي سن المريض وعادته وبلد المريض وتربته والنظر في الدواء المضاد لعلته والنظر في قوة الدواء ودرجته والموازنة بينها وبين قوة المريض وأن لا يكون كل قصده ازالة تلك العلة فقط بل ازالتها على وجه يؤمن معه عدم حدوث أصعب منها فمتى كان ازالتها لا يؤمن معها حدوث علة أخرى أصعب منها أبقاها على حالها ، وتلطيفها هو الواجب في هذه الحالة ، وأن يعالج بالأسهل فالأسهل فلا ينتقل من العلاج بالغذاء الى الدواء

الا عند تعذره ولا ينتقل الى الدواء المركب الا عند تعذر الدواء البسيط ، فمن واجب الطبيب المعالجة بالأغذية بدل الأدوية وبالأدوية البسيطة بدل المركبة اذا أمكن ذلك وعلى الطبيب أن ينظر في العلة ، هل هي مما يمكن علاجها أو لا ؟ فان لم يكن علاجها ممكناً حفظ صناعته وحرمته ولا يحمله الطمع على علاج لا يفيد شيئاً وأن أمكن علاجها نظر هل يمكن زوالها أم لا ؟ فان علم ان لا يمكن زوالها نظر هل يمكن تخفيفها وتقليلها فان لم يمكن تقليلها ممكناً ورأى ان غاية الامكان إيقافها ومنع زيادتها قصد بالعلاج ذلك وان يكون له خبرة باعتدال القلوب والأرواح وأدويتها وذلك أصل عظيم في علاج الأبدان فان انفعال البدن وطبيعته وتأثير ذلك في النفس والقلب أمر مشهود ، والطبيب اذا كان عارفاً بأمراض القلب والروح وعلاجها كان هو الطبيب الكامل والذي لا خبرة له بذلك وان كان حاذقاً في علاج الطبيعة وأحوال البدن فهو نصف طبيب . وعلى الطبيب ان يتلطف بالمريض كالتلطف بالصبي وان يستعمل أنواع العلاجات ومنها العلاج بالتخييل فان لحذاق الأطباء في التخييل أموراً عجيبة لا يصل اليها الدواء فالطبيب الحاذق يستعين على المرض بكل معين ويجعل علاجه وتدبيره دائراً على ستة أركان ، حفظ الصحة الموجودة ورد الصحة المفقودة بحسب الامكان وإزالة العلة أو تقليلها بحسب الامكان واحتمال أدنى المفسدتين لازالة أعظمها وتقريب أدنى المصلحتين لتحصيل أعظمها فعلى هذه الأصول الستة مدار العلاج ، وكل طبيب لا تكون هذه أمنيته التي يرجع إليها فليس بطبيب .

٤ — واجبات الطبيب : على الطبيب تقوى الله وطاعته ونصح المرضى وحفظ سرهم وان لا يعطي دواء قتالاً ولا يدل عليه ولا يشير اليه ولا يعطي للنساء دواء يقتل الأجنة وان يكون متباعداً عن كل دنس ورجس ولا ينظر الى أمة ولا حبلى بشيء من الفحش ، غير مشتغل بامور التلذذ والتنعم حريصاً ،

على مداواة الفقراء وأهل المسكنة، رقيق اللسان، لطيف الكلام قريباً من الله تعالى.

٥ – الغذاء والاحتماء: رُوي المعدة بيت الداء والحمية رأس كل دواء ويقول علماء العرب مراتب الغذاء ثلاث: احداها مرتبة الحاجة والثانية مرتبة الكفاية والثالثة مرتبة الفضلة، ويقول الامام الذهبي في صدد الغذاء، إن أخذ الغذاء في وقت الحاجة سبب لدوام الصحة وإما أخذه من غير حاجة اليه يورث الامراض وروى عن الرسول قوله: (من اكتفى بدون الشبع حسُن اغتذاء بدنه وصلح حاله ونفسه).

٦ – علاج الحمى: (انما الحمى من فيح جهنم فابردوها بالماء) وهذا الحديث خاص بالحمى الحادثة عن شدة حرارة الشمس، وهذه ينفعها الماء البارد وهي الطريقة التي ينقذ بها سنوياً مئات ممن يصابون بالرعن -ضربة الشمس- في الحج.

نقول في هذا الصدد ان الاستبراد بالماء من الاساليب المستعملة في مكافحة الحمى حتى اليوم وكانت هذه الطريقة العلاج الاساسي في الحمى التيفية قبل معرفة الادوية المُرِدْية – انتي بيوتيك – الحديثة.

٧ – العلاج بالعسل والحجامة والفصد والكي: روي الشفاء في ثلاث: شربة عسل وشرطة محجم وكية نار وجاء إن أمثل ما تداويتم به الحجامة والفصد وفي رواية خير الدواء الحجامة والفصاد.

٨ – علاج المرضى بتطييب نفوسهم وتقوية قلوبهم وعلاج الأمراض النفسانية: روى ابن ماجة اذا دخلتم على المريض فنفّسوا له في الأجل فان ذلك لا يرد شيئاً وهو تطمين لنفس المريض، قال الذهبي تؤثر الاعراض النفسانية في البدن فتغيره وهي الغضب والفرح والغم والخجل أما الغضب فانه يؤذي وكذلك الغم والهم فانهما مؤذيان وفي رواية (من كثر همه سقم بدنه) وروى (ما على أحدكم اذا ألح به الهم الا أن يتقلد قوسه). ان تفريح نفس المريض وادخال

ما يسره عليه لذو تأثير عجيب في بعض الاحيان ، ويذكر الذهبي أن الفرح من شأنه تقوية النفوس ويبحث عن الوسائل المفرحة للنفس فيذكر في مقدمتها السماع فيقول عنه هو طيب الانفس وراحة القلوب وغذاء الأرواح وهو من أجلّ الطب الروحاني وسبب السرور حتى لبعض الحيوانات ، وأنت ترى أهل كل صناعة متعبة يستخرجون لأنفسهم ألحاناً يخففون بها عن أنفسهم وترى الطفل اذا بكى سكت بالغناء والإبل تطوي الفلا بالحداء والهزار يلقي بنفسه في الاماكن التي فيها صوت مطرب وكذلك الشحرور .

٩ — علاج السم : احتجم الرسول يوم ان أكل من الشاة المسمومة في خيْبَر وأمر أصحابه ان يحتجموا فمات أحدهم فحجمه أبو هند بالقرن والشفرة ، ومعالجة السم تكون بالاستفراغات وبالأدوية التي تعارض فعل السم وتُبطله اما بكيفياتها واما بخواصها فمن عَدِم الدواء فليبادر الى الاستفراغ الكلي وأنفعه الحجامة .

١٠ — الحث على الرياضة : إن من المعلوم افتقار البدن في بقائه الى الغذاء والشراب ولا يصير بجملته جزءاً من أجزاء البدن بل لابد أن يبقى منه عند كل هضم بقية ما ، اذا كثرت على مر الزمان اجتمع منها فضلات ضارة ، تعد الحركة الرياضية من أقوى الأسباب في منع تولدها فلا تجتمع على طول الزمن ويعود للبدن الخفة والنشاط ، أما وقت الرياضة فهو بعد انحدار الغذاء وكمال الهضم . والرياضة المعتدلة هي التي تحمر فيها البشرة ويتندى فيها البدن وأما التي يلزمها سيلان العرق فمفرطة ولكل عضو رياضة تخصه ، وأما ركوب الخيل ورمي النبال والصراع والمسابقة على الاقدام فرياضة البدن كله وهي قالعة لأمراض مزمنة ومانعة لها . أما رياضة النفوس فتكون بالتعلم والتأدب والفرح والسرور والصبر والثبات والاقدام والسماحة وفعل الخير ونحو ذلك مما ترتاض به النفوس .

وأما الجهاد وما فيه من الحركات الكلية فهو من أعظم أسباب القوة وكذلك الحج وفعل المناسك وكذلك المسابقة على الخيل وبالنصال والمشي فى الحوائج الى الاخوان وقضاء حقوقهم وعيادة مرضاهم وحركة الوضوء والاغتسال وغيرذلك، ان الاغتسال بالماء البارد يقوي البدن ويجمع القوى . ويجب أن يُمنع منه الصبي والشيخ ومن به اسهال أو نزلة والاغتسال بالمياه المكبرتة يزيل الحبوب والحكة

١١ مراعاة العادة والنوم : العادة طبيعة ثانية وهي قوة عظيمة في البدن والنوم أفضله في الليل بعد هضم الغذاء ونوم النهار مضر الا في هاجرة الحر .

١٢ ـ معالجة المرضى : ينبغي على الطبيب أن يراعي في العلاج السن والعادة والعمل والصناعة فلا يُسهّل بالدواء شيخ كبير ولا طفل صغير ولا صاحب كد وتعب ولا ضعيف القوة ولا ضعيف البدن ولا يجمّع بين مسهلين في يوم واحد والحقنة جيدة للقولنج ووجع المعدة وحيث أمكن التدبير بالدواء الخفيف فلا يعدل عنه ولا يقوم في العلاج على نوع واحد تألفه الطبيعة ويقل نفعه واذا شكل على الطبيب المرض فلا يهجم بالدواء حتى يتضح الأمر وحيث أمكن التدبير بالأغذية فلا يعدل الى الأدوية .

١٣ ـ ذكر بعض الأدوية والأغذية المفردة الواردة في الطب النبوي مرتبة على حروف المعجم .

الاترج : طعمها طيب وريحها طيب تنفع المعدة ، تفتق شهوة طعام وتسكن العطش وتقطع الاسهال .

الأثمد : هو الكحل الأصبهاني وروى خير أكحالكم الاثمد، أي في حفظ صحة العين لا في أمراضها .

أرز : أغذى الحبوب بعد الحنطة يعقل البطن نافع من افراط الدواء المسهل وقد روى سيد طعامكم اللحم ثم الأرز .

الأراك هو عود السواك وهو أفضل ماستيك به يطيب النكهة ويشهي الطعام وأجود مااستعمل مبلولا بماء الورد .

آس : يقطع الاسهال ، اذا جُلس في طبيخه نفع في خروج المقعدة والرحم وذلك بسبب احتوائه على العفص .

بابونج : ملطف ملين محلل يدر البول والحيض .

بصل : أكله مع اللحم يقطع زهومته .

بطيخ : روي البطيخ طعام وشراب وريحان، يغسل المثانة وينظف البطن .

بنفسج : شرابه ينفع الزلات ويسكن الأوجاع الباطنة ويستعمل في الحقن والمنقوعات والمطابيخ والفتايل والضمادات .

تمر : العجوة من أنواعه وهي غذاء فاضل .

تمرهندى: يسهل الصفراء ويقطع القيء ويُعمل منه شراب قاطع للعطش

تين : كثير الغذاء سريع الانحدار أغذى من جميع الفواكه .

ثوم : يحلل الرياح، يقوم في اللسع مقام الترياق واذا ضُمّد به لسع الحية والعقرب نفع .

حصرم: ماؤه يقطع الاسهال والقيء وينبه الشهوة وشراب الحصرم المنعنع يقطع الغثيان .

حلبة : تدر الحيض وتنفع من القولنج وروي لو تعلم أمتي مافي الحلبة لاشتروها ولو بوزنها ذهبا .

الحنظل : يسهل بعنف .

خبازي: بارد رطب يلين الطبع وينفع من السعال وبزرها يدخل في الحقن اللينة وغيرها وطبيخها ينفع من حكة المقعد .

خبز : مهما قلت نخالته أبطأ هضمه .

خرنوب: وبه يطلق البطن

خس : منوم مسكن شهوة الباه .

خشخاش : مخدر منوم .

خطمي : بزره ينفع في الحقن اللينة .

دجاج : أفضل لحم الطير ، خفيف في المعدة سريع الهضم وأفضله مالم يبض والديك الخصي سريع الهضم محمود الغذاء .

الذراريح : نوع من الذباب فيه شفاء .

ذهب : يدخل في المفرحات وينفع من الغم .

راوند : يفتح سدد الكبد .

رمان : شراب الحلو منه يقطع السعال وشراب الرمان الحامض المنعنع يمنع القيء

زبيب : احمده الكبير الكثير اللحم الصغير الحب وقد روي فيه كلوا فنعم الطعام الزبيب يذهب التعب ويطفيء الغضب ويشد العصب ويطيب النكهة وغذاء الزبيب أصلح من غذاء التمر .

زيت : يطلق البطن ويُخرج الدود ، وجميع الادهان تضعف المعدة الا الزيت وروي كلوا الزيت وادهنوا به فانه ينفع من البواسير وقيل الزيت ترياق الفقراء .

سفرجل : قابض جيد للمعدة يقطع الهيضة ينفع السعال وخشونة الحقن وروي أطعموا حبالاكم السفرجل فانه يجم الفؤاد ويريحه ويحسن الولد .

سماق : قابض مشه للطعام .

سنا : روي عليكم بالسنا والسنا دواء شريف مأمون العاقبة ، حسُن اسهاله .

شعير : أجوده الأبيض ، غذاؤه دون غذاء الحنطة وماء الشعير مدر للبول ، جلاّء للمعدة ، قطّاع للعطش .

صبر : يفتح سدد الكبد ويُذهب اليرقان .

صعتر : محلل للنفخ ، هاضم للطعام الغليظ ، مدر للبول والحيض باعث للشهوة وشمه نافع للزكام .

عدس : أجوده أسرعه نضجا .

عسل : جاء فيه قوله تعالى « يخرج من بطونها شراب مختلف ألوانه فيه شفاء للناس ، وأجوده العسل الربيعي ثم الصيفي ثم الشتوي وهو من أنفع مايتناول ،لما فيه من الحلاوة والتقوية وجودة التغذية وتقوية المعدة وتشهية الطعام وهو ينفع المشايخ ويلين الطبع فهو غذاء مع الأغذية وشراب في الأشربة ودواء في الأدوية وحلوى كالفاكهة ولم يخلق لنا مأكول أفضل منه والعسل في أكثر الأمراض أفضل من السكر لأنه يفتح ويدر ويحلل ويغسل .

عنبر : ملك الطيب يذكي الحواس .

عناب : شرابه ينفع الجدري والحصبة ويقع في المطابخ والمغالي والنقوعات والحقن.

عنب جيد الغذاء والنضيج منه أجود وحديث العهد بالقطف أفضل .

فجل : غذاؤه قليل ويعين على الهضم .

فلفل : يحلل الرياح

قرع : يغذو سريعاً وينفع السعال .

قصب : ينفع السعال ويجلو المثانة ومنافعه كثيرة .

قطن : ثيابه أدفأ من الكتان .

قنب : وهو الذي منه الحشيشة المضرة وهي نجسة مضرة بالعقل والدين مضعفة للبصر قاطعة للمني .

كافور : يقطع الرعاف ويقوي الحواس ويقطع الباه .

كمون : يحل القولنج ويطرد الريح .

لبن : أفضل الحليب لبن الشاة مشروبا من الضرع ، واللبن الحليب ينقي البدن
وروي عليكم بألبان البقر فانها شفاء وسمنها دواء .

اللباء : هو مايحلب في وقت الولادة ، يرطب البدن ويخصب .

لحم : يخصب البدن ويقويه وأفضله الضأن وأجوده الحولي . روي اللحم
من اللحم فمن لم يأكل اللحم أربعين يوماً ساء خلقه وفي رواية من
من أكله أربعين يوماً قسا قلبه واللحم أقوى الأغذية .

لوز : الحلو منه ينفع السعال ويخصب البدن ويغذيه غذاءاً جيداً والمر منه
يفتتْ الحصى .

ليمون : قشره مع السكر يحفظ الصحة وينبه الشهوة وشرابه يقطع القيء
والغثيان ومنافعه جمة .

محمودة : تسهل الصفراء .

مسك : أشرف الطيب .

مشمش : ماء نقيعه يقطع العطش ،يقصد بذلك نوعه الجاف المعروف بالنقوع .

ملح : روي سيد ادامكم الملح .

من : جيد للصدر ينفع للسعال وفيه جلاء .

موز : وهو الطلح يؤكل بالعسل ، شديد الغذاء .

نارجيل : هو جوز الهند أجوده ما كان ابيض اللون .

نارنج : إشمام رائحته منعش - يقوي القلب - وحماضه ينفع من التهاب المعدة
ومزاج قشره وبزره وحمضه كمزاج الاترج وان غلي قشره بزيت ، نفع
ثلج الرجلين والشقاق ومغص البطن .

نخالة : طبيخها ينفع السعال والصدر

نرجس : إشمامه يفتح سدد الزكام .

نعناع : الطف البقول يقوي المعدة ويسكن الفواق ويمنع القيء .
هليون : يفتح سدد الكلية وينفع وجع الظهر .
هنـدبا : ينفع امراض الكبد وروي كلوا الهندباء .

١٤ – الأدوية المركبة : لايؤثر على الدواء المفرد دواء. مركب ولكن يضطر الى التركيب اما لاصلاح كيفية الدواء أو إصلاح كراهته أو لاضعاف قوته أو لدفع ضرر الدواء زمانا أو لشدة المرض وقوته ، او إذا لم يوجد دواء واحد يقاومه أو لاختلاف مزاج المريض .

١٥ – حفظ صحة الاسنان : اجتناب مضغ كل علك ، وكسر كل صلب واجتناب كل شديد البرد ومنه شرب الماء البارد الشديد البرد وخصوصاً عقب الطعام الحار وكذلك الطعام الحار عقيب الطعام البارد وكثرة الخلال يفسد الطعام وكذلك المضرسات .

١٦ – عضة الكلب الكلِب . الكَلَب : علاماته احمرار العينين وخروج اللسان وسيلان اللعاب وان يطأطيء الكلب رأسه نحو الأرض ويُرخي اذنيه ويدس ذنبه بين رجليه ويعدو دائماً ويكون في حركته كالسكران ويحمل على من يراه ولاينبح إلا قليلاً مع بحة صوته وتهرب منه الكلاب ويمتنع من الأكل ويهرب من المـاء إذا رآه ،وإذا عض إنساناً عرض له من الأعراض نحو ماعرض للكلب والعلة التي تتبع العضة عظيمة حتى أن المعضوض يفزع من الماء إذا رآه ويستوحش من جميع من يراه ويرى وجهه في المرآة بصورة كلب. يعالج بشق موضع العضة وبوضع المحاجم عليها لتمتص مافيها مصاً قوياً ويجتهد ليبقى الجرح مفتوحاً.

١٧ – علاج الملسوع : يكون بترك النوم – حتى تتم المعالجة – لأنه إذا نام سرى السم الى اعماق البدن ويوضع على مكان اللسعة المحاجم لتمص السم مصاً قويا وذلك بعد شد العضو شداً والفصد نافع بعد انتشار السم في البدن أما في الأول فلا.

١٨ – اتقاء الأمراض المعدية ومنها الطاعون من كلمات الرسول (لا يوردن ممرض على مصح) ومن كلماته في الوقاية من الطاعون: (إذا سمعتم به بأرض فلا تدخلو عليه وإذا وقع بأرض وانتم بها فلا تخرجوا فراراً منه).

١٩ – الجدري والحصبة والحميقي: تعالج بشرب العناب والرمان.

٢٠ – الغيل[1]: روي لاتغيلوا أولادكم فان الغيل يدرك الفارس فيدعثره عن فرسه وقد نُسخ هذا الحديث بالحديث القائل هممت أن انهي عن الغيلة فنظرت في الروم وفارس فاذا هم يغيلون اولادهم فلا يضر أولادهم ذلك شيئاً.

واننا نرى أن لامجال للخوف من لبن المرضع المسمى بالغيل إذا كانت المرضع تستطيع أن تغتذي بما يوفر لها ولجنينها ورضيعها العناصر الغذائية اللازمة وهي تعادل لـ ٥٠٠٠ وحدة حرورية على أنه يطرأ على لبن الحامل في النصف الثاني من الحمل تحول لبئي يجعل اللبن غير صالح للرضيع. يدل على هذا التحول ظهور جسيمات في اللبن تدعى الجسيمات اللبئية وقد تبين لنا ايضا ان الالباء يقع في غير الحمل ويسببه ركود غدة الثدي واحتباس اللبن فيها وان الاستمرار على تنشيط الثدي بمصه من قبل الرضيع يعوق التحول اللبئي، ولا يكون هذا التحول عادة إلا في الأشهر الثلاثة الأخيرة من سنته الأولى لأن أنواع التغذية التي تقدم للرضيع تلهيه عن ثدي مرضعه فلايمصه كسابق عهده لذلك يُحتبس افرازه ويسهل تحوله الى لباء.

٢١ – محاربة الخرافات: حارب الاسلام الايمان بالتطير والطيرة والتولة والتائم والعيافة والتكهن والعرافة والتنجيم والسحر وما الى ذلك فقد جاء في الحديث الشريف عن:

---

١ ـ على من اراد التوسع في هذا الموضوع أن يطلع على بحث المؤلف الغميس المنشور في مجلة المعهد الطبي العربي والملخص في الجزء الاول من كتاب الاسلام والطب بين صفحة ١٦٠ وصفحة ١٦٦.

الطيرة والتطير : **الطيرة من الشرك .**

التولة والتمائم : **التولة والتمائم والرقى من الشرك .**

التميمة : **من علق تميمة فقد أشرك .**

لقد نفاها الشرع وأبطلها وأخبر عنها انه ليس لها تأثير في جلب نفع ولا دفع ضرر لأن ذلك كان يصدهم عن مقاصدهم وقد توغل الايمان بها في قلب الانسان كما يستنتج من الحديث الشريف القائل **ثلاث لا يسلم منهم أحد : الطيرة والحسد والظن قيل فما نصنع قال** اذا تطيرت فامض واذا حسدت فلا تبغ واذا ظننت فلا تحقق . وقد جاء في الحديث الشريف ايضاً **الطيرة شرك وما منا ، الا ولكن الله يذهبه بالتوكل** وقد جاء هذا القول مقطوعاً ولم يذكر المستثنى اي الا قد يعتريه التطير وتسبق الى قلبه الكراهية فحذف اختصاراً واعتماداً على فهم السامع وقد جاء في الحديث الشريف عن العيافة : **العيافة والطرق**[1] **من الجبت**[2] وجاء فيه عن التكهن والكهانة والكهان والعرافة قوله : **من أتى عرافاً او كاهناً فقد كفر** أراد بالعراف المنجم او الحازي الذي يدعي علم الغيب. قال الأزهري كانت الكهانة في العرب قبل الاسلام فلما بعث الرسول بطل علم الكهانة وجاء في الحديث الشريف عن السحر والتنجيم . **المنجم كاهن والكاهن ساحر والساحر كافر** فجعل المنجم الذي يجعل حياة الشخص مرتبطة بالنجم وتأثيره عليها شراً او خيراً كافراً .

وقد قاوم الاسلام السحر مقاومة شديدة حتى ان الفقهاء بحثوا في جواز قتل الساحر لتصرفه بالافساد وما ينشأ عنه من الفساد .

وهكذا جعلت الشريعة باب السحر والطلسمات والشعوذة وما الى ذلك باباً واحداً لما فيها من الضرر وخصته بالحظر والتحريم .

---

١ ـ الطرق : ضرب بالحصى على سبيل التكهن ٢ ـ الجبت : السحر الذي لا خير فيه

٢٢ – تجويز الفأل والاسترقاء : **الفأل** : كان الرسول يتفاءل ولا يتطير واصل الفأل الكلمة الحسنة يسمعها عليل فيتأول منها ما يدل على برئه وقد جاء في الحديث الشريف **تفاءلوا بالخير تجدوه** .

وأما الاسترقاء : فهو نوع من المعالجة بالايحاء والايمان، يتفاءل الناس به فقد اجازه الاسلام ضمن شروط منها ان يكون من كلام الله او من الدعاء الى الله وان يكون معروف المعنى ولذلك كره اذا كان بغير لسان العرب[١] .

طبقات الاطباء الذين عاصروا الاسلام

اشتهر منهم الحارث بن كلدة الثقفي وابنه النضر وابن أبي رمثة التميمي والشمردل بن قباب وضماد بن تعلبه وشفاء بنت عبد الله ورفيدة وأم عطية الانصارية .

الحارث بن كلدة : الحارث بن كَلَدَة الثقفي كان من الطائف تعلم الطب في مدرسة جند يسابور من أعمال بلاد فارس[٢] وتمرن هناك وعرف الداء والدواء، طبَّ بأرض فارس وعالج وحصل بذلك على مال هناك وشهد أهل بلاد فارس بعلمه وكان قد عالج أحد أجلائهم فبرأ وأعطاه مالاً وجارية سماها الحارث سمية ثم ان نفسه اشتاقت الى بلاده فرجع الى الطائف واشتهر طبه بين العرب وكان الرسول يوصي بالتطبيب عنده . بقي الحارث أيام الرسول وأبي بكر وعمر وعثمان وعلي ومعاوية

وكان للحارث معالجات كثيرة ومعرفة بما كانت العرب تعتاده وتحتاج إليه

---

١ – على من أراد التوسع ان يرجع الى كتاب زاد المعاد في هدي خير العباد تأليف الامام الحافظ ابي عبد الله بن القيم الجوزية ج ٣ ص ١٦٥ .

٢ – يذكر ابن جلجل في كتابه طبقات الأطباء والحكماء ان ابن كلدة تعلم الطب بناحية فارس واليمن وانه كان يضرب العود .

من المداواة وله كلام مستحسن فيما يتعلق بالطب وغيره، من ذلك انه لما وفد على كسرى انوشروان أذن له بالدخول عليه فلما وقف بين يديه منتصباً قال له : من أنت ؟ قال : انا الحارث بن كلدة الثقفي ، قال فما صناعتك ؟ قال الطب ، قال : أ أعرابي أنت ؟ قال : نعم . من صميمها وبحبوحة دارها ، قال فما تصنع العرب بطبيب مع جهلها وسوء أغذيتها . قال أيها الملك اذا كانت هذه صفتها كانت أحوج الى من يصلح جهلها ويقيم عوجها ويسوس أبدانها ويعدل أمشاجها فان العاقل يعرف ذلك من نفسه ويميز موضع دائه ويحترز عن الأدواء كلها بحسن سياسته لنفسه .

ثم قال : فما الذي تحمد من أخلاقها ويعجبك من مذاهبها وسجاياها ؟ قال الحارث أيها الملك : أنفس سخية وقلوب جرية ، ولغة فصيحة وألسن بليغة وأنساب صحيحة وأحساب شريفة، يمرق من أفواههم الكلام أعذب من هواء الربيع ، مطعمو الطعام في الجدب وضاربو الهام في الحرب لا يرام عزهم ولا يضام جارهم ولا يستباح حريمهم ولا يذل أكرمهم ولا يقرون بفضل للانام إلا للملك الهمام الذي لا يقاس به أحد .

قال فاستوى كسرى جالساً وجرى ماء رياضة الحلم في وجهه لما سمع من محكم كلامه وقال لجلسائه اني وجدته راجحاً ولقومه مادحاً وبفضيلتهم ناطقاً وبما يورده من لفظه صادقاً وكذا العاقل من أحكمته التجارب ثم أمره بالجلوس فجلس فقال : كيف بصرك بالطب ؟ قال ناهيك ، قال فما أصل الطب قال الأزم ، قال فما الازم ؟ قال ضبط الشفتين والرفق باليدين ، قال أصبت ، قال فما الداء الدوي ؟ قال ادخال الطعام على الطعام هو الذي يفني البرية ويهلك السباع في جوف البرية ، قال أصبت ، قال فما الجمرة التي تصطلم منها الادواء ؟ قال هي التخمة ان بقيت في الجوف ثقلت وان تحللت أسقمت قال صدقت . قال فما تقول في الحجامة ؟ قال في نقصان الهلال، في يوم صحو لا غيم فيه والنفس

طيبة والعرق ساكنة لسرور يفاجئك وهمّ يباعدك . قال فما تقول في دخول الحمام ؟ قال لا تدخله شبعاناً ولا تغش أهلك سكراناً ولا تقم بالليل عرياناً ولا تقعد على الطعام غضباناً وارفق بنفسك يكن أرخى لبالك وقلل من طعامك يكن أهنأ لنومك قال فما تقول في الدواء ؟ قال ما لزمتك الصحة فاجتنبه فان هاج داء فاحسمه بما يردعه قبل استحكامه فان البدن بمنزلة الأرض إن أصلحتها عمرت وان تركتها خربت ، قال فما تقول في الشراب ؟قال أطيبه أهنؤه وأرقه امرؤه واعذبه اشهاه لا تشربه صرفاً فيورثك صداعاً ويثير عليك من الأدواء انواعاً ، قال فأي اللحمان افضل ؟ قال الضأن الفتي ،والقديد المالح مهلك للآكل، واجتنب لحم الجذور والبقر ، قال فما تقول في الفواكه ؟ قال كلها في اقبالها وحين أوانها واتركها اذا ادبرت وولت وانقضى زمانها وأفضل الفواكه الرمان والاترج وأفضل الرياحين الورد والبنفسج وأفضل البقول الهندباء والخس ، قال فما تقول في شرب الماء ؟ قال هو حياة البدن وبه قوامه ،ينفع ماشرب منه بقدر، وشربه بعد النوم ضرر،افضله وأرقه أصفاه ، قال أفتأمر بالحقنة ؟ قال نعم قرأت في بعض كتب الحكماء ان الحقنة تنقي الجوف وتكسح الأدواء عنه والعجب لمن احتقن كيف يهرم او يعدم الولد وان الجهل كل الجهل،من أكل ماقدعرفت مضرته وآثرت شهوته على راحة البدن . قال فما الحمية ؟ قال الاقتصاد في كل شيء فان الاكل فوق المقدار يضيق على الروح ساحتها ويسد مسامها . قال كسرى: لله درك من أعرابي لقد أعطيت علماً وخصصت فطنة وفهماً وأحسن صلته وأمر بتدوين ما نطق به .

ويعزى الى الحارث قوله : من سره البقاء ولابقاء فليباكر الغداء،وليخفف الرداء ، وليُقل من غشيان النساء .

روى داوود بن رشيد عن عمرو بن عوف قال لما احتضر الحرث بن كلدة

اجتمع اليه الناس فقالوا : مرنا بأمر ننتهي اليه من بعدك فقال لا تتزوجوا من النساء الا شابة ولا تأكلوا الفاكهة الا في أوان نضجها ولا يتعالجن أحد منكم ما احتمل بدنه الداء وعليكم بالنورة في كل شهر فانها مذيبة للبلغم، مهلكة للمرة منبتة للحم واذا تغدى احدكم فلينم على أثر غدائه واذا تعشى فليخط أربعين خطوة ومن كلامه أيضاً دافع بالدواء ما وجدت مدفعا ولا تشربه الا من ضرورة فانه لا يصلح شيئاً الا أفسد مثله وله من الكتب كتاب المحاورة في الطب بينه وبين كسرى أنوشروان .

النضر بن الحرث بن كلدة الثقفي : هو ابن خالة النبي ﷺ وكان النضر قد جاب البلاد أيضاً كأبيه واجتمع مع الأفاضل والعلماء بمكة وغيرها وعاشر الأحبار والكهنة واشتغل وحصل من العلوم القديمة أشياء جليلة القدر واطلع على علوم الفلسفة واجزاء الحكمة وتعلم من أبيه أيضاً ما كان يعلمه من الطب وغيره وكان النضر كثير الأذى والحسد للنبي الكريم ويتكلم فيه بأشياء كثيرة كيا يحط من قدره عند أهل مكة ويبطل ما أتى به بزعمه . ناصر قريشاً في غزوة بدر وقُتل بعدها[1].

---

١ ـ قالت اخته ترثيه :

منّي اليه وعبرة مسفوحة	جادت بدرتها واخرى تخنق
فليَسمَعن النضرُ ان ناديته	ان كان يسمع ميت أو ينطقُ
ظلت سيوف بني أبيه تنوشه	لله أرحام هناك تمزّق
أمحمد ولأنت نسل نجيبة	في قومها والفحل فحل مُعرِق
ما كان ضرك لو مننت وربما	منّ الفتى وهو المغيظ المحنق
لو كنت قابلَ فدية لفديته	بأعز ما يفدي به من يَنفق

وكان يقال : ان شعرها اكرم شعر واعفه واكفه واحلمه .

ابن ابي رمثة التميمي : قيل اسمه رفاعة بن يثربي كان طبيباً على عهد رسول الله الامين مزاولاً لأعمال اليد وصناعة الجراح .

الشمردل بن قباب الكعبي النجراني : كان الشمردل[1] في وفد نجران بني الحارث بن كعب فنزل بين يدي النبي ﷺ فقال :

يارسول الله بأبي أنت وأمي إني كنت كاهن قومي في الجاهلية ، واني كنت أتطبب، فما يحل لي قال : (فصد العرق ومجسة الطعنة إن اضطررت وعليك بالسنا ولا تداو أحداً حتى تعرف داءه) قال: والذي بعثك بالحق انت أعلم بالطب مني.

ضماد بن ثعلبة الازدي: قال ابن عباس: قدم رجل، من أزد شنوءة[2] يقال له ضماد مكة معتمراً فسمع كفار قريش يقولون: محمد مجنون . فقال : لو اتيت هذا الرجل فداويته فجاءه فقال : يامحمد اني أداوي من الريح فان شئت داويتك لعل الله ينفعك فتشهّد رسول الله ﷺ وحمد الله وتكلم بكلمات فأعجب ذلك ضماداً فقال : أعدها علي فأعادها عليه فقال : لم اسمع مثل هذا الكلام قط ، لقد سمعت كلام الكهنة والسَحَرة والشعراء فما سمعت مثل هذا قط ، لقد بلغ قاموس البحر يعني قعره فأسلم وشهد شهادة الحق وبايعه على نفسه وعلى قومه .

الشفاء بنت عبد الله : اشتغلت في الطب ومما اشتهرت به معالجتها النملة[3] بالرقى في الجاهلية وقد استأذنت الرسول بمتابعة عملها وكانت قد بايعته بمكة :

---

١ ـ الاصابة لابن حجر العسقلاني .

٢ ـ الطبقات الكبرى لابن سعد جزء ٤ قسم ١ ص ١٧٧

٣ ـ مرض جلدي من نوع الاكزيما Eczéma جاء عنه في اللغة النملة داء معروف وهو قروح تخرج في الجنبين وقد سمي نملة لان صاحبه يحس في مكانه كأن نملة تدب عليه وتعضه.

قالت يارسول الله اني كنت أرقي في الجاهلية من النملة واني اريد ان اعرضها عليك فعرضتها عليه فاذا هي اللهم اكشف الباس رب الناس .

رفيدة : طبيبة متميزة بالجراحة ولذلك اختارها الرسول لتقوم بالعمل في خيمة متنقلة وقد روى مسلم عن عائشة رضي الله عنها انها قالت : اصيب سعدبن معاذ يوم الخندق . رماه رجل من قريش ، ابن العرقة ، رمى في الاكحل[1] فأمر الرسول رفيدة أن تقيم خيمة في المسجد ليعوده من قريب[2] .

قال ابن اسحاق في السيرة : كان رسول الله قد جعل سعد بن معاذ في خيمة لامرأة من أسلم يقال لها رُفَيْدة في مسجده ، كانت تداوي الجرحى وتحتسب بنفسها على خدمة من كانت به ضبعة من المسلمين وقد كان رسول الله قد قال للقوم حين أصابه السهم بالخندق (اجعلوه في خيمة رفيدة حتى أعوده من قريب[3])

ام عطية الانصارية : كانت معدودة بين الأطباء في الجاهلية ، عاصرت الاسلام ودخلت في دين الله ، اشتهرت بالجراحة وغزت مع الرسول حيث كانت تداوي الجرحى وتقوم على المرضى[4] .

وكان في العرب كثير من المتطببين ، غير هؤلاء يخلط بعضهم بين الرّقى والتطبيب ، وبعضهم الآخر كان قد تعلم الطب في فارس أو في احدى البلاد المجاورة لجزيرة العرب ثم رجع الى موطنه يعاني مهنة التطبيب .

---

١ - الاكحل هو الوريد المتوسط في اليد Veine Médiane ،

٢ - الجزء الثاني من تخريج الدلالات السمعية .

٣ - سيرة ابن هشام ج ١ ص ٦٨٨ .

٤ - تاريخ البيارستانات في الاسلام لمؤلفه الدكتور احمد عيسى بك من مطبوعات جمعية التمدن الاسلامي بدمشق ص٨

كعيبة بنت سعد الاسلمية: هي احدى النجيبات المعدودات من طبيبات العرب وكانت لها خيمة تداوي فيها المرضى وتأسو الجرحى .

اهرون القس الاسكندري: له كناش في الطب باللغة السريانية يشتمل على ثلاثين مقالة زاد عليها مقالتين . وقد تولى ترجمته ماسرجويه الطبيب البصري في أيام مروان .

الاواسي والآسيات في صدر الاسلام

إذا كان الغرب يفخر بالممرضة البريطانية نايتنتغل[1] التي خرجت من الطبقة النبيلة تدعو الى التمريض واعتباره عملاً شريفاً فمن واجبنا في هذا الكتاب ان نُسهم بهذا الفخار المرأة العربية في صدر الاسلام . لم تكن المرأة العربية أيام نهضة العرب عنصراً غير فعال في المجتمع ، ميالة الى الراحة والدعة واللهو والترف كما يريد البعض أن يصورها زوراً وبهتاناً ، بل كانت سباقة في ميادين العمل الاجتماعي والفردي ، فضلاً عن أنها كانت من أحسن ربات البيوت تدبيراً لمنزلها وعناية بأولادها وسعياً وراء تأمين راحة زوجها وكانت الى جانب ذلك عاملة

---

١ - Neintingel غادرت بيت والدها في انكلترة ، حيث رغد العيش والرفاه لتعمل في حرب القرم ممرضة في مستشفى اسكودار وكان المستشفى واقعاً في بقعة جميلة ولكنها محاطة بالاقذار وكان في المستشفى من الجرذان الكبار ما حبب الى الجرحى الخلاص من الحياة ، كانت هذه الجرذان تنهش اعضاء الجرحى وتأكل عظامهم . نظمت نايتنتغل العمل في المستشفى وطهرته من الأوساخ والجرذان وعنيت بالجرحى فأحبها المرضى حباً بلغ حد التقديس ولم يعودوا يخالفون لها امراً ، ثم قصدت ساحات القتال فنظمت مشافي الميدان وعادت سنة ١٨٤٦ الى بلادها متنكرة ، وعلى الرغم من ذلك فقد اشيد مستشفى باسمها ومنحت أرفع الاوسمة وكتب اليها امبراطور المانيا مهنئاً مفتخراً بأنها درست فن التريض في المانيا ، وقد سماها في رسالته بملكة الممرضات .

تكسب معاشها اذا أحوجها الأمر بعمل شريف، يدر عليها من الرزق، مايمكنها من الاضطلاع بامومتها على خير وجه وأقوم سبيل .

وكانت المرأة العربية لا تتوانى عن المساهمة في الخدمة الاجتماعية ، وقد اختصت في الغالب ، بهذا العمل فئـة من نساء العرب رزقها الله بسطة العيش ما مكنها من التفرغ الى أعمال اجتماعية ، سداها النبل والشجاعة ولحمتها الاخلاص والجرأة ، وكانت على رأس الخدمات الاجتماعية التي برزت فيها المرأة التمريض والاسعاف الصحي في السلم والحرب ، وقد أجاز الشرع هذا العمل وحببه الى النفوس ، نص الإمام أحمد علي أنه يجوز للمرأة ان تخدم الرجل وتشاهد منه عورة في حال المرض وقال مثل هذا القول الامام المحدث الحافظ الذهبي . لقد ذكرت كتب مبعثرة اعمال هذه الفئة النبيلة من النساء في ميدان التضحية والنجدة عفّى عليها الزمن، إذ رقدت في بطون الكتب المخطوطة رقود المرأة العربية في مرحلة حياة العرب المظلمة ، وقد رأينا من واجبنا في هذا البحث ان نلقي بعض النور على ذلك لقد حث الاسلام المرأة على العمل وكان التمريض من الاعمال التي عنيت بها المرأة العربية . كان العرب يطلقون اسم الآسيات والأواسي على النساء العربيات اللائي يعملن في تضميد الجراح وجبر العظام والوقاية من النزف وغير ذلك من اعمال الاسعاف وقد سمين بهذا الاسم لأنهن يعالجن جراح الجريح ويواسينه[1] .

لقد كان اسعاف الجرحى من اختصاص فضليات النساء ، يتخذنه قياماً بالواجب وحباً في التضحية ومشاركة في الجهاد وكن يسرن الى المعارك مع الرجال جنباً لجنب ، حاملات أواني الماء والى جانب كل منهن ما تحتاج اليه الجراح من اللفائف والجبائر وغير ذلك من وسائل الاسعاف وكن ينفذن بين الرجال

---

١ ـ قال القدماء في الممرضات والممرضين :

هم الآسون ام الراس لما تواكلها الاطبة والاساه

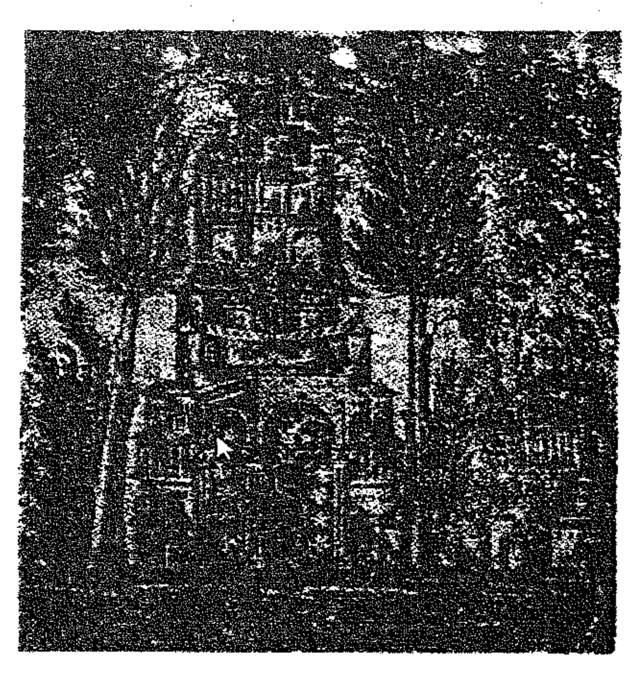
فيرافقن الرجال مسعفاتٍ معالجاتٍ ، يرعين الجرحى ويأسون جراحهم ويجبرن كسورهم ومنهن من كن يشتركن في القتال وكانت لهن مواقع مشهودة . ولما تتابعت الفتوح كان في الجيش مضارب ، فيها الممرضات من النســاء ، يداوين الجرحى وكان هذا جهادهن .

الباب الثاني

الطب عند العرب

الطب العربي وحركة النقل والتأليف عند العرب وفي دولهم

الطب العربي – يقصد بالطب العربي مجموعة الآراء الطبية التي حوتهامؤلفات رجال الدول العربية والاسلامية ، تلك الآراءالمستوحاة من الطب القديم وخاصة منها اليوناني والتي زينت باضافات نفيسة من الطب الهندي والفارسي والسرياني : على أن مايطبع الطب العربي بطابع خاص هو جمعه علوم الأولين في باقة زهور عطرة وتقديمها تحفة ثمينة سهلة المنال الى العالم ، لقدتم نقل العلوم اليونانيةولاسيما الطب منها الى اللغة العربية بأمر الخلفاء الأمويين والعباسيين ثم قدمت مجموعات هذه العلوم بعد خمسة قرون الى أوروبا – التي بدأت تشعر بظمأها للعلم – كنزاً ثميناً ، والواقع أن طبع ترجمة الكتب العربية الى اللاتينيه كان شغل الطباعين الشاغل في بدء عهد الطباعة ، واستمر ذلك الى زمن استطاع الغربيون فيه الحصول على اصول يونانية للكتب المترجمة فاهملوا حينئذالكتب العربيةوماحوته والتفتوا الى المصادر الأصلية ما استطاعوا الى ذلك سبيلا ، وقد تبين لهم بعدئذ ان العرب كانوا قد اضافوا الى العلوم اليونانية اضافات كثيرة وزينوهابنظريات رائعة مبتكرة لذلك اعادوا الكرة عليها ،



الشكل (١٨)
مكتبة الجامع الاموي ونقوشه الفسيفسائية

حتى انه يصح أن يقال إذا كان اليوناني أبا للعلم فجاء العربي وحل محله في هذه الابوة ، وكانت طريقة العربي مناشدة الحقيقة بكل استقامة وبساطة وحلها بوضوح دون ان يترك شيئاً في ظل الابهام ، ان هذه الخاصة التي جاءتنا يقول ولز نحن الأوربيين من اليونانيين وهي نشدان النور إنما جاءتنا عن طريق العرب ولم تصل الى أهل العصر الحاضر من طريق اللاتين ، لقد كان باستطاعة العرب القادمين من الصحراء بتلك العقول الزكية المولعة بالاطلاع وتلك الجرأة النادرة المثال والاخلاص الذي لامثيل له أن يفتحوا العالم أجمع لو بقوا سائرين سيرتهم الأولى ولو لم تنشب في وسط العالم العربي من أول الأمر رغبة التخلص من الحكام بالغيلة ، والحرب الداخلية والفتن العديدة التي استنفذ في اخمادها الخلفاء والحكام معظم أوقاتهم . ركز العرب الأذكياء في مدنيتهم الوثابة مدنيات وثقافات قديمة وقد بلغ العلم العربي قمة عصره الذهبي بين سنتي (٧٥٠ و ٨٥٠) ميلادية وكان مركزه دمشق وبغداد .

لقد سبق الطب العربي بنهضته الطب الغربي مئات السنين وكانت في البصرة والكوفة وبغداد والقاهرة ودمشق وقرطبة مدارس تبث انوارها في العالم كله ، يقصدها الطلاب ، من الشرق والغرب ،

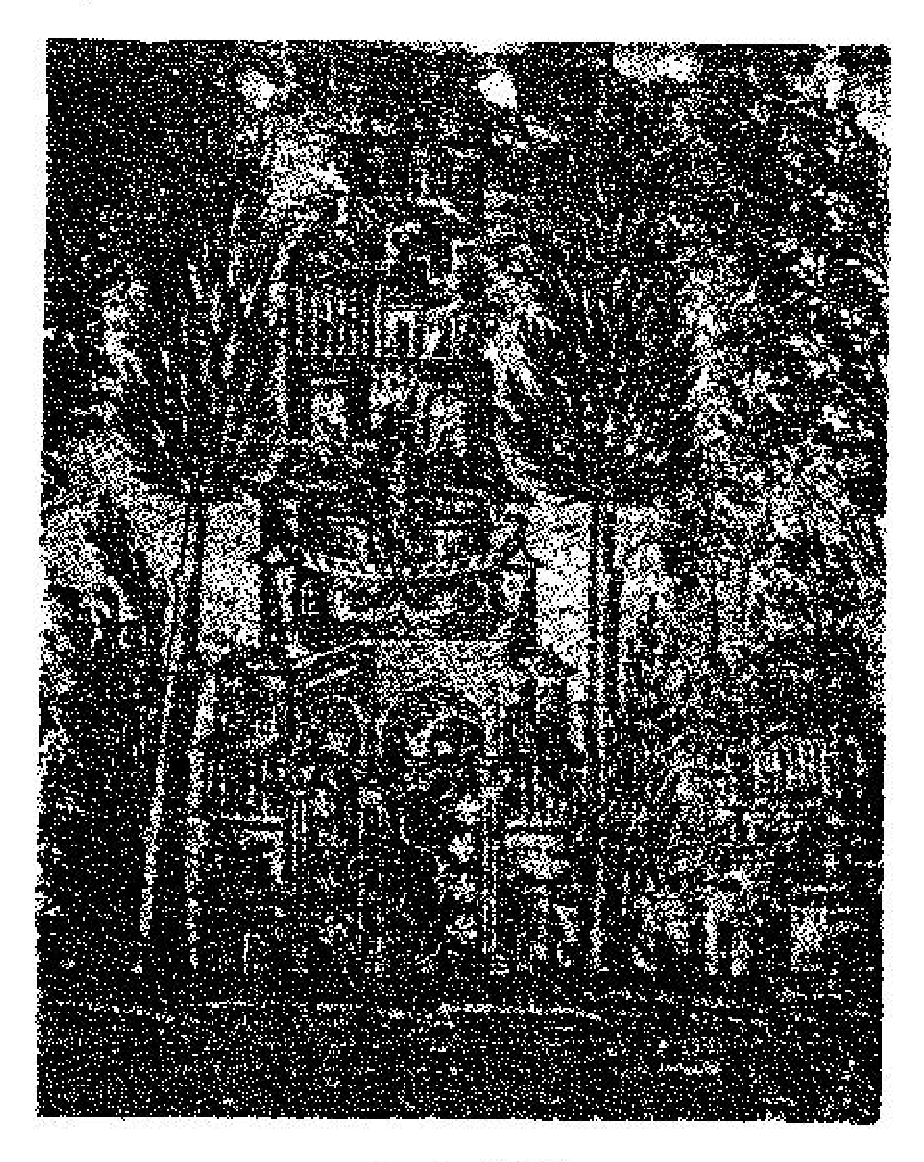
وكان الطلاب يدرسون معاً ، من ولد السيد الرفيع الى ولد الصانع الوضيع وكانوا يجرون النفقات على التلاميذ الفقراء ويؤدون الرواتب الجمة للمعلمين وكان خلفاؤهم يقولون عن العلماء : انهم صفوة الله في خلقه ونخبة من عباده ، صرفوا اعنايتهم الى نيل فضائل النفس الناطقة فكانوا مصابيح الدجى وسادة البشر .

ويقول ولزبأن العرب بلغوا في الطب شأواً فاقوا فيه اليونانيين بكثير ، درسوا علم وظائف الأعضاء وعلم الصحة وكانت طرق طبهم العملية نظير طرقنا الحاضرة ولانزال نحن الى يوم الناس هذا نستعمل كثيراً من أدويتهم وكان جراحوهم يعرفون التخدير ويجرون العمليات الصعبة .

حركة التأليف والنقل في الطب عند الامويين : لقد امتد ملك الامويين مابين سمرقند وأقاصي الأندلس وكانت دمشق مناراً يشع نوره على ارجاءواسعة لابل العالم كله حيث احتلت الثقافة العربية مركزاً لامثيل له في التاريخ ، عني الأمويون بنقل العلوم القديمة من يونانية وفارسية وهندية الى اللغة العربية فقد وجدوا في المدارس السورية ومدرسيها من السريان مايحقق غاياتهم كابادلهم هؤلاء الاخلاص والولاء ، كان للسريان مدارس متعددة فيما بين النهرين والبلادالمجاورة لها ، رعاها الأمويون وقد اشتهر منهم في العصر الأموي يعقوب الرهاوي

كان هؤلاء السريانيون السوريون ينقلون العلوم اليونانية بدقة وأمانة فيما لم يمس الدين كالمنطق والطب والطبيعة ، وظلت المدارس اليونانية مفتوحة الأبواب عند الدولة الأموية كما كانت في الدولة البيزنطية ، وقد حفظت اللغة السريانية بعض الكتب اليونانية التي فقد أصلها وكانت ترجمتهم لكتب الفلسفة اليونانية هي الأساس الذي اعتمد عليه العرب أول أمرهم وكانت الترجمة السريانية في عهدها الأول ترجمة حرفية تقريباً ثم تحرر الكتاب المتأخرون في حرفية الترجمة

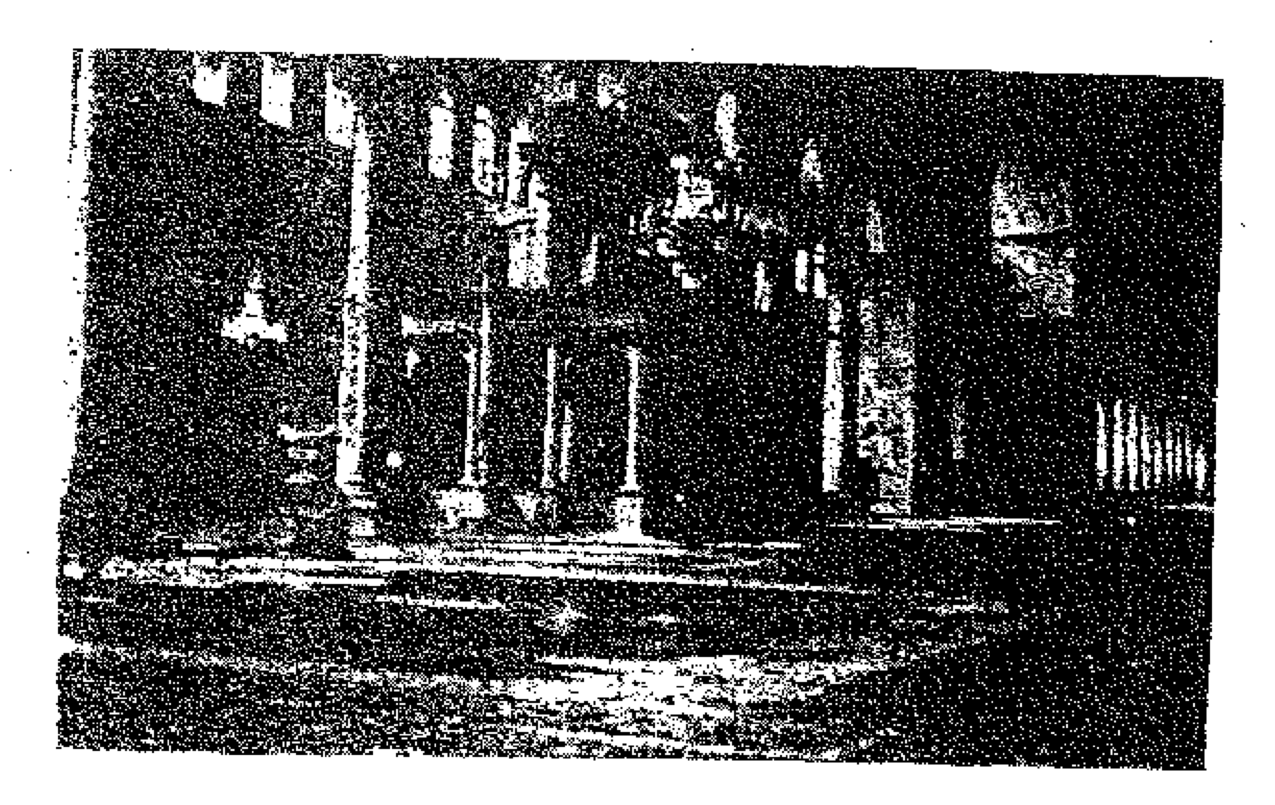
ولم يقتصر اليونانيون على الترجمة من اليونان بل ترجموا من الفهلوية . وقد نتج من امتزاج السريانيين بالأمويين أن تشعبت هذه التعاليم في المملكة الاسلامية



الشكل (١٨)

مكتبة الجامع الاموي ونقوشه الفسيفسائية

وتزاوجت العقول المختلفة كما تزاوجت الأجناس المختلفة فنتج من هذا التزاوج الثقافة العربية ، خدم السريانيون العلوم بما ترجموا أكثر مما ألفوا وظهر في هذا العصر كثير من الاطباء وكان أكثرهم فلاسفه وأطباء معاً لأن دراستهم الطبية لم تكن منفصلة عن دراستهم الفلسفية .



الشكل (١٩)
فسيفاء الجامع الاموي

حركة التأليف والنقل عند العباسيين : اقتبس العباسيون الطب عن الفرس والهنود ، ولاسيما عن اليونان وكان عصر هارون الرشيد ، عصر الإسلام الذهبي فأصبحت بغداد عاصمة العالم في الثقافة والسياسة والاقتصاد ، لقد نشّط الخليفة الرشيد العلوم بجميع الوسائل وتبعه في ذلك رجاله فزادوها تبسطاً في الأبحاث وتوسعاً في العلاج ومهارة في الجراحة والتشريح وخبرة في العقاقير وتركيبها ومعرفة في الكيمياء وتحليلها ، وكانوا قد استقدموا اليهم كثيرين من أطباء تلك الأمم فطبوا للخلفاء ونقلوا لهم الكتب فكان عند الرشيد من يطب له على طريقة اليونان والهنود والفرس والكلدان ، كل ذلك للجمع بين مفترق الآراء والاستشفاء من الأدواء .

تاريخ الطب م-١٣

وكان المأمون ، ذا ولع بالطب ، ومن غريب مايروى عنه أنه أولَمَ لخاصته ووضع لهم أكثر من ثلاثمائة لون ، وكلما وضع لون نظر اليه المأمون وقال : هذا يصلح لكذا وهذا نافع لكذا ، فمن كان منكم صاحب بلغم ورطوبة فليتجنب هذا ، ومن كان صاحب صفراء ، فليأكل من هذا ، ومن أحب الزيادة في لحمه فليأكل من هذا ، ومن كان قصده قلة الغذاء فليقتصر على هذا ، ومازالت تلك حاله حتى رفعت الموائد فقال يحيى بن أكثم يا أمير المؤمنين !إن بحثت في الطب فانت جالينوس وفي معرفة النجوم فانت هرمس أو ذكرنا السخاء فانت حاتم .

لقد اشتهر من خلفاء العباسيين المنصور[1] والمأمون[2] بحبهما للتوسع العلمي ورغبتهما في التطلع الى آفاقه البعيدة مما أثار سخط الجامدين عليهم .

وينسب بعضهم ترجمة الكتب اليونانية في عهد المأمون ، الى رؤيا رآها المأمون، رأى في منامه شيخاً بهي الشكل ، جالساً على منبر وهو يخطب ويقول: أنا ارسطاطاليس ، فانتبه من منامه وسأل عن أرسطاطاليس فقيل له : رجل حكيم من اليونانيين فاحضر حنين بن اسحاق ، إذ لم يجد من يضاهيه في نقله وسأله نقل كتب الحكماء اليونانيين الى اللغة العربية وبذل له من الأموال والعطايا شيئاً كثيراً . ان هذه القصة لايصح أن تكون سبباً أساسياً في نقل العلوم على أنها تبين في كل حال رغبة الخلفاء في التوسع العلمي ونقل كل ما كان معروفاً من علوم الأولين الى اللغة العربية ودليلنا على ذلك ان حركة الترجمة بدأت قبل عهد المأمون وقصة رؤياه ان صحت دلتنا على أن الحلم كان انعكاسَ صورةٍ طبيعية لما كان يفكر فيه المأمون في اليقظة .

---

١ - المنصور (ابو جعفر) الخليفة العباسي الثاني ،جلس على الخلافة سنة ٧٥٤ م في عهده تأسست مدينة بغداد فصارت عاصمة الخلفاء العباسيين توفي ٧٧٥ م .

٢ - المأمون : سابع الخلفاء العباسيين ، ابن هارون الرشيد ، في عصره ازدهرت العلوم والفنون ٧٨٦ - ٨٣٣ م .

لقد داخل الخلفاء ملوك الروم وأتحفهم المنصور بالهدايا الثمينة وسألهم صلته بما لديهم من كتب الحكماء والفلاسفة فاستجاد لها مهرة التراجمة وكلفهم إحكام ترجمتها ثم حضّ الناس على قراءتها ورغّبهم في تعلمها فنفقت سوق العلم في زمانه وقامت دولة الحكمة في عصره وتنافس أولو النباهة في العلوم، لما كانوا يرون من إحظائه لمنتحليها، واختصاصه لمتقلديها فكان يخلو بهم، ويأنس بمناظرتهم، ويلتذ بمذاكرتهم، فينالون عنده المنازل الرفيعة والمراتب السنية، حتى صارت الدولة العباسية تضاهي الدولة الرومية، أيام اكتمالها، وزمان اجتماع شملها.

ويمكن القول بصورة عامة أن الترجمة كانت في العهد العباسي عمل دولة وأفراد فقد زاد عدد التراجم عن المئة وقد تخصصت بعض الأسر باعمال النقل كما اقيمت مدارس خاصة لتعليم المترجمين واصلاح ما يترجمونه. وقد اقتدى بالخلفاء في تشجيع النقل عدد كبير من رجال ذلك العصر وأصبحوا يتنافسون في هذا المضمار وقد ذكرت الكتب اسماء عدد كبير منهم. اشتهر من بينهم :

محمد بن موسى المنجم: وهو أحد بني موسى شاكر الحسّاب المشهور بالفضل والعلم والتصنيف، كان أبو

الشكل (٢٠)
واجهة المدرسة المستنصرية — في بغداد

الناس بحنين بن اسحق ، وقد نقل له حنين كثيراً من الكتب الطبية .

علي بن يحيى المعروف بابن المنجم : أحد كتاب المأمون وكان نديماً له،مال الى الطب فنقلوا له منه كتب كثيرة .

محمد بن موسى بن عبد الملك : نقلت له كتب طبية وكان من جملة العلماء الفضلاء .

عيسى بن يونس الكاتب الحاسب : من جملة الفضلاء بالعراق وكان كثير العناية بتحصيل الكتب القديمة والعلوم اليونانية .

علي المعروف بالفيوم : اشتهر باسم المدينة التي كان عاملها .

احمد بن محمد المعروف بالمدبر : كان يصل الى النقلة من أفضاله شيء كثير

ابراهيم بن محمد بن موسى الكاتب : كان حريصاً على نقل كتب اليونانيين الى لغة العرب ومشتملاً على أهل العلم والفضل وعلى النقلة خاصة .

محمد بن عبد الملك الزيات : كان يقارب عطاؤه للنقلة والنساخ في كل شهر ألفي دينار وترجمت باسمه جماعة من أكابر الأطباء .

مرت حركة الترجمة والنقل عند العباسيين بثلاث مراحل :

المرحلة الأولى : تمتد من خلافة أبي جعفر المنصور الى وفاة هارون الرشيد أي من سنة ١٣٦ ه الى سنة ١٩٣ه اشتهر فيها يحيى بن البطريق وجورجيس بن جبرائيل الطبيب الذي عاش سنة ١٤٨ه ، وعبد الله بن المقفع الذي مات نحو سنة ١٤٣ وترجم بعض الكتب المنطقية لارسطو طاليس ويوحنا بن ماسويه ، وكان في أيام الرشيد ، وقد أدرك أيام المتوكل ، واعتنى في الاغلب بالكتب الطبية ، وسلاّم الأبرش ، وكان في أيام البرامكة ، وباسيل المطران .

المرحلة الثانية : تمتد من ولاية المأمون سنة ١٩٨ه الى سنة ٣٠٠ ه ، اشتهر فيها من المترجمين يوحنا بن البطريق والحجاج بن مطر الذي عاش سنة ٢١٤ هـ

وقسطا بن لوقا البعلبكي وعاش سنة ٢٢٠ ، وعبد المسيح بن ناعمة الحمصي وعاش سنة ٢٢٠ هـ وحنين بن اسحاق وتوفي سنة ٢٦٠ هـ وقيل سنة ٢٦٤ هـ ، وابنه اسحاق بن حنين وتوفي سنة ٢٩٨ هـ ، وثابت بن قره الصابي المتوفي سنة ٢٨٨ ، وحبيش بن الحسن ويدعى حبيش الأعسم ابن اخت حنين ، وتوفي سنة ٣٠٠ هـ ، وقد ترجمت في هذا العصر أغلب كتب أبقراط وجالينوس وأرسطو طاليس وشيء من كتب أفلاطون ومن التفاسير على الكتب المذكورة .

المرحلة الثالثة : تمتد من سنة ثلاثمائة للهجرة وهي تاريخ وفاة حبيش الى منتصف القرن الرابع ومن مترجمي هذه الطبقة : متى بن يونس ، وتاريخ وفاته مجهول إلا أنه يذكر عنه أنه كان ببغداد بين سنة ٣٢٠ هـ وسنة ٣٣٠ هـ ، ومنهم سنان بن ثابت بن قره ، المتوفي سنة ٣٦٠ هـ ، ويحيى بن عدي وتوفي سنة ٣٦٤ ، وأبو علي بن زرعة ، عاش من سنة ٣٣١ هـ الى سنة ٣٩٨ هـ ، وهلال بن هلال الحمصي ، وعيسى بن سهربخت ، وكان أكثر اشتغالهم بالكتب المنطقية والطبيعية لأرسطو ، وبالمفسرين كالاسكندر الافروديسي ويحيى النحوي وغيرهما .

هذا ويطيب لنا أن نسمي فيما يلي بعض أقطاب الحركة العلمية ترجمة وتأليفاً سواء أكانت في الطب أم الفلسفة ، معتمدين في ذلك على الفهرست لابن النديم ، وطبقات الأطباء لابن أبي اصيبعة ، وكتاب أخبار الحكماء للقفطي ، وهناك جملة منهم وهم : احمد بن محمد بن كثير الفرغاني أحد منجمي المأمون ، وبختيشوع جورجيس ، وجبرائيل بن بختيشوع ، وجبرائيل الكحال المأموني ، والحارث المنجم صاحب الحسن بن سهل ، والحسن بن سهل بن نوبخت ، وزكريا الطيفوري ، وسهل بن سابور ابن سهل المعروف بالكوسج الذي كان يجتمع مع يوحنا بن ماسويه وجورجيس بن بختيشوع وعيسى بن الحكم وزكريا الطيفوري ، ثم سند بن علي المنجم المأموني ، وسلمويه بن بنان ، صاحب المعتصم ، وصالح بن بهلة الهندي

صاحب الرشيد ، والعباس بن سعيد الجوهري صاحب المأمون ، وعبد الله بن سهل نوبخت المنجم المأموني ، وابو حفص عمر بن الفرخان الطبري ، أحد رؤساء التراجمة والمتحققين بعلم النجوم ، وموسى بن شاكر وبنوه محمد واحمد والحسن من منجمي المأمون ، وكان بنوه الثلاثة فيما ذكره القفطي من أبصر الناس بالهندسة وعلم الحيل ، وموسى بن اسرائيل صاحب أبي اسحاق ابراهيم بن المهدي وما شاء الله المنجم ، وميخائيل بن ماسويه ويحيى بن ابي منصور المنجم المأموني ويعقوب ابن اسحاق وتلاميذه ، حسنويه ونفطويه وسلمويه ورحمويه وأحمد بن الطيب ، ثم يوحنا بن البطريق الترجمان مولى المأمون ، ويوحنا بن ماسويه النصراني السرياني وأبو قريش المعروف بعيسى الصيدلاني وغيرهم كآل ثابت وماسرجويه ، وآل الكرخي وابن دهن الهندي مدير بيمارستان البرامكة ، وكان فيما يذكره ابن النديم ينقل من الهندية الى العربية ، ومنكه طبيب الرشيد الهندي ، وكان ينقل من الهندية (السنسكريتية) وعشرات غيرهم ممن لا يقع تحت حصر .

كتب العصر الطبية : واننا ننقل لك هنا طرفاً من اسماء الكتب الطبية والكتب المتصلة بالطب التي ترجمت في ذلك العصر من اليونانية والفارسية والهندية والقبطية والعبرانية واللاتينية والنبطية .

أولاً — الكتب المنقولة عن اليونانية :

كتاب الحس واللذة : نقله يحيى بن عدي .

كتب أرسطو طاليس :

كتاب النفس   نقله حنين الى السرياني واسحاق الى العربي

كتاب الحس والمحسوس   نقله أبو بشر متى بن يونس .

كتاب الحيوان   نقله ابن البطريق .

كتب ابقراط :

كتاب عهد ابقراط نقله حنين الى السريانية وحبيش وعيسى الى العربية .

كتاب الفصول ، كتاب الكسر : نقلها حنين لمحمد بن موسى .

كتب تقدمة المعرفة ، الأمراض الحادة ، ابيذيميا : نقلها عيسى بن يحيى .

كتاب الاخلاط نقله عيسى بن يحيى لأحمد بن موسى

كتاب قاطيطرون نقله حنين لمحمد بن موسى

كتاب الماء والهواء نقله حنين وحبيش

كتاب طبيعة الانسان نقله حنين وعيسى

كتب جالينوس : أشهر كتب جالينوس الكتب الستة عشر وهي : كتب الفرق ، الصناعة ، النبض ، شفاء الأمراض ، المقالات الخمس ، الاستقصات ، المزاج ، القوى الطبيعية ، العلل والأمراض ، تعرف علل الاعضاء الباطنة ، النبض الكبير ، الحمايات ، البحران ، أيام البحران ، تدبير الاصحاء ، حيلة البرء ، وقد نقلها كلها حنين بن اسحاق الى العربية الا كتاب العلل الباطنة ، وكتاب النبض الكبير ، وكتاب تدبير الاصحاء ، وكتاب حيلة البرء فقد نقلها حبيش ، اما مابقي من كتب جالينوس الطبية ، فاليك أسماءهـا مع أسماء ناقليها .

التشريح الكبير ، اختلاف التشريح ، تشريح الحيوان الحي ، تشريح الحيوان الميت ، علم ابقراط بالتشريح ، الحاجة الى النبض ، علوم ارسطو ، تشريح الرحم ، آراء ابقراط وافلاطون ، العادات ، خصب البدن ، المني ، منافع الاعضاء ، تركيب الأدوية ، الرياضة بالكرة الصغيرة ، الرياضة بالكرة الكبيرة ، الحث على تعليم الطب ، قوى النفس ومزاج البدن وقد نقلها حبيش الأعسم .

كتاب حركات الصدر ، كتاب علل النفس ، كتاب حركة العضل ، كتاب الحاجة الى النفس ، كتاب الامتلاء ، كتاب المرة والسوداء ، نقلها أصطفان واصلحها حنين .

كتاب علل الصوت ، كتاب الحركات المجهولة ، كتاب أفضل الهيئات ، كتاب سوء المزاج المختلف ، كتاب الأدوية المفردة ، كتاب المولود لسبعة أشهر ، كتاب رداءة التنفس ، كتاب الذبول ، كتاب قوى الأغذية ، كتاب التدبير الملطف ، كتاب مداواة الأمراض ، كتاب ابقراط في الأمراض الحادة ، كتاب الى ترامسوبولوس ، كتاب الطبيب والفيلسوف ، كتاب كتب ابقراط الصحية ، كتاب محنة الطبيب وقد نقلها كلها حنين .

كتاب افلاطون في طيماوس نقله حنين واسحق .

كتاب تقدمة المعرفة ، كتاب الأدوية والأدواء نقلها عيسى

كتاب الفصد نقله عيسى واصطفان .

كتاب صفات لصبي يصرع ، كتاب الاورام نقلها ابن الصلت .

كتاب الكيموس نقله ثابت وحبيش .

كتاب الترياق نقله ابن البطريق .

وهناك كتب في الطب وتوابعه ذكرها صاحب الفهرست ولم يذكر ناقلها . وأما مؤلفوها فمنها بضعة وعشرون كتاباً لروفس وبضعة كتب لاوريباسيوس ، منها كتاب الأدوية المستعملة ، نقله اصطفان بن باسيل ، وكتاب السبعين مقالة نقله حنين وعيسى بن يحي الى السريانية ، وكتاب الى ابنه اسطاث نقله حنين ، وكتاب الى أبيه او نافيس نقله حنين ، ولديسقوريدس العين زربي ، ويقال له السائح في طلب العقاقير والحشائش كتاب في الحشائش ، ولاسكندروس كتاب البرسام نقله ابن البطريق ، وغير هذه مما لم يعرف ناقلوها .

ثانياً الكتب المنقولة عن اللغة الهندية في بغداد : نقل العرب عن اللغة الهندية (السنسكريتية) كثيراً من كتب الطب والنجوم والرياضيات والحساب والتواريخ ، والكتب الطبية ومنها مالم يصل الينا من أخبارها الا القليل .

وطرأ في وسط القرن السابع من الهجرة المناسب للقرن الثالث عشر ميلادي على المدنية العربية بسبب اجتياح المغول والتتر لبلاد العرب خسارة كبرى فقد أسقطوا الخلافة في بغداد فتوقفت الدراسة العلمية ووقف التوسع العلمي ، ويمكن ان يقدر الباحث الخسارة التي سببها المغول الى المكتبة العربية لا بل للعالم كله برجوعه الى كتاب فهرست العلوم الذي وضع بعد قرن من عصر الذهب العلمي واطلاعه على أسماء العلوم والمؤلفات التي لم يعد لها أثر ، حتى انه ليس من المبالغة القول بأنه لم يعثر من الكتب الواردة في الفهرس لابن النديم على أكثر من كتاب واحد بين ألف كتاب .

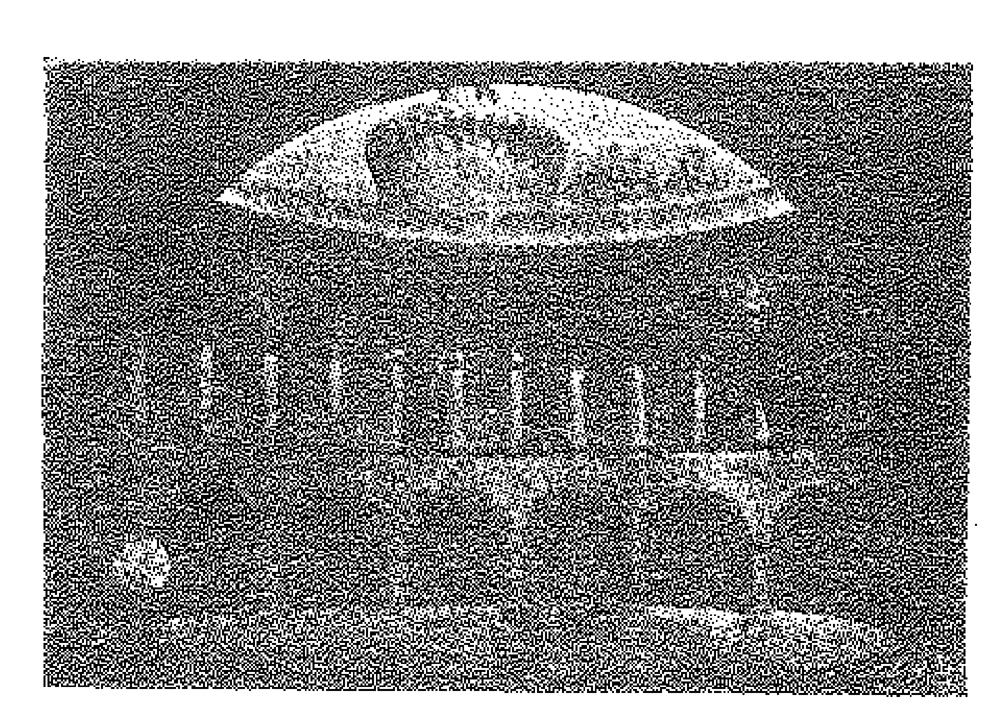
ويقول (ماتيو) من باريز الذي كتب في هذا الموضوع سنة ١٢٤٠م : كان تخريب شعب المغول للثقافة العربية جارفاً لحد يمكن معه القول انه لم يبق من آثار تلك الثقافة ، الا ظلها بعد اضمحلال الخلافة سنة ١٢٤٨ م .

حركة التأليف ونقل العلوم الطبية في الاندلس : عني الأمراء الاندلسيون وعلماؤهم وذوو الوجاهة والثروة منهم بتشجيع حركة النقل والترجمة والتأليف فترجموا كتباً جديدة او أصلحوا الترجمة التي قام بها الأمويون والعباسيون فقد جاء في سيرة ابن جلجل ان كتاب ديوسقوريديس ترجم بمدينة السلام في أيام جعفر المتوكل العباسي وكان المترجم له اصطفن بن بسيل الترجمان من اللسان اليوناني الى اللسان العربي وقد وردت نسخة من الترجمة المذكورة وفيها نقص كبير اذ ذكر اصطفن أسماء عربية للمفردات اليونانية ما استطاع الى ذلك سبيلاً وترك قسماً كبيراً منها بلا ترجمة ولا تعريب ومع ذلك فقد انتفع الناس من الكتاب المذكور بالمشرق والمغرب حتى عهد عبد الرحمن الناصر الذي عرف ملوك العالم رغبته في العلوم وتشجيعه لها فكانوا يهادونه بالكتب وهكذا أهداه سنة ٣٣٧هـ ارمانيوس ملك القسطنطينية هدايا قيمة ، كان أنفسها في نظر الخليفة الأندلسي

كتاب ديوسقوريديس مصوراً بصور الحشائش والنباتات الواردة الذكر فيه، ولم يكن يومئذ بقرطبة من يقرأ اللسان الاغريقي وهو اللسان اليوناني القديم فلما جاوب الناصر ماريانوس سأله ان يبعث اليه برجل يحسن الاغريقية ، ليعلمها لعدد كبير من الأندلسيين، تخصصوا فيما بعد للقيام بأعمال الترجمة فبعث ارمانيوس الملك الى الناصر براهب اسمه نقولا فوصل الى قرطبة سنة ٣٤٠ ه وكان يومئذ بقرطبة من الأطباء قوم لهم بحث وتفتيش وحرص على استخراج ما جهل من أسماء عقاقير كتاب ديوسقوريديس الى العربية ففسّر من أسماء عقاقير الكتاب ما كان مجهولاً وكان في جملة الأطباء العاملين على تصحيح أسماء عقاقير الكتاب المذكور حسداي بن شبروط ومحمد المعروف بالشجار ورجل كان يعرف بالبسباسي وأبو عثمان الجزار ومحمد بن سعيد الطبيب وعبد الرحمن بن اسحق بن هيثم وأبو عبد الله الصقلي وكان يحسن اليونانية ويعرف أشخاص الأدوية ولقد صحح هؤلاء العلماء ببحوثهم أسماء عقاقير الكتاب فصح النطق بأسمائها وضبطت معانيها وساهم في هذا العمل أيضاً ابن جلجل مساهمة كبيرة الأثر وذلك بتفسير أسماء الأدوية المفردة من كتاب ديوسقوريديس وهكذا تكوّن من الأندلسيين الخبيرين باللغة اللاتينية من الاطباء ومن الراهب نقولا ومن علّمهم اللغة اليونانية ومن جملة العلماء الذين ذكرنا أسماءهم مدرسة للترجمة نافست زميلتها في بغداد، دار السلام .

أنجبت الأندلس عدداً لا يحصى من العلماء في شتى العلوم ، فقد أغنى الأندلسيون العالم ببحوثهم في التاريخ الطبيعي ولاسيا علم النبات فقاموا بترتيب النباتات على أساس ما ينمو منها من الفسائل وما ينمو من البذور وما ينمو بنفسه وجمع الطبيب القرطبي الغافقي نباتات اسبانية وافريقية وسمى كلا منها بأسمائها العربية واللاتينية والبربرية ، اما أشهر مؤلفاته فهو الأدوية المفردة فقد كان هذا

التأليف من الأهمية بحيث ان مواطنه وزميله ابن البيطار اقتبس الشيء الكثير من أبحاثه . وقد وضع ابن البيطار الطبيب الغرناطي رسالة دافع فيها عن نظرية العدوى بمناسبة انتشار مرض الطاعون في أوروبا في منتصف القرن الرابع عشر ووقوف أوروبا حياله مكتوفة الأيدي .



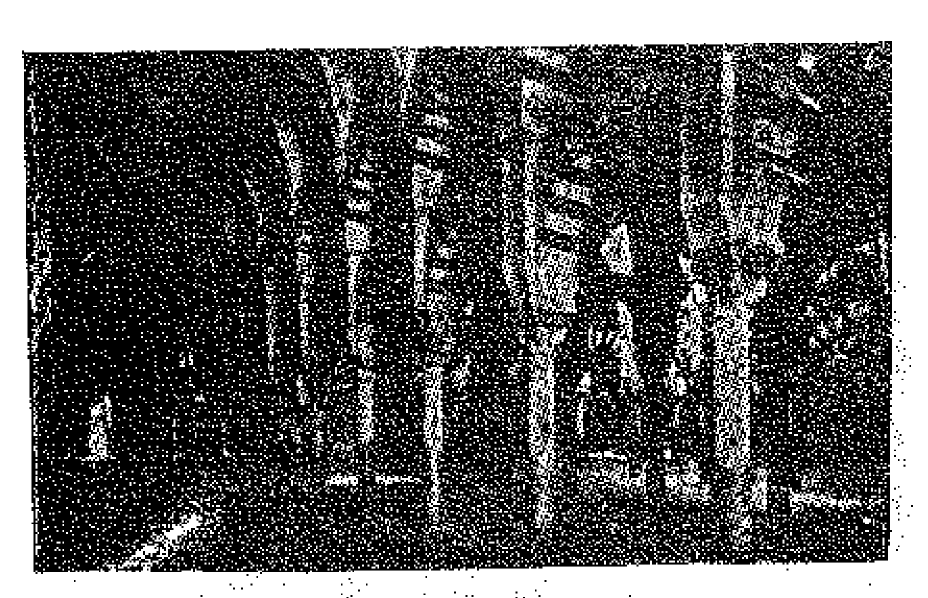
الشكل (٢١)

مدرسة أندلسية جامعية

وكان معظم الأطباء من عرب الأندلس قد اتخذوا الطبابة حرفة كمالية الى جانب عمل آخر يتعاطونه فقد كانوا فلاسفة او فقهاء او مؤرخين او أدباء او كتاباً او شعراء .

وكان للأندلس العربية أثر رائع في تاريخ العلم والفن والطب بما في ذلك العمران ، فقد حملت الاندلس تراث العلوم والفنون القديمة فحافظت عليه ونمته اضافات عظيمة الشأن كبيرة الأثر . بلغت الاندلس قمة المجد في عهد الامويين ما بين سنة ٧٥٦ م وسنة ١٠٣٠ م وكانت قرطبة سرير

ملكهم فعاصمة خلافتهم ردحا من الزمن ، وزهت غرناطة ما بين سنة ١٢١٢ و ١٤٩٢ م وقامت بين خراب قرطبة ونهضة غرناطة ممالك عدة ازدهرت فيها اشبيلية وبلنسية وطليطلة وسرقسطة وغيرهـــا . ازدهر العلم في قرطبة

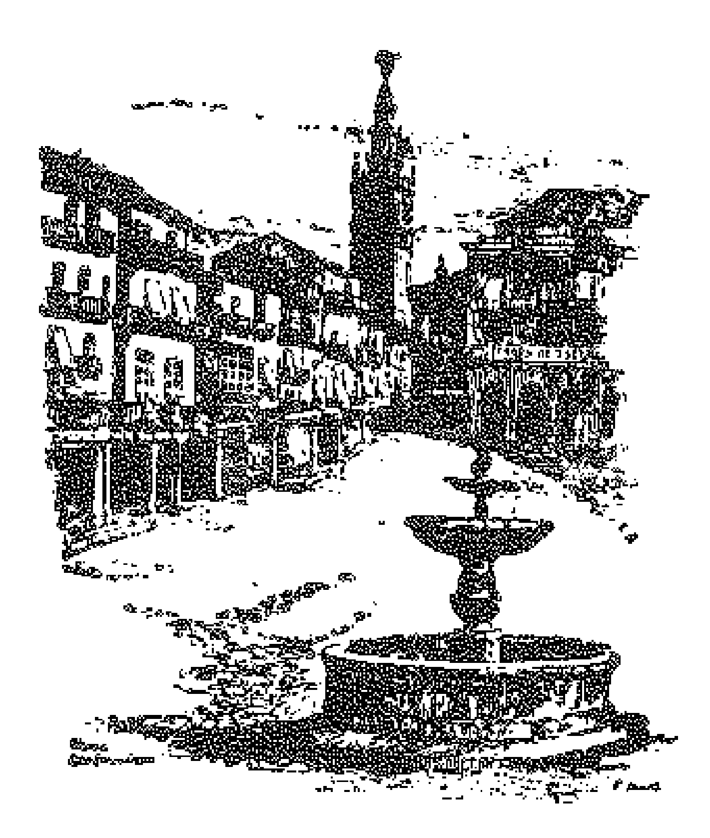


الشكل (٢٢)
جامع قرطبة

في عهد الحكم الاول وعبد الرحمن الثاني الذي كان محباً للعـــلوم والآداب والفنون ، مشجعاً للعلماء والادباء ورجال الفن وقد أرسل أحد علمـاء قرطبة عباس بن ناصح الى العراق لشراء المؤلفات العربية واليونانيـة والفارسية أو استنساخها اذا تعذر ابتياعها ، كل ذلك لترجمتها وقد أصبحت قرطبة في عهد عبد الرحمن الثالث ٩٢١ — ٩٦١ م مركزاً ثقافياً ومصراً معموراً لا تحاكيه بعظمته الا بغداد ودمشق واعتلى عبد الرحمن الثالث مكان الصدارة بين الملوك الذين حكموا اسبانية ويرى دوزى انه كان جديراً بالتقدير والاعجاب وأهلاً لخلود اسمه في سجل العظماء الخالدين .

وقد سار الحكم على غرار والده عبد الرحمن الثاني بإيفاد رسله الى المدن الكبرى

لشراء المخطوطات مهما عزّ الثمن واوصاهم باستنساخها اذا لم يتيسر ابتياعهما ، وكان يكتب بنفسه لمؤلفي زمانه يطلب منهم كتبهم ويجزيهم عليها خير الجزاء وقد بلغ في أيامه عدد الكتب في مكتبة قرطبة العامة ٦٠٠٠٠٠ ، علق بنفسه على عدد كبير منها وكثيراً ما كانت تنتهي اليه المؤلفات قبل أن يقرأها احد



الشكل (٢٣)

جامعة اندلسية وفيها مرصد يعرف بالجيرالدا

وقبل أن يباشر مؤلفها بنشرها فلم يكد يبلغه أن أبا الفرج الاصفهاني عالم العراق انجز كتابه الاغاني حتى اقتنى أول نسخة منه وكان شديد العناية بالعلماء ، دائباً على تشجيعهم ، مستمراً في مكافأتهم ، كما كان شديد العناية بمكتبته الخاصة وكانت قرطبة تضم في عهده ثماني مدرسة وكانت نعمه على العلماء ، من مواطنين وغرباء ، لا تقف عند حد فازدهرت العلوم في عهده وزالت الامية حتى لم يعد في الاندلس من لا يحسن القراءة والكتابة على حين كانت أرفع الطبقات في أوربا

أمية خلال رجال الكهنوت ، فتنال صيت العاصمة الاسلامية في الاندلس حتى أقاصي المانيا وقد زارت أديبة ذلك الزمن الكهنونية هورتسويزا قرطبة فوصفتها بأنها جوهرة العالم[1] . كانت قرطبة في ذلك الحين مثار اعجاب العالم وكان الرحالة القادمون من الشمال يتسامعون بين الخشوع والتقدير أخبار المدينة .

كانت الاندلس تضم في أواخر القرن الحادي عشر سبعين مكتبة عامة وكان في بعض المدن الرئيسية مدارس كبرى يصح تسميتها بالجامعات وفي طليعة هذه المدن قرطبة واشبيلية وطليطلة وغرناطة ومجريط (مدريد) وكان في بعض الجامعات بيوت للطلبة على النحو المعروف في يومنا هذا باسم المدن الجامعية وقد شيدت في كثير من أنحاء البلاد الاندلسية وعلى مقربة من المدن ضواحي خاصة بالعلم كما هو شأن طلمنكة[2] التي اختطها محمد بن عبد الرحمن بن الحكم .

وارتكبت في غرناطة سنة ١٤٩٩م جريمة كبرى نحو العلم تحاكي جريمة التتر

---

١ — Horiswisa ذكر انها كانت راهبة وقيل انها كانت أديبة تقيم بديرولم تترهب .

٢ — ذهب بعض مؤلفي العرب المشهود لهم بالكفاءة الممتازة والتقصي العميق ان سلمنكة كانت تعرف بطلمنكة ايام العرب وقد اعددت على هذا الاساس بحثاً ليقدم في الاحتفال بمرور سبع مئة سنة على تأسيس جامعة سلمنكا غير انني كنت أشعر بنقطة ضعف في بحثي اذ من الثابت ان سلمنكة مدينة رومانية غزاها انيبال القرطاجي قبل الميلاد بمئتي سنة بينما تبدو طلمنكة من خلال التاريخ مدينة عربية لا اثر لغير العرب في احداثها كما أيد ذلك ياقوت في معجمه حيث قال طلمنكة مدينة بالاندلس اختطها محمد بن عبد الرحمن بن الحكم ، ذاكرت في هذا الموضوع المستشرق الاسباني الشهير غارسيا غومس واطلعته على مايساورني من شك فزاد في شكي وقمنا بدراسة مشتركة تبين لنا منها أن سلمنكة وطلمنكة مدينتان مختلفتان الاولى رومانية الاصل والثانية عربية خالصة بناها العرب في ضاحية مدريد لتكون مركزاً علمياً ثقافياً ، نشأ فيها علماء عرب كثيرون ومن اشهرهم ابو عمر الطلمنكي وهي أشبه ماتكون بالمدن الجامعية اليوم ، وهكذا يكون العرب أول من فكر بانشاء المدن الجامعية ، اما سلمنكة فما زالت قائمة اليوم مشهورة بجامعتها وأما طلمنكة فقد درست معالمها وقد تكشف الحفريات عن آثارها .

في بغداد فقد صادر كسيمه نه من سينه راس الكتب العربية وجمعها أكواما في ساحات غرناطه وأشعل النار تحتها وهكذا أفل نجم علم العرب فبهت نور العلم وما لبث أن زال وعم الظلام وفشا الجهل .

أعلام نقلة الطب الى العربية ومؤلفيه ومشاهير متعاطيه في العالم العربي الاسلامي

أ طبقات الاطباء التراجمة والمؤلفين : لقد رأينا توحيد البحث عن الأطباء المترجمين والمؤلفين ، فقد كان أكثر التراجمة من الاطباء مؤلفين ، كما اشتغل كثير ممن اشتهروا بالتأليف بالترجمة أيضاً . لقد عني بترجمة الكتب العلمية أو ساهم بها كثيرون ، أجلهم الأمير خالد بن يزيد وأكثرهم نشاطاً وإنتاجاً حنين بن اسحاق وتلامذته وفي مقدمتهم ولده وابن اخته حبيش بن الحسن الاعسم ، وقد قيل حقاً أن حذاق الترجمة عند العرب اربعة : حنين بن اسحق ، يعقوب بن اسحق الكندي ثابت بن قرة الحراني ، علي بن ربن الطبري ، وقد خص ابن ابي اصيبعة في كتابه الاطباء النقلة بباب ، ذكر فيه عددا منهم ، ومما لاشك فيه ان هذه الجملة التي وردت في كتب العرب صحيحة على أن من الانصاف أن يضاف اليها بعض الاعلام .

آل بختيشوع : اسرة من النساطرة اشتهرت في دولة بني العباس خلال القرن (٨) م توارثت اخلافها عن أسلافها ، صناعة الطب فاستقام عزهم بها ثلاثة قرون ، كان لهم خلالها حظ وجاه وكان لافرادها حظوة عند الخلفاء العباسيين فانتفعوا من الخلفاء ونفعوا الخلفاء وغيرهم بطبهم كما نفعوا الطب وغير الطب من العلوم بآثارهم ومنتجات عقولهم وكانوا أجمل أهل زمانهم بما لهم من شرف النفوس ونبل الهمم ومن البر والمعروف والافضال والصدقات وتفقد المرضى من الفقراء والمساكين والاخذ بايدي المنكوبين والمرهوقين وتأليف الكتب الطبية . منهم :

جبريل (جبرائيل) بن بختيشوع: مات سنة ٨٣٠ م ، كان مشهوراً بالفضل ، جيد التصرف في المداواة ، عالي الهمة رفيع المنزلة ، كبير الحظوة عند الخلفاء الذين كانوا كثيري الاحسان اليه ، طبب جبرائيل بن بختيشوع جعفر بن يحيى ابن خالد بن برمك فأحبه مثل نفسه وفي تلك الأيام تمطت حظية الرشيد ورفعت يدها فبقيت منبسطة لا يمكنها ردها والاطباء يعالجونها بالتمريخ والادهان ولا ينفع ذلك شيئاً ، فقال الرشيد لجعفر ، قد بقيت هذه الصبية بعلتها فقال جعفر : ندعوا بن بختيشوع ونخاطبه في معنى هذا المرض فلعل عنده حيلة في علاجه فأمر باحضاره وشرح له حال الصبية فقال له جبرائيل : إن لم يسخط على امير المؤمنين فلها عندي حيلة ، فقال له وما هي ؟ قال : تخرج الجارية الى ههنا بحضرة الجمع حتى أعمل ما اريده وتمهل علي ولا تعجل بالسخط ، فامر الرشيد باحضار الجارية فخرجت وحين رآها جبرائيل عدا اليها ونكس رأسه ومسك ذيلها ، كأنه يريد أن يكشفه فانزعجت الجارية واسترسلت من شدة الحيــــاء والانزعاج اعضاؤها وبسطت يديهــــا الى أسفل ومسكت ذيلها ، فقال جبرائيل قد برئت ، فقال الرشيد للجارية : ابسطي يديك يمنة ويسرة ففعلت ذلك وعجب الرشيد وكل من كان بين يديه ، وامر له بجائزة وجعله رئيساً على جميع الاطبــــاء ، طبب جبرائيل الأمين والمامون ، ولما عزم المامون على الخروج الى بلد الروم في سنة ثلاث عشرة ومائتين مرض جبرائيل فلما رآه المأمون ضعيفاً ، طلب منه ايفاد ابنه معه الى بلاد الروم وكان مثل أبيه في الفهم والعقل ، توفي في خلافة الأمين سنة ٢١٣ هـ ٨٣٠ م شيعت جنازة جبرائيل بختيشوع كما تشيع جنائز الأمراء ودفن في دير مارسرجيس بالمدائن ، عملاً بوصيته ولما عاد ابنه من بلد الروم جمع للدير رهباناً وأجرى عليهم ما يحتاجون اليه وكانت مدة خدمــــة جبرائيل بن بختيشوع للرشيد ثلاثاً وعشرين سنة ، له من المؤلفات الطبية الروضة الطبية نشره بول سباط سنة ١٩٢٧ .

يوحنا بن ماسويه : توفي سنة ٨٥٧ م هو أبو زكريا يوحنا أو يحيى بن ماسويه من أطباء مدرسة جنديسابور ، هاجر الى بغداد في أول القرن الثالث الهجري وهنالك أقام بيمارستانا ، كان طبيباً ذكياً فاضلاً خبيراً بصناعة الطب ، ولاه الرشيد ترجمة الكتب الطبية القديمة التي وجدها بأنقرة وعمورية وسائر بلاد الروم التي فتحها المسلمون ووضعه أميناً على الترجمة ورتب له كتاباً حذاقاً يكتبون بين يديه ،خدم يوحنا الرشيد والأمين والمأمون ومن بعدهم من الخلفاء الى أيام المتوكل وكان ملوك بني هاشم لا يتناولون شيئاً من الاطعمة الا بحضرته وكان معظماً ببغداد ، جليل القدر وله تصانيف جميلة منها :البرهان ويشتمل على ثلاثين كتاباً وكتابه المعروف بالبصيرة وكتاب التام والكمال ، وكتاب الحميات وكتاب الاغذية وكتاب الفصد والحجامة وكتاب اصلاح الأغذية وكتاب الرجحان في المعدة وكتاب النجح وكتاب الأدوية المسهلة وكتاب الكامل وكتاب الحمام وكتاب الاسهال وكتاب علاج الصداع وكتاب الدوار وكتاب : لم امتنع الأطباء عن علاج الحوامل في بعض شهور حملهن ؟ وكتاب محنة الطبيب وكتاب الصوت والبحة وكتاب مجسة العروق وكتاب ماء الشعير وكتاب المرة السوداء وكتاب علاج النساء اللواتي لا يحملن وكتاب السواك والسنونات وكتاب اصلاح الأدوية المسهلة وكتاب القولنج وكتاب التشريح. وكان في حياته يعقد مجلساً للنظر ويعمر ذلك المجلس بالعلوم أتم عمارة ، وتجري فيه بحوث من نوع من العلوم القديمة بأحسن عبارة وكان يجتمع اليه أهل العلوم والأدب وكان يدرّس ويجتمع اليه تلاميذ كثيرون ،وقد توفي في خلافة المتوكل سنة ٨٥٧ م . وتؤكد بعض المصادر أن يوحنا بن ماسويه كان يشرح جثث القرود في قاعة تشريح خاصة بناها على ضفة دجلة وأنه كان يختار من أنواع القرود النوع الكثير الشبه بالانسان وأن الخليفة المعتصم كان يساعده في الحصول

على تلك القردة من بلاد النوبة وهذا يدل على عناية خلفاء العرب بعلم التشريح وتشجيعهم له .

أبو يوسف يعقوب بن اسحق الكندي (٨٠٩ ـــ ٨٧٣م) : ولد في الكوفة ، تعلم في البصرة وبغداد ، اقام في بلاط العباسيين وترجم بالعربية مؤلفات اليونان ، كان حجة في العلم توفي في حدود سنة ٢٥٥هـ . عُرف الكندي



الشكل (٢٤)
صورة طبيب عربي

بانه من فلاسفة الاسلام والعرب والمتميزين من اطبائهم ولكن قل من يعرف أيضاً أن له فضلاً على العلوم الرياضية والفلكية إذ كان من الذين امتازت مواهبهم

في نواحيها العديدة ، كان الكندي عالماً بالطب والفلسفة والحساب والهندسة والمنطق وعلم النجوم ، وتأليف اللحون وطبائع الاعداد، وهو يمت بالنسب الى الاشعث بن قيس ، ملك كندة ومن اصحاب الرسول . وكان ابوه اميراً على الكوفة ،عاش في القرن التاسع للميلاد وتوفي في أواخره وهو في الأصل بصري وقد أوجد بعلمه لشخصه مكانا ذا حرمة واعتبار عند خلفاء بني العباس ، حتى أن الخليفة المأمون انتخبه ليكون أحد الذين يعهد اليهم في ترجمة مؤلفات ارسطو وغيره من حكماء اليونان وكان عظيم المنزلة عند المعتصم وعند ابنه احمد ولم يخل الكندي من اناس يناصبونه العداء اما حسداً واما غير ذلك . وكان ملماً بحكمة الهنود ، فسر كثيراً من كتب الفلسفة ووضع النظريات الفلسفية في قالب مفهوم ، حتى أن كتبه في المنطق وغيره لقيت اقبالاً عظيماً مما جعل حساده يحاولون النيل منه بشتى الوسائل وقد استطاعوا ان يوقعوا بينه وبين الخليفة ولكن الى زمن لم يطل أمده كان الكندي مهندساً قديراً ، كما كان طبيباً حاذقاً وفيلسوفاً عظيماً ومنجماً ماهراً وقد ترك آثاراً كباراً جليلة جعلت العالم الايطالي كاردانو يعده من بين الاثنى عشر عبقرياً الذين هم من أهل الطراز الأول في الذكاء[1] وجعلت أيضاً باكون الشهير يقول : ان الكندي والحسن ابن الهيثم في الصف الأول مع بطليموس ويقول صالح زكي في كتاب آثار باقية : ان الكندي أول من حاز لقب فيلسوف الإسلام ... وكان يُرجع الى مؤلفاته ونظرياته عند القيام بأعمال بنائية ، كما حدث عند حفر الأقنية بين دجلة والفرات ويقال أنه نهى عن الاشتغال بالكيمياء للحصول على الذهب (علم الصنعة) ، وقال ان في ذلك تضييعاً للوقت والمال وقد ألف في هذا الموضوع رسالة سماها :

---

١ - سارطون - مقدمة لتاريخ العلم - مجلد ١ ص ٥٥٩ وتراث العرب في الرياضيات لمؤلفه قدري حافظ طوقان ص ٩٠

رسالة في بطـــلان دعوى المدعين صنعة الذهب والفضة وخداعهم ، وقد أفادت رسالته هذه بعض معاصريه والذين أتوا بعده . إذ لايخفى أن كثيراً من علماء القرون الوسطى أضاعوا معظم اوقاتهم في صناعة الحصول على الذهب ، وله مؤلفات في المرئيات والبصريات وقد وضع كثيراً من نظرياتها في قالب رياضي ، وكان لبحوثه هذه تأثير كبير في دراسات باكون[1] ووايتل و كتب ايضاً في الموسيقى . وللكندي مآثر جمة ، تظهر في أكثر العلوم بل تكاد تشملها كلها ، فقد ألف في الفلسفة وعلم السياسة والمنطق والحساب والكريات والموسيقى والنجوميات والهندسة والفلك والطب والاحكاميــات والجدليات والنفسيات والاحداثيات والابعاديات والتقدميات ، كل هذه وغيرها مذكورة في كتاب الفهرست لابن النديم وتربو على ٢٥٠ كتاباً وله فوق ذلك رسائل في علم المعادن وأنواع الجواهر والاشباه في أنواع الحديد والسيوف وجيدها . اخذ عن الكندي طلاب كثيرون ، منهم ابو العباس بن محمد بن مروان السرخسي وكان متقناً في علوم كثيرة من علوم القدماء والعرب ، قرأ على الكندي ، وعنه أخذ وكان موضع سر المعتضد [2] وكذلك ابو زيد احمد بن سهل [3] البلخي اخذ عن الكندي وكان له مقام رفيع ودعي جاحظ خراسان ، ومن تلاميــــذه ايضاً حسنويه ونفطويه وسلمويه وغيرهم كثيرون ، وخلاصة القول كان الكندي مدرسة ترجمت الكتب وحلت المستصعب وبسطت العويص ونشرت العلوم .

علي بن ربان الطبري : ولد سنة ٨٠٨م ، اشتهر امره في الطب سنة ٨٥٠م ، وهو نجل المنجم سهل بن الطبري كان مولده ومنشؤه بطبرستان في خدمة ولاتها ،

---

١ ـ سارطون ـ مقدمة لتاريخ العلم مجلد ١ ص ٥٥٩ .

٢ ـ راجع السرخسي ص ٩٦ من كتاب تراث العرب العلمي تأليف قدري حافظ طوقان .

٣ ـ جغرافي عربي درس الفلسفة مع الكندي له صور الاقاليم .

وقد جرى فيها فتنة فاخرجه أهلها الى الري فقصد بغداد واستقر في سر من رأى والف فيها كتابه المشهور فردوس الحكمة وهو موسوعة مشتملة على علوم طبية وغير طبية وقد اقتبس ما جاء فيها من مصادر يونانية وهندية وقد قرّب الحكام في بغداد الطبري فجعله كل من الخلفاء المعتصم والواثق والمتوكل كاتباً



الشكل (٢٥)
صورة الطبري

سعى بروان الى ترجمة كتاب فردوس

الحكمة وقد حال موته سنة ١٩٢٦ م دون تحقيق امنيته فقام تلميذه محمد زبير الصديقي بترجمة قسم من كتاب فردوس الحكمة وبما جاء فيه من تواصي، مناشدته القارىء أن يمعن النظر في الكتاب، فقد شبهه بحديقة غناء: فيها الأزهار الذكية والاثمار الشهية، فيها مايلذ لكل نفس ويطرب به كل حس، وأنه كما لايجوز الاكتفاء لتقدير مافي الحديقة الغناء من مفاتن بالنظر اليها من خلال ابوابها ولابد من الاطلاع بامعان على كل مافيها لتقدير روعتها، كذلك الأمر في كتابه فلا يستطيع الباحث معرفة مافيه من النفائس، اذا اكتفى بالعناوين، ولم يتعمق فيما جاء فيه من كلمات، وان شأن المتصفح كتابه تصفحاً سطحياً، هو شأن الناظر الى الفردوس من بعيد، وهذا الكتاب مختصر جميل التصنيف، لطيف التأليف، ضمّنه بعض ابحاث من الفلسفة وعلوم الحيوان والجنين والنفس. وللطبري اقوال حكيمة منها قوله: الطبيب الجاهل مستحث الموت، طول التجارب زيادة في العقل، التكلف يورث الخسارة، شر القول مانقض بعضه بعضاً.

آل العبادي: اسرة عربية اشتهرت بالطب خدمت الخلفاء العباسيين، عنيت بالترجمة والتأليف عناية كبرى اشهرهم:

حنين بن اسحاق العبادي: (٨١٠ — ٨٧٣ م) هو ابو زيد حنين بن اسحق العبادي بفتح العين وتخفيف الباء، والعباد، قبائل شتى، من بطون العرب، كانت تقيم في الحيرة، ولد حنين في بغداد، نشأ بالشام وتعلم فيه ثم رحل من بغداد الى ارض فارس وكان خليل بن احمد النحوي فيها فلزمه حنين حتى برع في لسان العرب، كان فصيحاً لسناً بارعاً شاعراً، أقام مدة في البصرة ثم انتقل الى بغداد واشتغل بصناعة الطب، كان متعطشاً للعلم قرأ على يوحنا بن ماسويه وكان حنين صاحب سوآل ومن ابناء الصيارفة، فسأل يوحنا في بعض الأيام عن بعض

ما كان يقرأه عليه فرد يوحنا وقال : ما لأهل الحيرة والطب ، عليك ببيع الفلوس في الطريق فخرج حنين من دار يوحنا باكياً مكروباً ، لم تؤثر فيه هذه الصدمة بل شجعته ، إذ قرر أن يتنكر ويتغيب سنين ، يتعلم خلالها اللغة اليونانية استعداداً لدرس الطب ، بعد اتقانه تلك اللغة ، إذ كان يرغب في ان يثبت لماسويه خطأ قوله ويبين له ان العبادي العربي يستطيع ان يتعلم الطب ثم عاد فلازم جبريل بن بختيشوع وترجم له عدة كتب فاصلح بينه وبين يوحنا فتتلمذ حنين على يوحنا بن ماسويه للمرة الثانية واشتغل بصناعة الطب ونقل له كتباً كثيرة وخصوصاً من كتب جالينوس ، بعضها الى اللغة السريانية وبعضها الى اللغة العربية . كان حنين أعلم اهل زمانه باللغة اليونانية والفارسية والسريانية والعربية فقد كان متميزاً فيها ثم اختير للترجمة . فكان اول من فسر اللغة اليونانية ونقلها الى السريانية والعربية ، ثم ائتمن على النقل والترجمة ووضع له كتّاب عالمون بالترجمة ، وقد امره المأمون بنقل كتب الحكماء اليونانيين الى اللغة العربية وبذل له من الاموال والعطايا شيئاً كثيراً كما أمره باصلاح مانقله او ينقله غيره ، ومما يحكى عنه ان المأمون كان يعطيه من الذهب ، زنة ماينقله من الكتب الى العربي ، مثلا بمثل ، وقد سافر حنين الى بلاد كثيرة ووصل الى اقصى بلاد الروم لطلب الكتب التي قصد نقلها ، خدم حنين بالطب المأمون والمعتصم والمتوكل على الله وكان جليلا في ترجمته وهو الذي اوضح معاني كتب ابقراط وجالينوس ولخصها احسن تلخيص وكشف ما استغلق منها ، توفي سنة ٨٧٣ م في زمان المعتمد . كان حنين اكثر المترجمين انتاجاً ولحنين اقوال حكيمة منها : كل زمان يلائم علما وعادة وصنفاً من الانسان ومنها : من وضع علماً وصناعة ، كان كمن يبني داراً ومن شرح وفسر ذلك الأصل ، كان كمن طين سطحها وجصصها وليس من جصص داراً وكنسها كمن بناها . ومنها :

ماخافه شقاوة الدنيا من اكتساب سعادة العقبى . حُبس مدة طويلة فصنّف في مدة حبسه المسائل المنسوبة اليـه في الطب وفسر كتب أرسطو وافلاطون ، وكان من بين تلامذته عيسى بن يحيى ابراهيم ٨١٠ – ٨٨٣ م . نقل الى العربية الخصائص لديوسقوريدوس وتدبير الأمراض الحادة والاخلاط لابقراط .

اسحق بن حنين العبادي : هو ابو يعقوب اسحق بن حنين بن اسحق العبادي ، كان يلحق بابيه في النقل وفي معرفته باللغات وفصاحته فيها إلا ان نقله للكتب الطبية قليل جداً ، خدم اسحق ممّن خدم ابوه من الخلفاء والرؤساء وكان منقطعاً الى القاسم بن عبيد الله وخصيصاً به ، ومتقدماً عنده يُفضي اليه باسراره ، ولاسحق بن حنين من الكتب كتاب الأدوية المفردة وكتاب ذكر فيه ابتداء صناعة الطب واسماء جماعة من الحكماء والاطباء ، كتاب الادوية الموجودة بكل مكان ، كتاب اصلاح الادوية المسهلة ، اختصار كتاب اقليدس ، كتاب ايساغوجي ، المدخل الى صناعة المنطق ، اصلاح جوامع الاسكندرانيين لشرح جالينوس لكتاب الفصول لابقراط ، كتاب في النبض ، مقالة في الاشياء التي تفيد الصحة والحفظ وتمنع من النسيان ، كتاب في الادوية المفردة ، مختصر كتاب صنعة العلاج بالحديد ، كتاب آداب الفلاسفة ونوادرهم ، مقالة في التوحيد .

حبيش بن ابراهيم الدمشقي : يلحق بآل العبادي لأنه من أصهارهم ، هو أحد رجال القرن التاسع ، عاش على أيام المتوكل وبعده وكان ابن اخت حنين ابن اسحق وتلميذه ، ساعد حنيناً بالترجمة وله تصانيف كثيرة في الطب منها : كتاب الأدوية المفردة ، كتاب الأغذية ، كتاب في الاستسقاء ، وكان يسلك مسلك حنين في نقله وفي كلامه وفي احواله ، إلا انه كان يقصر عنه ، وقد ذكره حنين في بعض المواضيع فقال ان حبيشاً ذكي ، مطبوع على الفهم ، ولكن ليس له اجتهاد بحسب ذكائه ، بل فيه تهاون ، وإن كان ذكاؤه مفرطاً ،

وذهنه ثاقبا ،وحبيش هو الذي تمم كتاب مسائل حنين في الطب الذي وضعه للمتعلمين وجعله مدخلا للطب ، وقد قيل في صدد حبيش وما ترجمه من الكتب أنه كان من جملة سعادة حنين صحبة حبيش له فان أكثر مانقله حبيش نسب الى حنين و كثيراً مايرى الجهال شيئاً من الكتب القديمة مترجماً بنقل حبيش فيظن الغر منهم أن الناسخ أخطأ في الاسم ويغلب على ظنه أنه حنين وقد صحف فيكشطه ، ويجعله لحنين و كان حبيش مصيبا في المعالجات وبما نقل من أقواله الحكيمة : الكذب رأس كل بلية ، من ترك الحقد أدرك معالي الأمور ، قد يكون القريب بعيداً بعداوته والبعيد قريباً بمودته ، نقل الى العربية حلف بقراط و كتاب المياه لبقراط و كتاب الفواكه لجالينوس ولد يوسقوريديس ،

قسطا بن لوقا البعلبكي (٨٢٠ ـ ٩١٢ م) : هو من الشام سافر الى بلاد الروم ، ثم عاد الى الشام واستدعي الى العراق ليترجم كتباً من لسان اليوناني الى لسان العرب ، كان بارعا في علوم كثيرة ، منها الطب والفلسفة و الهندسة والاعداد والموسيقى ، لامطعن عليه ونقل قسطا كتبا كثيرة من كتب اليونانيين الى اللغة العربية و كان جيد النقل فصيحا باللسان اليوناني والسرياني والعربي وله رسائل و كتب كثيرة في صناعة الطب منها : كتاب في أوجاع النقرس ، كتاب في الروائح وعللها ، رسالة الى أبي محمد الحسن بن مخلد في أحوال الباه واسبابه على طريق المسألة والجواب ، كتاب جامع في الدخول الى علم الطب ، كتاب في السهر ، كتاب في القوة والضعف ، كتاب في الأغذية ، كتاب في النبض ومعرفة الحميات وضروب البحرانات ، كتاب في علة الموت ، كتاب في معرفة الخدر وانواعه وعلله واسبابه ، كتاب في ايام البحران في الأمراض الحادة كتاب في الاخلاط الاربعة ، كتاب في الكبد وخلقها وما يعرض فيها من الأمراض ، كتاب في مراتب قراءة الكتب ، كتاب في تدبير الأبدان في سفر

الحج ، كتاب في دفع ضرر السموم ، كتاب في حركة الشريان ، كتاب في النوم والرؤيا ، كتاب في العضو الرئيسي في البدن ، كتاب في البلغم ، كتاب في الدم ، كتاب في المرة الصفراء ، كتاب في المرة السوداء ، كتاب في شكل الكرة والاسطوانة ، كتاب في الاستدلال بالنظر الى اصناف البول كتاب الحمام.

آل قرة : نذكر منهم ثابتا وابنه سنانا :

ثابت بن قرة الحراني ٨٣٦ـ٩٠١م وولده سعيد المتوفى سنة ٩٣٤م :

ولد ثابت في حران من اعمال الجزيرة وكان من الذين تعددت نواحي عبقريتهم ، نبغ في الطب والرياضيات والفلك والفلسفة ووضع في هذه كلها وغيرها مؤلفات جليلة ، ودرس العلم للعلم ، وشعر باللذة العقلية فراح يطلبهـا في الرياضيات والفلك فقطع فيها شوطا بعيدا واضاف اليها ومهد الى ايجاد اهم فرع من فروع الرياضيات وهو التكامل والتفاضل ، وقد اشتهر بالطب ومعرفته الواسعة فيه وقد مدح طبه احد الشعراء بقوله[1] :

كان ابو الحسن ثابت بن قرة الحراني صيرفيا بحران ، رآه محمـد بن موسى فصيحا فعلمه العلوم والطب ووصله بالمعتضد فعاش في ظل الخليفة ولم يكن في زمانه من يماثله في صناعة الطب ولا في غيره من جميع اجزاء الفلسفة وله تصانيف

---

[1] هل للعليل سوى ابن قرة شاف ... بعد الاله وهل له من كاف
فكأنه عيسى بن مريم منطقا ... يهب الحياة بأيسر الاوصاف
مثلت له قارورتي فرأى بها ... ما اكتن بين جوانحي وشغافي
يبدو له الداء الخفي كما بدا ... للعين رقراق الغدير الصافي

مشهورة بالجودة وكذلك جاء جماعة من ذريته ومن اهله يقاربونه فيما كان عليه من حسن التخرج والتمهر في العلوم ، كان جيد النقل الى العربي، حسن العبارة قوي المعرفة باللغة السريانية وغيرها ، ولما غضب الموفق على ابنه ابي العباس المعتضد بالله ، حبسه في دار اسماعيل بن بلبل فتقدم هذا الى ثابت بن قرة وطلب منه ان يدخل الى ابي العباس ويؤانسه ، فأنس ابو العباس بثابت بن قرة انساً كثيراً وكان ثابت يدخل اليه الى الحبس في كل يوم ثلاث مرات يحادثه ويسليه ويعرّفه احوال الفلاسفة وأمر الهندسة والنجوم وغير ذلك ، فشغف به ولطف منه محله ، فلما خرج من حبسه وتقلد الخلافة ، اقطعه ضياعاً جليلة وكان يُجلسه بين يديه كثيراً بحضرة الخاص والعام . قال ابو اسحق الصابىء الكاتب : إن ثابتاً كان يمشي مع المعتضد في الفردوس وهو بستان في دار الخليفة للرياضة وكان المعتضد قد اتكأ على يد ثابت وهما يتماشيان ثم نتر المعتضد يده وقال له يا أبا الحسن ! ! وكان في الخلوة يكنيه وفي الملأ يسميه ، سهوت ووضعت يدي على يدك واستندت عليها وليس هكذا يجب ان يكون فان العلماء يعلون ولا يُعلون .

وله من المؤلفات كتاب في سبب كون الجبال ، كتاب في المساءلة الطبية، كتاب في النبض ، كتاب وجع المفاصل والنقرس ، اختصار المنطق ، كتاب في السبب الذي من اجله جعلت مياه البحر مالحة ، اختصار كتاب ما بعد الطبيعة ، والمسائل المشوقة الى العلوم ، كتاب في مراتب العلوم ، كتاب في الرد على من قال ان النفس مزاج ، جوامع كتاب الادوية المفردة لجالينوس ، جوامع كتاب المرة السوداء لجالينوس ، جو مع كتاب سوء المزاج المختلف لجالينوس، جوامع كتاب تشريح الرحم لجالينوس ، جوامع كتاب جالينوس في المولودين لسبعة اشهر ، جوامع ما قاله جالينوس ، كتاب اصناف الأمراض، كتاب في الوقفات التي في السكون الذي بين حركتي الشريان المتضادتين . ومن كتبه جوامع كتاب الفصد لجالينوس ، بجوامع تفسير جالينوس لكتاب ابقراط في الاهوية

والمياه والبلدان ، كتاب في العمل بالكرة ، كتاب في الحصى المتولد في الكلى والمثانة ، كتاب في البياض الذي يظهر في البدن كتاب في مساءلة الطبيب المريض ، كتاب في تدبير الامراض الحادة ، رسالة في الجدري والحصبة ، اختصار كتاب النبض الصغير لجالينوس ، كتاب في الموسيقى ، رسالة الى علي بن يحيى المنجم فيما امر باثباته من ابواب علم الموسيقى ، رسالة الى احد اخوانه في جواب ما سأله عنه من امور الموسيقى ، كناشه المعروف بالذخيرة ألفه لولده سنان بن ثابت ، جوابه لرسالة أحمد بن الطيب اليه ، جواب ماسئل عنه من أمر البقراطيين وكم مبلغ عددهم ، مقالة في الصفرة العارضة للبدن وعدد أصنافها واسبابها وعلاجها ، مقالة في وجع المفاصل ، مقالة في صفة كون الجنين ، كتاب في علم ما في التقويم بالممتحن ، كتاب في تدبير الصحة ، كتاب النبض الكبير لجالينوس ، كتاب في تشريف صناعة الطب وترتيب اهلها وتعزيز المنقوصين منهم بالنفوس والاخبار ، كتاب بأن صناعة الطب أجل الصناعات . كتب به الى الوزير ابي القاسم عبيد الله بن سليمان ، اختصار كتاب جالينوس في قوى الاغذية ، ثلاث مقالات ، مسائل عيسى بن اسيد لثابت بن قرة واجوبتها لثابت ، كتاب البصر والبصيرة في علم العين وعللها ، اختصار كتاب حيلة البرء لجالينوس ، كتاب شرح السماع الطبيعي ، مات وما تممه ، كتاب الى ابنه سنان في الحث على تعلم الطب والحكمة ، اختصار كتاب ايام البحران لجالينوس ، جوامع كتاب جالينوس في الأدوية المنقية ، جوامع كتاب الأعضاء الآلمة لجالينوس ، مقالة في النظر في أمر النفس ، كتاب في الطريق الى اكتساب الفضيلة ، كتاب في العمل بالممتحن وترجمة ما استدركه على حبيش في الممتحن ، كتاب في تشريح بعض الطيور ، كتاب في اجناس ما توزن به الأدوية بالسرياني . ولقد اكتفينا بذكر مؤلفات ثابت الطبية وكان له عداها كتب كثيرة في الهندسة والفلك وعلوم عديدة أخرى .

أبو سعيد سنان بن ثابت بن قرة الحراني : توفي في بغداد سنة ٣٣١ هـ ، ٩٣٤ م : كان طبيباً مقدماً كابيه وكان طبيب المقتدر وقد عظمت منزلتـه في أيامه حتى صار رئيساً على الأطباء وقد اتصل بالمقتدر أن رجلا من الأطباء غلط على مريض فمات فأمر محتسبه بمنع جميع الأطباء إلا من امتحنه سنان بن ثابت وكتب له رقعة بما يطلق له التصرف في ذلك ، ومن أخباره انه لمـــا مات الراضي بالله استدعى الأمير أبو الحسين سناناً وقال له : اريد أن اعتمد عليك في تدبير بدني وتفقد جسمي والنظر في مصالحه وفي أمر أخلاقي ، لثقتي بعقلك وفضلك ودينك ومروءتك فقد غلبني الغضب وغمني ، حتى أنني أخرج الى ما أندم عليه عند سكونه ، وأسالك أن تتفقد عيوبي وتصدقني فيها وترشدني الى علاجها لتزول عني فقال سنان : السمع والطاعة وليستمع الأمير مني بالعاجـل ، جملة علاج ما انكره من نفسه الى أن يجيئه التفصيل في اوقاته . اعلم أيها الأمير أنك قد أصبحت وليس فوق يدك يد لأحد من المخلوقين وانك مالك لما تريـده ، قادر عليه أي وقت أردته ولا يمكن لأحد منعك منه ، واعلم أن الغضب والغيظ يحدثان سكراً أشد من سكر النبيذ وكما أن الانسان يفعل في سكره مالا يعقل ولا يذكره إذا صحا ويندم عليه اذا حُدّث به استحياءً ، كذلك يحدث له في سكر الغضب والغيظ ، بل أشد ، فاذا بدأ بك الغضب وأحسست به فأخر العقوبة الى غد ، واثقاً بأن ما تريد ان تفعله في الوقت ، لا يفوتك عمله في غد ، وقد قيل من لم يخف فوتا حَلُمْ ، فإنك اذا فعلت ذلك ذهب السكر وتمكنت من العقل والرأي الصحيح ، وقـد قيل اصح ما يكون الانسان ، إذا استدبر ليله واستقبل نهاره ، فاذا صحوت من سكرك الغضبي فتأمل الذي أغضبك ، ولا تشف غيظك بما يؤثمك فقد قيل ما شفى غيظه من أثم بذنبه واذكر قدرة الله عليـك وانك محتاج الى عفوه ورحمته ، وخاصة في اوقات الشدائد واذكر دائما قوله

تعالى « وليعفوا وليصفحوا ، ألا تحبون أن يغفر الله لكم والله غفور رحيم » وقوله تعالى « وان تعفوا أقرب للتقوى » فان اوجبت الحال العفو فاعف ، وإن كان الخطأ مما لا يحتمل العفو ، عاقبت حينئذ على قدر الذنب ولم تتجاوزه الى ما يفسد به أمرك ويقبح عند الناس ذكرك ، واذا اخذت نفسك بهذه مرة وثانية وثالثة ، صارت بعد ذلك سجية لك وعادة فاستحسن الأمير قوله ولم يزل يصلح أخلاقه شيئا فشيئا حتى صلحت واستقامت واستطابت فعل الخير ورفع الظلم والجور وبان له ان العدل أربح للسلطان فعمل بواسط وقت المجاعة دار ضيافة ، وببغداد مارستانا وأكرم سناناً غاية الاكرام وعظمه غاية التعظيم ، وكانت منزلة سنان كبيرة أيضاعند الامراءوالوزراء فمن ذلك ان الوزير علي بن الجراح كتب الى سنان بتوقيعه في سنة كثرت فيها الأمراض والأوباء نسخة يقول فيها : فكرت مد الله في عمرك في أمر من في الحبوس ، وانهم لا يخلون مع كثرة عددهم وجفاء أماكنهم ان تنالهم الأمراض وهم معوقون من التصرف في منافعهم ، ولقاء من يشاورونه من الأطباء في أمراضهم ، فينبغي أكرمك الله ان تنفذ لهم أطباء يدخلون في كل يوم ويحملون معهم الأدوية والأشربة ليعالجوا المرضى ويريحوا عللهم بما يصفونه لهم من العلاج ، ففعل سنان ذلك ثم وقع اليه توقيعاً آخر هذه نسخته : فكرت فيمن بالسواد من أهله وان لا يخلو من أن يكون فيه مرضى لا يشرف متطبب عليهم لخلو السواد من الأطباء ، فتقدم مد الله في عمرك بانفاذ متطببين وخزانة من الأدوية والأشربة ، ليطوفوا في السواد ويقيموا في كل صقع منه ، مدة ما تدعو الحاجة الى مقامهم ويعالجوا من فيه ثم ينقلون الى غيره ، ففعل سنان ذلك .

وفي سنة ست وثلثمائة أشار سنان بن ثابت على المقتدر بأن يتخذ مستشفى ينسب اليه فأمره باتخاذه فاتخذ له في باب الشام وسماه البيمارستان المقتدري ، وفي

أول محرم سنة ست وثلثمائة فتح سنان بن ثابت بيمارستان السيدة الذي اتخذه بسوق يحيى وجلس فيه ورتب المتطببين به وكانت النفقة عليه على يدي يوسف بن يحيى المنجم ، لأن سنانا لم يُدخل في يده شيئاً من نفقات البيمارستان ولسنان مؤلفات كثيرة في غير علم الطب .

أبو داوود سليمان بن حسان : ابن جلجل [1] : عاش في قرطبة بين ٩٧٦ – ١٠٠٩ م كان طبيباً فاضلاً خبيراً بالمعالجات جيد التصرف في صناعة الطب وكان في أيام هشام الثاني المؤيد بالله وخدمه بالطب وله بصيرة واعتناء بقوى الأدوية المفردة وقد فسر أسماء الأدوية المفردة من كتاب ديسقوريدس وأفصح عن مكنونها وأوضح مستغلق مضمونها .

ويقول ابن جلجل في صدر الكتاب المذكور : وكان لي حرص شديد على تصحيح الكتاب[2] لأنني خفت أن يدرس وتذهب منفعته لأبدان الناس فالله قد خلق الشفاء،وبثه فيما انبتته الأرض واستقر عليها من الحيوان المشاء،والسابح في الماء ، وما يكون تحت الارض وفي جوفها من المعدنية ، كل ذلك فيه شفاء ولابن جلجل من الكتب كتاب تفسير اسماء الادوية المفردة من كتاب ديسقوريدس ألفه في شهر ربيع الآخر سنة اثنتين وسبعين وثلثمائة بمدينة قرطبة في دولة هشام بن الحكم المؤيد بالله ومقالة في ذكر الادوية المفردة التي لم يذكرها ديسقوريدس في كتابه .

ب – **كبار أعلام الطب العربي** : نذكر في هذا الفصل من استطعنا جمع المعلومات عن تاريخ حياتهم من أساطين الطب في بلاد العرب والاسلام :

---

١ – ذكر صاعد انه دخل البصرة ومصر ودبر مارستانها Abu Daud sulayman b. Hasàn bin juljul

٢ – أنظر في صفحة ٢٠٢ من هذا الكتاب أسماء من اسموا من أطباء الاندلس بتصحيح كتاب دياسقوريدس .

أحمد بن الطيب السرخسي : توفي سنة ٨٩٩ م : هو ابو العباس احمد ابن محمد بن مروان السرخسي ممن ينتمي الى الكندي وعليه قرأ ومنه أخذ وكان متفنناً في علوم كثيرة من علوم القدماء والعرب ، حسن المعرفة ، جيد القريحة ، بليغ اللسان ، مليح التصنيف والتأليف ضليعاً في علم النحو والشعر وكان حسن العشرة ، مليح النادرة تولى في أيام المعتضد الحسبة ببغداد وكان اولا معلما المعتضد ثم نادمه وخص به وكان يفضي اليه بأسراره ويستشيره في أمور مملكته وكان الغالب على احمد بن الطيب علمه . ألف السرخسي كتباً كثيرة في المنطق والحسبة والغناء والمنادمة والمجالسة وأنواع الاخبار والملح والموسيقى والاعداد والجبر . اما مؤلفاته الطبية فكثيرة منها كتاب المدخل الى صناعة الطب . نقض فيه كلام حنين بن اسحق ، مقالة في البهق والنمش والكلف ، كتاب في ماهية النوم والرؤيا ، كتاب في العشق ، كتاب في الرد على جالينوس .

الرازي (٨٥٠ــ٩٢٣م) : ولد بالري على بعد بضعة أميال من طهران قضى اكثر ايام شبابه في بلاد فارس ثم سافر الى بغداد وكان قدرمه اليها وله من العمر نيف وثلاثون سنة ، كان في صغره راغباً في العلوم العقلية مشتغلاً بها ، شاعراً وموسيقياً ،ضارباً ممتازاً على العود ،حسن الغناء فلما التحى قال : كل غناء يخرج من بين شارب ولحية لا يستظرف فنزع عن ذلك وطلب العلم وأقبل على دراسة كتب الطب والفلسفة ، وقيل ان الرازي كان في أول امره صيرفياً وان دراسته للطب بدأت بعد ان جاوز الاربعين من العمر ، قرأ الطب على الحكيم أبي الحسن علي بن ربن – المعلم – الطبري صاحب فردوس الحكمة وغيره من التصانيف وقرأ الفلسفة على البلخي على انه كان طبيباً اكثر مما هو فيلسوف . عين رئيساً لأطباء مستشفى الري ثم تولى تدبير بيمارستان بغداد ، وكان يجلس في مجلسه ودونه تلاميذه ودونهم آخرون وكان يجيء الرجل

فيصف ما يجد لأول من يلقاه منهم ، فان كان عنده علم به عالجه والا تعداه الى غيره الى ان يلقاه الرازي .

قال ابن أبي أصيبعة في الرازي انه كان ذكياً فطناً رؤوفاً بالمرضى ، مجتهداً في علاجهم وفي برئهم بكل وجه يقدر عليه ، مواظباً النظر في غوامض صناعة الطب والكشف عن حقائقها وأسرارها و كذلك في غيرها من العلوم بحيث انه لم يكن له دأب ولا عناية في جل أوقاته الا في الاجتهاد والتطلع في ما قد دونه الافاضل



الشكل (٢٦)
صورة الرازي التي أقرت في الاحتفال بعيده الألفي

من العلماء في كتبهم ، ولقد نعته أهل زمانه بجالينوس العرب اعترافاً بفضله وقالوا عنه : كان الطب متفرقاً فجمعه الرازي . كان ينصح طلابه قائلاً على الطبيب ان يطمع في شفاء مريضه ، اكثر من رغبته في نيل أجوره ، وعليه ان يفضل معالجة الفقراء على معالجة الأغنياء ، ويجب ان يكون دقيقاً في تعلياته جاداً في نفع السواد الأعظم من الناس .

وللرازي أخبار طريفه[1] كثيرة وفوائد متفرقة في ما حصل له من التمهر في صناعة الطب وفي ما تفرد به في مداواة المرضى وفي الاستدلال على أحوالهم وكان اكثر مقام الرازي ببلاد العجم ، وهناك صنف كتباً كثيرة في الطب وغيره . وكان الرازي مشتغلا ايضاً بالعلوم الحكمية ، وله فيها تصانيف كثيرة ، يستدل بها على جودة معرفته وارتفاع منزلته . وكان في أول امره قد عني بعلم السيمياء والكيمياء ، وله اكتشافات كيميائية ، اهمها زيت الزاج (الحامض الكبريتيك) ، والغول (الكحول) . كان الرازي مصاباً برطوبة في العينين (ساد) ، وجاء قداح ليقدحها ، فسأله الرازي : كم طبقة في العين ؟ فقال : لا أعلم فقال : لا يقدح عيني من لا يعلم ذلك والى الرازي ينسب اختراع الخزم ، الذي كانت تستعمله الأطباء ، ولا زالت الأعراب تستعمله وهو ان يثقب الجلد ويجعل فيه خيط غليظ لسيلان الصديد . وذكرت مجلة اللنسيت[2] في احد اعدادها ان الرازي كتب في كيفية خياطة الجروح البطنية بأوتار العود

---

١ - منها القصة الآتية وخلاصتها ان الرازي استدعى لعلاج أمير بخاري وكان يشكو آلاماً عصت على المعالجة فعالجها الرازي دون جدوى وفي النهاية قال للأمير : انه في الغد سيجرب علاجاً جديداً ولكن على شرط ان يضع الامير تحت تصرفه اسرع جوادين في أسطبلاته ، وفي اليوم التالي قصد الرازي حماماً خالياً ودخل مع مريضه الامير ثم صب عليه الماء الساخن وجرعه الدواء ثم لبس ملابسه وعاد يحمل سكيناً وشهرها في وجه الامير ووقف يؤنبه فاستشاط الامير غيظاً ونهض واقفاً بعد ان كان لا يستطيع الوقوف ، وفي الحال هرب الرازي الى حيث كان ينتظره خادمه مع الحصانين وعاد الى بلده وهناك كتب للأمير يقول : انه لما عالجه لم يتيسر له شفاؤه فلجأ الى طريقة العلاج النفساني فأتت بالشفاء وانه أصبح من عدم اللياقة ان يعود لمقابلته فلما رأى عزم الرازي على عدم الرجوع كافأه الامير بحلة نفيسة وسيوف وعبد وجارية وجواد مطهم وأجرى عليه ألفي دينار سنوياً وأرسل له مائتي حمل من الحنطة .

٢ - Lancet مجلة طبية انكليزية مشهورة .

وكان الرازي معاصراً لاسحق ابن حنين ومن كان معه في ذلك الوقت .
وللرازي كلمات مأثورة في الطب تصلح ان تكون دساتير عمل للطب والطبيب والمريض في كل زمان ومكان منها أقواله : الحقيقة في الطب غاية لاتدرك والعلاج بما تنصه الكتب دون عمل الماهر الحكيم برأيه خطر . الاستكثار من قراءة كتب الحكماء والوقوف على أسرارهم نافع لكل حكيم ، العمر يقصر عن الوقوف على فعل كل نبات في الارض ، فعليك بالأشهر مما أُجمع عليه ، ودع الشاذ واقتصر على ما جربت . ينبغي للطبيب ان لا يدع مساءلة المريض عن كل ما يمكن ان تتولد عنه علته من داخل ومن خارج ثم يقضي بالأقوى . ينبغي للمريض ان يقتصر على واحد ممن يوثق به من الاطباء فخطؤه في جانب صوابه يسير جداً ، ومن تطبب عند كثيرين من الاطباء ، يوشك ان يقع في خطأ كل واحد منهم ، ينبغي ان تكون حالة الطبيب معتدلة ، لا مقبلا على الدنيا ، ولا معرضاً عن الآخرة كلية ، باختلاف عروض البلدان تختلف المزايا والأخلاق والعادات وطباع الأدوية والأغذية فان استطاع الحكيم ان يعالج بالاغذية دون الادوية ، فقد وافق العادة ، مهما قدرت ان تعالج بدواء مفرد ، فلا تعالج بدواء مركب اذا كان الطبيب عالماً ، والمريض مطيعاً فما أقل لبث العلة ، عالج في أول العلة بما لا يسقط القوة ، ما اجتمع الاطباء عليه وشهد عليه القياس وعضدته التجربة ، فليكن إمامك .

قال في الدجالين : ان جهلهم المطبق وقحتهم الشديدة تعادلان الجرم الشائن الذي يقترفونه في تعذيب المرضى بلا سبب في ساعاتهم الاخيرة ، فبعضهم يزعم انه يشفي المرض النازل فيجعل له مخرجاً في مؤخرة الراس بشكل شق ويضع يديه عليه مدعياً انه اخرج شيئاً منه ، والآخرون يزعمون ان باستطاعتهم استخراج العلق والديدان من آناف المرضى فيدخلون الى انف المريض مسبرا حديديادقيقا

ويأخذون بجرح المنخرين الى ان يسيل الدم ثم يتظاهرون باخراج هذه الحيوانات الصغيرة من المنخرين ، في حين انها لا تكون سوى اشياء مشابهة كانوا يخفونها عن الانظار بكل مهارة ، ومنهم من يقومون بقثترة المثانه في حين انهم جهلاء لا يستطيعون ان يعرفوا هل الحصاة موجودة ام لا ؟. واذا هم لم يجدوا الحصاة يهيئون حصاة اخرى فيوهمون بأنها هي الحصاة التي استخرجوها . وعلى هذا المنوال يستطيع هؤلاء المشعوذون بكل مهارة اخراج أشياء متنوعة وضعوها حين مباشرة العمل مع ما في ذلك من تعريض صحة المريض للخطر ، وقد تسبب موته في بعض الأحيان . على ان هذه الحيل لا تنطلي على الاذكياء من المرضى، فعلى العقلاء الا يجعلوا حياتهم العوبة في ايدي هؤلاء المشعوذين .

توفي الرازي في سنة نيف وتسعين ومائتين أو ثلثمائة وكسر ، عن اكثر من سبعين سنة . كانت كتبه تعتبر مدة طويلة ركنا للتعليم في مدارس أوروبا الطبية ترجم بعضها الى العبرانية وبعضها الى اللاتينية وطبع عدة مرات وقد جمع أبو الريحان البيروني رسالة نشرها كراوس بباريس سنة ١٩٣٦[١] جاء فيها أن الرازي ألف نحو ٢٣٧ كتاباً ونحن ذاكرون هنا اكثر كتب الرازي اشتهاراً :

كتاب الحاوي[٢] : يعد هذا الكتاب من أجل كتبه وأعظمها في صناعة الطب فقد تجلت به مقدرته في ابتكار التشخيص والمعالجة وقد أورد فيه مفكراته السريرية التي كان يدونها، نشر الحاوي مع الترجمة اللاتينية سنة ١٤٨٦ م وكان هذا الكتاب أحد الكتب التسعة التي تكونت منها مكتبة مدرسة الطب بباريس باكملها في القرن الرابع عشر وكان مصدراً للعلوم الطبية وخاصة في العلاج في أوروبا الى مابعد عصر النهضة بزمن طويل ، ويعد الحاوي من الكتب الكبار ،

(١) Le repertoir des ouvrages de M zakariyya Razi .

(٢) Continens : Continent .

إذ يتألف من ثلاثين مجلداً ، توفي الرازي دون أن ينقحها وكان ابن العميد سبب اظهار الحاوي فطلبه من اخت الرازي وبذل لها دنانير كثيرة حتى اظهرت له مسودات الكتاب فعرضه على تلاميذ الرازي الذين كانوا بالري فرتبوا الكتاب ما استطاعوا وخرج على ماهو عليه من الاضطراب .

كتاب المنصور : يلي كتاب الحاوي في قيمته قدمه الرازي الى المنصور ابن اسحق صاحب خراسان ، يقع في عشرة مجلدات ، تبحث كلها في العلوم الطبية،سمى صاحب كشف الظنون هذا الكتاب الكناش المنصوري وهو كتاب مختصر ومشهور باحث عن صناعة الطب علمها وعملها .

كتاب الطب الروحاني[1] : ألفه الرازي وهو مقيم بمدينة السلام وقد عرّف غايته بانها اصلاح اخلاق النفس وضمنّه عشرين فصلا منها فصل السكر وقد قال فيه : ان ادمان السكر يؤدي الى البلايا والاسقام الجمة وذلك أن المفرط في السكر مشرف في وقته ،على السكتة أو الاختناق الجالب للموت فجأة ، على انفجار الشرايين التي في الدماغ ، وعلى التردي والسقوط في الاغوار والآبار ، ومن بعد فعلى الحميات الحارة والاورام الدموية والصفراوية في الاحشاء والاعضاء الرئيسية ، وعلى الرعشة والفالج . هذا الى سائر مايجلب على صاحبه من فقدان العقل وهتك الستر وإظهار السر والقعود به عن ادراك جل المطالب الدينية

( ) ج ١ ص ٥١ توجد نسخة من كتاب الطب الروحاني في مكتبة المتحفة البريطانية برقم ١٥٣٠ ورقمها في الاضافات الشرقية ٢٥٧٥٨ ، ونسخة في مكتبة الفاتيكان برقم ١٨٠ من المخطوطات العربية ونسخة في دار الكتب المصرية ، قسم التصوف والاخلاق الدينية برقم ٢٢٤١ .وطبع ضمن رسائل فلسفية لأبي بكر محمد بن زكريا الرازي من قبل باول كراوس .

والدنيوية فلا يبلغ منها حظوة ، بل لايزال منها منحطاً متسفلا[1] وبالجملة فان الشراب من أعظم مواد الهوى واعظم آفات العقل ومن اجل ذلك ينبغي للعاقل أن يتوقاه

وللرازي كتاب في أن للانسان خالقا متقنا حكيما ، وفيه دلائل التشريح ومنافع الأعضاء وله مقالة في العلة التي من اجلها يعرض الزكام في فصل الربيع عند شم الورد، كتبهابعد أن لاحظ أن شخصاً يسمى بأبي زيد البلخي كان يصاب بذلك في كل ربيع حين يتفتح الورد[2] وله كتاب في علل المفاصل والنقرس وعرق النسا وكتاب في أن الحمية المفرطة والمبادرة الى الأدوية والتقليل من الاغذية لاتحفظ الصحة بل يجلب الامراض ومن كتبه كتاب في الجدري والحصبة ضمنه أربعة عشر بابا . ويعد هذا الكتاب في مقدمة مبتكرات الرازي اذ كان أسبق الناس الى وصف هذين المرضين وصفاً دقيقاً واضحاً مميزاً بالعلامات . ويذكر في هذا الكتاب أن سبب الجدري انما هو خميرة في الدم شبيهة بخمرة الخمر . لذلك يعد الرازي من كبار واضعي اسس دراسات الاوبئة . ومن كتبه أيضاً كتاب الى من لايحضره طبيب، وغرضه ايضاح العلل علة علة ومعالجتها بالادوية الموجودة ويعرف هذا الكتاب بكتب طب الفقراء[3] وله كتاب في أن الطبيب الحاذق ليس هو من قدر على إبراء جميع العلل فان ذلك ليس في الوسع ولا في صناعة ابقراط ومن كتبه أيضاً كتاب في صفات البيمارستان ورسالة في الحمام ومنافعه ومضاره .

---

(١) ويستشهد الرازي بقول الشاعر :

متى تدرك الخيرات او تستطيعها	ولو كانت الخيرات منك على شهر
اذا بت سكرانا واصبحت مثقلا	خمارا وعاودت الشراب مع الظهر

(٢) يناسب مانعرفه بالربو الربيعي .

(٣) في مكتبة الاستاذ الجلبي من بغداد نسخة منه .

وصفوة القول : وضع الرازي ٥٦ كتابا في الطب و ٣٣ كتابا في العلوم الطبيعية و ٨ كتب في المنطق و ١٠ كتب في الرياضيات و١٧ كتاباً في الفلسفة و ٦ كتب في العلوم ماوراء الطبيعة و ١٣ كتابا في الكيمياء و ١٠ كتب في مواضيع مختلفة . على أن شهرته ترتد الى كتابيه الحاوي والمنصوري ، ويعد نيوبيرجر كتابه بالجدري والحصبة من اثمن الكتب . اشتغل ابو بكر الرازي بالطب والفلسفة وما يتعلق بهما كما اشتغل بهما بعده ابن سينا وكلاهما عظيم . واذا جاز لنا أن نقارن بينهما قلنا أن الرازي يفوق ابن سينا في الطب وان ابن سينا يفوقه في الفلسفة .

علي بن العباس الأهوازي: توفي سنة ٩٩٤م : ولد في مدينة الاهواز بجنوبي فارس بالقرب من جنديسابور غيران تاريخ ميلاده لا يعرف بالضبط تماماً ولكنه عاصر الرازي ، ألف كتابه الشهير كامل الصناعة في الطب للملك عضد الدولة البويهي ، درس الطب على موسى بن سيار . والحق ان هذا الكتاب من احسن الكتب الطبية إذ جمع فيه فن الطب بكامله في ذلك العصر مشيراً الى المؤلفين الاصليين ، تُرجم هذا الكتاب للغة اللاتينية قسطنطين الافريقي [٢] في مرنتي كاسينو حول سنة ١١٨٠ م وترجمه ثانية اسطفان الانطاكي حول سنة ١٢٠٠ م وقد طبعت الترجمة الاخيرة في البندقية سنة ١٤٩٢م ، وفي ليون سنة ١٥٢٣م [٣] ، ولقد ذاعت شهرة هذا الكتاب بما يمتاز عن غيره بتنظيمه ودقته وبما جمع من اصول فن

---

١ ـ حرف اسمه الغربيون حتى جعلوه (Haly Abbas) واسمه الحقيقي ابو الحسن علي بن العباس المجوسي لان اباه او جده كان زردشتيا اما هو فكان مسلماً ولذلك لا نرى داعياً لاقرار نسبته للمجوسية حتى نكنيه بها ولهذا سميناه علي بن العباس الأهوازي نسبة الى مولده .

٢ ـ قسطنطين الافريقي : مسلم عربي من تونس تعلم في بغداد وسافر الى الهند وعاد الى تونس مات سنة ١٠٧٨ كان اول من نقل الى اللاتينية مؤلفات العرب الطبية .

٣ ـ نقلت هذه الطبعة عن ترجمة قام بها ايتان الفيلسوف وعلق عليها ميشال كابيلا .

الطب ونظرياته . ولقد بين علي بن العباس الاسباب التي دعته لتأليف الكتاب وهي انه لم يجد لابقراط وجالينوس واريباسيوس وبولس الاجنطي ولمحدثين في ذلك العصر امثال اهرون ويوحنا بن سرابيون وماسويه ومحمد بن زكريا الرازي مؤلفاً واحداً يرجع اليه الباحثون في فن الطب لمعرفة تشخيص الامراض على اختلافها ومعالجة العلل وطرق هذه المعالجة ، ومما جاء في مقدمة الكتاب :

قال انوشروان اذا اراد الله بامة خيراً جعل العلم في ملوكها ، والملك في علمائها ، ولما كان العلم بصناعة الطب افضل العلوم واعظمها قدراً واجلها خطراً واكثرها منفعة لحاجة الجميع اليها أحببتُ ان اضع كتاباً كاملاً في صناعة الطب ، جامعاً لكل مايحتاج اليه المتطببون وغيرهم في حفظ الصحة على الاصحاء وردها على المرضى ، ولقد افاض علي بن العباس بضرورة المحافظة على شرف المهنة كما اوصى الطبيب بضرورة المعالجة باخلاص وفي ذلك يقول : ينبغي لمن اراد أن يكون طبيباً فاضلاً عالماً ان يقتدي بوصايا ابقراط الحكيم التي اوصي بها في عهده الى المتطببين وان يجتهد في مداواة المرضى وحسن تدبيرهم وقال : ينبغي للطبيب ان يكون طاهراً ذكياً ديّناً ،مراقباً لله عز وجل ، رقيق اللسان ،محمود الطريقة ،متباعداً عن كل نجس ودنس وفجور وان لايفشي للمرضى سراً ولا يُطلع عليه قريباً أو بعيداً فان كثيراً من المرضى يعرض لهم أمراض يكتمونها عن آبائهم وأهاليهم ويفشونها للطبيب ... ومما ينبغي لطالب هذه الصناعة ان يكون ملازماً للبيمارستان ومواضيع المرضى ، كثير المداولة لأمورهم وأحوالهم مع الحذاق من الأطباء ، كثير التفقد لأحوالهم والأعراض الظاهرة فيهم متذكراً لما كان قد قرأه من تلك الأحوال ومما يدل عليه من الخير والشر فانه اذا فعل ذلك بلغ من هذه الصناعة مبلغاً حسناً ، ووثق به الناس ومالوا اليه ونال المحبة والكرامة منهم والذكر الجميل ولم يعدم مع ذلك المنفعة والفائدة من

قبلهم[1] ويعد علي بن العباس أول من ذكر وجود شبكة شعرية بين العروق النابضة وغير النابضة أي بين الشرايين والأوردة . كما يعتبر أول من نبـه الى صعوبة شفاء السل الرئوي بسبب حركة الرئة وفي ذلك يقول :

ان السبب الذي من اجله لايشفي السل الرئوي هو أن الرئة دائمـة الحركة لاتلتحم لكثرة حركتها وهزها وازعاج السعال لها ، لأن العضو المتقرح يحتاج الى ان يكون هادئاً ساكناً حتى تلتحم قرحته . ولقد وصف العالم علي بن العباس استعمال القثطرة[1] لاخراج البول من المثانة بوضوح تام وسمي الآلة التي يبول منها القاثاطير . وبحث عن معالجة التهاب الغدد اللمفاوية الدرني (الخنازير) في الرقبة بالاساليب الجراحية فقال : انك تشق عنهـا الجلد شقاً بالطول ولاتبلغ بالشق الى نفس الورم . ثم خذ شفتي الجلد بسنارتين ونح الجلد وسائر الاجسام التي حولها (العقد) واخرجها قليلاً قليـــلاً ، وينبغي أن تتوقى من ان تقطع شرياناً أو تنخس عصباً ومتى وقع ببعض العروق خرق فينبغي أن تربطه برباط وتقطعه لئلا يمنعك من جودة العمل بخروج الدم، فاذا استخرجت الخنازير فينبغي أن تدخل اصبعك في الموضع وتفتشه جيداً لئلا يكون هناك خنازير صغيرة قد بقيت فان كان هناك شيء منها فانتزعه واخرجه واجهد ان لايبقى منها شيء ، فاذا علمت انك قد استنظفت الموضع ولم يبق منه شيء فاجمع شفتي الجلد وخيطه ، فان كان من الجلد فضلة مما كان قد تمدد بسبب عظم الخنزير فينبغي أن تقص تلك الفضلة بالمقراض وتهندم الجلد على قدر الموضع وتخيطه[3] ولقـد عالج علي بن العباس ام الدم (الانورسما) جراحيـاً ووصف العملية وقال عن

---

١ ـ كامل الصناعة الطبية جزء ، صحيفة ٨ — ٩ .

٢ ـ كامل الصناعة الطبية جزء ٢ صحيفة ٤٨٣ .

٣ ـ « « « « ٢ « ٤٦٧ .

عملية اللوزتين : ورم اللوزتين إذا عظم وطالت مدته وعسر على صاحبه البلع ولم تنجح فيه الأدوية والغرغرة وما يجري هذا المجرى فينبغي أن يستعمل فيهـا القطع . والسبيل الى ذلك أن تأمر العليل أن يقعد بين يديك مقابل الشمس وتأمره أن يفتح فاه وتأمر الخادم أن يمسك رأسه الى خلف وتأمر خادماً آخر أن يمسك لسانه ويكبسه الى أسفل بالآلة التي يكبس بها اللسان ، ثم تأخذ سنارة وتغرزها في احدى اللوزتين وتخرجها الى خارج ، من غير أن تجذب معها شيئاً من الأغشية والأجسام التي هناك ثم تقطعها من أصلها بالآلة التي تصلح لذلك . وبعد ان تقطع احداهما تقطع الأخرى ايضاً وتغرغر العليل بماء ورد وخل مبرد فان عرض من ذلك نزف دم فينبغي أن تغرغره بماء السماق . وعني علي بن عباس بوصف معالجة الخلوع والكسور والتجبير واليك ذلك الوصف الدقيق في علاج كسر الفك الاسفل ويعتبر من الكسور الصعبة حتى في أيامنـا الحاضرة قال : متى انكسر اللحي الأسفل من خارج ، ولم يفصل ما انكسر فينبغي أن تنظر ، فان كان الكسر في الفك الأيسر فينبغي أن تدخل الاصبع الوسطى من اليد اليسرى والسبابة في الفم وترفع بها الحدب الحادث في الفك الى خارج حتى يستوي وتسويه على شكله من خارج باليد اليمنى واذا كان الكسر في الفك الأيمن فادخل اصابع اليد اليمنى وافعل بها مثل ما ذكرت لك ، وانت تعرف رجوع الفك الى حاله ، من استواء الاسنان التي فيه ورجوعها الى أصلها الطبيعي فان انكسر اللحي واندار ما انكسر فينبغي ان تستعمل المد من الناحيتين بمعاونة بعض الخدم لك حتى ترده الى حقه وشكله ، وينبغي ان تشد الاسنان التي في اللحي المكسور برباط من ذهب أو فضة ، بعضها الى بعض ، ان امكن ذلك ، فان لم يكن فتربط بخيوط ابريسم مفتولة فتلاً جيداً[1] . ويعتبر علي بن العباس من العلماء الذين وضعوا العلامات السريرية وميزوها وكان دقيقاً في وصفه هذه العلامات ، وقد

---

١ ـ كامل الصناعة الطبية جزء ٢ ص ٥٠٤ .

يحث عن المعلومات التي تؤخذ من فحص النبض فقال : ان النبض رسول لا يكذب ومناد اخرس يخبر عن اشياء خفية بحركاته الظاهرة ، والقلب والعروق الضوارب تتحرك كلها حركة واحدة على مثال واحد في زمان واحد فيمكن ان يقاس بواحد منها على جميعها ولذلك صرنا نتعرف حال حركة القلب من حركة الشريان .

ولقد خصص علي بن العباس في كتابه كامل الصناعة الطبية احدى وثلاثين فصلا بحث في أحدها عن حفظ الصحة وقسمها الى ثلاثة اقسام اولها حفظ صحة الأبدان الصحيحة والثاني حفظ الأبدان الضعيفة التي تحتاج الى انعاش والثالث حفظ الأبدان التي قد اشرفت على الوقوع في الأمراض والتحرز من نزولها بها وينصح علي بن العباس الأطباء الذين يصفون الأدوية لمرضاهم بقوله : على من أراد علم مداواة الأمراض أن يكون عارفاً بقوى الأدوية المفردة وافعالها ومنافعها ، خبيراً بالقوانين التي بها يمتحن كل واحد من الأدوية المفردة ويستدل على مزاجه وقوته ومنفعته في البدن .

ان كتاب كامل الصناعة الطبية لا شك انه موسوعة طبية كاملة يرجع اليها الأطباء لمعالجة جميع الأدواء ويتفهمون العلل وأسبابها وأعراضها وتشخيصها وانذارها ومعالجتها . وصفوة القول يعتبر علي بن العباس الأهوازي نابغة عصره بعلمه وطبه ويعد الكثيرون ممن قارنوا بين كتابه الكامل وكتاب ابن سينا القانون رجحان الأول على الثاني .

ابو النصر الفارابي : (٨٧٣ – ٩٥٠م) هو ابو النصر محمد بن أوزلغ بن طرخان من فاراب في ارض خراسان وكان أبوه قائد جيش ببغداد مدة ثم انتقل الى الشام واقام به الى حين وفاته . اشتغل بالعلوم النفسية وعلوم ما فوق الطبيعة واتقن العلم والحكمة وكان إماماً فاضلاً زكي النفس قوي الذكاء متجنباً عن الدنيا مقتنعاً منها بما يقوم بأوده . يسير سير الفلاسفة المتقدمين وكانت له خبرة

بصناعة الطب وعلم بالامور الكلية منها ، كان في أول امره ناطوراً في بستان بدمشق وكان ضعيف الحال حتى انه كان في الليل يسهر للمطالعة والتصنيف ويستضيء بالقنديل الذي للحارس وبقي كذلك مدة ثم انه عظم شأنه وظهر فضله واشتهرت تصانيفه وكثرت تلاميذه فصار أوحد زملائه وعلامة وقته واجتمع به الامير سيف الدولة وأكرمه اكراماً كثيراً ، سافر الى مصر سنة ٣٣٨ هـ ورجع الى دمشق وتوفي بها سنة ٣٣٩ هـ (٩٥٠ م) وصلى عليه سيف الدولة في خمسة عشر رجلا من خاصته ، وكان في علم الموسيقى قد وصل الى غاياتها واتقنها اتقاناً لا مزيد عليه ويذكر أنه صنع آلة غريبة يُسمع منها الحاناً بديعة يحرك بها الانفعالات ، ويقال انه دخل مجلس الصاحب متنكراً وكان المجلس غاصاً بالندامى والظرفاء وارباب اللهو فاستهزأ بأبي نصر كل من كان في ذلك المجلس وهو يحتمل أذى الإيذاء ويغضي على قذى الاستهزاء حتى اطمأنت أنفسهم بمجالسته وأنساهم الشراب ذكره ودارت الكؤوس ومالت الرؤوس وطربت النفوس وحمل ابو النصر مزهراً واستخرج لحناً مع وزن نوّم المستمعين، وصار كل واحد منهم كالذي يغشى عليه من الموت وقيل كانت معه آلة اعدها لهذا الشأن فكتب عليها وهي البربط[1] قد حضر أبو نصر الفارابي واستهزأتم به فنومكم وغاب ثم خرج من الري متنكراً مع رفقة ، متوجهاً الى بغداد فلما أفاق الصاحب وندماؤه تعجبوا من حذقه في صناعة الموسيقى ، وتأسفوا على فوات منادمته ، ثم قال الصاحب : أديروا الكؤوس على اسمه لعل الزمان يرده علينا[2] .

---

١ - البربط هو العود والكلمة فارسية وهي بربت اي صدر البط لأن صورته تشبه صدر البط وعنقه (الخوارزمي) .

١ - وفي رواية اخرى ان ابا نصر الفارابي فعل مثل هذه المفاجأة في مجلس سيف الدولة في الشام .

ويذكر ن سبب قراءته الحكمة ان رجلا أودع عنده جملة من كتب أرسطو فاتفق ان نظر فيها فوافقت منه قبولاً وتحرك الى قراءتها ولم يزل الى أن اتقن فهمها وصار فيلسوفاً بالحقيقة وقرأ كتاب القياس على أبي يحيى المروزي وكان يجتمع بأبي بكر بن السراج فيقرأ عليه صناعة النحو وابن السراج يقرأ عليه صناعة المنطق وكان الفارابي ينظم الشعر ويحسن كتابة النثر .

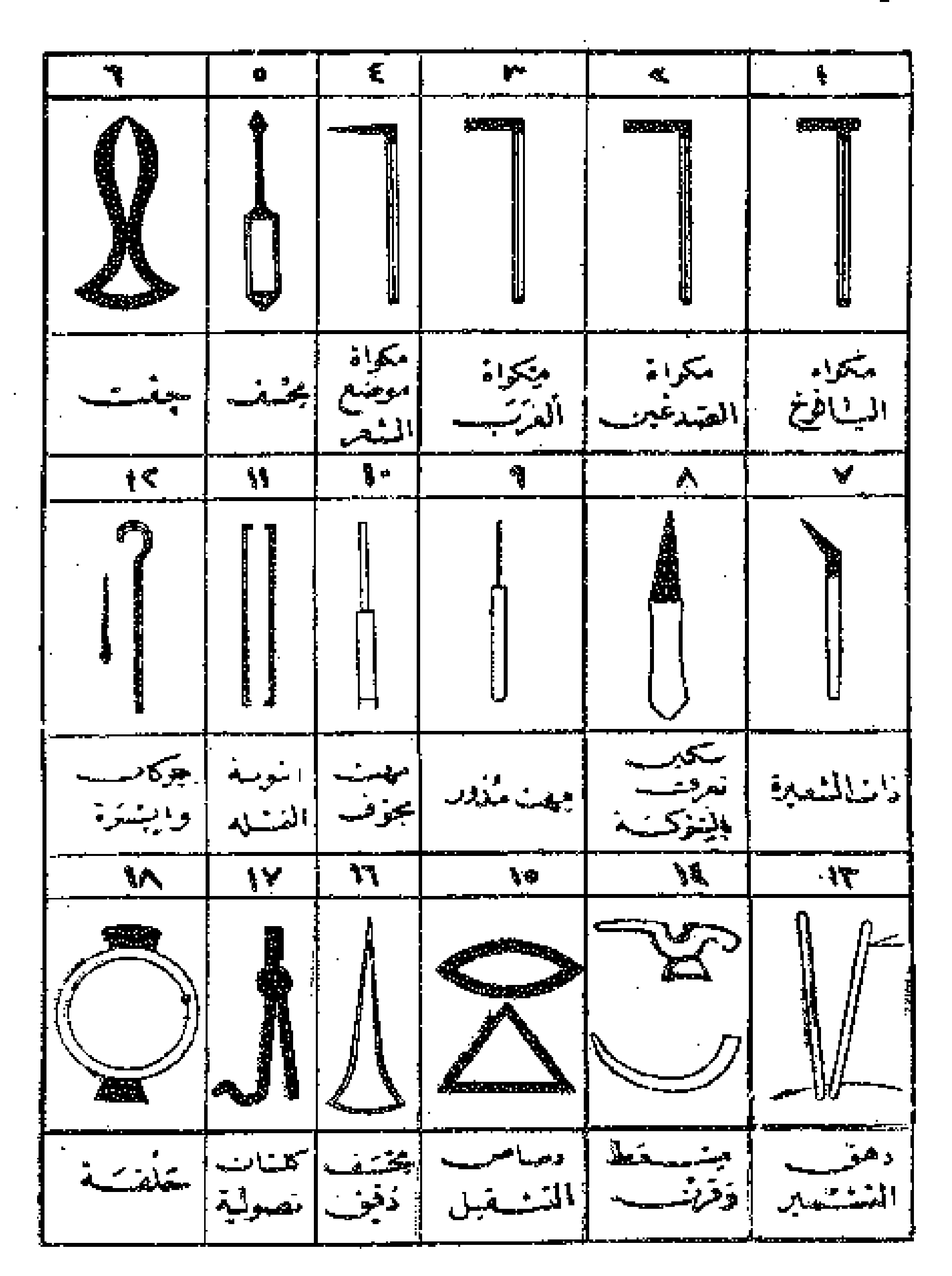
ولأبي نصر الفارابي من الكتب شرح مقالة الاسكندر الافروديسي في النفس، كتاب المدينة الفاضلة والمدينة الجاهلة والمدينة الفاسقة والمدينة المبتذلة الضالة. ابتدأ بتأليف هذا الكتاب ببغداد وحمله الى الشام في آخر سنة ثلاثين وثلاثمائة وتممه بدمشق في سنة أحدى وثلاثين وثلاثمائة ومن تآليفه القيمة كتابة في احصاء العلوم وقد وضع في الموسيقى كتاباً مفصلا . وقد دعا الى دراسة الفضاء كما يستدل من شعره :

محيط السموات أولى بنا فلمْ ذا التزاحم على الأرض

ابن الجزار ابو جعفر: توفي سنة ١٠٠٩ م كان من أهل القيروان حسن التطلع للطب وسائر العلوم لم يحفظ عنه زلة قط .عاش نيفاً وثمانين سنة غنياً بالقيروان ووجد له خمسة وعشرون قنطاراً من الكتب وله مؤلفات عديدة أشهرها كتاب في علاج الأمراض ويعرف بزاد المسافر وقوت الحاضر وهو مختصر في الطب وقد ترجم الى العربية واليونانية وله كتاب في الأدوية المفردة يعرف بالاعتماد وكتاب في الأدوية المركبة يعرف بالبغية وكتاب كبير في الطب اسمه قوت المقيم مؤلف من عشرين مجلداً وكتاب في طب الفقراء

علي بن عيسى وقيل عيسى بن علي الكحال: توفي سنة ١٠١٠ م من أطباء القرن الحادي عشر ببغداد كان مشهوراً بالحذق في صناعة الكحل متميزاً فيها وبكلامه يقتدى في أمراض العين ومداواتها وكان كتابه المشهور بتذكرة الكحالين

هو الذي لا بد لكل من يعاني صناعة الكحل أن يحفظه وقد اقتصر الناس عليه دون غيره من سائر الكتب التي ألفت في هذا الفن وصار ذلك مستمراً عندهم ، وكلام علي ابن عيسى في أعمال صناعة الكحل أجود من كلامه فيما يتعلق بالأمور العلمية ،



الشكل (٢٧)

صور آلات جراحية بعضها للكحالة

نقل كتاب تذكرة الكحالين الى اللاتينية سنة ١٨٤٥ وله كتاب في منافع الحيوان

ابو الفرج اليبرودي : توفي في دمشق سنة ١٠٣٥م كان فاضلا في صناعة الطب ، عالماً بأصولها وفروعها ، معدوداً من جملة الأكابر من أهلها والمتميزين من اربابها مولده ومنشؤه بيبرود كان يجمع الشيح فيحمله على دابة ويأتي به الى داخل دمشق ليبيعه وقوداً في الأفران وقد عبر مرة من باب توما بدمشق فرأى شخصاً من المتطببين يفصد انساناً فتأمل فيه واقترح عليه ما اعجب به الشيخ فقال له لو أنك تشتغل بصناعة الطب فمال اليبرودي الى قوله وبقي متردداً الى الشيخ وهو يعرفه ويريه أشياء من المداواة ثم انه ترك يبرود وأقام بدمشق يتعلم صناعة الطب ثم ذكروا له أن أبا الفرج بن الطيب ببغداد كاتب فيلسوف متفنن وله خبرة وفضل في صناعة الطب وفي غيرها من الصنائع الحكيمة فتأهب للسفر وأخذ سواراً كان لأمه لنفقته وتوجه الى بغداد فمهر في صناعة الطب واشتغل أيضاً بشيء من المنطق والعلوم الحكيمة ثم عاد الى دمشق وأقام بها وكانت لليبرودي مراسلات الى ابن رضوان بمصر والى غيره من لأطباء المصريين وقد كتب بخطه شيئاً كثيراً جداً من كتب الطب ولا سيما من كتب جالينوس وشروحها وجوامعها .توفي اليبرودي بدمشق حوالي سنة ٤٠٠هـ ١٠٣٥ م ودفن في كنيسة اليعاقبة عند باب توما

ابو سينا (٩٨٠ – ١٠٣٧ م) هو أبو علي الحسين بن عبد الله بن حسن بن علي بن سينا[1] ، اشتهر بالشيخ الرئيس ولد في أفشنة ، ٣٧٠ هـ على اصح

---

١ ـ مامن عالم درست سيرته كما درست سيرة ابن سينا فقد سلطت عليه الاضواء منذ ولد حتى يومنا هذا وقد عهد الينا ان نقدم بحثاً مبتكراً عنه ليلقى على ضريحه في همذان خلال تشرين الاول سنه ١٩٦٢ فكتبنا بحثاً عنها بالعربية والانجليزية والفرنسية اثبتنا فيه انه كان رائد مدرسة طبية تتفق ببعض نواحيها مع كل من ابقراط وجالينوس وتختلف بنواحيها الاخرى عنها فسميناها المدرسة السينوية وهي مدرسة تميزت بتسيير الانسان عن طريق العقل نحو التعرف على آثار الروح وتوجيهها نحو شطر الايمان .

الروايات هذب في بخارى وتوفي في همذان في شهر رمضان سنة ٤٢٨ هـ ، سماه العلماء الشيخ الرئيس ، حجة الحق ، رئيس العقلاء وخصه بعضهم بكلمة الشيخ اختصاراً ولقب بشرف الملك إثر توليته للأعمال السلطانية التي كانت لأبيه بعد وفاته . حفلت حياة ابن سينا في شبابه وبعد موت أبيه بالحركة والعمل وطلب العلوم واتقانها ودراسة الفلسفة والتوسع فيها والتعمق في الطب فاشتهر امره واغرى ذلك الامراء بتقريبه وتزيين مجالسهم به وباسمه وتقليده مناصب كبيرة وزارية ، ومن كان هذا شأنه في عصور المنازعات فلا مناص له من ان ينازع الناس وينازعوه . حفظ القرآن وهو دون العاشرة وقد ساعده بلاغة مافيه على أن يتمكن من اللغة العربية .

ويروى في صدد اتقانه اللغة العربية القصة الطريفة الآتية : كان الشيخ جالساً يوماً من الأيام بين يدي الأمير علاء الدين وأبو منصور الجبائي حاضر ، فجرى في اللغة مسألة تكلم الشيخ فيها بما حضره فقال له أبو منصور انك فيلسوف وحكيم ولكنك لم تقرأ من اللغة مايرضي كلامك . فاستنكف الشيخ من هذا الكلام وتوفر على درس كتب اللغة العربية ثلاثة أعوام واستهدى كتاب تهذيب اللغة من بلاد خراسان من تصنيف أبي منصور الازهري فبلغ الشيخ في اللغة طبقة قلما يتفق مثلها وأنشأ ثلاث قصائد ضمنها ألفاظاً غريبة في اللغة وكتب ثلاثة كتب ، أحدها على طريقة ابن العميد والثاني على طريقة الصاحب والثالث على طريقة الصابي وامر بتجليدها وإخلاق جلدها ثم سأل الأمير عرضها على أبي منصور الجبائي وقال : انا ظفرنا بهذه الكتب في الصحراء وقت الصيد فيجب ان تنتقدها وتقول لنا مافيها ، فنظر فيها أبو منصور واشكل عليه كثير مما فيها فقال له الشيخ : ان ماتجهله من هذا الكتاب مذكور في موضع كذا و كذا ، وذكر له كتباً معروفة في اللغة كان الشيخ حفظ تلك الالفاظ منها . ففطن

أبو منصور أن هـذه القصائد وتلك الرسائل من انشاء الشيخ وأن الذي حمله عليه ، ما جبهه به في ذلك اليوم فتنصل واعتذر اليه . ثم صنف الشيخ ابن سينا كتاباً في اللغة باصفهان سماه لسان العرب ،لم يصنف مثله ولم ينقله الى البياض حتى توفي فبقي على مسودته لايهتدي أحد الى ترتيبه [1] لقد ادّى ذلك كله الى أن يبرع ابن سينا في اللغة وآدابها وأن يتفتح ذهنه ويقوى ميله الى تحصيل العلوم كلها وصار يعتبر عدم تهذيب النفس بالعلوم والفوائد بمثابة الموت ،قال في هذا الصدد [2] .

هـذب النفس بالعلوم لترقي	وذر الكل فهي للكل بيت
إنمـا النفس كالزجاجة والعلم	سراج وحكمة الله زيت
فاذا اشرقت فانك حـي	وإذا أظلمت فانك ميت

ولقد شغل حب العلوم شعوريّ ابن سينا الواعي واللاواعي حتى كانت تلين له المشاكل العلمية المعقدة وهو متجه بايمانه الى خالقه وفي حالة خاصة بين اليقظة والنوم ، قال عن نفسه في هذا الصدد ، وكلما كنت أتحير في مسألة ، ترددت الى الجامع وصليت حتى ينفتح لي المنغلق ويتيسر المتعسر وكنت أعود بالليل الى داري واشتغل بالقراءة مهما غلبني النوم فاذا اخذني أدناه أحلم بتلك المسائل باعيانها حتى أن كثيراً منها اتضح لي وجوهها في المنام .

لم تظهر نواحي عبقرية ابن سينا في مجال واحد فحسب بل في مجالات علوم عصره المختلفة فهو علّم في الفلسفة والرياضيات والطبيعيات والطب ، برز ابن سينا في كل من هذه العلوم وظهر وخلد اسمه بين رجالها وأعلامها ، لقد جمع فاوعى واستطاع أن يضع نظريات وقواعد ظلت على مدى الاجيال تتألق درراً في جيد العلم يتدارسها العلماء .

---

١ - يقول فيه صاحب طبقات الاطباء ابن ابي اصيبعة وقع الي بعض هذا الكتاب فبدا لي غريب التصنيف .

٢ - كتاب طبقات الاطباء لابن ابي اصيبعة مجلد ٢ ص ١٠ .

• سوف أحاول في بحثي هذا أن آتي على مبتكرات في دراسة ابن سينا لما انكشفها بعد الأضواء المتألقة النور التي سلطت على عبقريات هذا الرجل من ذلك :



الشكل (٢٨)

ابن سينا يعطي درساً في أمراض العين يبحث فيه عن تصالب العصب البصري

كلمة سينا ، دراسة ابن سينا للطب واساتذته فيه ، اشتهار ابن سينا بالطب وابتكاراته فيه ، كلمات مقتطفة من اقواله في الطب وتعليقات على بعض ماجاء فيها وفي قانونه ، طاعة الطبيعة للأوهـام النفسانية ، اعتماد الشرق والغرب على كتاب القانون في تدريس الطب ، تساؤله عن النفس وماهيتها وقصيدته البليغة فيهـا .

١ - كلمة سينا في كنية الشيخ الرئيس : ر ى بعضهم في كنية ابن سينا طلسما ما زال مغلقا على البحث حتى الآن فقد قيل أن ابن سينا لقب[١] وقيل اسم[٢] واختلفوا في اصلها وتساءلوا هل هي عربية ام مصرية قديمة تعني الحكيم الكامل ام سريانية اصلها شينا وقد قلبت الشين سينا والميم نونا . إن أقرب الروايات للصحة هي التي تقول ان سينا اسم بلدة ببخارى وجد فيها فسُمّي ابنها. هذه الرواية الثانية منقولة عن كتاب الخوارزمي المسمى مفيد العلوم ومبيد الهموم فقد جاء فيه ان ابا علي بن الحسن كان بقرية ببخارى اسمها سينا فسمي بها وهذا شيء مألوف في الغابر والحاضر[٣] .

٢ - دراسة ابن سينا الطب واساتذته فيه : درس ابن سينا الطب فبرز فيه ولم تكن دراسته للطب تهدف في الأصل الى اتخاذ الطب مهنة للكسب بل كانت غايته التوسع في الفلسفة حيث كان ينظر الى الطب كفرع من علومها، فقد كانت العادة عند الفلاسفة المسلمين والعرب الجمع بين سائر العلوم المعروفة

---

١ - ابن سينا ، تأليف الدكتور احمد فؤاد الاهواني دار المعارف ص ١٩ .

٢ - تعرض لاسم ابن سينا محمد محيط الطباطبائي بمقـال عنوانه : (جستجوردر لفظ سينا) في كتاب مهرجان ابن سينا بالفارسية - طهران ١٩٥٠ .

٣ - جرت العادة أن يكنى أحد الناس باقليم أو قطر او مصر او مدينة أو قرية أو نهر فيقال مثلاً : ابن مصر او ابن الشام ، او ابن العراق او ابن بردى او ابن النيل ومـا الى ذلك .

في ذلك الزمن وكان الطب في مقدمتها [1] ، تساءل البحاثون في تعلم ابن سينا الطب عما إذا درسه من نفسه أم كان له اساتذة فيه ؟ روى ابن العبري أن ابن سينا درس الطب على يد أبي سهل مع أن ذلك لم يذكره أحد من العلماء القدامى غيره تأكيداً ، وجل مافي الأمر ماذكره ابن ابي أصيبعة [2] بقوله: قيل انه أي - أبا سهل - معلم الشيخ الرئيس وان كان الشيخ الرئيس بعد ذلك تميز في صناعة الطب ومهر فيها وفي العلوم الحكمية حتى صنف كتباً لأبي سهل وجعلها باسمه ، وقد نفى منوشهر مؤدب [3] دراسة ابن سينا الطب على أحدٍ من معلميه وأكد أنه درسه من نفسه ولم يجده صعباً على أننا نرى أنه كان لابن سينا اساتذة درّسوه الطب يُعرف منهم ابو منصور الحسن بن نوح القُمري الذي كان سيد وقته وأوحد زمانه ، مشهوراً بالجودة في صناعة الطب ، محمود الطريقة في أعمالها ، فاضلاً في فصولها وفروعها ، حسن المعالجة ، جيد المداواة ، متميزاً عند الملوك في أيامه ، كثيري الاحترام له وكان له كتب عديدة منها كتاب غنى ومنى [4] وهو كتاب حسن قد استقصى فيه ذكر الأمراض ومداواتها وهو شيخ كبير كان يحضر - ابن سينا مجلسه ويلازم دروسه وانتفع به في صناعة الطب ومهر فيها وفي العلوم الحكمية ، وقد أكد ذلك الامام شمس الدين عبد الحميد بن عيسى الخسر وشاهي وشهد به .

٣ - اشتهار طب ابن سينا وابتكاراته فيه : اشتهر طب ابن سينا فأخذ

---

١ - هكذا كان الكندي والفارابي وابن رشد وابن طفيل وكثير غيرهم .

٢ - المجلد الثاني من كتاب طبقات الاطباء ص ١١ .

٣ - صاحب جريدة جهره نما الايرانية ، مجلة المقتطف المجلد ٩٢ ص ٦٣٧

٤ - توجد نسخة من كتاب الغنى والمنى في الطب في المكتبة الظاهرية بدمشق رقم ٧٨٨٩ وفي المتحف العراقي برقم ١٢٩ وللقمري أيضاً كتاب في الطب منه نسخة في الظاهرية بدمشق برقم (٧٨٨٣) ونسخة أخرى في المكتبة الاحدية برقم (٥٠٤٣/٨) .

الناس يتهافتون عليه ويتحدثون عن أعاجيبه فيه ، ومالبث أن صار من كبار معاليه يستطبه الملوك والامراء ، منهم سلطان بخاري نوح بن منصور الذى دعاه ليداويه فانتهز الشيخ هذه الفرصة فطلب من الملك أن يسمح له بالدخول الى المكتبة الخاصة فكان له ذلك فتزود بالعلوم التي اشتملت عليها كتب تلك المكتبة الغنية ، ثم أخذ العلماء والحكماء يسترشدون برأي ابن سينا ، بلغ ذلك كله في سن مبكرة . يدل على ذلك قوله : فلما بلغت ثماني عشرة من عمري فرغت من هذه العلوم كلها ، فكنت إذ ذاك للعلم أحفظ ، ولكنه معي اليوم أنضج ، وإلا فالعلم واحد لم يتجدد لي شيء بعده لقد اتخذ بعض الباحثين من ابن سينا كلمته هذه حجة ليقولوا أن ابن سينا كان جماعاً للعلم لم يأت فيه بشيء جديد ، على أننا نرى في كلماته المذكورة عن نفسه قولاً يحاكي رأي الجامعي الحديث التخرج المتفوق الذي دعاه تفوقه الى الاعتزاز بنفسه ، والواقع أن ابن سينا قال ذلك فيما أملاه على تلميذه البوزجاني عند اتصاله به وهو في الثانية والثلاثين من عمره ، غير أن السنين التي تلتها والتي استمرت قرابة ربع قرن أكسبت ابن سينا كثيراً من التجارب حتي بلغ اسمى مقام في النضوج الفكري والعلمي وعدّلت كثيراً من آرائه التي دونها في صدر شبابه ، ودليلنا على ذلك توصيته الباحث بقراءة كتابه اللواحق للاطلاع على ماستجد لديه ، وفي ذلك إشارة الى ان الكتاب الموعود به دُونت فيه آراء مبتكرة لم يسبق لغيره ولا للشيخ نفسه أن قالها ، وانها وليدة تفكيره وبحثه ، وتدقيقه وخبرته ، غير أن هذا الكتاب الذي وعد ابن سينا بكتابته حالت على مايبدو موانع منعته من انجاز وعده ، وعلى هذا فاننا لانجاري القائلين بان ابن سينا كان جمّاعاً للعلم وذخراً عظيما له فحسب بل نرى أنه كان منارة تتألق بنور العلم ومنهلا متدفق الجريان من المعرفة يروي عطش الظامئين الى تحصيل العلم .

صنف ابن سينا قانونه الشهير في جرجان وانجز بعضه في الري[1] وتمه في همذان وعوّل أن يعمل له شرحاً يذكر فيه تجاربه ، يتميز القانون بحسن التبويب وصدق الرواية والتحقيق حتى إذا رأى مؤلفه من الآراء مالم يقنع به ، اثبتها وأردف الى ذلك قوله عنها : ويزعم بعض الناس أن الأمر كذا وكذا وحينا يكون القائل مجهولاً لديه أو يكون المقول مشكوكاً فيه أو بما لايوثق به يذكر . قال بعض الناس ممن لايعتمد عليه .

لم يكن ابن سينا في الطب مقلدا لابقراط ولا لجالينوس ، بل جمع بين مدرستيهما ومزج تعاليمهما وأضاف اليهما ما حصل عليه من التجارب الخاصة فاهتدى الى نظريات كثيرة ضاع بعضها لأنه كان كتبها على قصاصات ومات قبل إضافها الى الكتاب ، يدل على ذلك قول البوزجاني في تتمة سيرة الشيخ : وكان قد حصل للشيخ تجارب كثيرة فيما باشره من المعالجات عزم على تدوينها في كتاب القانون فضاعت ، وقد جاء موته المبكر قبل أن يثبتها .

واننا لنجد في أقوال ابن سينا ، إن في أراجيزه[2] أو في غيرها مايدل على

---

١ – خدم في الري مجد الدولة وداواه من السوداء وخدم أمه المعروفة بالسيدة والمسماة بالزبيدة ثم سافر الى قزوين ومنها الى همذان ، ويبدو أن حساده آذوه في هذا البلد وناصبوه العداء واتهمه بعضهم بمعارضة القرآن الكريم واتخذوا بعض خطبه في التوحيد والالهيات دليلاً لمدعاهم واتهموه بالزندقة والرد على الانبياء ، والواقع أن أبا علي كثيراً ما كان يكثر من ذم علماء زمانه ولذلك كثر اعداؤه بينهم والحاقدون عليه منهم فاختلقوا عنه هذه الروايات .

٢ – نذكر من اراجيز ابن سينا :

ارجوزته الالفية وهي في ١٣٠٣ بيتاً ، شرحها ابن مهنا تلميذ لسان الدين الخطيب الارجوزة السينوية – نسبة الى سينا – وعليها شروح كثيرة منها شرح ابي الوليد محمد ابن احمد المعروف بابن رشد (averroès) الحفيد الاندلسي المالكي المتوفى سنة ٥٩٥ هـ ١١٩٨ م ، وشرح موسى بن ابراهيم بن موسى بن محمد المتطبب سنة ٨٧٠ هـ – ١٤٦٥ م ، وقد سماه الجوهر النفيس في شرح ارجوزة الرئيس .

توسع آفاق معرفته بالاختبار والتجربة، يقول في أرجوزة[1] المجربات :

بـدأت باسم الله في نظم حسن   اذكر مـاجربته طول الزمن

ويقول عن تجاربه في ارجوزة اخرى :

هـــذا الذي جربته في عمري   نظمتـــه لـــلمقتفي لأثري

ان قوليه المذكورين يدلان على اتساع معارفه بالتجربة وفيهما اشارة الى طول الزمن الذي قضاه بالاختبار وبديهي أن سنواته الثماني عشرة[2] التي قضاها في دراسة العلوم لايصح أن تنعت بطول الزمن . وهذا مايثبت رأينا في ابن سينا وهو أنه مبتكر مختبر كما هو جامع حافظ ، ويقول عن نفسه في خبرتـه الطبية : تعهدت المرضى فانفتح علي من أبواب المعالجات المقتبسة مالا يوصف[3].



الشكل (٢٨)

ابن سينا يعطي درسا في أمراض العين يبحث فيه عن ثنايا العصب البصري

٤ ـ كلمات مقتطفة من اقوال ابن سينا في الطب وتعليقـــات على بعض ما جاء فيها وفي قانونه[١] ويطيب لنا ان نعلق على بعض أقوال ابن سينـا في القانون وغيره من مؤلفاته الطبـية وخاصة عما جاء فيها عن النبض . لقد جـــاء تعريفه بالطب في احدى ارجوزاته أكثر تقدمية من بعض تعاريفنا الحاليـة . يعرف الطب بما يلي :

الطب حفظ صحة وبرء مرض من سبب في بدن منذ عرض

ذكر ابن سينا في تعريفه هذا اعتماده على الوقاية كما نعتمد عليها اليوم وبيّن أن لكل مرض سبباً ، واشار في كتبه بوضوح الى عدوى السل والى انتقـال الأمراض بالماء والتراب وهو اول من وصف الداء الخيطي[٢] وذكر انتشار الدودة الخيطية في الجسم وذكر أعراضها وتعرض الى الديدان المعوية وذكر عوارضها وهو أيضاً أول من وصف الجمرة الخبيثة التي دعاها بالنار الفارسية ، وعرّفنـا بوضوح انه ليس هنالك امر اض اساسية لا سبب لها كما يحلو لبعضنا ان يقول اليوم.

توسع القانون في دراسة تشريح الاعضاء ومنافعها وعملها وما يؤدي انحرافه او تقصيره الى امراض مختلفة وذكر اعراض الامراض حتى اذا تمت له مجموعة كافية منها نسبها الى مرض معين وقد بين ايضاً العلامات الدالة على الاستعـداد لبعض الامراض . وصف ابن سينا السكتة الدماغية والتهابات السحايا وفرق بين اللقوة ـ شلل الوجه ـ الناتجة من سبب مركزي في الدماغ ، وتلك التي تنشأ عن سبب موضعي واحسن وصف الشلل النصفي[٣] ، وميز آلام الأوراب من

---

١ ـ ننقل بعض ما جاء في هذا البحث عن الاستاذ الدكتور شوكت القنواتي رئيس الجامعة السورية الاسبق والاستاذ الدكتور عزت مريدن عميد كلية الطب السابق والاستاذ الحالي فيها.

٢ ـ Filariose .

٣ ـ ص ١٢٠ من ترجمة كتاب الطب العربي لمؤلفه امين خير الله المطبوع في مطبعة الجامعة الاميركية ببيروت ١٩٤٦ ، ألف هذا الكتاب بالانكليزية ونقله الى العربية الدكتور مصطفى ابو عز الدين .

آلام الجُناب ، وأحسن التفريق بين هذا والتهاب الكبد . يقول في ذلك ترنوفسكي عضو الأكاديمية السوفياتية : إن العلامات الخاصة بالتهاب الجنب التي بينها ابن سينا ما زالت ذات شأن في تشخيص هذا المرض في زمننا الحاضر(١) . ووصف ابن سينا حصى المثانة ، وحصى الكلية ، وذكر الأعراض السريرية لكل منها ، كما بين العلامات التي تميز هذه من تلك ، وتوسع في بحث الأمراض العصبية والأمراض النفسية ، وقال في صدد الصرع والهستويا : إن بينهما تشابهاً في كثير من الاحكام ، ولكن تمييز الأول عن الثاني يكون بالاستناد الى امور منها : أن الصرع يُفقد العقل ، وأما الهرع فلا يُفقده ، وأن المختنقة ، اذا قامت حدثت بأكثر ما كان بها ، وأن الزبد لا يسيل في المهروعة ، سيلانه في المصروعة ، كما ميز المهروعة عن المصابة بالسكتة بقوله : ان الحس لا يبطل في الأولى بطلاناً تاماً ، ولا يكون فيها غطيط . ووصف احتقان الدماغ ، وكان اول من أشار الى معالجته بما يشبه كيس الجليد .

وتوسع ابن سينا في دراسة الأمراض الطارئة على الانبوب الهضمي وأعضائه ، وقال بأن اليرقان صفراوي أي - هضمي - وانحلالي - دموي .

درس العقم وصنف أسبابه ، وجعل بعضها عائداً الى فقدان التوافق بين أخلاط الذكر والانثى ، واستدل على ذلك من مشاهداته إذ قال : لو بدل كلٌ مصاحبه لبطل العقم وكان الولد . وهذا ما ندعوه بلغتنا اليوم حالة عدم التوافق الخلطي ، وينجم عنها ان لا يستطيع الحيوان المنوي البقاء حياً في اخلاط المرأة ، فاذا قدر للزوجين ان يفترقا بدا كلٌ منهما مخصباً . وتلك معلومات فيزيولوجية جديدة .

---

(١) Les signes particuliers du diagnostic de la pleurésie décrite par Ibn sina jouent un rôle important dans la médecine Contemporaine in. XVII ongrès international de la médecine Athènes Cos 1960 page 114 . Ternowshy .

جدد الكثير في امراض النساء فعرّف بالوحى والحمل الكاذب ، وعني بالأم والطفل عناية بليغة ، وأعطي في ذلك نواحي لم تبل جدتها ، مما حمل العالم المولد الشهير دوفرين[1] على القول عن كتـــاب القانون في الطب : إنه تحلى بالتنظيم والوضوح ، وإن تعاليمه المتعلقة بالعناية بالوليد والارضاع والفطام جيدة جداً، كما أن تعاليمه في حفظ صحة الحامل ممتازة . ويقول ابن سينا في صـدد الرضاع بأنه يجب ان يكون من لبن الأم لأنه أقبل للولد وآلف له ، حتى صح بالتجربة أن إلقام الطفل حلمة امه عظيم النفع جداً في دفع ما يؤذيه وما يؤذيها . ويقول في الفطام : إنه اذا اشتهى الطفل غير اللبن أُعطي بتدريج ، ثم اذا جعلت ثناياه تظهر نقل الى الغذاء الذي هو اقوى بالتدريج . ينسجم ابن سينا بذلك مع ما يوصي[2] به المؤلفون في يومنا هذا وهو أن اول غذاء للطفل يكون حين بزوغ أول سن .

ومن النصائح التي يجدها الباحث في القانون ألا يُحمّل الرضيع على الجلوس والانتصاب قبل الاوان بل يُنتظر حتى ينمو جهازه العصبي النخاعي الدماغي ، وذلك بقوله : فاذا اخذ ينهض ويتحرك فلا ينبغي ان يمكّن من الحركات العنيفة ، ولا يجوز أن يحمل على المشي قبل انبعاثه اليه بالطبع . وقد خصّ المعالجة بجزء كبير من قانونه فذكر من الأدوية ما نسميه اليوم بالمفردة واتبعه بذكر الادوية المركبة ، كما ذكر طرق المعالجات ، وجاء في بعضها على جديد لم يُسبق به ، من ذلك طريقته في تجبير العمود الفقري المكسور بتمديد المريض على منضدة .

ولقد بحث ابن سينا عن معالجة الحائري الجنس[3] بحثاً طريفاً يوافق في بعض نواحيه بعض معلوماتنا الحالية[4] ، من ذلك قوله في الخنثى :

---

١ – Devraigne ٢ – première dent, premier repas .

٣ – Les intersexués : الحائر والجنس: تعبير اطلقناه على الولدان والاشخاص الذين لا تكون اعضاؤهم الجنسية واضحة .

٤ – كتاب القانون ٢ ص ٢٠٩ .

من الخناثى من لا عضو الرجال له ولا عضو النساء ، منهم من له كلاهما لكن احدهما اخف واضعف ، او خفي والآخر بالخلاف ، ومنهم من له كلاهما فيه سواء ، وقد بلغني ان منهم من يأتي ويؤتى ، وقلما أصدق هذا البلاغ واما المعالجة فتكون بقطع العضو الأخفى وتدبير جراحته .

٥ - طاعة الطبيعة للأوهام النفسانية : هذا ما نسميه اليوم بأثر العوامل النفسية في الانسان فقد استطاع ابن سينا ان يكشف الصلة بين الجسد والنفس وان يرد الى العوامل النفسية بعض المظاهر الفسيولوجية وكثيراً من الأمراض الجسدية ، كما هو شأن الاتجاه الحديث اليوم في عدد من الامراض ، وكان يعالج مرضاه بالتالي على اسس نفسية .

تعمق في درس النبض حتى جعل منه علماً خاصاً ، وذكر حالته في كل مرض ، ثم خص احكام النبض في العوارض النفسانية بفصل خاص فقال : إن الغضب يجعل النبض عظيماً متواتراً لا يقع فيه اختلاف ، لان الانفعال متشابه إلا أن يخالطه خوف أو خجل أو منازعة . وأما النبض في السرور فانه قد يعظم في الأكثر مع لين ويكون مع إبطاء وتفاوت . واما الفزع المفاجىء فيجعل النبض سريعاً مرتعداً مختلفاً غير منتظم .

وقد نُقل عن ابن سينا وغيره تشخيص امراض وحالات نفسية خاصة استناداً الى جس النبض لا تخلو من طرافة ، لذلك نلطف بحثنا ببعض من ذلك :

جاء في القانون حين بحثه عن العشق مايشير الى ذلك حيث يقول : ويكون نبض - العاشق - مختلفاً بلا نظام البتة كبعض اصحاب الهموم ، ويتغير نبضه وحاله عند ذكر المعشوق خاصة ، وعند لقائه بغتة ، ويمكن بذلك ان يستدل على المعشوق من هو اذا لم يعترف به المريض ؟ والحيلة في ذلك ان تذكر أسماء كثيرة تُعاد مراراً وتكون اليد على نبضه ، فاذا اختلف حين ذكر احدها

اختلافاً عظيماً وصار شبه المنقطع ثم عاود وجربت ذلك مراراً ، علمت اسم المعشوق ثم تذكر كذلك السكك والمساكن والحرف والصناعات والنسب والبلدان وتضيف كلا منها الى اسم المعشوق ، فتجمع بذلك خواص معشوقه من الاسم والحلية والحرفة فتعرفه ، فإنا قد جربنا هذا واستخرجنا به ما كان في الوقوف عليه منفعة . ثم ان لم تجد علاجاً الا تدبير الجمع بينهما على وجه يحله الدين والشريعة فعلت . وقد رأينا من عاودته بذلك السلامة والقوة وكان في اقصر مدة ، فاستدللنا بذلك على طاعة الطبيعة للأوهام النفسانية .

وكان ابن سينا يعتمد على المعالجة النفسية في الأمراض اللاعضوية اعتماداً كلياً ، وقد رويت عنه في صدد ذلك قصة أمير بويهي أنهكت جسمه السوداء والوساوس ، وكان يتصور أنه بقرة لابد من ذبحها ، وكان يطالب بالحاح أن يُذبح ويطبخ لحمه ، وقد امتنع عن الطعام والشراب ، فساءت حالته ولم تفد المعالجات التي وصفت له من قبل عدد كبير من الأطباء أية فائدة ، لذلك دُعي ابن سينا الى معالجته رغم مالديه من مشاغل[1] ، فبعث الى ذويه برسالة يخبر فيها أنه قادم لذبح المريض حسب طلبه ، وأن عليه أن يثق بصحة قوله ، ثم زار غرفته وفي يده سكين طويلة ، فسأل عن البقرة فخار[2] المريض ليشعر بنفسه أنه البقرة المقصودة ، فأمر ابن سينا بتقييد المريض من يديه ورجليه وفحص جسمه وأمعن في فحصه ثم قال : لاتصلح هذه البقرة للذبح مالم تسمن ونصح ذويه بتسمينه فابتدأ يأكل ويغتذي ، فتحسنت حالته وزال بالغذاء الصالح والعناية الممتازة اضطراب نفسه ، فعاد رجلاً سوياً ، وشفي بذلك من سودائه[3] .

---

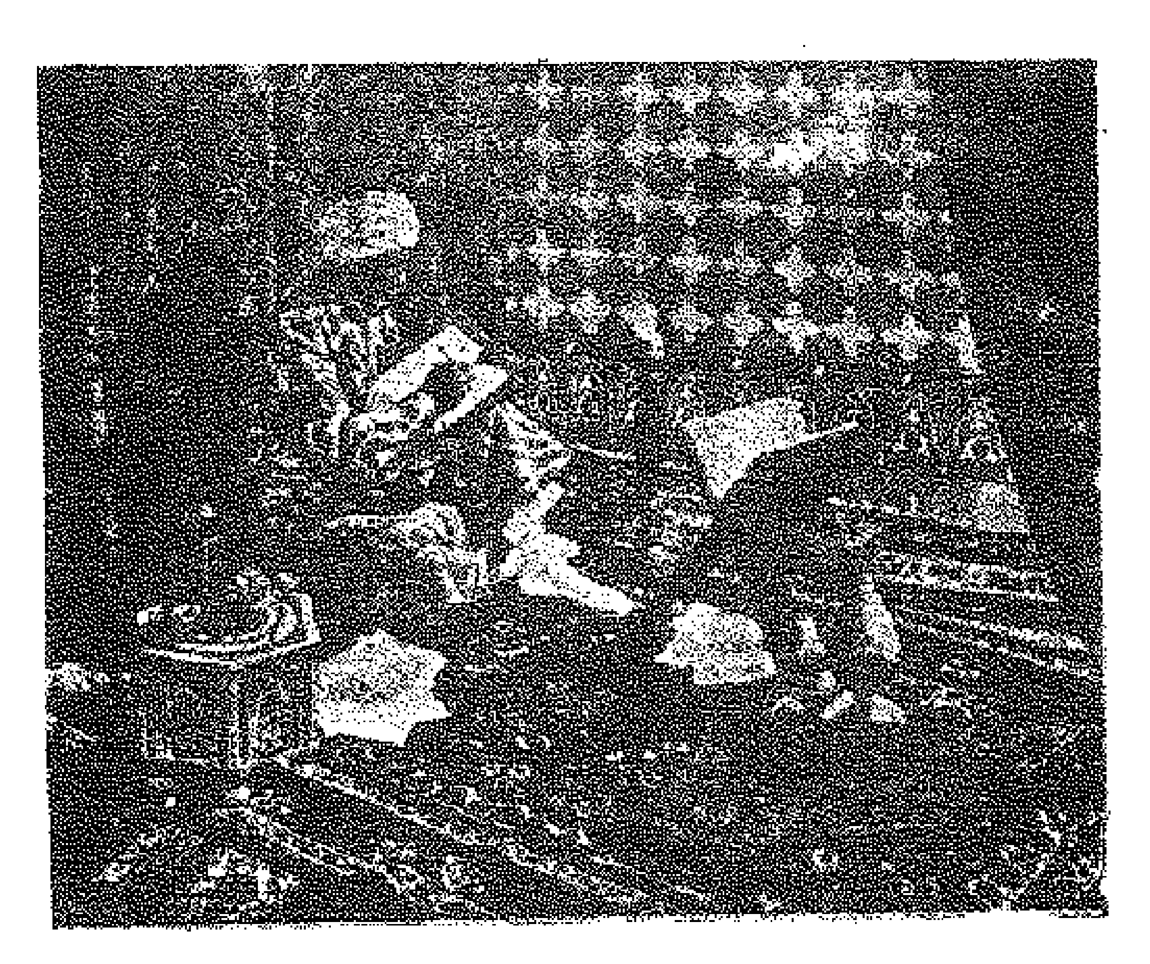
١ ـ كان حينها رئيساً للوزراء .

٢ ـ خارت البقرة خواراً صوتت .

٣ ـ وردت هذه القصة في كتاب جهار مقالة ـ المقالات الاربعة المطبوع ـ في ليدن سنة ١٩٠٩ وهو كتاب الفه بالفارسية العلامة النظامي العروضي السمرقندي حوالي سنة ٥٥٠ هـ .

٩ – اعتماد الشرق والغرب على القانون في تدريس الطب : ليس غريباً بعد هذا كله ان تُعتمد آراء ابن سينا الفنية في العلوم الطبية وان يُعد كتابه القانون دعامة تدريس الطب ، وان يحتل محل الكتب التي كانت معتمدة قبله سواء في الشرق او في الغرب وان يدرس القانون في الجامعات الطبية العليا ، فيظل متربعاً على عروشها حتى اوائل القرن السابع عشر .

ب – اعتماد الغرب والعالم غير الاسلامي على القانون في تدريس الطب :



الشكل (٢٩)
ابن سينا في مكتبه (نقلا عن بارك داويس)

ترجم الغربيون كتاب القانون مراراً الى اللغة اللاتينية أم اللغات الأوروبية الحالية والى أكثر لغات الغرب حتى زاد عدد اللغات التي ترجم لها عن الثلاثين وعلى هذا يكون القانون من الكتب المخدومة كثيراً بالترجمة والشرح والاختصار والتلخيص ونحو ذلك .

كان جيرار الكريموني [١] أول من ترجم القانون الى اللغة اللاتينية وذلك في القرن الثاني عشر . قال في هذا الصدد : لقد قضيت نحواً من نصف قرن ، في تعلم اللغة العربية والتوفر على ترجمة نفائس المكتبة العربية ، وكان قانون الشيخ الرئيس أعظم كتاب لاقيت في نقله مشقة وعناء ، وبذلت في ذلك جهداً جباراً ثم ترجم القانون ترجمات عديدة ، كان أفضلها ترجمة أندريا الباغو [٢] في أوائل القرن السادس عشر بعد أن قضى ثلاثين سنة في الشرق وزاد على من سبقه أن وضع قاموساً للمصطلحات الفنية التي كان يستعملها ابن سينا ، ونشرت هذه الترجمة عام ١٥٢٧ ثم ترجمه جان بول مونغوس [٣] ترجمة متقنة اعتمد عليها اساتذة الطب وطلابه في العالم خلال فترة طويلة من العصور الوسطى وقد طبع القانون في البندقية [٤] سنة ١٥٤٤ طبعة نفيسة وجدد طبعه بلامبوس [٥] في لوفان [٦] وترجم ترجمة اخيرة سنه ١٦٥٨ ميلادية .

طبع القانون بالعبرية أول مرة في بوزولي [٧] قرب نابولي سنة ١٤٩١ - ١٤٩٢

---

١ - Gérard de Crémone ١١٨٧ - ١٢١٤ قضى اكثر حياته في طليطلة يترجم الكتب العربية الى اللاتينية فترجم مايزيد عن سبعين كتاباً في الرياضيات والفلك والفلسفة والطب وقد نعت لذلك بابي الترجمة والمترجمين .

٢ - Albago

٣ - Jean Paul Mongus

٤ - Vènise .

٥ - N.P Plembus.

٦ - Louvain : بلد من اعمال بلجيكا .

٧ - Pozzuli

بعد أن ترجمه ناتان هامه‌آتي [١] سنة ١٤٧٩ ترجمة كاملة تحتفظ جامعة بولونيا بنسخة مخطوطة جميلة منها .

لقد ضمن ذلك كله الرواج لكتاب ابن سينا واشتهاره مدة تزيد عن خمسة قرون عبّرعنها اوسلر [٢] المشرح الشهير بتعبير لطيف حيث قال :

ظل قانون ابن سينا الانجيل الطبي لأطول فترة من الزمن .

ثم جاء عهد النهضة في الغرب فاتجه العلم الطبي خلالها اتجاهاً جديداً الى أن بلغ الحالة التي عليها اليوم ، ومع ذلك فاننا مازلنا نرى في كثير من أقوال ابن سينا ماينسجم مع التقدم الحالي في الطب ومايدعو الباحثين الى ترجمته أو ترجمة بعض أجزائه من جديد كما تم في انكلترا سنة ١٩٣٠ حيث ترجم الكتاب الاول منه [٣] كما ترجم القانون كله أخيراً الى اللغتين الازبكية والروسية [٤] .

وهذا مايبين أن كتب ابن سينا الطبية وعلى الأخص منها القانون مازال فيها من المعلومات مايدعو الى عناية العلماء بها للاستفادة مما فيها .

ويجدر بنا أن نذكر بان الاسلوب الذي اتبعه مترجمو الكتب العربية ومنها كتاب ابن سينا الى اللاتينية كان الترجمة الحرفية ، حتى أنهم كانوا يضعون المقابل اللاتيني فوق الكلمات العربية وينقلون الكلمات التي لم يجدوا لها مقابلاً في اللاتينية بنصها العربي فجاءت الترجمة مشتملة على الفاظ غريبة ككلمةاوسوس [٥]

---

١ ـ Natan Ha méati   ٢ ـ Osler

٣ ـ A treatise on the Canon of medecine of . Avicenna incorporation a translat . of the first book by O. Cameron gruner London Luzac 40. 1930 .

٤ ـ انظر الى ملخص بحث الاستاذ ترنوسكي في المؤتمر الأممي السابع عشر المنعقد في اثينا ١٩٦٢ ص ١١٣ .

٥ ـ Usus

لعصعص وكلمة صودا[1] للصداع وكلمة الكوهول[2] للكحول وكثير مثلها كما بدت متعذرة الفهم في حين أن المترجم العربي يوم نقل العلم اليوناني الى لغتـه فهم الأصل اليوناني ، لذلك جاءت الترجمة العربية عن اليونانية أصح من الترجمة اللاتينية عن العربية ، وذلك لأن اللغة العربية بسعة ألفاظها ومرونتها وكثرة اشتقاقاتها ساعدت المترجمين على تعريب الكلمات الأجنبيـة أو اشتقاق كلمات عربية لها تؤدي معانيها تماماً فدلوا مثلاً على كلمة دروبسي[3] بالاستسقاء وعلى كلمة هه مي كرانيا[4] بالشقيقة وهذا مالم يستطعه نقلة الكتب العربية الى اللغة اللاتينية .

لقد درّست جامعات الغرب كلها قانون ابن سينا واشهر من بينها جامعـة مونبليه والمأثور بان أول رئيس لها كان عربياً فازدهرت وترامى صيتهـا في الآفاق لموقعها الجغرافي الممتاز فلقد كانت في نقطة اتصال بين فرنسا وايطاليا والاندلس فتوافد عليها التلاميذ من كل حدب وصوب وارتووا منهـا مناهل الثقافة العربية ليعودوا الى بلادهم وينشروا بدورهم هذه الثقافه الوهاجة .

وغلب على أوروبا في ذلك الوقت الطابـع العربي في شتى نواحيها الثقافية ، فأسست جامعات باريس واكسفورد وكمبرج وبولوني وفينا وليبسيك وبادوا . وكان نصيب الاندلس منها ستعشرة جامعة . تأثرت كل هذه الجامعات بالثقافة العربية كما يظهر لنا ذلك جليا من مراجعة برامج التدريس فيها ، فمنهاج الطب في جامعة ليبسيك مثلا تضمن عدداً من الكتب المترجمة من العربية بينها قانون ابن سينا كما كان البرنامج الطبي في جامعة طوطنجن يحتوي ايضا على كتب ابن سينا ، هذا في القرن الخامس عشر ، أما في القرن الذي تلاه فقد كان للثقافة العربية أثر أوفى من كل ثقافة سواها في أوروبا فقد تضمن برنامج الطب في كل من فينا وفرانكفورت قانون ابن سينا ، وكانت المكاتب الخصوصية تزين

---

١ ـ Soda

٢ ـ Alcohol

٣ ـ Dropsie

٤ ـ Hémicrania

بالكتب العربية ومنها كتاب القانون لابن سينا . كانت مكتبة أحمد قس باريز غنية بالكتب العربية ، كما كانت مكتبة فراري من أصل عربي . وقد ذكر اوسلر ان فراري أورد في كتاب ألّفه سنة الف وأربع مائة واحدى وسبعين اسم بقراط ماية وأربعين مرة واسم كل من جالينوس والرازي الف مرة واسم ابن سينا ثلاثة آلاف مرة ، أضف الى ذلك الشعراء والأدباء الأوروبيين الذين تعرضوا للطب العربي في كتبهم الأدبية فان الكاتب الانكليزي شوسر ذكر أسماء طائفة من الأطباء العرب في قصص كنتربرى بينها ابن سينا وكذلك شكسبير فانه ألمع الى بعض الأدوية العربية في كثير من رواياته كما ألمع شاتوبريان في روايته آخر بني السراج الى الطب العربي .

وقد كتبت الآنسة دالبرني[1] عن أثر ابن سينا العلمي في أوروبا تقول إذا استعرضنا المخطوطات الموجودة لكتب ابن سينا ورسائله ، وحكمنا على أهميتها بعددها ، فقد يكون كتب القانون ورسالة النفس في كتاب الشفاء من أعظم ما أعجب به الباحثون ، ومن أكثر مادرسوه من هذه الكتب والرسائل ، وقل أن تجد مكتبة من مكتبات[2] أوروبا كلها لاتكون فيها عدة نسخ من قانون ابن سينا حتى أن منها ماهو محلى بالصور والرسوم ومن بينها مخطوط بديع في مكتبة باريز يرى فيه ابن سينا بين تلاميذه وقد أحاطوا به في اصغاء وانتباه . وقد أظهر المصور المجهول ابن سينا في صورة نبيلة بديعة لاشك في أنه قصد بها أن يعبر عن الاحترام والتقدير اللذين اوحت بهما الى طلبة باريس في القرن الثالث عشر أكبر وأعظم شخصية في الطب عرفتها القرون الوسطى .

---

١ ـ الامينة المساعدة للمخطوطات بالمكتبة الاهلية بباريز .

٢ ـ تذكر من هذه المكتبات مكتبات اوبسالا وبرلين ولندن والمتحف البريطاني والمكتبة الاهلية بباريس ومانشستر وميلانو وروميةو موسكو وجميع عواصم الغرب والشرق.

٧ ـ النفس عند ابن سينا وتساؤله عن هويتها : لقد بينا اعتماد ابن سينا على المعالجة النفسانية وذكرنا شيئاً من أقواله عن أثر النفس في كثير من الأمراض تمهيداً لانهاء بحثنا عنه بالتعرض لقصيدته البليغة عن النفس[١] وكان مما جاء فيها قوله :

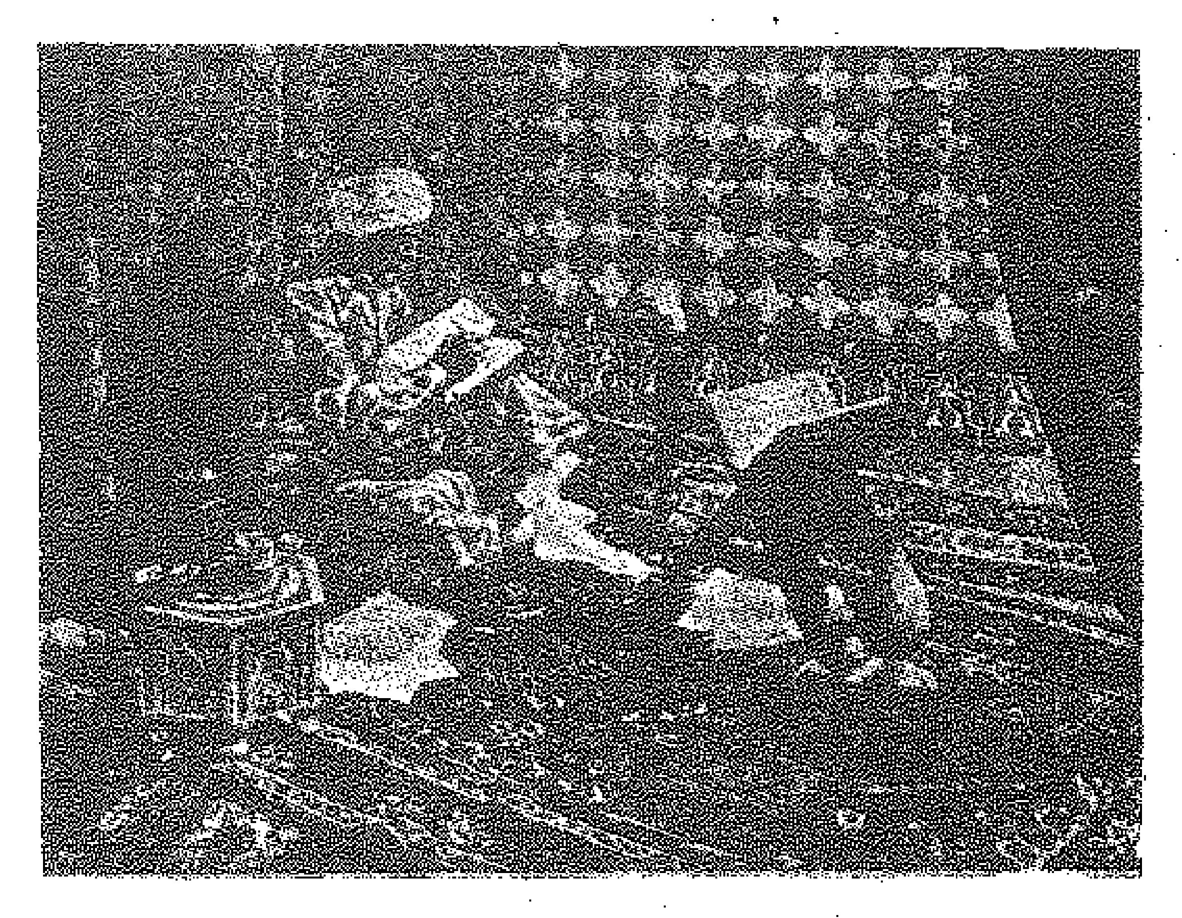
هبطت اليك من المحل الأرفع	ورقـــاء ذات تعزز وتمنع
محجوبة عن كل مقلة عارف	وهي التي سفرت ولم تتبرقـع
انفت وما أنست فلما واصلت	ألفت مجاورة الخراب البلقع
وأظنها نسيت عهوداً بالحمى	ومنازلاً بفراقهـــا لم تقنـع
تبكي إذا ذكرت دياراً بالحمى	بمدامـع تهمي ولمـــا تقطع
حتى إذا قرب المسير الى الحمى	ودنا الرحيل الى الفضاء الاوسع
وغدت مفارقة لكل مخلـّف	فيها حليف الترك غير مشيع
وبدت تغرد فوق ذروة شاهق	والعلم يرفـع كل من لم يرفـع
فلأي شيء أهبطت من شاهق	سام الى قعر الحضيض الأوضع
ان كان ارسلها الإله لحكمة	طويت عن الفطن اللبيب الاورع
فهبوطها ان كان ضربة لازب	لتكون سامعة بما لم تسمع
وهي التي قطع الزمان طريقهـا	حتى لقـد غربت بغير المطلع

لقد تاه علماء العالم وحكماؤه وفلاسفته من امثال كانت وسبنسر في مهامه البحث والتنقيب ينشدون معرفة نفس الانسان فكانت خاتمة المطاف انهم وصلوا الى حيث ابتدأ الفيلسوف الاكبر والحكيم الأمهر الشيخ الرئيس ابن سينا ، لقد وضع ابن سينا في قصيدته هذه أبعد مايراود فكر الانسان وأعمق مايلازم خياله من السؤآلات التي لا تصدر الا عن التفكر المستمر والتأملات الطويلة .

---

١ ـ يقول جبران خليل جبران في هذه القصيدة ليس بين مانظمه الاقدمون قصيدة ادنى الى معتقدي واقرب الى ميولي النفسية من قصيدة ابن سينا في النفس .

والحقيقة أنه ليس من الغريب صدور هذه القصيدة عن ابن سينا وهو الرجل الذي صرف عمره مستقصياً اسرار النفس والروح عن طريق المادة والجسم ، فأدرك مكنونات المعقولات بواسطة المحسوسات حتى جاءت قصيدته هذه برهاناً نيراً على ان العلم هو حياة العقل يتدرج بصاحبه من الاختبارات العلميـــة الى النظريات العقلية ثم الى الشعور الروحي واخيراً الى الله ، ولكن عظمة ابن سينا



الشكل (٣٩)
ابن سينا في مكتبه (نقلا عن بارك داوس)

ونبوغه ليظهران جلياً حينما نجد اقوالا متفرقة لأفذاذ غربيين خلد ذكرهم بها بينما سبقهم الشيخ الرئيس الى القول بها جميعاً بقرون عديدة ، والواقع ان في قصيدته المذكورة مقاطع تشابه ما سطره شكسبير في رواياته الخالدة من ذلك قول ابن سينا :

وصلت على كره اليك وربما كرهت فراقك وهي ذات توجع

وفيها ما يماثل اقوال شيلي من ذلك قول الشيخ :

هبطت وقد كشف الغطاء فأبصرت ما ليس يدرك بالعيون الهجع

وفيها من التأمل ما يضارع تأملات غوته من ذلك قول الرئيس الشيخ :

وتعود عالمة بكل خفية في العالمين وخرقها لم يرقع

وفيها أيضاً ما يحاكي اقوال براونتنغ من ذلك قول ابي علي :

فكأنها برق تألق بالحمى ثم انطوى فكأنه لم يلمع

إن ذلك كله يسمح لنا بأن نعد ابن سينا في عداد العلماء الخالدين ، وأراني أخيراً منسجماً في نعتي لابن سينا بالوصف السابق مع واقعه تام الانسجام، فقد خلف ابن سينا وراءه قبساً من نور المعرفة لا يخبو وتراثاً من العلم والحقيقة لا ينضب وروحاً حلت في جميع الأرجاء ، تلك الروح التي قدر الناس جسدها حياً وخلدوا صاحبها ميتاً .

ابن الهيثم (٩٦٥ – ١٠٣٨م) هو أبو علي محمد بن الحسن بن الهيثم[١] أحد العلماء الاعلام في القرن الخامس من الهجرة ولد في البصرة نحو سنة ٩٦٥ ، ترعرع فيها وتعلم في مدارسها ثم انتقل الى الديار المصرية فوجد فيها خلال خلافة الحاكم الفاطمي (مابين ٩٩٦ – ١٠٢٠م) وتوفي بالقاهرة سنة ١٠٣٨م في حدود سنة ٤٣٠هـ.

---

١ ـ حرف اسمه الغربيون فجعلوه الهازن Alhazen ، مما ادى الى وقوع التباس كبير بينه وبين الخازن الفلكي المشهور بأبي جعفر . وقد كان الخازن هذا رياضياً ألف كتاب الآلات العجيبة الرصدية ، ووصف فيه آلات الرصد . كما أدى تحريف اسم الهيثم أيضاً الى التباس بحوثه ببحوث الخازني (ابو الفتح) الذي كان ايضاً رياضياً متمكناً من العلوم الهندسية والفلسفية ، وقد الف كتبا علمية كثيرة منها الزيج المعتبر ١١١٦)وفيه ذكر مواقع النجوم والثوابت وميزان الحكمة (١١٢٦) .

اقوال مؤرخي العرب فيه : ذكره ابن القفطي[1] بقوله هو نزيل مصر صاحب التصانيف والتآليف المذكورة في علم الهندسة ، كان عالماً بهذا الشأن متقناً له متفنناً فيه ، خبيراً بغوامضه ومعانيه ، مشاركا في علوم الأوائل ، أخذ الناس عنه ، واستفادوا منه .

وقال عنه ابن أبي اصيبعة أنه كان فاضل النفس قوي الذكاء متفنناً في العلوم لم يماثله أحد من اهل زمانه في العلم الرياضي ، ولا يقرب منه وكان دائم الاشتغال كثير التصنيف وافر التزهد محباً للخير وكان خبيراً باصول صناعة الطب وقوانينها وأمورها الكلية. وتصانيفه كثيرة الافادة وكان حسن الخط ، جيد المعرفة بالعربية ترجم نفسه ترجمة نقتبس منها بعض كلماتها .

قال : وجهت رغبتي وحرصي الى ادراك مابه تنكشف تمويهات الظنون وتنقشع غيابات المتشكك المفتون . ثم يقول وانا مامدت لي الحياة باذل جهدي

---

١ ـ كتاب إخبار الحكماء ص ١١٤ حرف ح ، ومما جاء فيه عن ابن الهيثم ان صاحب مصر الحاكم الفاطمي كان يميل الى الحكمة ، فلما بلغه قول ابن الهيثم : لو كنت بمصر لعملت في نيلها عملاً يحصل به النفع ، فقد بلغني انه ينحدر من موضع عال ، فازداد الحاكم اليه شوقاً ورغبه في الحضور الى مصر ، ولما وصلها خرج الحاكم للقائه ، وامر بانزاله واكرمه. وطالبه بما وعد به من امر النيل (السد العالي) ، فسار ومعه جماعة من الصناع ، ولما سار في الاقليم رأى آثار من تقدم من ساكنيه وهي على غاية من جودة الهندسة تحقق ان الذي يقصده ليس بممكن ، فان من تقدمه لم يغرب عنهم علم ما علمه . فانكسرت همته ، ووصل الى الموضع المعروف بالجنادل قبلي مدينة اسوان - وهو موضع مرتفع ينحدر منه ماء النيل - فوجد امره لايمشي على موافقة مراده ، فعدل عن رايه فولاه الحاكم بعض الدواوين فتولاها رهبة لارغبة ، فأجال فكرته في امر يتخلص به فاظهر الجنون والخبال فاعتمد ذلك وشاع ، وجعل برسمه من يخدمه ويقوم بمصالحه ، ولم يزل على ذلك الى ان تحقق وفاة الحاكم . وبعد ذلك بيسير اظهر العقل ، وخرج من داره واستوطن قبة على باب الجامع الازهر واقام بها متنسكاً ، واشتغل بالتصنيف والنسخ والافادة .

ومستفرغ قوتي متوخياً أموراً ثلاثة : أحدها افادة من يطلب الحق ويؤثره في حياتي وبعد وفاتي والآخر اني جعلت ذلك ارتياضاً لي بهذه الأمور في اثبات ماتصوره واتقنه فكري من تلك العلوم والثالث انني صيرته ذخيرة وعدة لزمان الشيخوخة . وقد وضع في العلوم الرياضية خمسة وعشرين كتاباً والف في علوم أخرى الهية وطبيعية أربعة وأربعين كتاباً منها كتاب في تقويم الصناعة الطبية قال عنه : نظمته من جمل وجوامع مانظرت فيه من كتب جالينوس ومن كلام ابقراط في الأغذية وله رسالة في تأثيرات اللحون الموسيقية في النفوس الحيوانية ومقالة في جوهر البصر والإبصار به ومقالة في الاظلال وقد ناقش ابن الهيثم كثيراً من آراء الرازي الفلسفية وانتقدها .

جاء عنه في كتاب تراث الاسلام ان علم المناظر (البصريات) وصل في عهد ابن الهيثم وبفضله لى أعلى درجة من التقدم

وقد أخذ عنه كبلر معلوماته في الضوء ولا سيما فيما يتعلق بانكسار الضوء في الجو بعد اطلاعه على ما ألفه ابن الهيثم وقد اعترف سارطون [1] بنبوغ ابن الهيثم وفضله فقال . ان ابن الهيثم أعظم عالم في علم الطبيعة وأعظم علماء الطبيعة في القرون الوسطى ، له كتاب في الضوء سماه المناظر [2] . شرح ابن الهيثم في

---

١ – سارطون مقدمة لتاريخ العلم ج ١ ص ٦٩٨ – ٧٢٠ .

٢ – Almanazir ترجم هذ الكتاب الى اللاتينية وطبع مراراً، احداها ترجمة قام بها جيرار الكريموني طبعت في لشبونة ١٠٤٢ . قال شمس الدين الانصاري في ارشاد القاصد ص ١٠٧ – ١٠٩ : علم المناظر علم تعرف منه أحوال المبصرات في كميتها وكيفيتها باعتبار قربها وبعدها عن المناظر واختلاف اشكالها واوضاعها ، وما يتوسط بين الناظر والمبصرات ، وعلل ذلك ،ومنفعته معرفة مايغلط فيه البصر من أحوال المبصرات ويستعان به على مساحة الاجرام البعيدة والمرايا المحرقة ايضاً ، وقال الصفدي : وعلم المناظر علم ظريف للغاية ، ولابن الهيثم فيه كتاب جليل رأيته في سبع مجلدات ، ولشهاب الدين القرافي كراريس أودعها خمسين مسألة من المناظر سماها : الاستبصار فيما تدركه الابصار .

كتبه بعض الظواهر الجوية التي تنشأ عن الانكسار فكان أسبق العلماء الى ذلك ،
وبحث أيضاً في قوى تكبير العدسات [1] ويعد ابن الهيثم أول من كتب عن
أقسام العين ورسمها بوضوح تام ووضع أسماء لبعض أقسام العين أخذها عنه



الشكل (٣٠)

ابن الهيثم يلقي عصاه في الماء موضحاً حوادث الانكسار الى تلاميذه

الافرنج وترجموها الى لغاتهم [2] فمن الاسماء التي وضعها الشبكية [3] والقرنية [4]

---

١ ـ وقد تكون كتاباته هذه هي التي أوحت اختراع النظارات .
٢ ـ كاجوري : تاريخ علم الفيزياء ، ص ٢٣ .
٣ ـ Rétina ٤ ـ Cornea .

والسائل الزجاجي [1] والسائل المائي [2] وتقول دائرة المعارف البريطانيــة أن ابن الهيثم كتب في تشريح العين وفي وظيفة كل قسم منها وانه بـــين كيف ننظر الى الاشياء بالعينين في آن واحد وعرف ابن الهيثم خواص العدسات اللامة والمفرقة وكتب كتاباً في المرايا المحرقة [3] ويرى آلدوميالي [4] في كتابه عن العلم العربي ان آراء ابن الهيثم أوحت الى روجيه باكون [5] وفتيالو [6] سبـــل البحث العلمي وقد تعرض لهذه الناحية الاستاذ مصطفى نظيف [7] فقال :

من الشائع المتواتر ان البحث العلمي على الطريقة العلمية الحديثة لم يبدأ في تاريخ تطور الفكر الانساني الا بعد عصر النهضة في اوربا. وينسب أكبر قسط من الفضل في نشوء طريقة البحث الحديث الى (فرنسيس باكون) (١٥٦١ – ١٦٢٦) أحد فلاسفة الانكليز وكتابهم ، تستند الطريقة الحديثة في البحث العلمي الى الاستقراء والقياس والتمثيل ، وتختلف فيها اوضاع هــذه العناصر وقيمها النسبية في البحوث القديمة . فالاستقراء مثلاً الذي لم يكن يعنى به العناية التامة في الفلسفة القديمة اصبح ذا الشأن الأول ، والتمثيل الذي لم يك ايضـاً وسيلة معتمدة اصبح أداة نافعة ، والقياس الذي كانت له المنزلة الاولى اصبح أداة يأتي دورها بعد الاستقراء ، ولا يبت في امر النتائج القياسية حتى تتحقق بالتجربة او المشاهدة . إن هذه الطريقة في البحث التي تعد من مبتكرات العصر الحديث هي الطريقة التي اتبعها ابن الهيثم في بحوثه وكشوفه الضوئية . وهــذه

---

١ – Vitrous humour .   ٢ – Aqueous humour .

٣ – عرف العرب هذا العلم بقولهم : هو علم يتعرف منه أحوال الخطوط الشعاعية المنعطفة والمنعكسة والمنكسرة ومواقعها وزواياها ومراجعها . وكيفية عمل المرايا المحرقة بانعكاس أشعة الشمس عنها ونصبها ومحاذاتها ، ومنفعته بليغة في محاصرات المدن والقلاع .

٤ – Aldo Mielli .   ٥ – Roger Bacon .   ٦ – De.witelo .

٧ – استاذ بمدرسة المعلمين العليا العلمية بمصر وضع كتاباً سماه البصريات بحث فيه عن علم الضوء .

ناحية من نواحي ابن الهيثم، لم يتناول بيانها على ما نعلم أحد . وهي جـديرة بالاشادة وجديرة بالتقدير . فابن الهيثم أخذ في بحوثه بالاستقراء واخذبالقياس، وعني في بعضها بالتمثيل ، واخذ بهذه العناصر على المنوال المتبع في البحوث الحديثة ، وجعلها في منازلها النسبية التي تراعى في الوقت الحاضر . وهو في ذلك لم يسبق (فرنسيس باكون) الى طريقته الاستقرائية (وتعرف احياناً بالطريقة الباكونية) فحسب ، بل سما عليه سمواً وكان أوسع منه أفقاً وأعمق منه تفكيراً .

ويتبين ذلك اجمالاً من مقدمة كتاب المناظر . ففيها بيّن ابن الهيثم بايجاز الطريقة التي هداه تفكيره الى انها الطريقة المثلى في البحث والتي اتبعها في بحوث كتابه وفي ذلك يقول نبتدىء في البحث باستقراء الموجودات وتصفح أحوال المبصرات وتمييز خواص الجزئيات ونلتقط باستقراء ما يخص البصر في حال الإبصار ، وما هو مطرد لا يتغير ، وظاهر لا يشتبه من به كيفية الاحساس . ثم نترقى في البحث والمقاييس على التدريج والترتيب مع انتقاد المقدمات والتحفظ في النتائج ونجعل غرضنا في جميع ما نستقريه ونتصفحه استعمال العدل لا اتباع الهوى ، ونتحرى في سائر ما نميزه وننتقده طلب الحق لا الميل مع الأراء . يجمع ابن الهيثم في هذا القول الموجز بين الاستقراء والقياس ، ويقدم فيه الاستقراء على القياس ، ويحدد فيه الشرط الأساسي في البحوث العلميـة الصحيحة ، وهو أن يكون الغرض طلب الحقيقة ، ثم اقرارها ، ولو جاءت على غير ما يتوقع ثم يقول : وما نحن مع جميع ذلك براء مما هو في طبيعة الانسان من كدر البشرية ولكننا نجتهد بقدر ما هو لنا من القوة الانسانيـة ، ومن الله نستمد المعونة في جميع الأمور . يدلنا ذلك على ان ابن الهيثم قد عمق تفكيره الى ما هو أبعد غوراً مما يظن اول وهلة ،فأدرك ماقال به من بعده مثل مالك وكارل

بيرسون وغيرهما من فلاسفة العلم المحدثين في القرن العشرين ، لقد أدرك ابن الهيثم الوضع الصحيح للنظرية العلمية وأدرك وظيفتها الحقة بالمعنى الحديث .

ليس من العبث اذن أن نقول اننا نستطيع ان نتبين من نصوص أقوال ابن الهيثم ان تفكيره اتجه الى الوجهة التي يتجه اليها التفكير العلمي الحديث ، وليس من المغالاة أيضاً ان نقول انه قد أدرك عن بينة الطريقة الحديثة في البحث العلمي ، وأدرك الأوضاع الصحيحة لما نسميه الحقائق العلمية .

ولا عجب بعد ذلك أن يقال عن ابن الهيثم انه من علماء البصريات القليلين المشهورين في العالم كله وانه موجد الطريقة الحديثة في البحث العلمي .

عبد الله بن الطيب : توفي سنة ١٠٤٣ هو الفيلسوف الامام العالم أبو الفرج عبد الله بن الطيب من رجال القرن الحادي عشر ومن الأطباء المشهورين في صناعة الطب وكان عظيم الشأن جليل القدر واسع العلم كثير التصنيف خبيراً بالفلسفة كثير الإشتغال فيها وقد شرح كتباً كثيرة من كتب أرسطو في الحكمة وشرح أيضاً كتباً كثيرة من كتب أبقراط وجالينوس في صناعة الطب وكانت له مقدرة قوية في التصنيف وأكثر ما يوجد من تصانيفه كانت تنقل عنه املاءً من لفظه وكان معاصراً للشيخ الرئيس ابن سينا وكان الشيخ الرئيس يحمد كلامه في الطب ويعترف بتقدمه في هذه الصناعة ويعترض على بعض رسائله فيما كان من حكماء بغداد وله أقوال حكيمة منها قوله : من نحل الناس نحلوه ومنها اذا قامت حجتك على الكريم أكرمك ووقرك وإذا قامت على الخسيس ازدراك وامتهنك . الفقير المتشبه بالغني كالورام المتشبه بالسمين ومنها أيضاً قوله :

العالم الشرير يفرح بالطعن على من تقدمه من العلماء ويسوءه بقاء من في عصره منهم ، لأنه يحب الا يكرم ولا يمدح سواه والغالب عليه في العلم شهوة الرياسة . من مدحك بما ليس هو فيك فهو مخاطب غيرك وكذا من هجتك .

ولأبي الفرج بن الطيب من الكتب كتاب أبيديميا لأبقراط ، تفسير كتاب الفصول لأبقراط ، تفسير كتاب طبيعة الانسان لأبقراط ، تفسير كتاب الأخلاق لأبقراط ، كتاب الصناعة الصغيرة لجالينوس ، تفسير كتاب التشريح الصغير لجالينوس ، تفسير كتاب العلل والأعراض لجالينوس ، تفسير كتاب التعرف على علل الأعضاء الباطنة لجالينوس ، تفسير كتاب النبض الكبير لجالينوس ، تفسير كتاب الحميات لجالينوس ، تفسير كتاب البحران لجالينوس ، تفسير كتاب أيام البحران لجالينوس . تفسير كتاب حيلة البرء لجالينوس ، تفسير كتاب تدبير الأصحاء لجالينوس ، ثمار الستة عشر كتاباً لجالينوس وهو اختصار الجوامع ، شرح ثمار مسائل حنين بن اسحق ، أملاه سنة خمس وأربعمائة ، كتاب النكت والثمار الطبية والفلسفية .

ابن بطلان : هو أبو الحسن المختار بن الحسن بن عبدون بن سعدون ابن بطلان من أهل بغداد ومن رجال القرن الحادي عشر اشتغل على أبي الفرج عبد الله بن الطيب وتتلمذ له واتقن عليه قراءة كثير من الكتب الحكيمة وغيرها ولازم أيضاً أبا الحسن ثابت بن ابراهيم بن زهرون الحراني الطبيب واشتغل عليه وانتفع به في صناعة الطب وفي مزاولة أعمالها وكان ابن بطلان معاصراً لعلي بن رضوان الطبيب المصري وكانت بين ابن بطلان وابن رضوان المراسلات العجيبة والكتب البديعة الغريبة ولم يكن أحد منهم يؤلف كتاباً ولا يبتدع رأياً الا ويرد الآخر عليه ، وكان ابن بطلان أعذب ألفاظاً وأكثر ظرفاً وأميز في الأدب وما يتعلق به ، وكان ابن رضوان المصري أعلم بالعلوم الحكيمة وما يتعلق بها وكان ابن رضوان أسود اللون ولم يكن بالجميل الصورة

وله مقالة في ذلك يرد فيها على من عيّره بقبح الخلقة [1] وقد بين فيها بزعمه ان الطبيب الفاضل لا يجب ان يكون وجهه جميلاً وسافر ابن بطلان من ديار مصر الى القسطنطينية وأقام بها سنة وعرضت في زمنه أوباء كثيرة ولابن بطلان أشعار كثيرة ونوادر ظريفة ضمنها رسالته التي سمّاها دعوة الأطباء وغيرها من كتبه وتوفي ولم يتخذ امرأة ولا خلف ولداً ولابن بطلان من الكتب كتاب تقويم الصحة ، مقالة في شرب الدواء المسهل ، مقالة في كيفية دخول الغذاء في البدن وهضمه وخروج فضلاته ، وكتاب المدخل الى الطب ، كتاب دعوة الأطباء ألفه للأمير نصير الدولة أبي نصر أحمد بن مروان ، مقالة في علة نقل الأطباء المهرة تدبير أكثر الأمراض التي كانت تعالج قديماً بالأدوية الحارة الى التدبير المبرد ومخالفتهم في ذلك لمسطور القدماء في الكنانيش والا قربا ذينات وتدرجهم في ذلك بالعراق وما والاها وصنّف ابن بطلان هذه المقالة بانطاكية في سنة خمس وخمسين وأربعمائة وكان في ذلك الوقت قد أهب لبناء بيمارستان انطاكية .

البيروني : (٩٧٣ - ١٠٤٨م) ، هو محمد ابن أحمد ابو الريحان البيروني الخوارزمي كان لغوياً أديباً فاضلاً في علم الهيئة والنجوم له في الرياضيات اليد الطولى وله نظر جيد في صناعة الطب ويعد أحد مشاهير رياضيي القرن الرابع للهجرة،ولدفي خوارزم ، ذهب الى الهند ومكث فيها ما يقرب من أربعين سنة استطاع خلالها ان يلم شتات كثير من علومها ومعارفها القديمة وأخيراً رجع الى خوارزم وفيها توفي . اطلع سخا والعالم الشهير على بعض مؤلفات البيروني فخرج

---

١ - قيل فيه لذلك :

فلما تبدى للقوابل وجهه	نكصن على اعقابهن من الندم
وقلن واخفين الكلام تستراً	الا ليتنا كنا تركناه في الرحم

من دراستها باعتراف خطير وهو ان البيروني أعظم عقلية عرفها التاريخ ، كان البيروني ذا عقلية جبارة اشتهر في كثير من العلوم وكانت له ابتكارات وبحوث مستفيضة ونادرة ويمكن القول انه من أبرز علماء عصره ويعترف سمث من اكابر الرياضيين ان البيروني كان ألمع علماء زمانه في الرياضيات وان الغربيين مدينون له بمعلوماتهم عن الهند ومآثرها في العلوم ، كان يحسن السريانية والسنسكريتية والفارسية والعبرية ويقال انه كان بينه وبين ابن سينا مكاتبات في بحوث مختلفة.

وقد شارك هو وابن سينا ابن الهيثم في رأيه القائل بأن شعاع النور يأتي من الجسم المرئي الى العين وللبيروني مؤلفات يربي عددها على المائة والعشرين اشتهر منها في الطب كتاب الصيدلة وقد استقصى فيه معرفة ماهيات الأدوية ومعرفة أسمائها واختلاف آراء المتقدمين فيها وقد رتبه على حروف المعجم

أبو الحسن علي بن رضوان بن علي ابن جعفر :(٩٩٨ – ١٠٦١ م) مولده بمصر وبها تعلم الطب فأصبح عالم مصر في أوانه ،تلمذله جماعة من الطلبة وأخذوا عنه وسار ذكره واشتهر أمره وصنف كتباً كثيرة ومما جاء في سيرته التي خطها بقلمه قوله وكنت ألزم الصمت وأكف اللسان عن معايب الناس واجتهد ان لا أتكلم الا بما ينبغي وأتوقى الايمان ومثالب الآراء فاحذر العجب وحب الغلبة وأطرح الهم والاغتمام وان دهمني أمر فادح اسلمت فيه الى الله تعالى وقابلته بما يوحيه التعقل من غير جبن ولا تهور وان طلب مني احد سلفاً وهبت منه ولم أرد منه عوضاً وما بقي من يومي بعد فراغي من رياضتي صرفته في عبادة الله سبحانه بأن اتنزه بالنظر في ملكوت السموات والأرض وتمجيد محكمها واتفقد في وقت خلوتي ما سلف في يومي من افعالي وانفعالاتي فما كان خيراً او جميلا او نافعاً سررت به وما كان شراً او قبيحاً او ضاراً اغتممت به ووافقت نفسي بأن لا اعود الى مثله .

خدم الحاكم فجعله رئيساً على سائر المتطببين وكان ابن رضوان كثير الرد على معاصريه ومتقدميه من الاطباء ، وله مؤلفات كثيرة في الطب .

ابن الشبل البغدادي : توفي سنة ١٠٦٥ ، هو ابو علي الحسين بن عبد الله ابن يوسف بن شبل مولده ومنشؤه ووفاته ببغداد . وكان حكيماً فيلسوفاً ومتكلماً فاضلاً واديباً بارعاً وشاعراً مجيداً ومن جيد شعره القصيدة الآتية التي نسبت الى ابن سينا وهي له وفيها يقول :

بربك ايها الفلك المدار ... أقصدٌ ذا المسير ام اضطرار

مدارك قل لنا في اي شيء ... ففي افهامنا منك انبهار

وفيك نرى الفضاء وهل فضاء ... سوى هذا الفضاء به تدار

ومنه حكم ونصائح جمعها في بيتين هما :

احفظ لسانك لا تبح بثلاثة ... سر ومال ما استطعت ومذهب

فعلى الثلاثة تبتلى بثلاثة ... بمكفر وبحاسد و كذب

ابن جزلة[1] : توفي سنة ٤٧٣ هـ - ١٠٨٠ م : هو يحيى بن عيسى بن علي ابن جزلة اشتهر في القرن الحادي عشر للميلاد كان في أيام الخليفة المقتدي بأمر الله ١٠٧٤ – ١٠٩٤ م وقد جعل باسمه كثيراً من الكتب التي صنفها وكان من المشهورين في علم الطب وعمله ، يكتب خطاً جيداً مستوياً وقد رأى ابن أبي اصيبعة بخطه عدة كتب من تصانيفه وغيرها تدل على فضله وخبرته وادبه ومعرفته . ومن بينها كتاب تقويم الأبدان وكتاب منهاج البيان فيما يستعمله

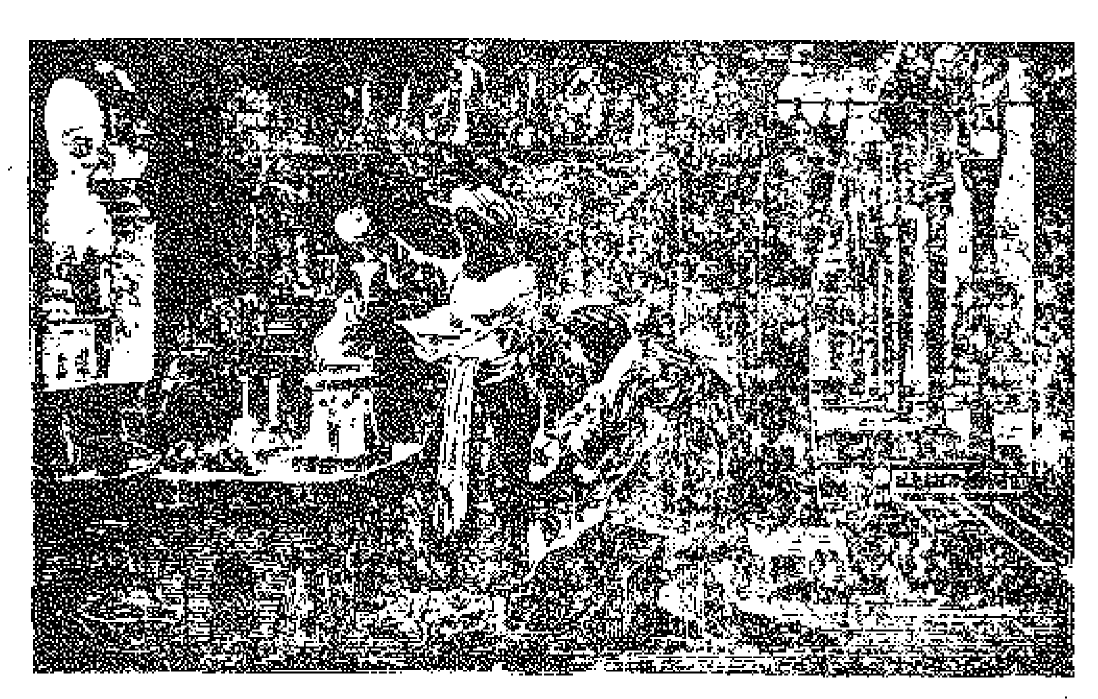
---

١ – ابن جزلة بفتح الجيم وسكون الزاي idn Jasla . Ben Jasla مدح صاحب كشف الظنون مؤلفاته وترجه ابن ابي اصيبعة ترجمة مختصرة وذكر القاضي شمس الدين ابن خلكان سيرته في تاريخه وفيات الاعيان .

الانسان وكتاب الاشارة في تلخيص العبارة ، وما يستعمل من القوانين الطبية في تدبير الصحة وحفظ البدن لخصه من كتاب تقويم الصحة في الاسباب الستة ورسالة في مدح الطب وموافقته الشرع والرد على من طعن عليه وذلك في سنة ست وستين واربعمائه وكان يطبب اهل محلته ومعارفه بلا اجرة ولا جعالة ، بل احتساباً ومروءة ويحمل اليهم الأشربة والأدوية بغير عوض ويتفقـــد الفقراء ويحسن اليهم ولما مرض مرض موته وقف كتبه وجعلها في مشهد أبي حنيفة توفي سنة ٤٧٣ هـ . تاريخ ولادته غير معروفة .

تصانيفه — كتاب تقويم الابدان : وضعه بجدولاً ، نسخه مثبتة في أشهر المكاتب ، منها نسخة في المكتبة الملكية بمصر ، واخرى بالمكتبة الشرقية للآباء اليسوعيين في بيروت . عثر البحاثة احمد زكي باشا على نسخة منه في مكاتب الاستانة مكتوبة بخط جميل جداً سنة ٥٩٦ للهجرة اي بعد وفاة المؤلف بمئة سنة فكتب عنها وعد ابن جزلة من اشهر أطباء العرب . يتألف الكتاب من جداول وشروح ، تتناول الجداول كل الامراض والآفات التي كانت معروفة وتتناول الشروح تدبير هذه الأمراض والآفات وطرق علاجها . مثال ذلك الكلام على الحمى التي سماها حمى يوم فقد ذكر ثمانية أنواع منها في صفحة واحدة ووصف من يصاب بهذا النوع او ذاك منها وسنه والزمان والمكان اللذين يكثر هـــذا النوع فيهما والانذار فيه وسماه السلامة والخوف ، كما ذكر السبب والعلامات وهل يجوز الاستفراغ فيه أو لا يجوز أي هل يجوز اطلاق الدم او الامعاء ، والتدبير الملكي أي معالجة الذين يصعب عليهم اخذ الدواء الكريه كالملوك والاطفال والتدبير العام الصالح لكل مصاب ، مثال ذلك قوله في حمى يوم الناتجة عن التعب انها تصيب اصحاب المزاج اليابس من الشبان في زمن الصيف في البلاد الحارة وهي سليمة العاقبة وسببها الرياضة المجاوزة للاعتدال وعلامتها يبس الجلد وصغر النبض والتدبير الملكي فيها ، الاستحمام والدلك المعتدل ودهن البنفسج ولحم الفراريج

والجداء ، والتدبير السهل الراحة والنوم والاستحمام والدهن وقال في تدبير هذه الحمى أن أوفق ما يدبر به صاحبها الدعة والسكون في المواضع التي يقتضيها الوقت، فاذا انحطت الحمى فليدخل الحمام ويجلس في الابزن الذي فيه الماء الفاتر ثم يخرج منه فيدلك بدنه دلكاً معتدلاً بدهن البنفسج والنيلوفر ثم يصب عليه الماء الفاتر الكثير ، فاذا خرج وسكن فليغذ بالفراريج واطراف الجداء ، والخس والهندبا والبقلة الحمقاء ويستكثر من الغذاء في دفعات كثيرة ليخلف عوض المحلل. وقال في الكلام على السرطان انه يصيب الامزجة الباردة واليابسة من الكهول وهو غير مخوف الا أن تأكل أو قرب من عضو شريف وعلاماته شدة الصلابة وشكله شبيه السرطان وقال عنه في التدبير العام أنه إذا استحكم فيعالج بالحديد[1] ويحلو لنا ان نقدم في الصفحتين التاليتين نموذجين عن جداول الكتاب .



الشكل (٣١) الاستدلال على المرض بالتفسرة ـ فحص البول

---

١ ـ طبع هذا الكتاب على نفقة رشيد باشا سنة ١٣٣٣ هـ وامتدح الشيخ المرحوم عبد القادر بدران طابعه فقال فيه :

طب ابن جزلة بعد طول مماته أحياه فهو له المعز الناشر

سطر الأسماء	الأمزجة	الأسنان	البلدان	الأزمنة	السلامة والخوف	العلامـــة	الاستفراغ	التدبير الكلي	التدبير السهل
عضة الكلب (الكَلِب)	« اليابسة »	« الشباب »	اليابسة	بأمرها	مخوف	الجوز المدقوق يوضع عليه ويطعم لدجاجة فان ماتت فهو كلب	بالاسهال والقيء	بترياق الفاروق	يوسع فم الجرح ويوضع عليه خرقة بخردل معجون بسمن وعسل
عضة الانسان والحيوان غيره	« كلها »	« الشباب »	اليابسة	بأمرها	مخوف	مساءلة العليل عما عضه	بالفصد	بتضميد	يضمد ببصل النرجس مدقوق ناعماً بخل
عضة ابن عرس والعضاية	« الباردة »	« جميعا »	كلها	الصيف	مخوف	الوجع الشديد الذي يسقط صاحبه وتبقى أسنان العضاية باقية	بالقيء	بتضميد	يضمد ببصل وثوم
نهش « الافعى »	« الحارة »	« الشباب »	اليابسة	الصيف	مخوف	رطوبة تسيل من الموضع حارة ونفاخات كحرق النار	بالفصد	بالترياق	باكل البصل والثوم والكراث
لدغ « العقارب »	« الباردة »	« الشيوخ »	الجنوبية	الصيف	مخوف	ورم موضع اللذعة وحمرة ويبقى اثره وربما حدث عرق وغشي وقيام الذكر	بالقيء	بطلي بدهن	تفدع العقرب ويضمد بها الموضع او جند بادستر بزيت
لدغ الزنابير والنحل	« الحارة »	« الشباب »	الحارة	الصيف	غير مخوف	وجع شديد وبرد وحكة وناهض ورعدة وعرق بارد وكثرة بول	بنزع الدم	بطلي بالطين	يضمد بصورج الحيطان مع خل او طين او الكركشت مع خل وطين
لدغ الرتيلاء والعنكبوت	« الباردة »	« الشيوخ »	الحارة	الصيف	مخوف	ورم وربما حدث غشي او صرع	بالقيء	التضميد بالماء الحار	يضمد بتمر وملح مسحوق بالماء
لدغ العقرب الجرارة	« الحارة »	« الشباب »	قرى الاهواز	الصيف	مخوف	اليوم الثاني والثالث يؤلم ويرم اللسان ويبول الدم والغشي	بالفصد والحجامة	بالتضميد	يشرب ماء الشعير او المخيض ويأكل التفاح الحامض

سطر الاسماء	الاسنان	الازمنة	السلامة والخوف	السبب	العلامة	الاستفراغ	التدبير الملكي	التدبير السهل الوجود
شقاق الشفتين	الشباب والكهول	الخريف والشتاء	سليم	سوء مزاج يابس	معروفة	بحب الايارج والصبر ان كان في البدن خلط سوداوي	شحم الدجاج والبط يذوب مع شحم ويطلى به	يطلى بورد و كثير ويجعل عليه القشر الرقيق الذي داخل القصب النبطي
بواسير الشفتين	الصبيان والشباب	الربيع	سليم	فضلة دموية	لونها الى الكمودة	فصد القيفال او قطع الجهادل او الحجامة	تضميد	يذر عليها رماد جوز السرو ورماد الحنظل وجفت البلوط
بثر الشفتين	الشباب	الصيف	سليم	دم وصفراء	احمر على الشفة	بفصد القيفال	يطلى بمرهم الاسفيذاج مذوبا	يطلى بمرداسنج وعفص وشمع ودهن ورد
وجع الاسنان	الشباب	الصيف	سليم	دم حار او سوء مزاج في العصب	توافقها الباردة وتنفر من الحارة	بالفصد	بماء ورد قد مرس فيه سماق ويلقى فيه كافور	بالخل وماء ورد
وجع برد الاسنان	الكهول والشيوخ	الخريف	سليم	سوء مزاج بارد يعرض للعصب	توافقها الحارة وتتأذى بالباردة	بحب الايارج	بتمضمض بماء العسل ويطبخ فيه زوفا	نوي المشمش مدقوق معجون بخل ويوضع على الضرس
تأكل الاسنان	الصبيان	الربيع	غير مخوف	رطوبة باردة تعفنها	معروفة	حب الصبر	نوشادر وافيون مسحوقان يحشى به ويجعل فوقه صمغ	ثوم مدقوق يحشى به
الحفر	الشيوخ	الشتاء	غير مخوف	بخارات ترتفع من المعده	صفرة تتكلس على الاسنان	بالقيء بماء حار وسكنجبين	معجون بعسل محرق وزبد البحر وخزف غضار صيني	ملح اندراني واصل القصب المحرق
الضرس	الشيوخ	الخريف	غير مخوف	مضغ الاشياء الحامضة	معروفة	بالقيء ان كان من خلط في المعدة	دهن لوز حلو تدلك به الاسنان	الملح الجريش بمضغ البقلة الحمقا بها

كتاب منهاج البيان في ما يستعمله الانسان : نسخه معروفة وهو كتاب طبي نفيس جزيل الفائدة ، حسن العبارة، لطيف الاشارة مبوب احسن تبويب على الطريقة الابجدية . يتضمن وصف المفردات والاغذية والأعشاب الطبيـة ، مع بيان خواصها ومنافعها وطرق استعمالها وفوائدها ،شبيه بكتاب ديوسقوريدس وبمفردات الغافقي وابن البيطار يذكر المؤلف في الباب الاول منه جميع المفردات المبدوءة بحرف الالف فيصفها وصفاً لطيفاً دقيقاً ويتابع على هذا النمط فيذكر المفردات المبدوءة بحرف الباء وهكذا .توجد من هذا الكتاب نسخة حسنة في المكتبة الاهلية الظاهرية بدمشق أطلعنا[1] عليها حديثاً في اثناء مطالعاتنا فأفردنا لها لهذا المقال لوصفها وايراد مقتبسات منها . وسمت المخطوطة الظاهرية بالرقم $\frac{١٠٧}{٣٠٦٨}$، كتبت سنة ٩٦٢ هـ (١٥٥٤م) وختمت الصفحة الاخيرة ببيان اسم كاتبها وتاريخ كتابتها وانه كان الفراغ من ذلك صبيحة الأربعاء ، الرابع والعشرين من شهر محرم الحرام وانه كتبها زين الدين بن احمد بن السيد ثابت الحسيني ويلي ذلك فوائد مختلفة .

وهناك مختارات أخذناها من ثلاثة أبواب من أبواب الكتاب على سبيل النموذج والمثال :

١ ـ **مختارات من باب الباء** ـ بيض : أجوده الطري من بيض الدجاج وأفضله مح‍ه . وأفضل صنعته نيمبرشت ، لأنها أسرع انهضاماً وأجود غذاء ينفع الحلق والسعال والسل والباه

٢ ـ **مختارات من باب التاء** : تمر هندي : يسمى الحومر ويسمى صباراً يسهل وينفع من القيء والعطش وينفع من الحميات والغشي والكرب وخصوصاً اذا كانت هناك حاجة الى تليين الطبيعة وهو يضر بالسعال والصدر ويصلحه شراب البنفسج والخشخاش .

---

١ ـ هذا الكلام منقول عن الاستاذ مراد فؤاد حقي مجلة الطبي العربي ج١٣ ص١٦٦ .

توت حامض : هو المعروف بالشامي وأجوده الأسود يحلل أورام الفم والحلق وورقه ينفع الذبحة والخوانيق وعصارته مجففة تنفع من القروح الخبيثة والمجفف منه يحبس البطن وينفع من الدوسنطاريا .

٣ – **مختارات من باب الخاء** : خبز الفرن : أجوده المحكم النضج، ينتفع به أصحاب الأبدان النحيفة والرياضة القوية على انه لا يؤمن ضرره فيما بعد وهو بسيء الهضم لرداءته باحتراق ظاهره وقلة نضج باطنه وتصلحه الأشياء الحلوة ومما يدفع ضرره تجفيفه وتحميصه .

خبز الأبازير : هو الذي يعجن بسيرج وسمسم وسيرجه مثل ثلث دقيقه يوافق أصحاب الكد والرياضة والمعد القوية وهو يتخم ويؤذي المعدة ويصلحه الملح او اللبن او السكر او العسل .

خبز الأرز : أجوده المتخذ من الأرز الجوهري، يمسك الطبع وهو بطيء الانحدار وتصلحه الرياضة والاستحمام ويتخذ منه ثريد بدهن لوز .

خبز الشعير : أجوده المخبوز من الشعير الحديث الرزين وهو بارد يابس يعقل الطبع وهو قليل الغذاء رديه وتصلحه الأشياء الدهنة .

ابو قاسم خلف الزهراوي[1] : (١٠٣٠-١١٠٦م) كان في بلاط الحكم في الأندلس يعد من ساطين الأطباء في الاسلام ومن كبار الجراحين العرب، ذاعت شهرته في الشرق والغرب حتى ان بعض الكاتدرائيات زُينت بصورته ومن ذلك وجود صورته مع صنويه ابن سينا والرازي في كاتدرائية ميلانو بايطالية مرسومة بألوان على الزجاج القديم . ألف كتاباً سماه التصريف لمن عجز عن

---

١ – Abulcacis , Albucacis حرف اسمه الغربيون حتى جعلوه البوقاسيس وابو القسيس .

التأليف[1] يقع في ثلاثين جزءاً وقد اعتبر الجزء الباحث عن الجراحة المرجع الأصيل فيها.

وقد زين الكتاب الجراحي بآلات الكي وبحث فيه عن العمليات الجراحية وطرق البضع في أمراض العيون والأسنان والنساء وفي الحصاة والفتوق كما بحث عن الخلوع والكسور وطرق معالجتها.

يعد أبو القاسم حقاً فريد عصره في فنه، حفظ علم الجراحة في القرون الوسطى وكان دعامة استندت اليها صروح الجراحة الحديثة. نقل عنه غي دوشولياك المعتبر من أعاظم الجراحين في القرن الرابع عشر كثيراً من آرائه واستشهد به في كتبه اكثر من مئتي مرة، لقد ذكر المؤلفون العرب كتاب التصريف ولكن لم يعثر على وصفهم لغير الجزء الباحث عنه بالجراحة. وقد اقتبس ابن البيطار من الزهراوي معلومات قيمة. ويبدو ان الزهراوي اول من دعم كتابه الجراحي بصور الآلات. ولقد جاء في كتاب تاريخ الأدب في فرنسة نبذة مفيدة عن الزهراوي تقول. ان في تاريخ الجراحة بفرنسة في النصف الثاني للقرن الثالث عشر أمراً يسترعي النظر وذلك ان كثيراً من الأطباء الطليان غادروا بلاد وطنهم على أثر الفتن فيها فجاؤا الى فرنسة يحتمون بأرضها وجلبوا

---

١ – ترجم الجزء الجراحي الى اللاتينية والعبرية اما بقية الاجزاء فلم يعثر عليها وقد عثر على ترجمة ناقصة لبعض الاجزاء الطبية نشرت سنة ١٥١٩ في اوغسبورغ a(g)bur_ وقد نشرت ترجمة جزء الاقراباذين سنة ١٤٠١ في البندقية كما وجدت ترجمة الجزء الجراحي في كتاب غي دوشولياك guy de Chauliac الذي نشر سنة ١٤٩٧ كما وجدت ايضاً لبعض اقسامه ترجمات عديدة. ويعد الكتاب الذي نشر في اكسفورد سنة ١٧٧٨ المشتمل على نصوص عربية وترجمتها اللاتينية اكمل ترجمة عثر عليها وترجم الجزء الجراحي الى الفرنسية من قبل لوكلرك Leclerc وطبعت الترجمة في باريز سنة ١٨٦١ باسم جراحة ابي القاسم La chirurgie d' Albulcacis وقد جاء في كتاب ألفه طبيب طلياني في القرن الخامس عشر مقتبسات من الزهراوي وقد نشر في القرن عينه طبيب طلياني آخر كتاباً خاصاً بالسموم.

معهم مؤلفات أبي القاسم وتعاليمه . وكان الزهراوي يذكر في كتبه بجوار كل موضوع ما دلت عليه تجاربه العلمية العملية وأوحى في كتابه بضرورة معرفة التشريح لأنه بمثابة قاعدة للجراحة مبيناً ان جهل التشريح يجر الى نتائج وخيمة.

أقوال بعض المؤرخين والمستشرقين في الزهراوي قال عنه هولز انه اول من ربط الشرايين . وقال فيه بوستال انه اول من استعمل السنارة في استخراج المرجلات ونعته فرند بعميي الجراحة ، إذ نبه قراءه في كل موضع الى أخطار العمليات والى الاحتياطات الواجب اتخاذها كما ذكر وصف ذلك في كل عملية وكان الزهراوي أول من وصف اجراء عملية الحصاة عند النساء عن طريق المهبل وكان أيضاً اول من أشار باستئصال الرضفة في حالات عتيها . وصف الزهراوي كثير من المستشرقين مثل العلامتين عضوي المجمع العلمي العربي كليمان هوار الخبير في تاريخ آداب اللغة العربية وأدوار براون الضليع في تاريخ الطب العربي وغيرهما فأجمعوا انه أعظم جراح عربي انجبته الأمة الاسلامية وقال عنه فيريس انه المثل الأعلى للعلم .

قول ابن أبي أصيبعة في الزهراوي : كان طبيباً فاضلاً جيد العــــلاج وله تصانيف مشهورة في صناعة الطب وأفضلها كتابه الكبير المعروف بالزهراوي والذي أسماه :التصريف لمن عجز عن التأليف ، وقد بلغ من اشتهار هذا الكتاب ان طغى ذكره على كتاب قانون ابن سينا .

وصفُ نسخة من جزئه الجراحي الموجودة في متحف دمشق : انها نسخة قديمة بخط أندلسي مصورة فيها الآلات ووصف العمليات الجراحية وبعد أن يذكر العملية مفصلاً وما يعرض فيها للجراحي ويذكر الرأي الذي اعتمد عليه فيها ولعلم الطبيب الاختصاصي بها يصور بعض العمليات والآلات ويبين ماتؤخذ منه الآلات كالمعدن أو العظم ومما يستحسن ذكره عن هذا الكتاب انه كان

في حوزة رجل طبيب اسمه الياس البيروتي وله على حواشي وتعاليق تدل على أنه عمل بعض العمليات الجراحية على طريقة المؤلف ونجحت أما خطه فسقيم وذلك سنة ... وسبعين وثمانمائة

وكتب في الكتاب اسم السيد عبد القادرعودة الطبيب بدمشق سنة١٢٧٩ﻫ ومنه الى ولديه محمد وأحمد عودة سنة ١٣٢٢ ﻫ. مما يدل على أن الكتاب كان في حوزتهم ثم اتصل بالسيد خورشيد .

الزهراوي المشرح : لقد جعل أبو القاسم الجراحة قائمة على دراسة التشريح ومن يطالع كتابه يجزم بأن الزهراوي شرح الجثث بنفسه على رأي بورتل[1] .

الزهراوي ومرض الناعور : ويعد الزهراوي أول من وصف مرض الناعور وصفاً صحيحاً وهو مرض وراثي خطر متصف بصعوبة رقوء الدم حين النزف . وكان أبو القاسم الى جانب نبوغه في الجراحة عالماً بفن التوليد وأمراض النساء جيداً بامراض العين والأنف والاذن والحنجرة وامراض الطرق البولية والتناسلية وربما كان من اوائل الجراحين الذين اقدموا على اجراء العمليات الجراحية . استأصل اللوزات والسالة وقد وصف طرق معالجة ذلك باسهاب وكان يعالج بنجاح الاحليل الفوقاني والتحتاني وقد ذكر في كتابه أن هاتين الحالتين مانعتان للاخصاب وكان يعالج الإدرة المائية معالجة تضمن عدم النكس اذ كان يستأصل الصفاق المحتوي على السائل[2] وبحث عن الخصاء فقال إنه محرم

الزهراوي والاورام : وقال في صدد أورام الرحم أنها إما سليمة أو خبيثة أما الاورام السليمة فتعالج بالاستئصال وأما الخبيثة فلافائدة من علاجها اذا كانت متقرحة أو مر عليها مدة من الزمن وأما اذا كان السرطان صغيراً ومبتدئاً فلا

---

١ - Portel .

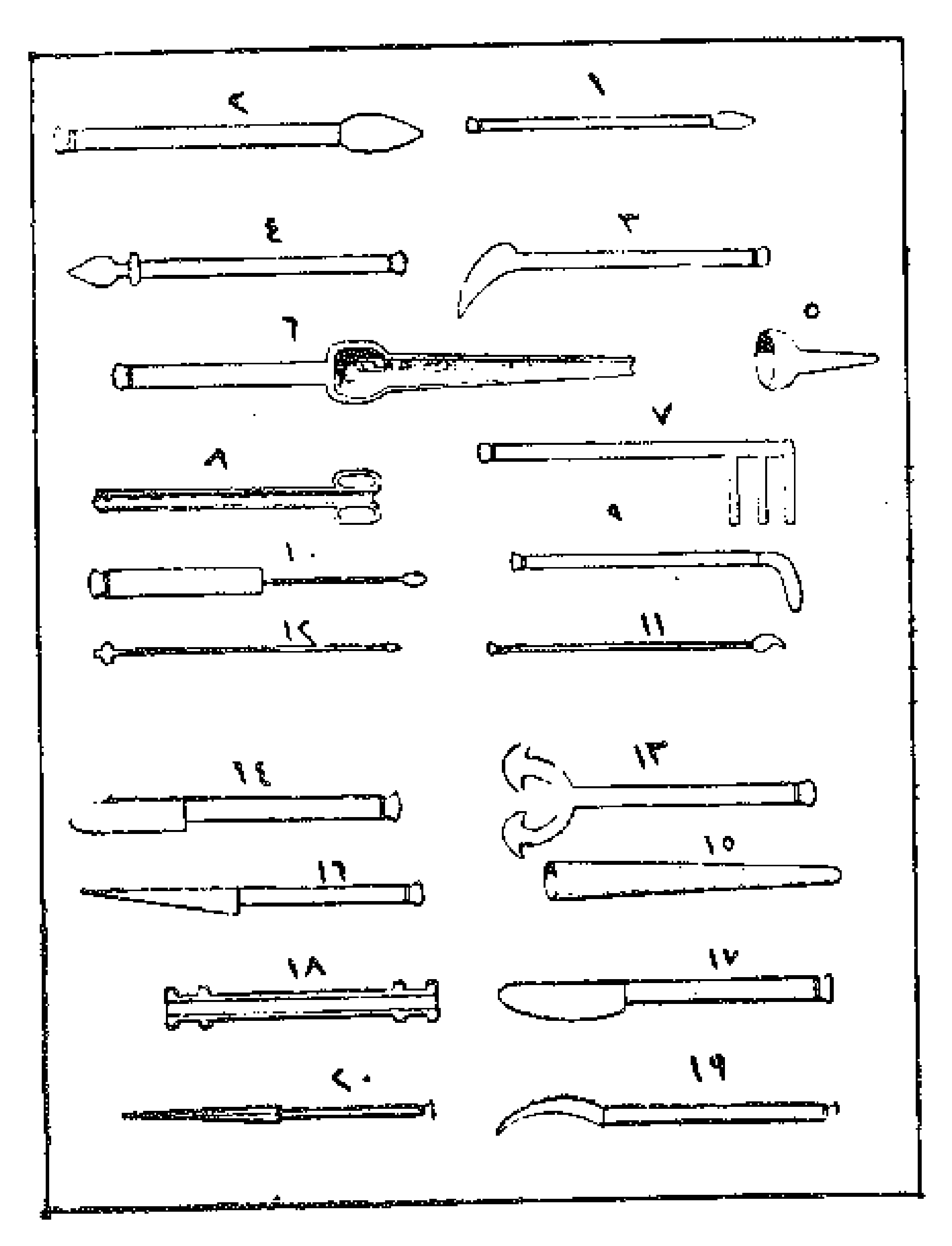
٢ - راجع للتفصيل اطروحة الدكتور محمد انيس المصري احد المتخرجين من كلية الطب بدمشق سنة ١٩٠٦ .

بأس من علاجه باستئصاله ويعترف بأنه لم يستطع أن يشفي سرطاناً لاهو ولا معاصروه من الأطباء وكان يخرج الجبن من البطن بالبزل ويستعمل منظار الاذن ومحقنة لإدخال السوائل الى الاذن ويقسم الأورام الى مرجلية تشبه العقرب الكثير الارجل والى أورام سرطانية صلبة وأورام رخوة .

خزع الكبد : وكان يعالج الزهراوي الخراجات الكبدية بشقها مع كيها في الوقت نفسه . وقد تكلم عن الزهراوي في المهرجان الذي اقيم في برلين بمناسبة مرور الف سنة على وفاته الاستاذ الدكتور زيجيرست وذلك في ١٠ تموز سنة ١٩٢٩ فقال : ومن الخطأ الفاحش ان ينسب تقدم العلوم الطبية في بلاد الغرب الى الاوروبيين انفسهم اذ أنه في الواقع المعروف ان كل وصفات الغربيين في علاجهم الامراض المختلفة ترجع الى كتاب أبي القاسم هذا . وبينما كان الناس في أواسط أوربا يتهنون الطب عن جهل وبطريقة همجية كان العرب في الاندلس جادين في البحث عن علوم ومعارف القدماء بحثاً مستفيضاً على اسس علمية صحيحة وقد بلغ من حب العرب للعلوم والمعارف انهم كانوا في حروبهم وغزواتهم بلاد العجم والهند وسواحل افريقيا الشمالية والمحيط الاطلنطي يقبلون الكتب القديمة فدية عن الاسرى بل والمدن التي افتتحوها وبهذه الطريقة تمكن علماء العرب أن يؤسسوا نهضة بلادهم ويرفعوا من شأن العلوم والمعارف وعلى الاخص مهنة الطب والجراحة . وكانت قرطبة البلد التي ولد في ضاحيتها ابو القاسم ملأى بالمستشفيات وفيها ابتدعت طرق العلاج المختلفة وعلى الأخص العمليات الجراحية . وكان أبو القاسم أول من أهدى بلاد الغرب أول كتاب في علم الجراحة ظل يدرس في أوربا الى القرن السابع عشر ولم يكن يستعمل في أوربا قبل ما ادخله أبو القاسم على طريقة الجراحة من التحسينات سوى الكي بالنار الذي اخذه الغربيون عن

العرب أيضاً وختم المحاضر كلامه بقوله: نحن مدينون للعرب بالعلوم والمعارف التي تركوها لنا ارثاً طيباً .

الآلات والادوات التي كان يستعملها الزهراوي : ولقد زين الزهراوي كتابه بصور كثيرة من الآلات والادوات بعضها مما كان مستعملاً في زمانه وبعضها من وضعه وتصميمه ويحسن بنا أن نأتي على ذكرها مرتبة حسب أحرف المعجم .



الشكل (٣٢) ، اللوحة (١)

آلة : كالمرود وطرفها كالملعقة تملأ دواءاً كاوياً لوضعه على اللهاة لكيها ١٠ لوحتا ٥ و ٦ .

آلة لاستخراج الشوك وما ينشب في الحلق وهي كالمرود طرفها معقف كالصنارة تدخل في الحلق لترفع بها الأجسام الغريبة ١٣ لوحة ٤ .

آلة لحفظ الصفاق : من خشب او من حديد تشبه ملعقة ليس لها تقعير وتوضع فوق الأغشية المراد حفظها من القطع لئلا يغور المبضع فيها ١٨ لوحة ٧ .

انبوبة . هي من الحديد او النحاس توضع فوق الثملة وتشد عليها حتى تقطعها من اصلها يمكن امساكها بين الأصابع وفتلها ٦ لوحة ٩ .

انبوبة : يدخل الطرف الرقيق منها في الأذن بقدر ما يحتمله العليل ويمص به مصاً قوياً ١٠ لوحة ١ .

انبوبة اخرى : من فضة او نحاس ضيقة الأسفل وبه ثقب صغير ويمكن ان يدخل فيها مدفع في جوف الا بوبة من نحاس محكم او مرود ، يلف طرفه بقطنة لفاً محكماً ويلقى الزيت او ما يشبهه في الأنبوبة وهي في الاذن ثم يدخل المرود بالقطنة في الانبوبة ويعصر عصراً معتدلاً حتى يندفع الدهن في جوف الاذن ١٦ لوحة ٢ .

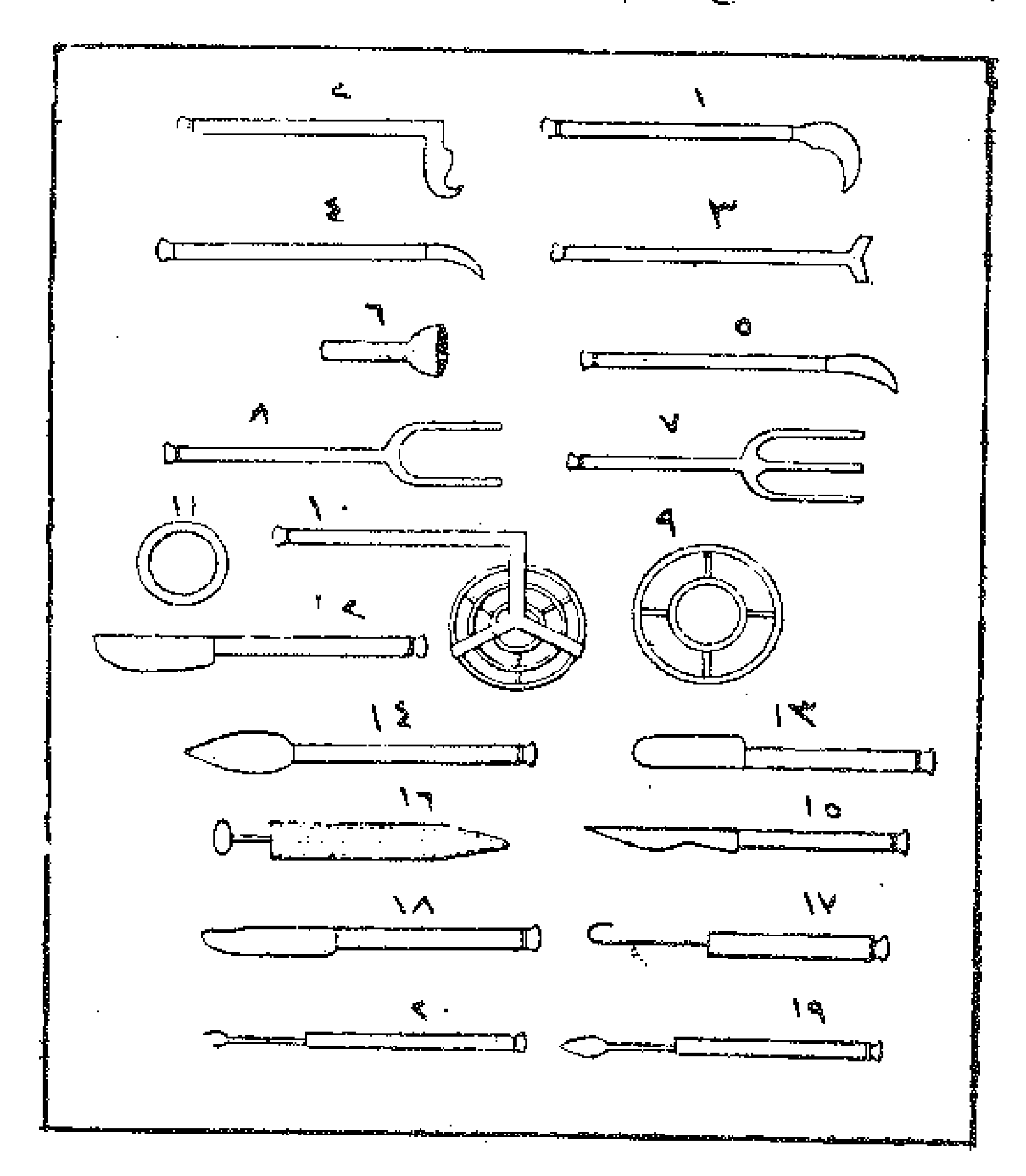
انبوبة تشبه انبوباً من قصب تصنع من فضة او نحاس ، ملساء مصقولة لها في اسفلها ثقب صغير وفي جوانبها ثلاث ثقوب وتستعمل لبزل الماء في الحبن ١٩ لوحة ٤ .

بريد : هو مبضع اشد صلابة من المقدح ١٩ لوحة ١ . وهو ايضاً آلة كالمسمار تصلح لتفتيش الأورام والجراجات والنواصير والمخابي وتصنع من نحاس اصفر وتصلح لسبر النواصير وهي ثلاثة انواع طوال واوساط وصغار بقدر ما يحتاج اليه كل ناصور ١١ لوحة ٦ .

بيرم : عتلة صغيرة وهي من الحديد واحد طرفيها رقيق ومعقوف والآخر أشد يستعمل لرد العظام المكسورة الناتئة على الجلد وتسويتها ١٨ لوحة ٨ .

جبيرة : جهاز معد لشد العضو المكسور وجبره ١٧٠ لوحة ٧

جفت : آلة لاستخراج العظام المكسورة من الفك او احد عظام الفم ٦ لوحة ٦.



الشكل (٣٣)، اللوحة (٢)

جفت لطيف : يستعمل لاخراج ما سقط في الاذن من الأشياء الغريبة ١٣، لوحة ٣ .

خشبة : لها رأس مستدير ليسهل دخولها في عنق الابط ثم تربط على الرأس

المستدير خرقاً لينة لئلا تؤذي الخشبة العليل ثم تمد اليد او الذراع على الخشبة الى اسفل وتربط الخشبة على العضد والساعد وطرف اليد على عارضة سلم بالعرض وتمد اليد الى اسفل وتترك سائر الجسد معلقاً من الناحية الأخرى فان المفصل يدخل من ساعته ١٢ لوحة ٩ .

خشنة الرأس : هي آلة لجرد العظم الفاسد وينتهي طرفها بكرة او قرص ١٧ لوحة ٣ .

ذات الشعبتين : آلة تستعمل لاستخراج بقايا السن وجرد الأسنان ٣ لوحة ٦ .

رمانة : هي مبخرة يصعد الدخان منها الى اللهاة حتى تتكمد اي يذهب عنها الاحتقان والتورم ويجف ورمها ٩ لوحة ٦ .

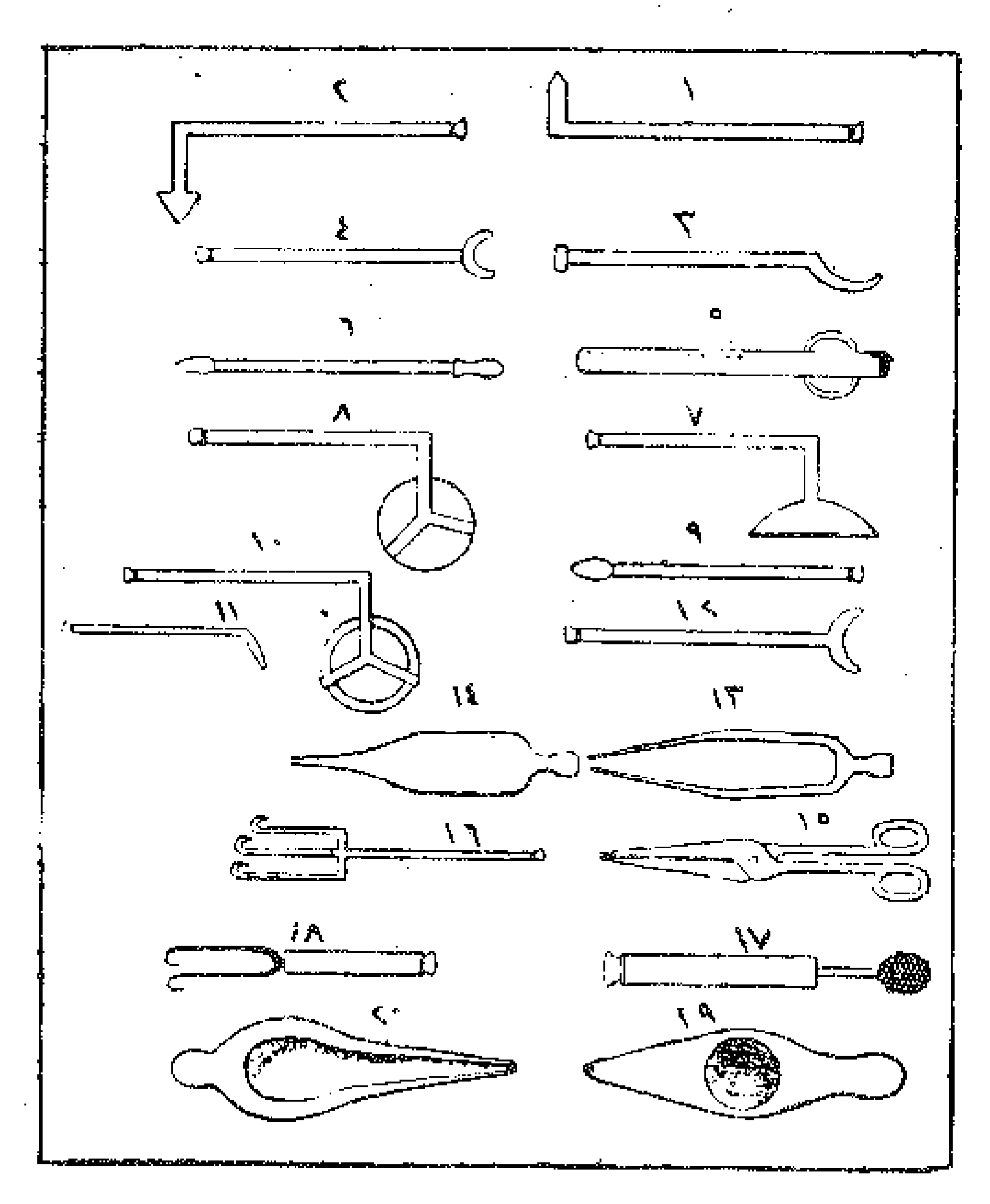
سكين : حادة من الجهة الواحدة وملساء غير حادة من الجهة الاخرى تدخل تحت الأوعية بعد كشفها ويوجه جانبها الأملس نحو العظم ثم تقطع بها الأوعية دون ان يقطع الجلد ١٣ لوحة ٢ .

صنارة فيها غلظ قليل لئلا تتكسر وبها يجذب الجنين ٢ لوحة ٨ ، صنارة أخرى ذات شوكتين لجذب الجنين ايضاً ٣ لوحة ٩ ، صنارة ذات ثلاث صنانير مجموعة في ساق واحدة وتستعمل لتشمير الجلد ١٤ لوحة ٥ ، صنارة كبيرة لقلع بقايا السن وجرد الأسنان وهي مثلثة الطرف المعوج فيها بعض الغلظ ٥ لوحة ٥ صنارة لطيفة الثنية : تستعمل في لقط السبل ثم يقطع بمقص لطيف ١٧ لوحة ٢ .

صنانير : أنواع كثيرة وهي اما بسيطة او مركبة ولها مخطافان او ثلاثة مخاطيف ١٤ و ١٥ لوحة ٤ و ١٤ و ١٥ لوحة ٥ .

عتلة : آلة تدخل في السنخ اذا بقي شيء من جذور ضرس مكسور فتقلعه وهي قصيرة الطرف ٣ و ٢، لوحة ٥ و لوحة ٦

عود : لجبر عظم العضد يربط في طرفه رباطان ثم يعلق من موضع مرتفع ويجلس العليل على كرسي ثم يلقى ذراعاه المكسوران على العود حتى يصير إبطه ملصقاً في وسط انحناء العود ثم يعلق من فوقه شيء ثقيل او يمده خادم الى اسفل ثم يسوي الطبيب الكسر بيديه معاً حتى يرد الكسر على ما ينبغي .



الشكل (٣٤) ، اللوحة (٣)

فاس : آلة كالمبضع في طرفه شوكة تصلح لفصد بعض الأوردة ١٢ لوحة ٨

قاثاطير : وهي آلة لاخراج البول من المثانة ١٩ لوحة ٥ .

قصبتان لتشمير العين : وهما قصبتان بقدر طول الجفن وعرضها ١٨ لوحة ١

كلاّب : لاخراج العلق وغيره مما ينشب في الحلق يشبه فم الطائر وفيه خشونة المبرد اذا قبضت على شيء لم تتركه ١٢ لوحة ٤

كلاّب ج كلاليب : آلات تخلع بها الأضراس والأسنان المتحركة وهي من الحديد او الفولاذ وفي طرفهما اضراس يدخل بعضها في بعض فتقبض قبضاً محكماً وثيقا ١ لوحة ٥ .

لولب : هو آلة يفتح بها فم الرحم وهو شبيه بمازم مجلد الكتب له لولبان في طرفي خشبتين قد اوثقتا تدخلان في المهبل ليفتح بها عند ادارة اللولب ٢ لوحة ٧ .

لولب آخر : ألطف وأخف على شكل الكلاليب تدخل زائدتاها مضمومتين في المهبل ثم تفتسح اليد على قدر ما يراد من فتح المهبل حتى تصنع القابلة ما تريد ١ لوحة ٧ و ٢ لوحة ٨ .

مبخرة للتبخير بها عند احتباس الطمث والمشيمة ونحو ذلك وتصنع من نحاس فيوضع طرفها الرقيق في القبل والطرف الواسع على النار والبخور مجعول على الجمر ٥ لوحة ٧ .

مبرد : من حديد يبرد به الضرس النابت على غيره وكذلك الضرس الذي انكسر بعضه وباقيه يؤذي اللسان عند الكلام ٧ لوحة ٥ و ٨ لوحة ٦ .

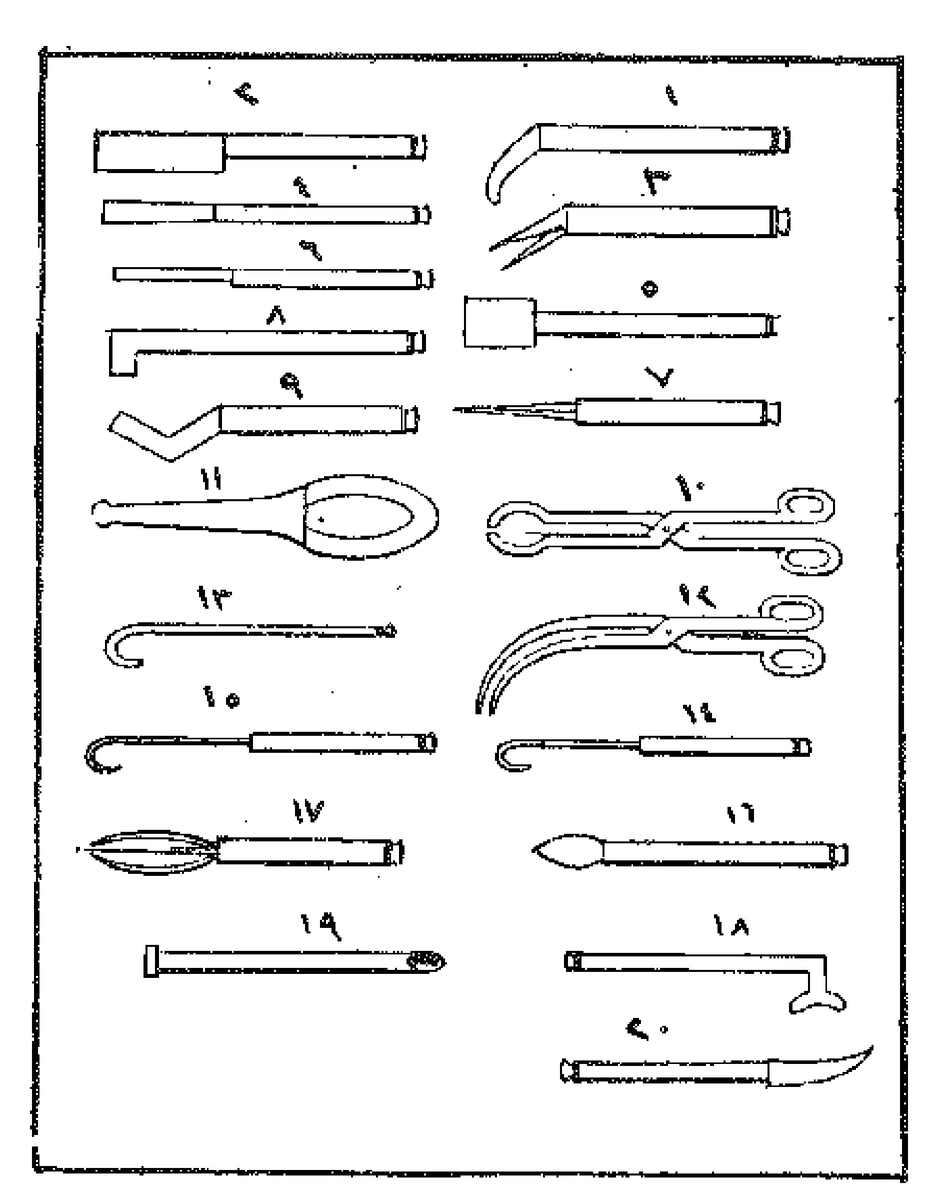
مبضع لشق الأورام والتجمعات الصديدية وهو كالمشرط المدور الا أن نصله مستدير ١٢ لوحة ٢ .

مبضع : يستر بين الأصابع عند بط الأورام لايشعر به المريض ١٦ لوحة ٤ .

مبضع أملس الطرف : وهو مبضع طرفه كال يستعمل في قطع الظفرة من العين ١٧ لوحة ١ .

مبضع دقيق لطيف : لقطع الأشياء الغريبة الساقطة في الاذن ١٦ لوحة ١ .

مبضع زيتوني : وهو مبضع أقل عرضاً وأرق طرفاً يصلح لفصد العروق الدقاق ١٤ لوحة ٧ .



الشكل (٣٥)، اللوحة (٤)

مبضع شوكي هو مبضع طويل محدود الجهتين محدود الطرف وهو خاص يبزل البطن في الحبن وهو معد لثقب جدر البطن ثم تدخل مكانه أنبوبة رقيقة

لتفريـغ الماء ١٦ لوحة ٦ .

مبضع شوكي آخر : وهو الذي يشق به النواصير ٤ لوحة ٢ .

مبضع عريض ريحاني : نصله على هيئة ورقة الآس وهو ينفع في فصد العروق ١٥ لوحة ٧ .

مبضع لطيف : تفتح به الاذن المسدودة وتقطع الزوائد التي قد تكون نبتت فيها ١٥ لوحة ٢ .

مبضع لطيف أملس : ١٨ لوحة ٢ .

مبضع لقطع اللوزة هو آلة تستعمل عند عدم وجود مقطع اللوزة وهو كالمبضع الا ان طرفه معطوف ١١ لوحة ٥ .

مبضع نشيل : وهو الذي يصلح للشق ويكون منه أنواع،عراض ورقاق على حسب سعة العروق وضيقها ١٥ لوحة ٢ و ٢٠ لوحة ٤ .

مبضع عريض : اقطع الجنين ٣ لوحة ٧ .

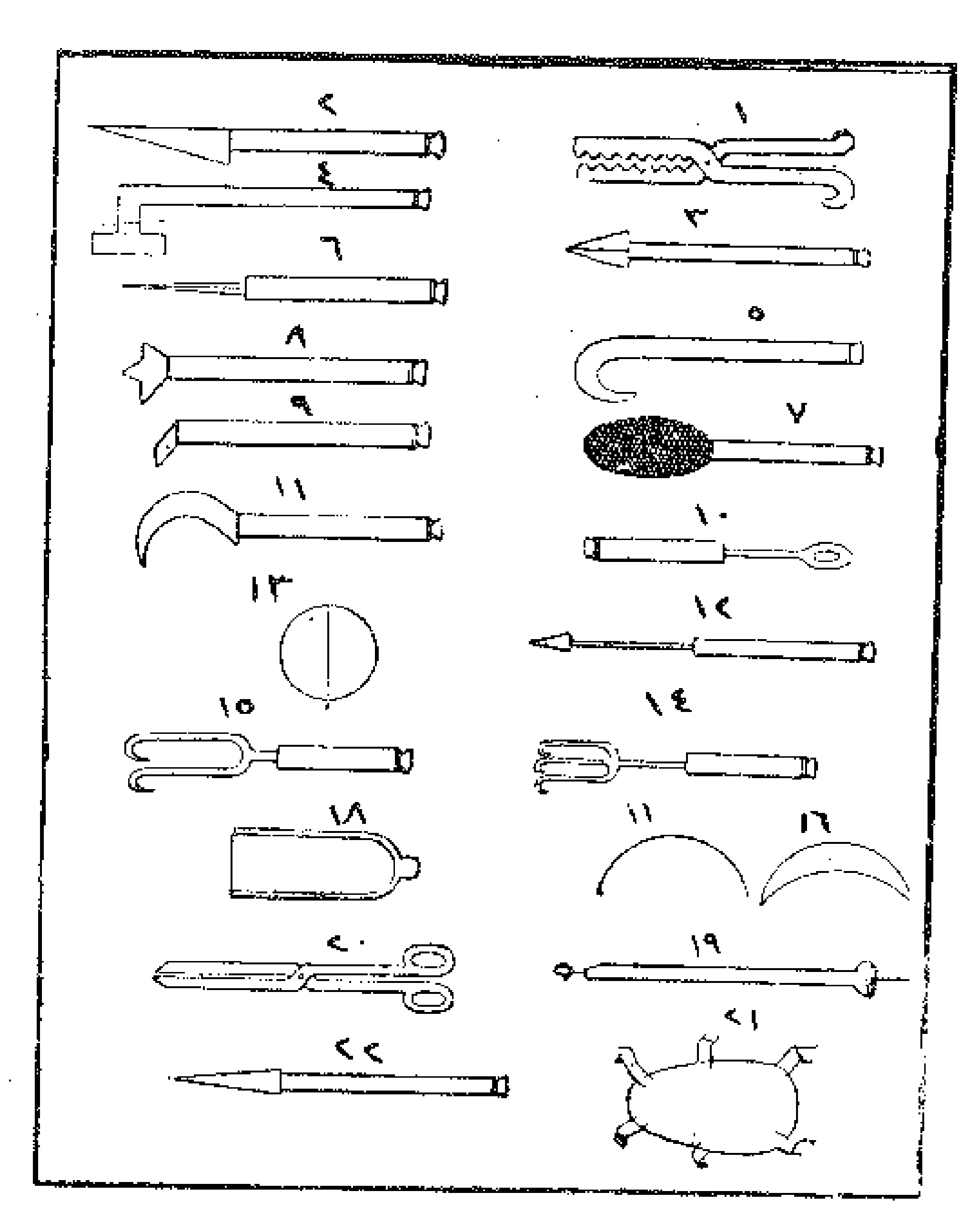
مثقب لايغوص : لأنه لا يتجاوز عظم القحف الى ما وراءه وذلك لأن للمثقب حرفاً مستديراً على هيئة طوق او دائرة فوق طرفه الحاد فيمنعه من ان يغوص ويجاوز ثخن العظم ومن هذه المثاقب عدة يصلح كل واحد منها لمقدار ثخن العظم المراد ثقبه ١٦ لوحة ٨ .

مجدع : يصنع من نحاس يشبه المرود الذي يكتحل به ١٧ لوحة ٤ ، مجدع صغير وهو من الآلات التي تتصرف للشق والبط .

مجرد : المجارد آلات تجرد بها الاضراس والأسنان لرفع السواد والخضرة والصفرة عنها ١٧ لوحة ٣ .

مجرد لكشط العظام وجردها : رأسه كرأس المسمار مكوكب أي على شكل النجمة شكل ٧ لوحة ٩ ولها أشكال اخرى منها مجرد ذو تجويف : ٩ لوحة ٧

مجرد آخر : معطوف الطرف ٨ لوحة ٧ . مجرد : عريض ٩ لوحة ٨ ومجرد آخر : ٨ لوحة ٨ ، مجرد صغير يشبه المسبار ٩ لوحة ٩ ، مجرد طرفه كالمبرد ،



الشكل (٣٦) ، اللوحة (٥)

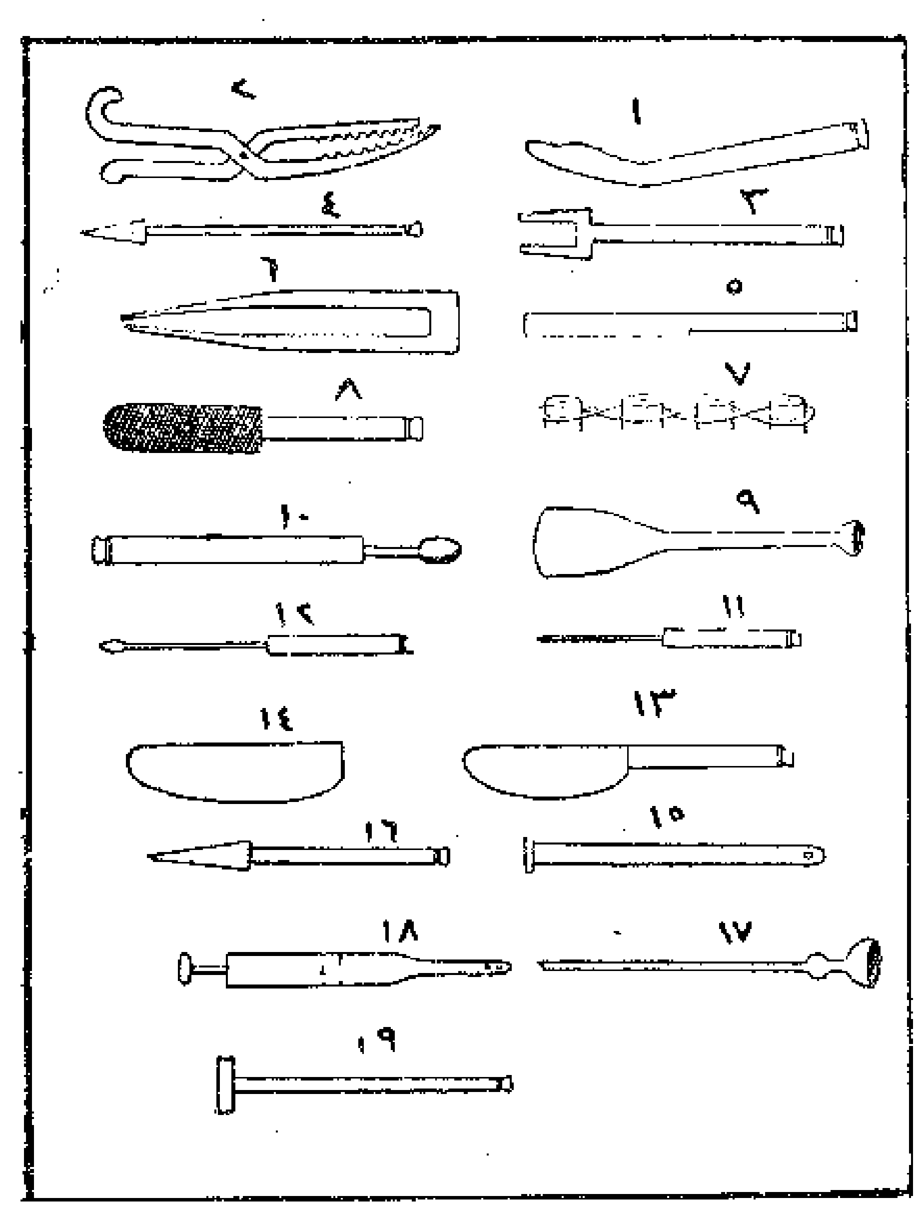
ينفع في مواضع كثيرة من جرد العظام ١٠ لوحة ٧ . مجرد يصلح لجرد ماتفتت من العظام ١١ لوحة ٨ . والمجارد تصنع كلها من الحديد .

محاجم : ج محجم وهي ثلاثة أنواع كبار واوساط وصغار تصنع من نحاس

وبهايقطعالنزف بسرعةوينبغي أن يكون لدى الطبيب منها من جميع القياسات:
١١ ، ١٦ ، ١٨ لوحة ٥

محجمة تستعمل بالنار : ١٤ لوحة ٨ ، محجمة بالماء : تملأ بالماء وتوضع على العضو فقط ويستعمل فيها الماء الحار أو المطبوخ بالحشائش ١٨ لوحة ٥ .

محقن كبير : يصنع انبوب المحقن من فضة أو من صيني أو من نحاس مقروع أو مضروب ٥ لوحة ٩ و ١٧ لوحة ٦ .



الشكل (٣٧) ، اللوحة (٦)

مدس : هو آلة كالمرود لجس واستقصاء الأورام والمدسات ثلاثة انواع كبير ومتوسط وصغير ١٢ لوحة ٥ .

مدفع : يدفع به الجنين وهو على شكل الصنارة يشبك طرفه في الجنين ويدفع به الى الامـــام ١ و ٣ لوحة ٨ ، مدفع مجوف : لاستخراج السهام ١٢ لوحة ٧ ، مدفع مصمت الطرف : كالمرود ليسهل دخوله في السهل المجوف ١٤ لوحة ٨ .

مزراقة : الزراقة . آلة لتقطير الماء في جوف المثانة ١٨ لوحة ٦ .

مسبار ، مثقوب الطرف كابرة الاسكاف يدخل فيها خيط مفتول من خمسة خيوط فيدخل المسبار بالخيط في الناصور - في علاج النواصير والشق عليها - ٥ لوحة ٨ .

مُسْعط : وهو آلة تقطر الأدهان في الانف ويصنع من فضة او نحاس وله مقبض في آخره (١٩) لوحة ٣ .

مسل : آلة تشق بها الدالية ١٠ لوحة ٨ .

مشداخ : وهو آلة يشدخ بها رأس الجنين حتى يسهل اخراجه من فم الرحم ٢ لوحة ٩ وقد يكون الطرف مستطيلاً كالكلاليب وله أسنان كاسنان المنشار تقطع بها ١ لوحة ٩ .

مشرط : هو آلة تشق وتسلخ بها السلع والأورام ١٣ ، ١٤ لوحة ٦ .

مشعب : هو آلة من حديد الفولاذ مثلث الطرف حاد مغروز في مقبض من الخشب وهي معدة لثقب الحصاة في جوف مجرى البول والقضيب ٢٢ لوحة ٥ .

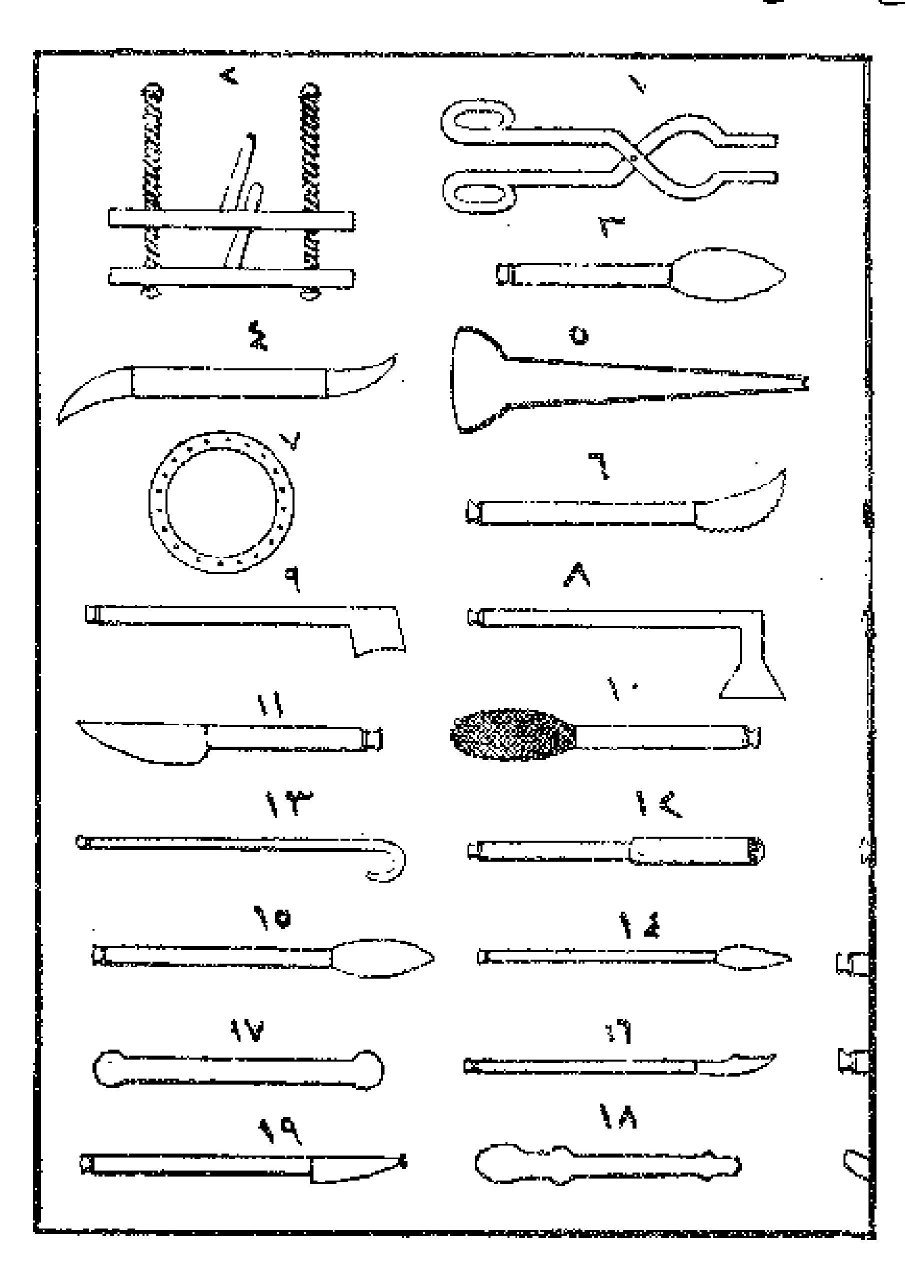
مقدح : هو آلة كالمبضع في قدح الماء النازل في العين ١٩ لوحة ١ و ١٩ و ٢٠ لوحة ٢ .

مقدتان : مفردها مقد وهو نوع المباضع ذو حدين إلا أنه أقل حدة من السكين .

مقص صغير : لقطع ما يفضل من الجلد في عمليات الجفن أو غيرها ١٥ لوحة ٣

مقص التطهير : ١٥ لوحة ٣ مقص لطيف يستعمل في لقط السبل .

مقطع : تقطع به العظام ١١ لوحة ٧ و ١٠ لوحة ٨ .



الشكل (٣٨) ، اللوحة (٧)

مقطع اللوزة : هي آلة تشبه المقص وطرفاها معطوفان وتجويفاهما متقابلان أحدهما بحذاء الآخر ١٠ لوحة ٤ .

مقطع عدسي : يصلح لجرد وتسوية خشونة مابقي من العظم ١٩ لوحة ٧ .

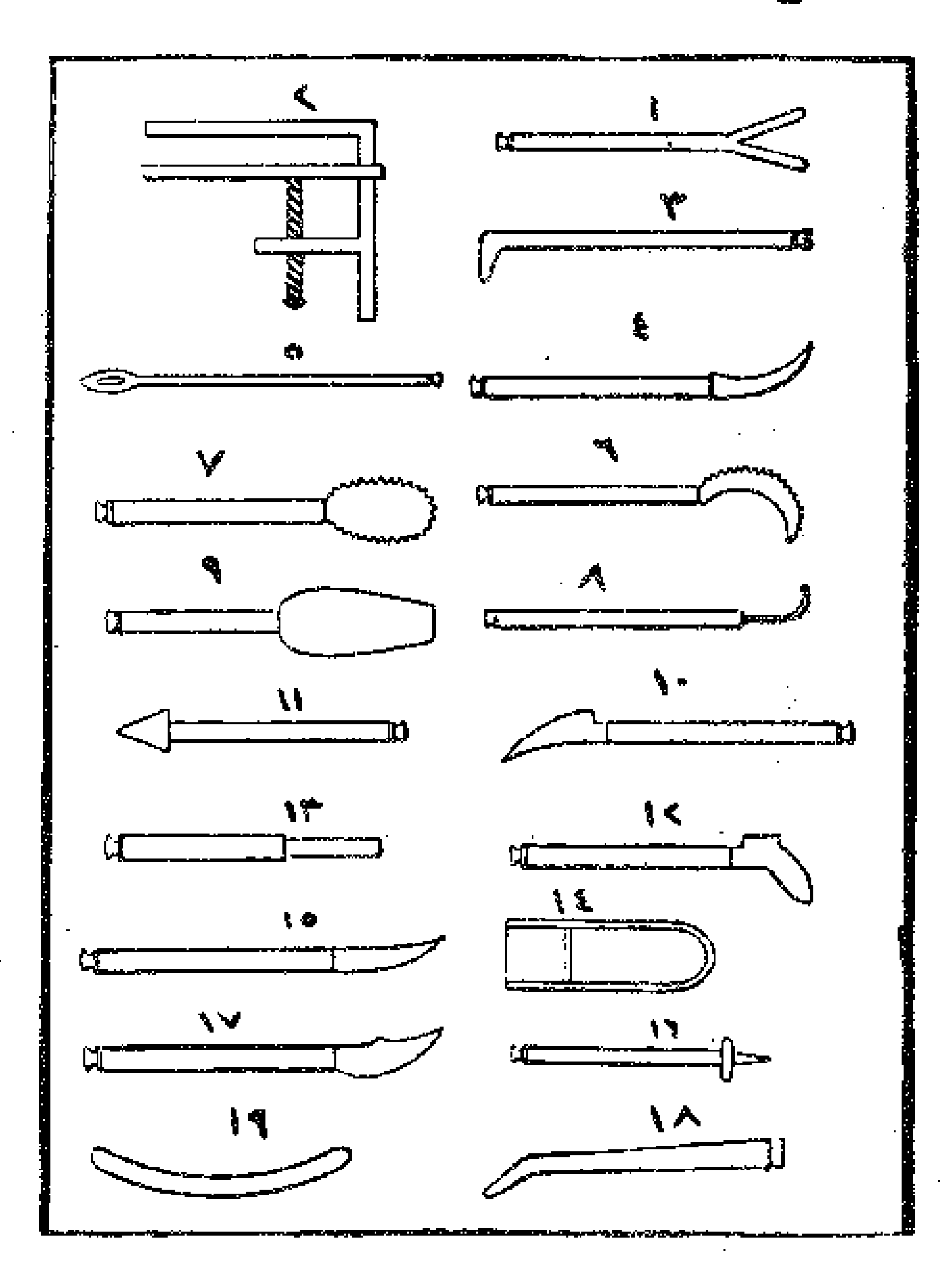
مقطع لطيف ضيق الشفرة يقطع به العظم المكسور ١٦ لوحة ٧ و ١٧ لوحة ٨.

مكبس اللسان : هي آلة مجوفة تصنع من فضة أو من نحاس تكون رقيقة كالسكين ومسطحة يكبس بها اللسان لرؤية الحلق وكشف أورامه ١١ لوحة ٤.

مكواة : هي مكواة من الحديد يبلغ طولها نحو ١٢ أو ١٥ سانتيمتر وأولها أنواع منها ، مكواة آسية : لأن كيها على شكل ورقة الآس ويكوى بها الشعر في أشفار العين والشتر ٣ لوحة ٣ ، مكواة أنبوبية : وهي على شكل أنبوب يكوى بها الأضراس وأشكالها تتعدد ٥ و ٦ لوحة ٣ و ٨ لوحة ٩ ، مكواة دائرية : يكوى بها فوق الحدبة البارزة في ابتداء الحدبة ٨ لوحة ٣ ، مكواة كسابقتها إلا أن طرفها هلالي تكوى بها الفتوق وهي درجات بحسب السن . مكواة اخرى دائرة : يكوى بها فوق المعدة تنقيطاً تحت النتوء الخنجري للقص ٨ لوحة ٣. مكواة أخرى يكوى بها الكبد ٧ لوحة ٣ . مكواة ذات شعب : ويكوى بها تنقيطاً ٥ لوحة ٣ ، مكواة ذات السكينين : تكون حادة السكينين وشبيهة بالمقدعين ونصلها حاد كالمبضع وهي لكي الشريان ١٣ لوحة ١ ، مكواة ذات السفودين : وهي مكواة عادية إلا أن بأحد طرفيها ثلاث شعب يكوى بها فوق المفصل في الخلع ٧ لوحة ١ ، مكواة زيتونية الشكل : يكوى بها في الفالج والصداع والسكات (جمع سكتة) وخلع الورك وعرق النساء ٣ لوحة ١ ، ٩ لوحة ٣ . مكواة زيتونية متوسطة ١ لوحة ١ .

مكواة سكينية : وهي نوع من السكينة كالمكاوي يقطع بها الجلد ويكوى في الوقت نفسه ٣ لوحة ١ ، ٤ لوحة ٢ مثال آخر من المكواة السابقة يكوى بها في التسلل فوق فقار الظهر ، مكواة سكينية أخرى صغيرة حدها رقيق كحد السكين تكوى بها شعرة الشفار ٥ لوحة ٢ ، مكواة اخرى : صورتها كالسكين المعوجة النصل تكوى بها أورام الساقين والقدمين ٩ لوحة ١.

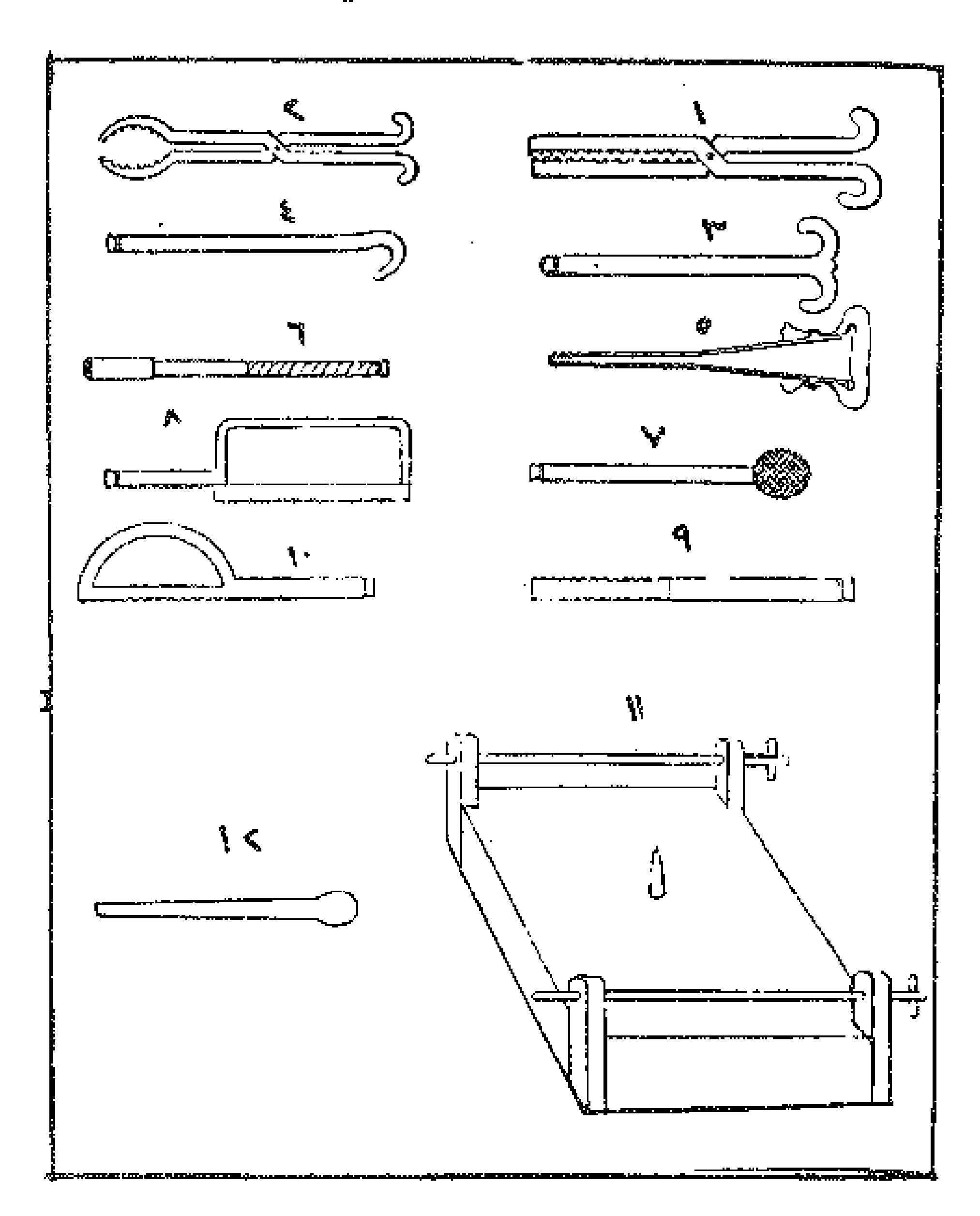
مكواة : تشبه العين أو حرف تاء اليونانية يبط بها الصفاق وهي حامية حتى تخرج الرطوبة كلها في الادرة المائية ١٩ لوحة٦ ، مكواة كالقدح : لكي الورك وهي عبارة عن قدح بقدر نصف شبر وسمك نواة ولها مقبض من حديد ١٠ لوحة ٢.



الشكل (٣٩) ، اللوحة (٨)

مكواة مجوفة . وهي كهيئة الانبوب تكوى بها النواصير العينية في ماق العين ٦ لوحة ١ ، مكواة مسمارية : لأن رأسها أو طرفها كرأس المسمار تكوى بها

بواسير المقعدة والرحم ١ ، ٢ لوحة ٢ ، مكواة مسمارية أخرى : يكوى بها في وجع الظهر ٩ لوحة ٣ ، مكواة منشارية أو مسمارية ٣ لوحة ٢ ، مكواة ميلية ، لسائر الفتوق ٨ لوحة ٣ ، مكواة تشبه الميل : تستعمل لبط خراجات



اللوحة (٩)، الشكل (٤٠)

الكبد والثآليل والشوصة ونواصير المقعدة ١٠ لوحة ١ ، مكواة تسمى النقطة وهي كالمسمارية ١ لوحة ٣ ، مكواة هلالية : وهي كالمكاوي إلا أن طرفها على

شكل هلال ويكوى بها جفن العين في استرخاء الجفن أو يكوى فوق الحاجبين ٤ لوحة ٣ ، مكواة اهليلجية : هي آلة نافعة جداً وهي صالحة لقطع الدم وللجرح اذا تعفن وهي عبارة عن قضيب من المعدن وفي طرفه قطعة معدنية ٨ لوحة ٤ .



الشكل (٤١)

أطباء لاتينيون يتدارسون كتاب أبي القاسم الزهراوي في القرن ١٦ (إسبيا)

منشار : منه ما هو صغير لنشر الضرس الذي نبت من خلف ضرس آخر او كان ملصقاً بضرس آخر ، وهو من الحديد حاد الطرف جداً ٥ لوحة ٦ ومنه منشار عظيم وله أشكال منها ٦ لوحة ٧ و ٦ ، ٧ لوحة ٨ ومنشار صغير ٨ لوحة ٩ ومنشار كبير ١٠ لوحة ٩ .

منقب : يستعمل في ناصور الانف ٢٠ لوحة ١ .

وصفوة القول لم يكن الزهراوي نابغة زمانه فحسب بل رائد فكر جديدة وموجد آلات حديثة وصاحب نظريات عظيمة في الطب ومبتكر عمليات لم يسبق أن أجراها غيره .

ومما لاشك فيه أن الزهراوي رفع شأن الجراحة وجعلها فرعا طبياً خاصاً ذا مكانة سامية بين فروع الطب ولاغرو بعد ذلك أن ينعت أبو القاسم بانه أب الجراحة وواضع أسسها الحديثة في الطب وطب الأسنان .

أسرة ابن زهر : انجبت هذه الأسرة خلال ستة أجيال متتابعة عدداً من الأطباء المشهورين في الاندلس ، اشتهر منهم الحفيد ابن زهر على أن اشتهاره بادبه اكثر من اشتهاره بطبه .



الشكل (٤٢) قابلة اندلسية

ابو العلاء ابن زهر : برز في الطب ، كان له علاجات مختارة تدل على قوته في صناعة الطب وكانت له نوادر في معرفة أحوال المرضى بمجرد النظر الى قواريرهم أو جس نبضهم وضع كتباً كثيرة في الطب .

الوزير ابو مروان بن أبي العلاء بن زهر : ولد بين سنتي ١٠٩١ و ١٠٩٤ م في اشبيلية وتوفي فيها سنة ١١٦٢ م ولم يكن في زمانه من يماثله في مزاولة صناعة الطب ، كان ابن رشد من المعجبين به وقد اثنى عليه كثيراً في كلياته ، خدم طبيباً ووزيراً في بلاط مؤسس دولة الموحدين وقد الف له الترياق السبعيني ، له من الكتب كتاب التيسير في المداواة والتدبير وهو

أول الباحثين في صوأبة الجرب ويعد أعظم سريري في الإسلام .

الحفيد ابو بكر محمد بن ابي مروان بن زهر : ولد بمدينة اشبيلية وتعلم بها ،أخذ الصناعة عن أبيه كان حافظاً للقرآن ، متعمقاً في الحديث مشتغلاً بالادب عاني عمل الشعر وله موشحات مشهورة يُغنّى بها وكانت للحفيد أخت وبنت عالمتان بصناعة الطب والمداواة ولها خبرة جيدة بامراض النساء ، توفي الحفيد عام ٥٩٠ هـ الموافق ١١٩٩ ميلادية .

أمين الدولة بن التلميذ : (١٠٧٣-١١٦٤م) :هو ابو الحسن هبة الله بن ابي العلاء صاعد ابن ابراهيم بن التلميذ كان متميزاً في صناعة الطب ومباشرة اعمالها كان رئيس البيمارستان العضدي ببغداد وكان خبيراً باللسان السرياني والفارسي، متبحراً في اللغة العربية وله شعر مستظرف .وكان أمين الدولة بن التلميذ حسن العشرة كريم الاخلاق ومن مروّته أنه كان ينقل الفقيه إذا مرض الى داره ويقوم عليه الى تمام شفائه وكان لايقبل عطية ،لا من خليفة ولا من سلطان وقد عهد اليه بامتحان الاطباء واجازة من يستحق الاجازة منهم وكان الشعراء يشكون اليه مرضهم شعرا ويجيبهم كذلك وكان يعاصر امين الدولة ابو البركات وكان يدس عليه حسداً اذ كان ابن التلميذ اكثر تبصرة في صناعة الطب وأوفر عقلا وأخيَر طباعاً توفي ببغداد وخلف نعما كثيرة وكتباً لانظير لها في الجودة ومن أشهر مؤلفاته اقراباذينه المشهور والمقالة الامينية في الادوية البيمارستانية

ابن طفيل[1] : توفي سنة ١١٨٥ م ولد ابو بكر محمد بن عبد الملك بن محمد ابن الطفيل القيسي في أوائل القرن الثاني عشر الميلاد في وادي آش وهي مدينة

---

١ - انظر للتوسع رسالتنا عن ابن طفيل المطبوعة في مطبعة جامعة دمشق ١٩٦٢ التي أعدت بمناسبة الاحتفال بذكراه .

واقعة الى الشمال الشرقي من غرناطة ، ذكره من مؤرخي العرب لسان الدين بن الخطيب في كتابه ، مركز الاحاطة بأدباء غرناطة والمراكشي في كتابه ، المعجب في تلخيص أخبار المغرب ، وابن خلكان ، في كتابه وفيات الاعيان. ويستفاد من أقوالهم ان ابن الطفيل كان عالماً واسع العلم عارفاً بالفلك والرياضيات والطب كما كان أديباً شاعراً ذا أسلوب رشيق وتعبير رقيق قرأ العلم على جماعة



الشكل (٤٣)

صورة قصور الحمراء المطلة على غرناطة

من أهل الحكمة ودرس الطب في غرناطة فذاع صيته فيها ثم التحق بحاكم سبتة وطنجة فبدأ نجمه يتألق وشهرته تتسع ثم اتصل بأبي يعقوب يوسف عبد المؤمن صاحب المغرب الذي كان محباً للعلم ، ميالاً للفلسفة ، مطلعاً على الطب ، وصحبه حتى صار طبيبه الخاص ووزيره ، وكان من نتيجة الصلة بين أبي يعقوب وابن

الطفيل ان جمع هذا الأخير في بلاط عبد المؤمن كثيراً من العلماء ، منهم حكيم الأندلس ابن رشد وقد جعل هؤلاء العلماء قصر الخليفة بما فيه من ذخائر العلم مجمعاً يتألق منه نور العلم . كان الخليفةابو يعقوب طالب ابن الطفيل بشرح كتب ارسطو ولكن كثرة اشتغاله اضطرته ان يحيل هذا الطلب الى ابن رشد وان يخاطبه بقوله : ان كبر سني واشتغالي بخدمة امير المؤمنين وصرف عنايتي بشؤون الدولة ، كل ذلك يمنعني من الاقدام على هذا الأمر فعليك به .

وقد بقي ابن الطفيل في خدمة ابي يعقوب الى حين وفاته سنة ١١٨٢ م ثم لما قام بعده بالحكم ولده ابو يوسف يعقوب الملقب بالمنصور ، مكث ابن الطفيل في خدمته ، وكان المنصور محباً للحكمة كابيه ، رفع منار العلم ونصب ميزان العدل فأظهر أبهة الملك في المغرب ، وقد أحب المنصور ابن الطفيل وزير أبيه ، وأبقاه في خدمته الى انمات في مراكشسنة ١١٨٥ م ، فاحتفل بدفنه احتفالاً مهيباً ، وسار السلطان ابو يوسف يعقوب نفسه فيجنازته . وزبدة القول إنابن الطفيل كان شاعراً ، طبيباً ، فلكياً وفيلسوفاً ، اشتهر امره وطار صيته بقصته حي بن يقظان .

لقد اهمل ابن ابي اصيبعة البحث عنه كطبيب الا في عبارة عابرة وردت في ترجمة ابن رشد وفيها ذكر لكتاب عنوانه مراجعات ومباحثات بينابن الطفيل وابن رشد ، على ان لسان الدين الخطيب ذكر في كتابه مركز الاحاطة بأدباء غرناطة ان ابن الطفيل وضع كتابين في الطب ربما كان أحدهما محادثاته مع ابن رشد وكانت ارجوزته في الطب ثانيها . ولم يعرف له غيرذلك من مؤلفاتطبية ، على ان مكانة ابن الطفيل العلمية وخبرته الطبية واختصاص امير المؤمنين بهطبيباً خاصاً مدة تزيد عن خمس عشرة سنة يدعونا الى عده بين كبار أطباء زمانه . اما قلة مؤلفاته في الطب فنعزوها الى احد امور ثلاثة ، أولها : ان اعمال الدولة

واختصاصه بتطبيب امير المؤمنين شغله عن التأليف ، ثانيها : اعتقاده ان الكتب الموضوعة في الطب تفي الغرض بالنسبة الى زمنه . ثالثها : ان لابن طفيل كتباً في الطب ذهبت فيما ذهب من الكتب التي احترقت في زمن المنصور .

هذا ويطيب لنا ان ننهي البحث عن طب ابن الطفيل بذكر نتائجنا لتقصي طبه من قصته حي بن يقظان .

لقد رأينا في أقوال ابن طفيل على لسان حي بن يقظان ، ما يدل على :

١ ـ قوله بإمكان نشوء الحياة بالتولد الذاتي والتطور في بدء الخلق فيكون بذلك من رواد العلماء القائلين بنظرية النشوء والارتقاء قبل داروين بمئات السنين .

٢ ـ قوله باستمرار الحياة وخلودها بالبزر والتوالد والتناسل .

٣ ـ سعيه الى البحث في اسرار التخلق في الجنين .

٤ ـ حسن رأيه في تغذية الأطفال .

٥ ـ سعة اطلاعه في تدرج النماء الجسماني والنفساني في الطفل وتولد الإدراك والتمييز فيه .

٦ ـ ارشاده وتوجيهه الى البحث في التشريح والفسيولوجيا والباتولوجيا .

٧ ـ اعتباره توزع الدم واستمرار أكسدته عاملين أساسيين في بقاء الحياة في الحيوان .

٨ ـ توجيهه الى البحث في التشريح المقارن والفسيولوجيا المقارنة والى الكشف عن أسباب تعطل الحياة .

٩ ـ قوله بأحكام ارتباط اعضاء الجسم بعضها ببعض .

١٠ ـ عمق بحثه عن الحياة في الحيوان والنبات وخصائصها في كل منها .

١١ ـ رأيه فيما يميز الحيوان من النبات .

١٢ – روعة تعريفه للتغذي وبلاغة تعبيره في الافصاح عن التمثل – المشابهة – كما يعبّر عنه .

١٣ – إبداعه في شرح النمو وتقسيم مظاهر الحياة الى نفس نباتية – حياة نباتية مشتركة بين الانسان والحيوان – ونفس حيوانية – حياة حيوانية – يختص بها الحيوان .

١٤ – حسن تصنيفه الأغذية بالنسبة لأثرها في تخليد الحياة .

١٥ – روعة مذهبه في الغذاء الداعي الى محاولة احترام كوامن تخليد الحياة أنّى وجدت وما أمكن ذلك .

أبو الوليد محمد بن احمد بن رشد : (١١٢٦ ١١٩٨ م) فقيه وطبيب وفلكي وفيلسوف ، صديق ابن طفيل الحكيم ، مولده ومنشؤه بقرطبة ، يمت بنسبه الى أسرة عريقة ، أنجبت عدداً من الفقهاء والقضاة وقد تولى هو نفسه القضاء على إشبيلية من سنة ١١٦٦ الى سنة ١١٧٠ وبعد ذلك تولى القضاء على قرطبة ، مشهور بالفضل ، معتن بتحصيل العلوم أوحد في علم الفقه والخلاف ، اشتغل على الفقيه الحافظ ابي محمد بن رزق وكان ايضاً متميزاً في علم الطب وهو جيد التصنيف ، حسن المعاني له في الطب كتاب الكليات وقد أجاد في تأليفه وبين فيه ان الجدري لا يصيب المرتين كما وصف أيضاً عمل شبكية العين ولما ألف كتابه هذا في الأمور الكلية ، قصد ابن زهر أن يؤلف كتاباً في الأمور الجزئية ليكون منهما كتاب كامل في صناعة الطب . كان القاضي ابو الوليد بن رشد حسن الرأي ذكياً ، قوي النفس وكان قد اشتغل بالتعاليم وبالطب على أبي جعفر بن هارون ولازمه مدة وأخذ عنه كثيراً من العلوم الحكمية وكان ابن رشد مقيماً في اشبيلية قبل قرطبة وكان مكيناً عند المنصور ، وجيهاً في دولته وكذلك أيضاً كان ولده الناصر يحترمه كثيراً وفي سنة ١١٨٢ استدعاه الى مراكش

ابو يعقوب يوسف ليكون طبيب البلاط بدلاً ، من ابن طفيل وكان المنصور كثير الاحترام لابن رشد ، وقد صادف ان قامت فئة مغرضة أتهمت ابن رشد بالمروق من الدين بسبب دروسه في الفلسفة فنقم عليه المنصور وأمره ان يقيم في اليسانة وهي بلد قريب من قرطبة وان لا يخرج عنها ونقم أيضاً على جماعة من الفضلاء الأعيان وأمر أن يكونوا في مواضع أخرى ثم ان جماعة من الأعيان باشبيلية شهدوا لابن رشد أنه على غير ما نسب اليه فرضي المنصور عنه وعن سائر الجماعة وذلك في سنة خمس وتسعين وخمسمائة هـ ثم استدعاه الى وظيفته في مراكش حيث توفي بعد ذلك بأمد يسير في العاشر من كانون الاول ١١٩٨م ولا يزال قبره ظاهراً هناك . خلف ابن رشد ولدا طبيباً عالماً بالصناعة يقال له ابو محمد عبد الله وأنجب ايضاً اولاداً اشتغلوا بالفقه . اشتهر ابن رشد بطبه كما عرف بفلسفته وشروحه ويعد كتابه تهافت التهافت أهم كتبه الفلسفية واما مكانته العالمية فقائمة على شروحه لأرسطو وجالينوس وأكثر شروح ابن رشد محفوظة في ترجمات عبرانية او لاتينية منقولة عن العبرانية ولم يبق منها في العربية الا القليل وقد عرف ابن رشد في الغرب بالشارح كما عرف أرسطو بالمعلم ، وظلت فلسفة ابن رشد مسيطرة على عالم الفكر من أواخر القرن الثاني عشر ميلادي حتى آخر القرن السادس عشر (م) وذلك برغم المعاكسة التي ناهضته من قبل رجال الدين مع انه كان عدواً الالحاد ، مناصراً للايمان ، ومن كلام ابي الوليد ابن رشد قوله : من اشتغل بعلم التشريح ازداد ايماناً ، لقد كانت كتب ابن رشد تدرس في جامعات باريس وسواها من معاهد العلم العالية في العواصم الغربية ، وقد ظلت الحركة الفكرية التي بدأها ابن رشد ، عاملاً حياً في الفكر الأوروبي حتى مولد العلم الحديث وله من الكتب الطبية شرح الأرجوزة المنسوبة الى الشيخ الرئيس ابن سينا في الطب وكتاب الحيوان وغير ذلك من كتب .

موسى ابن ميمون بن عبد الله القرطبي : (١١٣٥ – ١٢٠٤م) ولد في قرطبة ثم غادر اسبانيا الى فاس سنة ١١٥٨ ، ثم الى عكا ثم الى القاهرة فاستقر فيها سنة ١١٦٥ واشتغل بالطب فاشتهر امره فيه وما لبث ان صار طبيب صلاح الدين الأيوبي ثم طبيب الملك الأفضل ونور الدين ، توفي سنة ١٢٠٤ ودفن في طبرية اشتغل في علوم الفلسفة والطب والفلك والدين ، اما شهرته فلم تأته من الطب ولكن من محاولته التوفيق بين الاعتقاد والبرهان وبين الدين والعلم وقد حوى كتابه المسمى دلالة الحائرين نظريات في تقريب الفلسفة اليونانية والعربية من التعاليم الدينية فلم ترق للكثيرين لذلك سموا كتابه ضلالة الحائرين وهو في الفلسفة تلميذ لابن رشد وناقل للكثير من آراء جالينوس ومنها كتاب مختصر الطب لجالينوس ومنها تعليق على اقوال بقراط ومنها مقالة في البواسير ومقالة في الجماع ومقالة في الربو ومنها كتاب في السموم والتحرز من الأدوية القتالة ، ومقالة في تدبير الصحة تعرف باسم الرسالة الافضلية نسبة للملك الأفضل تبحث عن الغذاء والحمية والدواء ومقالة في بيان الأعراض وكتاب شرح العقار .

خلف موسى بن ميمون ولدا اشتهر بصناعة الطب ، خدم الملك الكامل محمد بن ابي بكر بن ايوب ، عالج المرضى في بيمارستان القاهرة واشترك معه في ذلك ابن ابي اصيبعة وكانت وفاة ابراهيم بن الرئيس موسى بمصر سنة ٦٣٠ هـ . قيل أن الرئيس موسى كان أسلم في المغرب وحفظ القرآن واشتغل بالفقه ثم انه لما توجه الى الديار المصرية واقام بفسطاط ارتد ، ويقال أن ريكادوس ملك الانكليز الملقب بقلب الأسد عرض عليه ان يدخل في خدمته ، توسع في ترجمة ابن ميمون مايرهوف وسعى الى نشر كتبه المبحوث عنها ، وقد ذكره معاصره عبد اللطيف البغدادي في كتابه المسمى الافادة والاعتبار في الامور المشاهدة والحوادث المعاينة بأرض مصر حيث قال وكان قصدي في مصر ثلاث أنفس :

ياسين السيميائي والرئيس ابن ميمون وابو القاسم الشارعي وكلهم جاؤني امايا سين فوجدته مشعبذاً واما موسى فوجدته فاضلاً لا في الغاية، قدغلب عليه حب الرياسة وخدمة ارباب الدنيا وقال عن كتابـــه دلالة الحائرين انه كتاب سوء يفصل اصول الشرائع والعقائد بما يُظهر انه يصلحها واما ابو القاسم الشارعي فوجدت سيرته سيرة الحكماء العقلاء وكذا صورته[1] .

عبد اللطيف البغدادي الشيخ موفق الدين ١١٦٢ – ١٢٣١ م : موصلي الأصل بغدادي المولد ولد في بغداد سنة ١١٦٢ م كان مشهوراً بالعلوم متميزاً في اللغة العربية عارفاً بعلم الكلام والطب. قدم الى دمشق واجتمع بعلمائها وناقشهم وناظرهم ثم توجه الى عكا فاتصل ببهاء الدين بن شداد قاضي العسكر بها وقد وصفه بقوله رأيته شيخاً ضئيلاً كله رأس وقلب وهو يكتب ويملي على اثنين ووجهه وشفتاه تلعب ألوان الحركات لقوة حرصه في اخراج الكلام وكأنه يكتب بجملة أعضائه . قصد البغدادي بعد ذلك القاهرة فأقام فيها وكان له فيها الراتب والجرايات من اولاد الملك الناصر صلاح الدين ثم اصيبت مصر بالغلاء العظيم الذي لم يشاهد مثله فألف الشيخ موفق الدين في ذلك كتاباً ذكر فيه أشياء شاهدهـا او سمعها ممن عاينها تذهل العقل وسمى ذلك الكتاب كتاب الافادة والاعتبـــار في الامور المشاهدة والحوادث المعاينة بأرض مصر ثم توجه الى القدس واقام بها مدة وكان يتردد الى الجامع الأقصى ويشتغل الناس عليه بكثير من العلوم وصنف هنـالك كتباً كثيرة ثم انه توجه الى دمشق ونزل بالمدرسة العزيزية وذلك في سنة ٦٠٤هـ وشرع في التدريس والاشتغال وكان يأتيه خلق كثيرون يشتغلون عليه وتميز في

---

١ – قال القاضي السعيد بن سناء الملك مادحاً الرئيس موسى :

اری طب جالینوس للجسم وحده   وطب ابي عمران للعقـل والجسم

فلو انـه طب الزمـان بعلمه   لأبراه من داء الجهالة بالعلم

صناعة الطب بدمشق وصنف في هذا الفن كتباً كثيرة ثم سافر الى حلب وقصد بلاد الروم واقام بها سنين كثيرة ثم عاد الى حلب حيث اشتغل بتدريس صناعة الطب وغيرها . ولموفق الدين عبد اللطيف البغدادي كتب كثيرة منها كتاب غريب الحديث ، كتاب الألف واللام ، شرح أربعين حديثاً طبية ، كتاب قيسة العجلان ، اختصار النبات ، كتاب الفصول ، اختصار كتاب الجنين ، اختصار كتاب الصوت ، كتاب في آلات التنفس وافعالها ، مقالة في قسمة الحميات ، كتاب اخبار مصر الكبير ، كتاب اخبار مصر الصغير ، مقالة في العطش ، مقالة في الماء ، مقالة في البادىء بصناعة الطب ، مقالة في شفاء الضد بالضد ، مقالة في ديابيطس والأدوية النافعة منه ، مقالة في الرواند ، مقالة في البحران ، اختصار كتاب الأدوية المفردة لابن وافد ، كتاب كبير في الأدوية المفردة ، مختصر في الحميات ، كتاب الكفاية في التشريح ، مقالة يرد فيها على كتاب علي ابن رضوان المصري ، مقالة في الحواس ، مقالة في الكلمة والكلام ، حواش على كتاب البرهان للفارابي ، مقالة في موازنة الأدوية والأدواء ، مقالة في حد الطب ، كتاب النصيحتين للأطباء والحكماء .

رشيد الدين بن الصوري :[1] (١١٨٧ – ١٢٤١) هو ابو المنصور بن أبي الفضل بن علي الصوري كان اوحداً في معرفة الأدوية المفردة وماهياتها وتحقيق خواصها . مولده في سنة ٥٧٣ هـ بمدينة صور ، بها نشأ ثم انتقل منها الى القدس فأقام فيها سنين يطبب في مارستانها ، خدم بالطب الملك العادل ولما توجه الى مصر استصحب رشيد الدين معه وبقي في خدمته وخدمة ولده من بعده ، وكان له مجلس للطب والجماعة يترددون اليه ويشتغلون بالصناعة الطبية عليه وحرر أدوية الترياق الكبير توفي يوم الأحد اول شهر رجب سنة تسع وثلاثين وستمائة هـ و ١٢٤١ م

---

١ – طلبت منظمة اليونسكو من جامعة دمشق تزويدها بمعلومات عن علماء العرب فعهدت الينا كلية العلوم بتقديم بحث مكتوب باللغة الفرنسية فاخترنا الصوري وقدمنا بحثاً عنه ليأخذ طريقه الى وزارة التربية فاليونسكو .

بدمشق وله من الكتب كتاب الأدوية المفردة ذكر فيه أدوية اطلع على معرفتها ومنافعها لم يذكرها المتقدمون وكان يستصحب مصوراً ومعه الأصباغ والليق على اختلافها وتنوعها فكان يتوجه رشيد الدين بن الصوري الى المواضع التي بها النبات مثل جبل لبنان وغيره من المواضع التي قد اختص كل منها بشيء من النبات



صورة تشير الى نبات طبي وطريقة تحضير العلاج

الشكل (٤٤)

ويحققه ويريه المصور فيعتبر لونه ومقدار ورقه واصوله ويصوره بحسبها ويجتهد في محاكاتها ثم انه سلك في تصوير النبات مسلكاً مفيداً وذلك أنه كان يُري النبات للمصور في ابان نباتـــه وطراوته فيصوره ثم يريه ايضاً وقت كماله وظهور بزره

فيصوره تلو ذلك ثم يريه اياه ايضاً في وقت ذوواه ويبسه فيصوره فيكون النبات الواحد يشاهده الناظر اليه في الكتاب وهو على انماه ما يمكن ان يراه به في الأرض فيكون تحقيقه له أتم ومعرفته له أبين وله ايضاً تعاليق وفوائد طبية كثيرة.

ضياء الدين البيطار : وفاته ١٢٤٨ م يعرف بابن البيطار، علاّمة وقته في معرفة النبات، سافر الى بلاد كثيرة باحثاً فيها عن النباتات فكان يجمعها ويبحث فيهـــا ويحقق في خواصها ومفعولها واجتمع في ايطاليا واليونان بعلماء الفرنج وباحثهم في النباتات والأعشاب ، دخل في خدمة الملك الكامل محمد بن ابي بكر ابن ايوب فوثق به واعتمد عليه في المسائل الطبية والأدوية وجعله رئيساً على سائر العشابين ثم استصحبه الملك الكامل في رحلته الى الديار الشامية حيث التقى بابن ابي اصيبعة فأدهشه وأعجبه ومما قاله عنه رأيت من حسن عشرتـــه وكمال مروءته وغزارة علمه ودرايته مايفوق الوصف ، وقد وضع كتباً كثيرة ، كان من أشهرها : كتاب الجامع في الادوية المفردة وهو معجم طبي علاجي رتب على الأحرف الهجائية اعتمد في مواده على مؤلفي الروم والعرب وتجاربه الخاصـة وصف فيه أكثر من ١٤٠٠ دواء وقد تضمنت هذه الأدوية عـدداً كبيراً من أدوية كشفها هو بنفسه لايقل عددها عن ٣٠٠ دواء ومنها كتاب المغني في الأدوية المفردة ويعرف بمفردات ابن البيطار وهو بحث مختصر في الأدوية ومرتب بحسب مداواة الاعضاء المريضة ومؤلف بالنظر لاستعمالها في الطب ويعتبر تذكرة مختصرة للكتاب السابق . لم يبلغ ابن البيطار من المكانة ما بلغه الرازي وابن سينـــا والزهراوي ، لا لأنه اقل منهم كفاءة وخبرة بل لان الغرب كان قد بدأت نهضته فقل اخذه من علماء العرب. توفي في دمشق .

ابن ابي اصيبعة (١٢٠٣ــ١٢٦٩ م) : هو أبو العباس احمد بن قاسم بن خليفة موفق الدين الخزرجي ، المعروف بابن ابي اصيبعـــة ، ولد في دمشق ،

ودرس الطب على مشهوري اطبائها في اواسط القرن السابع الهجري (الثالث عشر ميلادي) واضحى من علماء هذا القرن . مارس طب العيون حيناً في القاهرة ، ولكنه قضى القسم الاكبر من عمره في خدمة امير صلخد في حوران ، وتوفي فيها عام ٦٦٨ هـ ، وقد كان شاعراً مجيداً . واما كتابه عيون الانبـــاء في طبقات الاطباء فقد وضعه عام ٦٤٣ هـ في دمشق وقدم نسخة منه مكتوبة بخط جميل الى الوزير امين الدولة وزير الملك الصالح ابن الملك العادل ، وهو كتاب فريد من نوعه ، وما فتىء مؤلفه ينقحه ويصححه ويزيد فيه حتى توفاه الله ، فكان بلا منازع خير كتبنا التي سجلت تاريخ الاطباء ، وقد استند ابن ابي اصيبعة في كتابه الى معلومات من سبقه من المؤرخين والاطباء والى ماسمعه واختبره بنفسه ، والقسم الاكبر من الكتاب مستمد من معلوماته الخاصة ، ومن معلومات والده وعمه اللذين كانا من الاطباء المعروفين ، ولهما اصدقاء عديدون من اطباء العراق ومصر وسورية ، وصف ابن أبي اصيبعة في هذا الكتاب المؤلف من جزئين حياة ٤٠٠ طبيب ونيف وتآليفهم ، وضمّنه كثيراً من المعلومات عن العلوم الاخرى وعن الأدب والشعر فهو لايلقي بذلك نورا وضاحا على تاريخ القرون الهجرية الـ ٥ والـ ٦ والـ ٧ وهي القرون الميلادية الـ ١١ والـ ١٢ والـ ١٣ وطيلة عهـــد الصليبيين في الشرق الادنى ، فحسب بل على تاريخ الطب منذ اقدم العصور حتى زمانه وقد استهل الكتاب بمقدمة فلسفية دينية واخلاقية واجتماعية بحث فيها عن مكانة الطب قال فيها : الحمد لله باريء النسيم ومُبرىء السقيم ، مقدر الادواء ، ومنزل الدواء ، وبعد فانه لما كانت صناعة الطب من أشرف الصنائع ، وقد ورد تفصيلها في الكتب الإلهية والأوامر الشرعية حتى جُعل علم الابدان قريناً لعلم الاديان وقد قالت الحكماء : أن المطالب نوعان خير ولذة وهذان الشيئان انما يتم حصولها للانسان بوجود الصحة وذلك انما يتم بالصناعة الطبية لانها حافظة للصحة الموجودة ، ورادة للصحة المفقودة ، فوجب اذ كانت صناعة الطب من الشرف

بهذا المكان ، بوعموم الحاجة اليه داعية في كل وقت وزمان أن يكون الاعتناء بها أشد ، والرغبة في تحصيل قوانينها الكلية والجزئية آكد وأجد ، وانه لما كان قد ورد كثير من المشتغلين بها منذ اول ظهورها وكان فيهم جماعة من أكابر أهل هذه الصناعة واولي النظر فيها والبراعة ، ممن شهدت بذلك مصنفاتهم ، ودلت عليه مؤلفاتهم ولم أجد لأحد من اربابها كتابا جامعاً في معرفة طبقاتهم وضعت كتابي هذا وأودعته ايضاً نبذاً من اقوالهم وحكاياتهم ونوادرهم ومحاوراتهم وذكر شيء من اسماء كتبهم ليستدل بذلك على ماخصهم الله تعالى به من العلم وحباهم به من جودة القريحة والفهم ، فان كثيراً منهم وان قدمت أزمانهم فان لهم علينا من النعم فيما وصفوه ، والمنن فيما قد جمعوه في كتبهم من علم هذه الصناعة ووضعوه ماهو تفضل المعلم على تلميذه وقد أودعت هذا الكتاب ايضاً ذكر جماعة من الحكماء والفلاسفة ممن لهم نظر وعناية بصناعة الطب وسميته كتاب عيون الانباء في طبقات الاطباء ومن الله تعالى استمد التوفيق والمعونة ، ثم تناول بعدها الحديث عن اطباء اليونان وحكمائهم وفلسفتهم وتآليفهم واستوسل في الكلام عن ابقراط وجالينوس وبحث عن الاطباء الذين كانوا زمن جالينوس او قريباً من زمنه ثم اخذ يذكر طبقـــات الاطباء الذين كانوا في أول ظهور الاسلام ثم في زمن الامويين والعباسيين وقد أفرد باباً خاصاً للذين نقلوا الطب من اللسان اليوناني ، كما وقف وقفات موفقة على كل الاطباء الذين ظهروا في الجزيرة وديار بكر وفي بلاد فارس والهند والشام ومصر والمغرب ، والكتاب ثمين ووحيد في بابه ، يمد بالمعلومات الوافية عن اطباء العرب ، كما يزود بمعلومات مفيدة عن الطب والعلم اليوناني ، والعلم اليوناني الروماني ايضاً ، كما يشير الى مبلغ تأثير التفكير اليوناني في الفكر العربي لا في حقل الطب وعلومه فقط بل وفي حقول الفلسفة والمنطق والفلك والرياضيات والموسيقى ، فهو في الحق معلمة ، والحديث فيه مقتضب عن بعض الاطباء ومسهب عن البعض الآخر ، ولكنه مستوف فيما يتصل بالمؤلفات ،

وكان الفضل في اخراج هذا الكتاب للناس للمستشرق الكبير ماكس مولر ، طبعه في مصر عام ١٣٠٠ هـ - ١٨٨٣ م باسم مستعار هو الشيخ امرؤ القيس ابن الطمحان، وقد استخرجه وضبطه وقابل بين نسخه الخطية التي تيسر له الرجوع اليها ، فكان في جزئين وبلغ مجموع صحائفه حوالي ٧٣٠ صفحة . ولا بد اخيراً من القول ان اكثر مانعرفه عن تاريخ الطب العام وتاريخ الاطباء في الاسلام يعود الفضل فيه الى المؤلفات العربية ، فقد ارخ علماء العرب انفسهم العلوم ، ومنها العلوم الطبية ووجد من اقدم الازمان من اعتنى بتراجم الاطباء وبذكر طبقاتهم ومؤلفاتهم ، كما فعل ابن النديم في الفهرس ، وابن القفطي في تاريخ الحكماء ، وابن خلكان في وفيات الاعيان وابن جلجل وغيرهم . ولعل احفل الكتب التي وضعت في تاريخ الطب والاطباء قبل الاسلام وبعده ، واجمعها لشتات ماتبعثر في الكتب الكثيرة عن حكماء القدماء وعلماء العرب والاسلام ، وعن سيرة الطب في مختلف العصور هو كتاب عيون الانباء في طبقات الاطباء ، لابن ابي اصيبعة لذلك كان الكتاب المذكور المرجع الذي اضطر كل مؤرخ للطب ان يرجع اليه وينقل عنه .

ابو الفرج بن القف : مولده بالكرك في يوم السبت ثالث عشر ذي القعدة سنة ثلاثين وستمائة كان والده علامة في نقل التواريخ والأخبار ، متميزاً في علم العربية ، فاضلا في الفنون الأدبية كان في أيام الملك الناصر يوسف بن محمد كاتباً بصرخد وكان ولده هذا أبو الفرج تتبين فيه النجابة من صغره حسن السمت وافر الذكاء محباً لسيرة العلماء انتقل أبوه لدمشق وخدم بها في الديوان السامي فسار ولده معه ولازم جماعة من الفضلاء وقرأ في صناعة الطب وخدم بطبه في قلعة عجلون وأقام بها عدة سنين ثم عاد الى دمشق وخدم في قلعتها

المحروسة لمعالجة المرضى وهو سديد في أفعاله وله من الكتب كتاب الشافي في الطب ، شرح الكليات من كتاب القانون لابن سينا ، شرح الفصول ، مقالة في حفظ الصحة ، كتاب العمدة في صناعة الجراح مشتمل على عشرين مقالة، علم وعمل يذكر فيه جميع مايحتاج اليه الجرائحي توفي في جمادى الأول سنة خمس وثمانين وستمائة هـ

ابن نفيس الدمشقي : (١٢١٠–١٢٨٨ م) : ولد في دمشق وتعلم فيها العلوم الابتدائية ثم اتقن العلوم الطبية على مهذب الدين الدخوار ، توجه بعدئذ الى القاهرة وتسلم ادارة البيمارستان المنصوري وصار عميداً للمدرسة الطبية فيه ، قيل فيه انه لم يكن في الطب على وجه الأرض مثله في زمانه وكان في العلاج أعظم من ابن سينا وكان في اللغة بارعاً وفي الحديث والفقه حجة ، عاصر ابن أبي اصيبعة وكان يعمل معه في القاهرة والغريب ان ابن اصيبعة لم يذكره في طبقات الأطباء مع أنهما زميلا دراسة وعمل ،وقد وقف دارته الجميلة ومكتبته النفيسة على المستشفى المنصوري ، مؤلفاته كثيرة أهمها : كتاب في التوحيد : سماه الرجل الكامل رد به على رسالة حي بن يقظان لابن سينا ، وعرف له عشرة مؤلفات في موضوعات طبية مختلفة منها ، الكتاب الشامل في الطب ويعتبر أكبر موسوعة طبية قدر عدد مجلداتها بثلاث مئة مجلد وموجز القانون وقداوجز فيه قانون ابن سينا وشرح قانون ابن سينا وقد انتقد فيه اقوال ابن سينا خاصة فيما يتعلق بوصف العروق الموصلة بين الرئة والقلب ووظائفها ووظيفة الرئتين وتعرض فيه الى الدوران الرئوي ، ويمكن القول ان ابن النفيس كان من بين العلماء القلائل الذين كانت لهم الخبرة الكافية لانتقاد الآراء المغلوطة التي قال بها جالينوس او ابن سينا ، وقد كان ابن نفيس أول من وصف الدورة الدموية واشار الى الحويصلات الرئوية وقد كرر ابن نفيس تعاليمه في الدورة

الدموية الصغرى في خمسة مواضع مما يدل على أنه فهمها فهما لايشوبه شك أو التباس لذلك يعد ابن نفيس أول من اكتشف الدورة الدموية الصغرى وشرح تركيب الرئة والاوعية الشعرية التي بين الشرايين والأوردة الرئوية [illegible]
ذا [illegible] ماه الايطاليين بثلاثة قرون كما وصف عروق القلب الاكليلية [illegible] بحثه عن تغذي عضلة القلب وانه لمما يذهل ان ينقل ميشل سرفة كلمات ابن نفيس فيعزوها لنفسه فيُعتبر بعدها مكتشف الدورة الدموية الصغرى مع أن كاشفها الحقيقي هو ابن نفيس كما اثبت ذلك الأطباء والاساتذة شحادة وحداد وبينه وهوبين ومايرهوف وغيرهم .

تنظيم الاسعاف الطبي وتعليم الطب ومشافيه عند العرب
ومميزات الطب عند العرب

أ ـ الاسعاف الطبي : ان اقامة دور للبائسين ومآوى للضعفاء واصحاب العاهات والزمانات ، من أمارات الحضارة ودلائل ارتقاء الانسان في رقة الشعور والعطف على من خانتهم الطبيعة وفي سيرة خلفاء الاسلام ورجاله مايبين سمو المرتبة التي ارتفع اليها تفكيرهم في الحدب على ضعف الانسان روى البلاذري أن عمر ابن الخطاب رضي الله عنه مر عند مقدمه دمشق بمجذّمين من النصارى فأمر أن يعطوا من الصدقات ووقف عثمان بن عفان محلة سلوان في ربض القدس على ضعفاء البلد .

ولقد أوجد الوليد بن عبد الملك مع أبيه امبراطورية عربية امتدت من جبال البرانس الى الصين تمتعت بنهضة علمية عظيمة ، ونظم اجتماعية طبية غايةفي الانسانية . لقد تجلت النهضة العلمية في زمن الوليد باشادة المدارس وتعميم العلم

وقيمو سبه لكل طالب ، في كل قطر من الاقطار التابعة لملكه وباحترامه العلماء واعلاء مكانتهم وتشجيعهم على البحث والحرية في ابداء الرأي وكانت له عناية خاصة بالطب فاوجد عدداً كبيراً من المشافي التي تعلم الطب كما أمر بمعالجة المرضى في المشافي على نفقة بيت المال وجعل الدخول اليها مباحاً لكل مريض، فقيراً كان أم غنياً ، مواطناً أم غريباً . وعني عناية خاصة بالمقعدين والزمنين، كان الوليد أول من اتخذ المستشفيات الخاصة في صدر الاسلام ، قال ابن عساكر كان الوليد عند اهل دمشق من أفضل خلفائهم كان يعطي اكياس الدراهم لتفرق على الصالحين . لقد خصص الوليد لكل مقعد فقير معينا يساعده على تأمين مصالحه الحيوية واقتطع له من المال مايكفي لعيشه وكذلك عامل العميان فعين لكل منهم دليلا يرشده الى سلوك الطرق وارتياد الاندية ووجه عناية خاصة للمجذومين وفرز لهم نفقات من بيت المال وقطع لهم من الأرزاق مايكفي حاجتهم وجعل لكل مجذوم يبدي مرضه بعض الخبث خادماً يقوم على خدمته وأشاد مستشفى خاصاً بهم فكان بذلك أول من اتخذ المستشفيات الخاصة في صدر الاسلام فانه أقام في دمشق مستشفى [1] للمجذومين ، ذلك لأن في ماء دمشق خاصية دفع الجذام من اصلها واذا حل الغريب المصاب بها تكسرت عنه عادية مرضه وكان ذلك بين سنة ٧٠٥ و ٧١٥م. لم تكن مجذمة الوليد كالمجاذم المعروفة في ذلك الزمن شبيهة بالسجن بل كانت قصراً منيفاً محاطاً برياض غناء يسلو بها المريض عن اصابته ويحسن فيها اليه احساناً كبيراً . وقد جرت منذ ذلك الحين عادة طريفة عند المسلمين هي تخصيص ريع من اوقافهم الى المجذومين ومازالت هذه القاعدة متبعة حتى اليوم . وقد وقفت على المجذومين قرية كاملة من أعمال حوران هي قرية جلين . ومن الطريف أن حجج الوقف

---

١ . في محلة كانت تسمى بالاعاطلة قرب الباب الشرقي .

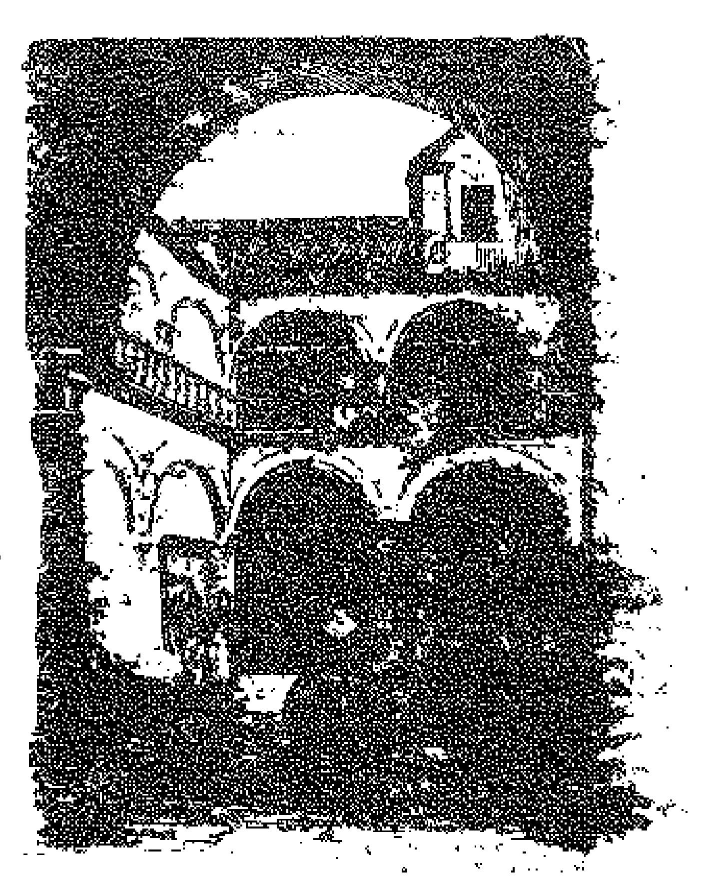
حينما تذكر المجذومين تنعتهم بالسادة المجذومين احتراماً لهم كمرضى في اجسامهم وانفسهم في حين كان ينظر الى المجذوم في كثير من انحاء العالم نظر من اصابه رجس من الشيطان لا يطهر منه إلا بحرقه وكم من مجذومين حرقوا بنتيجة ذلك الاعتقاد الخاطيء .

ويقل عن الوليد أو عن عامله قوله : لا جعلن الزمن أحب الى أهله من السليم فلو فكرنا في هذا القول العظيم ، لتبين مبلغ الدرجة الانسانية التي ارتقى اليها الطب والاسعاف عند العرب . لا يخفى ان الزمين يمل منه ذووه ، لعجزهم عن القيام بأوده ، مع أن عطفهم عليه يزداد لضعفه وقلة حيلته ولكنهم اخيراً يهملونه فيموت ضحية الاهمال . أما تشريع الوليد الذي نحن بصدده فانه يأخذ على عاتق الدولة وبيت المال العناية بالزمن ، فيؤدي ذلك الى زيادة عطف ذوي المريض عليه بعد أن تخلصوا من عناء العناية به . ان في تشريع الوليد الذي اشرنا اليه شعوراً انسانياً لم يبلغ شعورنا الانساني جزءاً منه[1] وفي كل حال ان عمل الوليد لم يكن خاصاً بدمشق بل عممه قواده شرقاً وغرباً وشمالاً وجنوباً في مملكته الواسعة الاطراف وبذلك يكون الوليد ذا فضل كبير على توجيه العالم نحو نظم اجتماعية طبية لم يستطع تطبيقها حتى الآن بالصورة التي طبقها الوليد بن عبد الملك في ذلك الماضي البعيد . وقد أمر المهدي سنة ١٦٢ هـ أن يحسن الى المجذومين وأهل السجون في جميع الآفاق .

---

١ - أو لم نر كثيرا من المتشرعين ينادون اليوم بقتل بعض الزمنى باسم الانسانية ، الم تشر الى ذلك مشاريع تهوين الموت التي كادت تقرها البرلمانات لولم تقف الكنيسة حائلا دون ذلك فاذا قارنا بين تشريع تهوين الموت الذي مازال يقول به الكثيرون باسم الانسانية وتشريع الوليد في حق الزمنين تبين لنا الدرجة الرفيعة التي بلغها الاسعاف الطبي عند العرب والاسلام .

ب ـ المدارس الطبية : لقد تبارى الخلفاء ووزراؤهم وملوك العرب وسلاطينهم وذوو الجاه والثروة وأهل العلم في ترقية الطب ففتح الخليفة المنصور العباسي مدرسة طبية في بغداد وشاد هارون الرشيد مدرسة في دمشق وأنشأ الخليفة الناصر لدين الله الأموي الأندلسي مدرسة قرطبة . ثم كثرت المدارس في الشرق والغرب لتعليم الطب والجراحة فكان عدد مدرسي الطب وطلبته ورجال الندوة



الشكل (٤٥)
صورة مدرسة عربية اسلامية في الاندلس

العلمية في بعضها يزيد عن ستة آلاف نفس . وأنشئت في الأندلس غير مدرسة قرطبة ثلاث مدارس أخرى في اشبيلية وطليطلة ومرسيه وأشهرها مدرسة قرطبة وكانت تدرس الطب وكان الجامع الأزهر يدرس سنة ٣٥٩ هـ (٩٦٩ م) الطب وعلوم الصحة والكيمياء بالاضافة الى علوم الدين . وكان يلحق بكل

مدرسة مستشفى يتمرن فيه طلاب الطب على الدروس السريرية . ثم انتشرت المدارس الطبية في كثير من مدن الشرق والغرب العربيين وكثر عدد الأطباء فكانوا كواكب متألقة في سماء الحضارة تستضيء بها الشعوب قاصيها ودانيها وقد ضمت دمشق وحدها بين أسوارها الفخمة في عصور الحضارة العربية الاسلامية مدارس عديدة للطب في آن واحد ومن تلك المدارس :

١ ـ مدرسة نور الدين الشهيد والبيمارستان الملحق بها : وقد أسس البيمارستان عام ٥٥٠ م وبقي حتى سنة ١٣٠١ هـ وكانت المدرسة ملحقة به .

٢ ـ المدرسة الدّخوارية : نسبت الى منشئها مهذب الدين عبد الرحيم بن علي المعروف بالدخوار وقد أنشأها سنة ٦٢١ هـ ١٢٤٤ م قرب دار الصاغة القديمة قبلي الجامع الأموي وقد جعلها مدرسة تُدرّس فيها صناعة الطب ووقف لها ضياعاً كثيرة ووصّى ان يكون المدرس بها شرف الدين علي بن الرحبي وكان من كبار اطباء دمشق . وكان لمؤسسها مؤلفات جمة في الطب والأدب وكان ممن درس فيها ايضاً علاء الدين بن نفيس . دُرست هذه المدرسة مع ما درس غيرها من المدارس .

٣ ـ المدرسة اللبودية النجمية : انشأها خارج دمشق سنة ٦٦٤ هـ الطبيب نجم الدين يحي اللبودي الدمشقي وكان صدراً عند صاحب حمص ابراهيم ووزر له ثم اتصل بالناصر صاحب الشام فجعله ناظر الدواوين توفي سنة ٦٧٠ هـ . تهدمت هذه المدرسة واندثرت ولم يبق ما يدل عليها سوى بستان واقع في اراضي باب السريجة يقال له بستان اللبودي .

٤ ـ المدرسة الربعية : أنشأها عماد الدين محمد بن عباس الربعي المتوفي سنة ٦٨٦ هـ ١٢٨٣ م وفي سنة ٧٤٩هـ أقامها جديدة عبد الله بعد ان صارت تل تراب وجعلها برسم تأديب الأطفال .

٥ ــ المدرسة الدنيسرية : أنشأها عماد الدين محمد الدنيسري الربعي الرئيس الطبيب من أهل القرن السابع للهجرة وذلك سنة ٦٨٦ هـ غربي باب البيمارستان النوري و كان الدنيسري طبيباً وأديباً وله مؤلفات جمة بالطب والأدب .

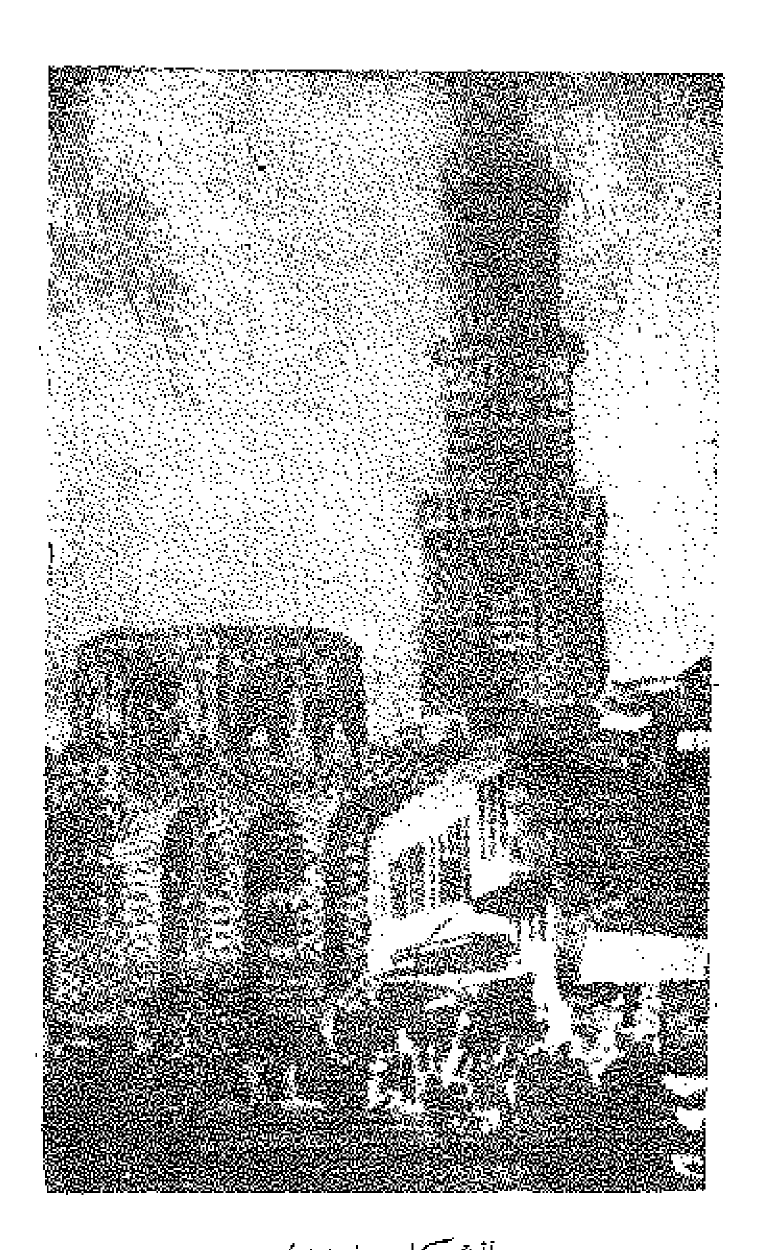
٦ ــ مدرسة الخانقاه الأسدية : أنشئت عام ٧٤٠ هـ داخل باب الجابية . و كانت تدرس فيها علوم الدين والطب .

واشتهر بدمشق عدا المدارس المذكورة مدرسة المزلقية بطريق الباب الصغير انشأها ابن المزلق ومدارس أخرى امثالها و كانت لها أوقاف وانظمة وتدابير كثيرة الريع والفوائد ولقد ظلت هذه المدارس نجعة الطالبين للطب والعلوم في أقطار العالم جميعه يؤمها من أطراف البلاد الشاسعة رواد العلم للانتفاع منها فاخرجت للعالم أطباء عديدين لايزال التاريخ يدون اسمائهم بافتخار ، وكانوا جهابذة الطب في أيامهم ، لاتقل مكانتهم العلمية عن مكانة الدهاقنة في أيامنا الحاضر .
وهكذا سارت هذه المدارس سيراً حثيثاً الى الرقي في بدء ا واكتسبت شهرة بعيدة لم تكسبها المعاهد الحالية في أيامنا الحاضرة إلا أنها لم تلبث أن شاخت بعد مرور الزمان عليها فبدأت المعاهد الطبية التي انشئت في البلاد الأوربية تنازعها الشهرة والسيطرة وتجذب اليها الأطباء وأول معهد انشأ في أوروبا يعود يعود الفضل بانشائه الى الخليفة عبد الرحمن الثالث الذي أشاده في القرن التاسع في مدينة قرطبة من أعمال اسبانيا بعد تولي العرب على تلك البلاد وقد ذاعت أعمال ذلك المعهد في أقطار أوروبا فكان يؤمه المستطبون من أطرافها طلباً للمداواة حتى أن الملك ليون سانش لاغرو قد أتى قرطبة مستشفياً عند معلمي جامعتها العرب (١) .

---

١ ــ على من اراد التوسع ان يرجع الى الجزء الثاني مابين ص ١٢٧ وص ١٩١ من كتاب الدارس في تاريخ المدارس لمؤلفه عبد القادر بن محمود النعيمي الدمشقي المتوفي سنة ٩٢٧ هـ المطبوع سنة ١٩٥١ من قبل المجمع العربي بتحقيق امين سره جعفر الحسيني وقد جاء في هذا الفصل ذكر ثلاثين مدرسة للطب .

ج ـ المشافي والبيمارستانات : كان العرب يسمون المشافي (بيمارستانات) ويخففونها فيقولون مارستانات وهي في الأصل كلمة فارسية معناها مكان المرضى وقد سمى النساطرة الذين طببوا في البلاد العربية أمكنة معالجة المرض بالاسم



الشكل (٤٦)

البيمارستان الكبير الذي بناه السلطان قلاوون في القاهرة عام ٢٨١ م

الذي ألفوه في فارس وهو البيمارستان وأول ما شيد منها كان في دمشق بزمن

الأمويين ثم شاع استعمالها في زمن العباسيين وكانت المارستانات مدارس للتعليم والتفريج وأمكنة للاستشفاء وتمرين الطلاب فجمعت بذلك بين ممارسة تعليم الطب وتطبيب المرضى وقد كان حول المسجد الأموي ثلاث بيمارستانات يمر الماشي عليهن جميعاً في دقيقتين . كانت المستشفيات العربية الاسلامية على عدة أنواع منها الثابتة ومنها المتنقلة .

أولاً ـ المشافي الثابتة : كانت على نوعين مشافي عامة ومشافي اختصاص .

١ ـ **المشافي العامة** : كان لكل مدينة كبرى في الامبراطورية العربية الاسلامية مستشفى عام واحد على الأقل للعناية بالمرضى وهو مؤسسة حكومية يشيدها ويقوم بنفقاتها أحد الخلفاء او احد كبار الامراء . وكان التشابه عظيماً بين هذه المستشفيات في كل شيء ، البناء والادارة والشعب حتى يصح في أكثرها وصف عام . وقد بني بعضها وفقاً لتصميم موضوع ليكون مستشفى وبعضها الآخر كان في الأصل قصوراً حولت لمستشفيات . ولكل مستشفى عام أروقة خاصة للذكور والاناث . وخصصت شعب للحمى والاسهالات والجراحة والتجبير والحوادث العارضة وللاصابات العينية وألحق بأكثر المستشفيات حمام عام والماء الجاري موفور ولا يستغنى عنه . ومن أقسام المستشفى صيدلية يشرف عليها صيدلي مجاز وهي مجهزة بالأدوية والشرابات والعقاقير والقوارير وبعض التحف . وجهز كل مستشفى بمكتبه تضم المفيد من مخطوطات ابقراط وجالينوس واطباء العرب ، يجتمع فيها الاساتيذ والطلاب بعد جولات الصباح . وكانت للمستشفيات أوقاف تمولها . وكانوا يسجلون الوقف في حجج مكتوبة ينقشون بعض مافيها على الحجارة يبينون فيها أن الغاية هي تسيير المستشفى والاعتناء بالمرضى . وحينما أشاد المنصور مستشفاه قال في حفلة افتتاحه [١] : اني اكرس هذا

---

١ ـ المقريزي ج ٢ ص ٤٠٦ .

المستشفى للرفيع والوضيع وأقف هذا الوقف لمنفعة الملك والمملوك وللجندي والامير وللعظيم والحقير وللحر والعبد وللرجال والنساء[1] . وكانوا يولون ادارة الوقف كبارُ رجال الدولة وكانت الادارة تحت المراقبة التامة وكثيراً ماأدت هذه المراقبة الى تقرير اصلاحات عظيمة مثال ذلك ماوقع في مستشفى العضدي في بغداد . فقد لاحظ ثابت بن قرة رئيس المستشفى المذكور ان الوقف الذي يعود قسم منه لفائدة المستشفى وقسم آخر لبني هشام لايديره المتولي باستقامة فكتب ثابت الى الوزير ابن عيسى شاكياً وأعلمه بما يقاسيه المرضى من قلة الفحم والمؤن والأغطية وغير ذلك من الحاجات فكتب الوزير على ظهر رسالة ثابت الى المتولي ما يأتي : انكم شرفكم الله ، ستنظرون بما ذكر في هذه الرسالة ... وعلى كل حال ... انه من المقرر أن تعطوا المستشفى حصته فانه اكثر استحقاقاً من الآخرين ويجب أن يفضل عليهم لضعف الذين يلجأون اليه وللفائدة العظمى التي تنتج منه ،وأعلمني ، شرفك الله ، ماهي تلك اللعبة في نقص المال وضياع دخل المستشفى في الاشهر القليلة الفائتة وخاصة في هـــذا الوقت من الشتاء ، اذ اشتد البرد اعمل كل مايمكن وسارع في تأدية حصة المستشفى ليمكن للمرضى أن يتدفأوا بالأغطية والأثواب والفحم ولينالوا الغذاء والخدمة والأدوية اللازمة واعلمني بكل مافعلته في هذا الشأن . وكانوا يعتبرون مقام مديرية المستشفى من أعظم مقامات الدولة فكانت على العموم تلقى في أيدي احد الأمراء أو أحد كبار القادة أو احد الاشراف ويتصف المديرون بالمقدرة والثقافة العاليــة وكانوا محترمين ويتصلون بقصر الخليفة كأحد الوزراء ولهم الادارة التامــة

[1] ـ قابل هذا بما ذكره ماك ايشرن عما يجب ان يكون عليه المستشفى في القرن العشرين حيث قال : يجب ان يتصف مستشفى القرن العشرين بانه مؤسسة يحصل فيها كل رجل وامرأة وطفل بغض النظر عن الجنس واللون والنسب والمقام الاجتماعي على احسن العناية التي يقدمها علم الطب للمرضى والمصابين .

والمراقبه وحفظ المؤن والأدوية والأثاث وفي بعض الأحيان ادارة الوقف . ويلي المدير المراقبون ثم الامناء والخدم . اما الادارة الطبية فكان يرعاها الطبيب الأول ويعاونه رؤساء مختلف الشعب ويعاون هؤلاء معاونوهم وتلاميذهم . وكانوا يفحصون المرضى في المستشفى فيعطون من لايحتاج الى الاستشفاء فيه وصفة تهيأ في صيدلية المستشفى ويحضر الطلاب هذه الاستشارات ويرقبون كيفية فحص المرضى وطرق مداواتهم . واما المرضى الذين بحاجة لعناية المستشفى فتدون اسماؤهم لقبولهم ثم يستحمون ويعطون أثواب المستشفى النظيفة وتؤخذ اثوابهم الخاصة وتحفظ فيبقون في المستشفى حتى الشفاء التام وعلامته أكل رغيف من الخبز وفروج كامل وعندما يخرجونهم يعطونهم ثوباً مع كمية من الدراهم لتقوم بنفقاتهم الضرورية خارج المستشفى وكان الناس يتمارضون رغبة منهم في الدخول الى المستشفى والتنعم بما فيه وكان الاطباء يغضون الطرف احياناً عن هذا التحايل . قال خليل بن شاهين الظاهري في النجوم الزاهرة ج ٦ ص ١٦٤ بعد ان زار دمشق : وبها مارستان لم ير مثله في الدنيا قط واتفقت نكتة احببت ان اذكرها وهي اني دخلت دمشق في سنة ٨٣١ هـ - ١٤٢٧ م وكان بصحبتي رجل عجمي من اهل الفضل والذوق واللطافة وكان قصده الحج في تلك السنة . فلما دخل البيمارستان المذكور ونظر مافيه من المآكل والتحف واللطائف التي لاتحصى ، قصد اختبار رجال البيمارستان المذكور فتمارض واقام به ثلاثة ايام ورئيس الطب يتردد اليه ليختبر ضعفه فلما جس نبضه وعلم حاله وصف له ماينابسه من الأطعمة الحسنة والدجاج المسمنة والحلوى والاشربة والفواكه المتنوعة . ثم بعد ثلاثة ايام كتب له ورقة من معناها : ان الضيف لايقيم فوق ثلاثة ايام وهذا في غاية الحذاقة والظرافة .

انتقاء مكان المستشفى : كانوا يعلقون في كل ناحية من نواحي المدينة التي يرغبون في إشادة مستشفى بها شقة لحم على أن تعتبر الناحية التي لم يتغير فيها

اللحم بسرعة هي الصالحة . وكانوا يختارون قصوراً لاتمل فيها لتحويلها الى مشافي[1] .

الهيئة العاملة والتعليم : كانت تعين بعد تفتيش وفحص دقيقين فكانوا يختارون احسن الرجال بغض النظر عن المذهب والجنس والمقام الاجتماعي . وكان رؤساء الشعب ذوي مقدرة فائقة ومعرفة عميقة . يترأسون الشعب ويراقبون المرضى يومياً ويستشير بعضهم بعضاً ويعطون الوصفات اللازمة شفهياً واحياناً كتابياً وتشمل الوصفات الادوية والاغذية وكثيراً ما كانت تعقد الاستشارات الطبية فيتكلم اكبر المستشارين بما اتفق عليه ويدونون الاستشارات وكانت الملاحظات



الشكل (٤٧)

طبيبان عربيان يفحصان مريضاً ،احدهما يجس نبضه وثانيهما يحاول معرفة درجة حرارته منقولة (عن رسم يرجع تاريخه الى عام ١١٥٩ م)

اليومية تدون ،مما يسر للطبيب متابعة حالة المريض بدقة وعناية وكانوا يكتبون تاريخ المرض في سجلات تحفظ في المستشفى .

وصف السواح والمؤرخون المستشفيات العربية كما شاهدوها، قال البلوي[2]

---

١ - ابن ابي اصيبعة جزء ١، صفحة ٣١٠ وصبح الاعشى جزء ٣ صفحة ٣٦٩ .

٢ – خالد عيسي البلوي مؤلف كتاب تاج المفرق في تحية علماء المشرق .

عن مستشفى المنصوري في القاهرة ماياتي : في هذا المستشفى يبلغ عدد المرضى المقبولين والناقهين المصروفين اربعة آلاف يومياً وعندما يداوي المريض ويخرج يتناول صدقة المستشفى وهي ثوب وكمية من الدراهم تقوم بحاجاته الضرورية ، واما غذاء المرضى فهو لحم دجاج وضأن ، والاثاث والفراش والثياب تنافس بترفها ماهو في قصور الخلفاء والامراء ويقوم بالاعمال أطباء مهرة ومفتشون قادرون ومديرون مهذبون وخدم عاملون ينصرفون للقيام بكل حاجات المرضى وبكلمة واحدة كل شخص يعرف ماعليه من الواجبات فيقوم بها دون اهمال .

ويصف الرحالة المعروف ابن جبير المستشفى الذي بناه صلاح الدين ورآه في اثناء زيارته القاهرة سنة ٥٧٨ الموافقة لسنة ١١٨٢ م كما يلي :

رأينا من أعمال هذا السلطان المجيدة المستشفى في القاهرة وهو قصر رحب جميل ويدير المستشفى مدير مقتدر عنده كل انواع الادوية والجرعات ، ويلي المدير امناء يسهرون على راحة المرضى ليلاً نهاراً ويعطونهم الغذاء والجرعات الموافقة ، وللنساء رواق خاص وتعتني بهن ممرضات ويعرف السلطان احوال المستشفى فهو دائم السؤال عنه والبحث فيه ، يشدد في العناية التامة والدائمة .

يحسن بنا أن نقارن بين المشافي العربية والمشافي الغربية في القرون الوسطى وقد جاء ذكر احدها في كتاب ألفه ماكس نوردو فقال[1] : يستلقي في فراش واحد أربعة مرضى او خمسة او ستة فتوى قدمي الواحد في جانب رأس الآخر ، والاطفال الصغار الى جانب الشيوخ الشيب ، حقاً ان هذا لا يصدق ولكنه الحقيقة الواقعة ، وهناك امرأة تئن بين مخالب المخاض الى جانب رضيع يتلوى من التشنجات ورجل مصاب بالربيض يحترق في هذيان الحمى الى جانب مسلول يسعل سعلته الجارحة ومصاب بأحد الامراض الجلدية يمزق جلده الأجرب بأظافره الثائرة ،

---

١ – Haggaids . H . w Devils . Drugsand Doctors .

وكان يقدم للمرضى ادنى الاطعمة بمقادير قليلة وفواصل غير منتظمة وتتراكم الحشرات في الدار كلها وتفسد رائحة الهواء في قاعات المرضى حتى أن الزوار ما كانوا يجرأون على دخولها الا بعد ان يضعوا على وجوههم اسفنجة مبللة خلاً وتبقى عادة جثث الموتى اربعاً وعشرين ساعة في الفراش ويغلب أن تبقى مدة أطول قبل ان تنقل وكان المرضى في هذا الجو العصيب ، يقاسمون الجثث الصملة الفراش الذي خبث ريحه في هذا الجو الجهنمي وحامت عليه ذباب الجيف وقد ذكرت سيرة هذا المستشفى مجلة تقدم العلاج فقالت[1] : ان هذا المستشفى اسس سنة ٦٦٠ وكان شعاره ايواء النـــاس ومعالجتهم دون أن يكون لقبولهم أو خروجهم قيد أو قانون فكانت مساحة غرفه وقاعاته لا تتناسب مع عدد اللاجئين اليه ويؤكد العارفون انه كان يوضع في سنة ١٦٩٣ من ١٢ الى ١٥ شخصاً في سرير واحد وقد وصف المستشفى نفسه في القرن الثامن عشر بالي وتينون ولا فوازيه وصفاً تقشعر منه الابدان ، إذ رأوا الموتى جنباً الى جنب مع الاحياء، كما رأوا الناقهين مختلطين في غرفة واحدة مع المرضى والمحتضرين وكان المرضى يسيرون في الممرات الخـــارجية حفاة الاقدام ، صيفاً شتاء لاستنشاق الهواء الخارجي . وقد رأوا في الطابق الثالث قاعة للناقهين لا يستطاع الدخول اليها إلا بالمرور في قاعة اخرى ، وضع فيها المصابون بالجدري ، وغرفة المجانين كانت ملاصقة لغرفة الذين اجريت لهم العمليات الجراحية الكبيرة وكثيراً ما كان يوضع في غرفة واحدة المصابون بأمراض معدية وغير معدية على السواء وكانت غرفة العمليات ، حيث الشق والقطع والبتر ، تأوي الذين تعمل لهم العمليات في الغد وكان المريض يرى امامه تحضيرات العذاب ويسمع صراخ المعذبين فإن كان ممن ينتظر دوره في الغد كانت امامه صورة اوجاعه المقبلة وان كان ممن مر

---

١ ـ مجلة تقدم العلاج . العدد السادس من سنة ١٩٢٨ بقلم اميل كسطب .

بهذا الجسم كان امامه منظر يذكره بالاوجاع التي قاساها . وكانت احدى القاعات معدة للنساء الحوامل، متزوجات كن او باغيات ، صحيحات أو مريضات ينمن كل ثلاث او اربع في سرير واحد ، يتحملن الارق وخطر العدوى . وكان اكثرهن يموت، والتي نجت من الموت تخرج فاقدة القوى تجر اذيال الضعف والمرض وكان معدل الموت فيه واحداً الى اربعة ينطبق عليه القول المأثور الداخل اليه مفقود والخارج مولود . ولم تعمل يد التحسين في هذا المستشفى الا بعد الثورة الفرنسية في سنة ١٧٨٩ .

تنوع أساليب المعالجة : تفنن أطباء العرب في اساليب معالجة المرضى حتى اهتدوا الى المعالجة بالموسيقى ، لقد كانت الاجواق الموسيقية في بيمارستان فاس تروح عن المرضى وتسليهم عن آلامهم وكذلك الامر في البيمارستان النوري بدمشق فقد كانوا يجلبون القصاص والمطربين الى قاعات المرضى فيه بل رتب المؤذنون ينشدون على المآذن قبل الفجر بساعتين ، بأنغام شجية تخفيفاً لعناء السهر على المرضى المؤرقين ولا تزال هذه البدعة الحسنة جارية الى الآن في منتصف الليل دائماً وبعد العشاء في بعض الأحايين ، دون أن يعرف الناس لها أصلاً وسبباً .

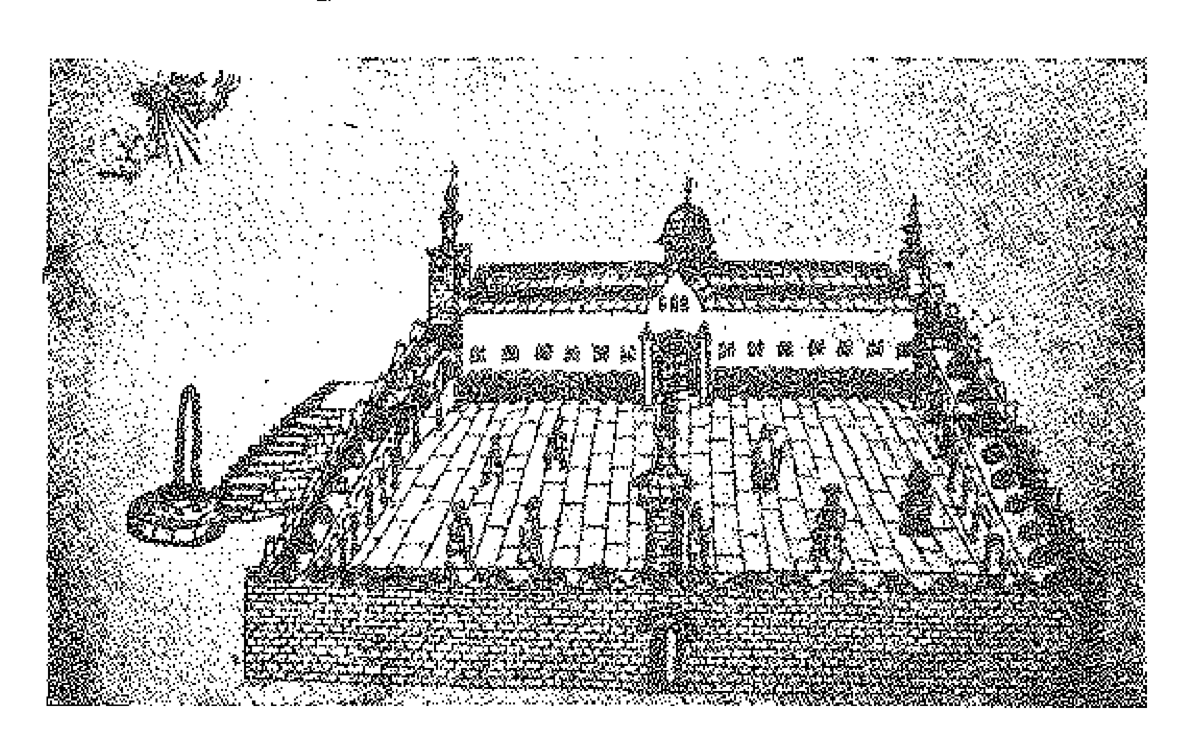
٢ ــ مشافي الاختصاص : اشتهر منها مشافي الجذام ومشافي الأمراض العقلية .

أ ــ المجاذم : أول مؤسسة عرفت هي مجذمة الوليد بن عبد الملك في دمشق سنة ٨٨ هـ ــ ٧٠٧ م[1] ثم تعددت الملاجىء بعد ذلك في مختلف انحاء الامبراطورية

١ ــ قال الشيخ ابو العباس احمد القلقشندي في صبح الاعشى ج ص ٣١ : ان اول من اتخذ البيمارستانات بالشام للمرضى هو الوليد بن عبد الملك وقال رشيد الدين بن الوطواط في غرر الخصائص الفاضحة وغرر الخصائص الواضحة ص ٧ : اول من عمل البيمارستان وأجرى الصدقات على الزمنى والمجذومين والعميان والمساكين واستخدم لهم الخدم الوليد بن عبد الملك وقال تقي الدين المقريزي في الخطط والآثار ص ٤٠٥ : اول من بنى البيمارستان في الاسلام ودار المرضى الوليد بن عبد الملك وجعل في البيمارستان الاطباء واجرى لهم الارزاق وأمر بحبس المجذومين لئلا يخرجوا وأجرى عليهم وعلى العميان الارزاق .

لبذل العناية الانسانية لهؤلاء التعساء .

تعد المجاذم العربية أول دور عولج فيها المصابون بالجذام معالجة فنية . يُقال أن أول من أنشأ المجاذم آغفيتا [1] في أرمينيا سنة ٢٧٠ م ويرجع تاريخ مجذمة سان كلو [2] الى سنة ٤٦٠ ميلادية . لم تثبت صحة هذه الرواية على أنه ان صح وجود هاتين المجذمتين فان الدخول اليها لم يكن مباحاً لجميع المجذومين وكان



الشكل (٤٨)
مجذمة الوليد

لا يقبل بها المصابون الا بعد دفع رسوم باهظة وكانت معاملة القائمين على المجذمة تختلف باختلاف ثروة المصاب وفقره وغناه وكانت المجاذم مخصصة لفئة من الناس لا يقبل فيها المصاب الا بعد بيان نبله وثبوت صحة ادعائه بأنه من طبقة الأسياد وكان عليه ان يدفع رسماً باهظاً للقبول وأن يصطحب معه ما يحتاج اليه من مقاعد وأسرة وأواني الطعام والشراب التي يجب أن تكون من الفضة . وغير ذلك من

---

١ - Agvita
٢ - Saint Clou

شروط ذكرها رونه ساند في كتابه الطب الاجتماعي .

ب ـ المارستانات : تأسست هذه الملاجيء في أوائل التاريخ الاسلامي وخاصة في عهد العائلة الأموية للعناية بالذين أصابهم مس أو اعتراهم ضعف عقلي ، كان العرب في دولهم يعتبرون المعتوهين معدمين عالة على احسان الدولة لأن اصابتهم بقضاء من الله وقدر . يقول رونه ساند[1] يحترم المسلمون العرب المصابين بعقولهم ويوصون بعلاجهم باللين ويفرزون لهم في المشافي قاعات لعلاجهم ثم أشادوا لهم مارستانات خاصة ولا سيما في غرناطة .

ولقد جاء في صك الأوقاف التي حبس ريعها لصالح المستشفى النوري أو

---

١ ـ : René Sand vers la médecine sociale

En parincipe, le lépreux doit payer son entretien, ou des personnes charitables doivent le faire pour lui. Certaines maladreries sont riches et quiconque veut y entrer doit prouver sa qualité de bourgeois de la ville, être reconnu lépreux par un médecin, par un chirurgien ou par le « mestre » ou la « mestresse » des lépreux, verser un droit d'admission, apporter mobilier, literie, vêtements, linge, couverts, jusqu'à des gobelets d'argent, Les pauvres en sont réduits à solliciter les âmes généreuses pour constituer cette dot. Parmi les pensionnaires ceux dont l'apport est élvé sont mieux logés mieux nourris, mieux servis, avantagés en « prébendes » et en « pistances » (aliments, vin, argent de poche). Dans d'autres établissements la règle est plus sévère.

les musulmans respectent les aliénés et les soiguent par la douceur. leur réservent un quartier dans les hôpitaux et plutard construirent pour eux des établissements spéciaux, notmment à Grenade (XIV siècle).

العتيق بحلب أن كل مجنون يخص بخادمين فينزعان عنه ثيابه كل صباح ويحممانه بالماء البارد ثم يلبسانه ثياباً نظيفة ويحملانه على أداء الصلاة ويسمعانه قراءة القرآن يقرأه قارىء حسن الصوت ثم يفسحانـــه في الهواء الطلق ويسمح له في الآخر بالاستماع الى الأصوات الجميلة والنغمات الموسيقية الطيبة .

أما في أوروبة فكان المجانين محرومين من دخول المستشفيات وكانوا يقيدون بالسلاسل في بيوت الجنون ، تلك البيوت التي كانت شراً من السجون ، فيبقون فيها حتى ينتهي أجلهم ، مسكنهم وضيع وطعامهم قليل وأجسادهم عارية ، كانوا يموتون من الاهمال والعرى وكانت مداواتهم الوحيدة الضرب من وقت لآخر عندما يصبح صياحهم مزعجاً .

ثانياً ـ المشافي المتنقلة : وهي على أنواع من المشافي للاسعاف الاولي ومشافي حربية ومشافي محمولة .

أ ـ مشافي الاسعاف الاولي : كان النبي ﷺ أول من أمر بالمستشفى الحربي المتنقل في الاسلام فقد روي ان رفيدة[1] كانت تداوي الجرحى وكان رسول الله قد قال لمعاذ حين أصابه السهم (اجعلوه في خيمة رفيدة حتى أعوده من قريب) .

ب ـ المشافي الحربية : كان للجيش مشافي حربية يشرف عليها جراح خاص ملحق بالخليفة وكلما ذهب الخليفة الى الحرب أخذ معه أطباءه للعناية به وبجيشه . وكان ابن المطران مقرباً من صلاح الدين ورافقـه في كل حروبه وكان له خيمة حمراء خاصة به تشبه خيمة صلاح الدين ولها مدخل كبير تعرف به وعندما رأى الملك العادل أن العمل أثقل كاهل طبيبه أمر بتعيين طبيب آخر للعناية بالجند وكانوا يحولون الجرحى الى النساء[2] لتمريضهم .

---

١ ـ انظر رفيدة ص ١٨٢ سطر ٣ من هذا الكتاب .

٢ ـ بينما كانت عناية الجرحى في جيوش الفرنج (الصليبيين) غير منتظمة يتطوع للقيام بها رفاق الجرحى او كان يترك أمر العناية بالجرحى الى البغايا اللواتي يتبعن الجيش .

ج ـ البيمارستان المحمول : هو المستشفى الذي ينقل من مكان الى مكان بحسب ظروف الأمراض والأوبئة وانتشارها وكذا في الحروب . كان هذا النوع من المشافي معروفاً لدى خلفاء العرب والاسلام وملوكهم وسلاطينهم واطبائهم بل الراجح أن يكونوا هم أول من أنشأه وهو عبارة عن مستشفى مجهز بجميع ما يلزم للمرضى والمداواة من أدوات وأدوية وأطعمة وأشربة وملابس وأطباء وصيادلة وكل ما يعين على ترفيه الحال على المرضى والعجزة والمزمنين والمسجونين ، ينقل من بلد الى أخرى من البلدان الخالية من مشافي ثابتة او التي يظهر فيها وباء أو مرض . ويذكر بين المشافي المتنقلة التي كان يستعملها السلاطين في تنقلاتهم وحروبهم ما يرواه ابن خلكان[1] وابن القفطي[2] حيث قالا : إن أبا الحكم المغربي عبد الله[3] ابن المظفر بن عبد الله المرسي نزيل دمشق ، كان طبيب بيمارستان متنقل يحمله أربعون جملاً وكان القاضي السديد أبو الوفا يحيى بن سعيد بن يحيى بن المظفر الذي صار قاضي القضاة ببغداد في أيام المقتفي قاصداً وطبيباً في هذا المارستان المحمول .

مشافي البلاد العربية :

بيمارستانات دمشق : ذكر ابن جبير[4] أنه كان في القرن السادس بدمشق نحو عشرين مدرسة وكان بها مارستان قديم ومارستان حديث والحديث أحفلهما وأكبرهما وله قومة وبأيديهم الأزمة المحتوية على اسماء المرضى وعلى الوصفات التي يحتاجون اليها في الأدوية الأغذية وغير ذلك حسبما يليق بكل انسان منهم ، والأطباء

---

١ ـ وفيات الاعيان ج ١ ص ٣٠٤ طبعة باريس .

٢ ـ تاريخ الحكماء ص ٤٠٥ طبعة لندن .

٣ ـ وفي شذرات الذهب لابن العماد عبيد الله بن المظفر الباهلي الاندلسي المتوفى سنة ٥٤٩ .

٤ ـ رحلة ابن جبير طبعة مصر ص ٢٨٨ .

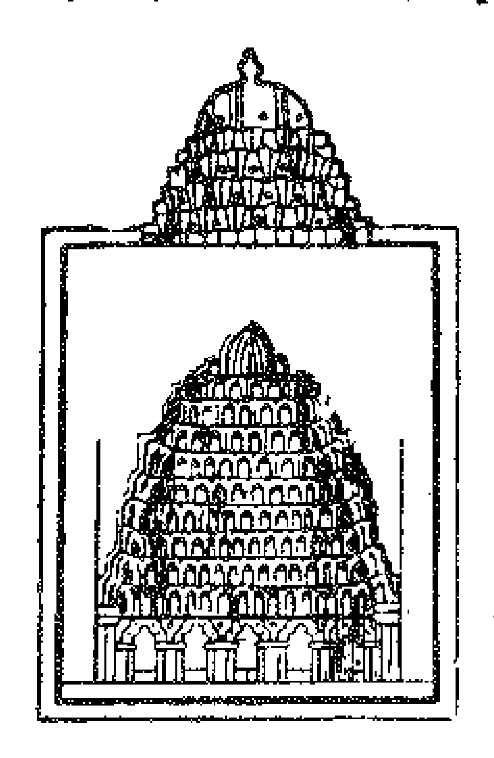
يبكرون اليه في كل يوم ، ويتفقدون المرضى ويأمرون باعداد ما يصلحهم من الأدوية والأغذية . والمارستان الآخر على هذا الرسم ، وأغلب الظن أن البيمارستان المذكور كان في باب البريد خدم فيه رشيد الدين بن علي بن خليفة وعز الدين السويدي .

بيمارستان الوليد بن عبد الملك الخليفة الاموي : إن أول من اتخذ البيمارستان بالشام للمرضى الوليد بن عبد الملك وهو سادس خلفاء بني أمية تولى الخلافة سنة ٨٦ هـ و ٧٠٥ م وجعل في البيمارستان الاطباء وأجرى لهم الأرزاق وجرد المجذمين وأجرى عليهم وعلى العميان الأرزاق .

المارستان الصغير بدمشق : أقدم من المارستان النوري وكان مكانه في قبلة مطهرة الجامع الأموي وهو تحت المئذنة الغربية بالجامع الاموي تنسب عمارته الى معاوية او ابنه .

البيمارستان الكبير النوري: بناه الملك العادل نور الدين بن محمود بن زنكي بدمشق فجاء أحسن ما بني من البيمارستانات بالبلاد ومن شرطه : أنه وقف على الفقراء والمساكين واذا لم يوجد بعض الأدوية التي يعز وجودها الا فيه فلا يمنع منه الأغنياء ، ومن جاء اليه مستوصفاً فلا يمنع من شرابه . ظل المستشفى النوري عامراً الى سنة ١٣١٧ هـ وكان أطباؤه وصيادلته لا يقلون عن عشرين رجلاً حتى قامت بلدية دمشق باقامة مستشفى للغرباء في الجانب الغربي من تكية السلطان سليمان المطلة على المرج الاخضر وجمعت له اعانات من الناس بأساليب مختلفة واخذ مبلغ من واردات البلدية واوقاف المستشفى النوري واحتفل في ١٥ ذي القعدة سنة ١٣١٧ هـ بافتتاح المستشفى الجديد وخصصت أوقاف المستشفى النوري وقسم من ريع البلدية للصرف على المستشفى المذكور الذي سمي بادىء

بده بالمستشفى الحميدي ثم مستشفى الغرباء وقد سمي المستشفى على عهد الحكومة العربية بالمستشفى الوطني واقيمت مدرسة الطب بجانبه .



الشكل (٤٩)

واجهة مستشفى النوري

وقيل إن البيمارستان الكبير النوري ، منذ عمر لم تنطفيء فيه النار وكان له من المكانة بحيث كان النظر عليه لنائب السلطنة بدمشق وذكر الاستاذ العلامة المرحوم محمد كرد علي أن البيمارستان الكبير النوري ظل عامراً يعالج فيه المرضى الى سنة ١٣١٧ هـ ثم جعل مدرسة للبنات ثم اتخذ داراً لمدرسة التجارة بدمشق وما زال مدرسة تشرف عليها وزارة التربية . وقد جاء عن البيمارستان المذكور في كتاب مشاهد دمشق الأثرية في مطبوعات مديرية الآثار العامة في سورية[1] ما نلخصه بما يلي : شيد سنة ٥٤٩ هـ - ١١٥٤ م ، أطنب المؤرخون في وصف

---

١ ـ تأليف الدكتور سليم عبد الحق مدير الآثار العام السابق في سورية والاستاذ خالد معاذ الخبير الفني ص ٣٨ .

بنائه وزخرفته إذ انه شيد على تخطيط ذي نظام متعامد وجعلت له باحة مركزية حولها اواوين وزُيّن بالمقرنصات . ويدخل الزائر اليه من بابه الذي يبرز عن جداره الغربي ، وتزين المقرنصات اعلاه وفوق هذا الباب اسكفة عليها زخارف رومانية وله مصراعان من نحاس مزينان بزخارف هندسية ومسامير بارزة من الخارج وزخارف خشبية جميلة الصنع من الداخل ، ويأتي الدهليز وفوقه قبة من المقرنصات في جانبها نصفا قبة عليها مقرنصات اخرى ، ثم تأتي الباحة وفي وسطها بركة وحولها الأواوين وكانت المعالجات الطبية تجري في الايوان الاوسط منها . أما الايوان الجنوبي ، ففيه لوح مزخرف من المرمر ، يقوم مقام المحراب وهو مزين بنقوش جميلة ، تمثل مواضيع نباتية مختلفة ، وجدرانه مزينة بافريز ومستطيلات من المرمر المطعم وقد رمم هذا البناء في عصور مختلفة واصلحته مديرية الآثار العامة .

مارستان باب البريد : ذكر عرضاً في ترجمة عز الدين السويدي الذي كان طبيباً بالبيمارستان الكبير وباب البريد اسم لأحد ابواب جامع دمشق .

بيمارستان الصالحية أو القيمري : هو المستشفى القيمري في صالحية دمشق بجوار جامع محي الدين بن عربي انشأه واوقفه الأمير سيف الدين ابو الحسن علي ابن يوسف بن ابي الفوارس ابن موسك القيمري الكندي . وكان من اكبر حسناته وقفه المارستان الذي بسفح قاسيون بالصالحية وكانت وفاته سنة ٦٥٣هـ ودفن بالسفح في قبته التي تجاه المارستان وكان ذا مال وثروة . خرب فاصلحته الاوقاف وعملت منه مستوصفاً وواجهة بابه من اجمل هندسة عربية في القرون الوسطى وقد جاء عن البيمارستان المذكور في كتاب مشاهد دمشق الاثرية المنوه عنه سابقاً مانلخصه بما يلي : يعد هذا البناء من اعظم المنشآت المدنية الدمشقية في العصر الايوبي ، احتذى مهندسه مثل البيمارستان النوري فجعل تخطيطه على

نظام التعامد وأقام فيه أو اوين جانبية ونظم أجزاءه بصورة متناظرة ، نسبة الى محور واحدٌ ونصب له عقوداً داخلية بيضوية ومتصالبة أما بابه الخارجي فقد احيط بساريتين صغيرتين وجعلت فوقه نصف قبة فيها مقرنصات تشبه من جهة مقرنصات الابنية الأيوبية ومن جهة ثانية مقرنصات عمارات المماليك وفي ايوانه الرئيسي الجنوبي ثلاث نوافذ ، فوقها عقود متصالبة ، بناؤها شديد الاتقان ويوجد عند منشئها زخارف خطية مكتوبة بالنسخي المذهب على أساس أزرق وتتألف من آيات قرآنية ، وفوقها زخارف جصية منحوتة تجتمع في قلادتين على شكل مواضع نباتية مختلفة .



الشكل (٥٠)
واجهة مستشفى اسلامي

بيمارستان الجبل : كان في النيرب وهو مكان على نصف فرسخ من دمشق خدم فيه من الأطباء عبد الوهاب بن أحمد بن سحنون خطيب النيرب وطبيبها .

البيمارستان الدقاني بدمشق : منسوب الى دقاق بن تتش السلجوقي أحد حكام دمشق في عصر السلاجقة .

بيمارستان حماه : دخل ابن جبير في رحلته الى المشرق مدينة حماة في الضحى الأعلى من يوم السبت في ١٩ ربيع الأول سنة ٥٨٠ هـ وبعد أن اسهب في وصفها قال : ولها ثلاث مدارس ومارستان على شط النهر بأزاء الجامع الصغير بنا المارستان المذكور نور الدين محمود وهو الآن شبيه بالمندرس .

بيمارستان الكرك : انشأه الأمير علم الدين سنجر الجاولي وهو الذي أنشأ ايضاً مارستان غزة .

بيمارستانات حلب : نذكر منها :

البيمارستان النوري أو العتيق بحلب : جاء في كتاب أعلام النبلاء في تاريخ حلب الشهباء ان البيمارستان النوري بناه الملك العادل نور الدين محمود بن زنكي في اواسط القرن الثاني عشر الميلادي وأجرى فيه اصلاح في القرن الخامس عشر وقد تغيرت معالمه بسبب تحويله الى مساكن وباب الدخول اليه لايزال حافظاً لمصراعيه الأصليين وهو مزين بقطع مربعة من صفائح الخشب المنقوش ، خدم في هذا البيمارستان من الأطباء ابن بطلان المتوفي سنة ٤٥٨ هـ .

البيمارستان الجديد بحلب : أنشـــأه الأمير سيف الدين أرغون الصغير الكاملي في سنة ٧٥٥ داخل باب قنسرين ، واجتهد في أمره ، ورفل في أثواب ثوابه وأجره ، وشيد بنيانه ، ومهد مجالسه وايوانه ، ورفع قواعده ،وهيأ بيوته ومراقده وأعد له الآلات والخدم ، ورتب لحفظ الصحة فيه أرباب الحكم ، وأباحه للضعيف والسقيم ،وفتح بابه للراحل والمقيم وروّاه بالمياه الكثيرة ،وانفق عليه أموالاً غزيرة ، ووقف للقيام بمصالحه ، مايزيد على كفايته ، كان أمر هذا المستشفى جارياً على الانتظام الى اواخر القرن العاشر ويعد هذا البيمارستان من جملة الآثار القديمة الباقية في حلب . ويروى أنه كانت توضع فيه الرياحين ويؤتى له بآلات الطرب والمغنين لتكون هذه المشاهد والانغام من تمام العناية بالمداواة. وفي مدخله أفاريز ونقوش من أجمل مانقش النقاشون تزينه فتجعله بهجة للناظرين[1].

---

١ ـ قال فيه ابن كثير :

قولا لأرغون الذي معروفـــه	بالعرف قد أحيا النفوس والأرج
انزلك الرحمن خـــير مـــنزل	رحب ورقاك الى أعلى الدرج
بنيت داراً للنجـــاة والشفـــا	ليس بها على المريض من حرج

مارستان حصن الاكراد[1] : انشأ هذا المارستان بكتمر بن عبد الله الأشرفي نائب السلطنة المعظمة بحصن الأكراد . ولم يبق من آثاره الا حجر كتب عليه صورة الوقف .

بيمارستان الرقة : تولى الطب فيه بدر الدين ابن قاضي بعلبك وصنف مقالة حسنة في مزاج الرقة وأحوال أهويتها ومايغلب عليها وأقام بها سنين .

بيمارستان نصيبين[2] : وصف ابن بطوطة مدينة نصيبين ثم قال وبهذه المدينة مارستان ومدرستان وأهلها أهل صلاح ودين وأكد قول ابن جبير وأضاف بأن هذه البلاد كلها من الموصل الى نصيبين الى الفرات تعرف بديار ربيعة .

بيمارستانات فلسطين : نذكر منها

بيمارستان القدس : رحل السلطان صلاح الدين الى القدس في اليوم الرابع عشر من شهر رمضان سنة ٥٨٣هـ وامر بتشييد اسوار المستشفى المذكور وقد كتب عنه عادل جبر بك يقول أن بالقدس حارة تسمى الدباغة والمشهور المتداول من ألسنة الناس ان البيمارستان الصلاحي كان في هذه الجهة ثم أدركه الخراب كما ادرك غيره من الآثار ثم حدثت زلزلة في سنة ٨٦٢ هـ - ١٤٥٨ م ميلادية فجعلته أثراً بعد عين .

---

١ - حصن الاكراد محدود من الجنوب بجبل عكار وجبل لبنان ومن الشمال جبال العلويين وكان من قبل يسمى حصن الصلح وقد استولى عليه الصليبيون وكانوا يغيرون منه على حماة وحمص وهو بمرأى العين منها وبقي في أيديهم الى سنة ٦٦٩ هـ ١٢٧١ م ثم استرده منهم الملك بيبرس .

٢ - جاء في رحلة ابن جبير طبع مصر ص ٨٤ عن نصيبين انها جليلة المنظر متوسطة بين الكبير والصغير تمتد امامها وخلفها بسيط أخضر مد البصر تحف بها عن يمين وشمال بساتين ملتفة الاشجار ، يانعة الثمار قال فيها أبو نواس الحسن بن هاني :

طابت نصيبين لي يوماً فطبت لها ... يا ليت حظي من الدنيا نصيبين

بيمارستان عكا : انشأه صلاح الدين الايوبي سنه ٥٨٣ هـ ووقف عليه اوقافاً دارة وولى نظر ذلك لقاضيها .

بيمارستان صفد : عمره الأمير تنكز نائب الشام في زمن السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون .

بيمارستان غزة : بناه الأمير علم الدين سنجر الجاولي الفقيه الشافعي ودفن في تربته في ٩ رمضان ٧٤٥ هـ .

بيمارستان الرملة : بناه محمد بن فضل الله القبطي فخر الدين وكان بخدمة الناصر محمد ومات في رجب سنة ٧٣٢ هـ .

بيمارستان نابلس : ذكر ابن حجر العسقلاني محمد بن فضل الله القبطي أن فخر الدين بنى بنابلس من أعمال فلسطين مارستان عرف بيمارستان نابلس .

بيمارستانات العراق والجزيرة العربية منها :

بيمارستانات الرشيد في بغداد : صمم الرشيد ، خامس خلفاء بني عباس [١] بعد الذي سمعه عن مدرسة جند يسابور وبيمارستانها، على نقل مركز الدراسة الطبية الى عاصمة الخلافة ببغداد فتهيأ لتأسيس معهد علمي يفوق بترتيبه واتقانه معهد جند يسابور ، تلك المدينة التي أصبحت خاضعة لمراكز الخلافة لذلك أمر الرشيد جبريل بن بختيشوع أن ينشيء بيمارستاناً في بغداد فأنشأه ورشح لرياسته ماسويه الخوزي من أطباء بيمارستان جند يسابور وتولى جبريل رعايته وكان الرازي من بين الأطباء الذين عملوا في هذا المستشفى .

بيمارستان البرامكة : كان للبرامكة بيمارستان وكان ابن دهني طبيباً له . وقد نقل ابن دهني الى العربي من اللسان الهندي .

بيمارستان ابي الحسن علي بن عيسى : انشأه الوزير أبو الحسن علي بن عيسى

---

١ ـ تولى الخلافة سنة ١٧١ هـ - ٧٨٦ م .

ابن الجراح وانفق عليه من ماله وقلده أبا عثمان سعيد بن يعقوب الدمشقي متطببه . وهو أحد النقلة المجيدين وكان منقطعاً اليه ، كان علي بن عيسى وزيراً للمقتدر والقاهر وكان دخله من ضياعه في كل سنة نيفاً وثمانين الف دينار ينفق نصفها على الفقراء والضعفاء ونصفها على نفسه وعياله وأصحابه ، وقف وقوفاً كثيرة من ضياع السلطان وأفرد لها ديواناً سماه ديوان البر .

بيماوستان السيدة : يقصد بالسيدة أم المقتدر كان دخل أملاكها الف الف دينار وكانت تتصدق بها ووقفت شيئاً كثيراً منها وكانت صالحة دينة غاية في الحشمة والرياسة ونفوذ الكلمة أيام خلافة ولدها . وقد فتح مستشفاها أبو سعيد سنان بن ثابت سنة ٣٠٦ هـ وجلس فيه ورتب ببغداد المتطببين وقبل المرضى .

البيمارستان المقتدري : أشار سنان بن ثابت بن قرة على الخليفة المقتدر بالله أن يتخذ بيمارستاناً ينسب اليه فأمره باتخاذه وسماه البيمارستان المقتدري . وقد خدم فيه من الأطباء يوسف الواسطي وجبريل بن عبيد الله بن بختيشوع .

بيمارستان معز الدولة بن بويه : ابتدأ في سنة ٣٥٥ هـ معز الدولة بن بويه في بناء مارستان وأرصد له أوقافاً وبلغ دخل الضياع الموقوفة عليه في كل سنة خمسة آلاف دينار .

البيمارستان العضدي : انشأه عضد الدولة بن بويه الذي ملك العراق في سنة ٣٧٢ هـ في عهد الخليفة الطائع وأمره بتعميره على أطراف الجسر من الجانب الغربي في بغداد وفرغ من تعميره سنة ٣٨٦ هـ . ورتب فيه الأطباء والخدم والوكلاء والخزان ونقل اليه من كل ما يحتاج اليه وقيل إنه ليس في الدنيا مثل ترتيبه وقد عين فيه أربعة وعشرين طبيباً وكان من بينهم مندويه ابن الاصفهاني وفي سنة ٥٦٩ هـ ١١٧٣ م توالت الأمطار شهرين ودخل الماء الى المارستان العضدي . عمل في البيمارستان المذكور جبريل بن عبيد الله بن بختيشوع وابو الحسن

علي بن ابراهيم بن بكس وابو الفرج بن الطيب وكان من فضلاء المدرسين وامين الدولة بن التلميذ وكان ساعوراً أي رئيس أطباء وجمال الدين بن أثردي وابن المارستانية وابو علي بن ابي الخير .



الشكل (٥١)

صورة منقولة عن رسم خطط في القرن الثالث عشر الميلادي لثلاثة من الاطباء يفحصون مريضاً من الوجهاء في مدينة بغداد وقد وقف الى جانب فراشه شاب من اقاربه

بيمارستان محمد بن علي بن خلف ببغداد : هو وزير القادر بالله ولد سنة ٣٥٤ هـ وولي وزارة العراق سنة ٤٠١ انشأ بيمارستاناً ببغداد قل ان عمل مثله .

بيمارستان واسط : انشاه بواسط مؤيد الملك ابو علي الحسن بن الحسن الرُخّجي وزير الخليفة القادر ورتب له الخزان والأطباء وغير ذلك مما يحتاج اليه ووقف عليه الوقوف الكثيرة .

البيمارستان الفارقي بميافارقين : أمر الخليفة القائم بأمر الله زاهد العلماء بانشائه وانفق عليه أموالاً كثيرة ووقف له أملاكاً تقوم بكفايته فجاء لامزيد

عليه في الجودة وكان في هذا البيمارستان مجلس للعلم يجيب فيه زاهد العلماء

بيمارستان الموصل : اتى على ذكره الرحالة المغربي ابو الحسين محمد بن احمد ابن جبير الذي زار الموصل سنة ٥٨٠ هـ وقال فيه إن أحد امراء بلدة الموصل المعروف بمجاهد الدين بنى جامعاً على شط دجلة وأمامه مارستان حفيل تتفقده الاطباء كل يوم اثنين وخميس ويعالجون المرضى به ويرتبون لهم اخذ ما يحتاجون اليه وبين ايديهم قومة يتناولون طبخ الادوية والاغذية . والبيمارستان قصر كبير فيه المقاصير والبيوت وجميع مرافق المساكن الملوكية والماء يدخل اليه من دجلة[1]. وقد زار الرحالة ابن بطوطة حوالي سنة ٧٢٨ هـ مدينة الموصـــل وقال عن البيمارستان المذكور بأنه أصبح خراباً لم تبق منه إلا الآثار ويعتقد المؤلفان الوتري وشابندر[2] أن عضد الدولة إنما جدد البيمارستان الرشيدي ووسعه واضاف الى عمارته وأسماه باسمه .

بيمارستان مكة : كان بالجانب الشمالي من المسجد الحرام وتاريخ وقفه سنة ٦٢٨ هـ بناه المستنصر بالله جعفر بن الظاهر العباسي ووقفه على الفقراء والمساكين والمرضى والمنقطعين يأوون اليه عُلواً وسُفلاً وينتفعون بالاقامة والسكن فيه، لا يزعجهم أحد ولا يخرجهم بل يستمرون الى أن يحصل لهم الشفاء والعافية فيخرجون باختيارهم وقد أقرأ فيه الشيخ قطب الدين درساً في الطب ودرساً في الحديث .

بيمارستان المدينة : نقل اليه الملك الظاهر ركن الدين بيبرس الصالحي سائر المعاجين والاكحال والاشربة وبعث اليه طبيباً من الديار المصرية .

بيمارستانات الأندلس والمغرب :

بيمارستان غرناطة في الاندلس : قال الوزير لسان الدين بن الخطيب عن

---

١ رحلة بن جبير ص ٢٠٤ .

٢ - تاريخ الطب في العراق طبع سنة ١٩٢٩ ص ٤٠ .

أمير المسلمين بالاندلس محمد بن يوسف بن نصر الذي تولى الملك بعد وفاة أبيه في عام ٧٥٥ هـ وأنه من مواقفه في الصدقة والاحسان بناء المارستان الأعظم ، حسنة هذه التخوم القصوى الذي جعله حلة الاندلس وقدتم بناؤه سنة ٧٦٨هـ . قيل كان في غرناطة وحدها خمسون مارستانا ومثلها في قرطبة .

بيمارستان تونس : في تونس مارستان بالقرب من سيدي محرز لايزال موجوداً ولكنه قد تغيرت معالمه ويرجع تاريخه الى القرن الثالث عشر الميلادي ، أحدثـــه أمير المؤمنين أبو فارس عبد العزيز بن السلطان ابي العباس للضعفاء والغرباء واوقف على ذلك أوقافاً كثيرة

بيمارستان مراكش : ويعرف باسم الآمر ببنائه أمير المؤمنين المنصور أبي يوسف من ملوك الموحدين بالمغرب قال فيه عبد الواحد المراكشي : ما اظن أن في الدنيا مثله أقام فيه بانيه من الصيادلة لعمل الأشربة والأدهان والاكحال وأعد فيه للمرضى ثياب ليل ونهار فاذا نقه المريض فان كان فقيراً أمر له عند خروجه بمال يعيش به ريثما يشتغل ولم يقصره على الفقراء دون الاغنياء . وكان في كل جمعة بعد صلاته يركب ويدخله ويعود المرضى ويسأل عن أهل بيت ، أهل بيت ويقول : كيف حالكم ؟ وكيف القَوَمَةُ عليكم ؟ الى غير ذلك من السؤال ثم يخرج ، لم يزل مستمراً على هذا الى أن توفي في شهر صفر سنة ٥٩٥ وله من العمر ٤٨ سنة ومدة ولايته ١٦ سنة وثمانية شهور .

بيمارستان سَلا [1] : قدم من المغرب في النصف الأول من القرن الرابع عشر الميلادي أبو العباس أحمد بن محمد بن عمر بن عاشر الانصاري الاندلسي من بلاد الاندلس وجعل اقامته بسلا ثم أخذ يعالج المرضى واشتهر اسمه بسيدي

---

١ ـ جاء في معجم البلدان : سلا بلفظ الفعل الماضي من سلا يسلومدينة بأقصى المغرب متوسطة في الصغر والكبر .

بن عاشر الطبيب . وأنشىء بالقرب من قبره مارستان جدده السلطان مولاي عبد الرحمن .

بيمارستان سيدي فرج بفاس : جاء في كتاب سلوة الانفس انه بالقرب من سوق العطارين وسوق الحنا بفاس مكان يقيم به المرضى ، بنى فيه أحد السلاطين داراً للمرضى الذين لاملجأ لهم أو مأوى يأوون اليه وسمي باب الفرج لأن المرضى كانوا يجدون فيه مايفرج كربهم وقد وصفه الدكتور دومازل[1] فقال: بناؤه قديم يرجع تأسيسه الى عهد سلاطين بني مرين وهم في أوج عزهم وعظمتهم يعاونون على نشر العلوم وتجميل المدن . بنى أحدهم وهو يعقوب يوسف بن يعقوب بن عبد الحق هذا المارستان لما تولى الملك سنة ٦٨٥ ه و ١٢٨٦ م وعهد مؤسسه ادارته الى اشهر الاطباء واوقف عليه الحبوس الكثيرة من العقار للصرف عليه ولما عظم أمر البيمارستان واتسعت أعماله ادخل عليه السلطان ابو عنان الذي تولى الملك سنة ٧٦٦ ه زيادات عظيمة . وفي سنة ٩٠٠ ه اتخذ أهل الاندلس من المسلمين إقامتهم في فاس ، فتولى رياسته طبيب من بني الأحمر يسمى فرج الخزرجي ولذلك سمي بيمارستان فرج ، فأصلح فيه وجعل الموسيقاريين يلحنون أمام المرضى .

المشافي المصرية منها :

البيمارستان العتيق[2] أنشأه احمد بن طولون في سنة ٢٥٩ ه ٨٧٢ م بالفسطاط وقد خربته الايام فاندثر ولم يعد له أثر . وكان من جملة العرف المتبع

---

١ ـ Dumazel .

٢ ـ وقد قال سعيد القاضي في مارستان بن طولون :

ولا تنس مارستانه واتساعه	وتوسعة الارزاق للحول والشهر
وما فيه من قوامه وكفاته	ورفقهم بالمعتفين ذوي الفقر
فللميت المقبور حسن جهازه	وللحي رفق في علاج وفي جبر

فيه أنه إذا جيء بعليل تنزع عنه ثيابه ونفقته وتحفظ عند أمين المارستان ثم يلبس ثياباً ويفرش له ويغذى ويعالج بالادوية والاغذية حتى يبرأ فاذا أكل فروجاً ورغيفاً أمر بالانصراف واعطي ماله وثيابه . وكان احمد بن طولون يركب بنفسه في كل يوم جمعة ويتفقد خزائن المارستان وما فيها والاطباء وينظر الى المرضى وسائر المعلولين والمجانين . دخل مرة حتى وقف عند المجانين فناداه واحد منهم ايها الامير اسمع كلامي ما أنا بمجنون وإنما عملت علي حيلة ، وفي نفسي شهوة رمانة عريشية اكبر ما يكون ، فأمر له بها من ساعته ففرح بها وهزها في يده ورازها ثم غافل احمد بن طولون ورمى بها في صدره فنضحت على ثيابه فأمرهم أن يحتفظوا به .

البيمارستان الناصري أو الصلاحي : لما ملك السلطان صلاح الدين يوسف ابن يوسف بن ايوب الديار المصرية سنة ٥٦٧ هـ ١١٧١ م حوّل قاعة قصر الفاطميين الى مستشفى وصفه ابو الحسن محمد بن جبير عند زيارته لمدينة القاهرة سنة ٥٨٧ هـ ١٠٨٢ م فقال : ومما شاهدناه من مفاخر السلطان ، المارستان الذي بمدينة القاهرة وهو قصر من القصور الرائعة حسناً واتساعاً عيّن له قيّما من أهل المعرفة ووضع لديه خزائن العقاقير ومكّنه من استعمال الاشربة وإقامتها على اختلاف انواعها ووضعت في مقاصير ذلك القصر اسرة يتخذها المرضى مضاجع كاملة وبين يدي ذلك القيم خدمة يتكلفون بتفقد احوال المرضى بكرة وعشية فيقابلون من الاغذية والاشربة بما يليق بهم ، وبازاء هذا الموضع موضع مقتطع للنساء المرضى ولهن ايضاً من يكفلهن ويتصل بالموضعين موضع آخر متسع الفناء فيه مقاصير عليها شبابيك من الحديد اتخذت مجالس للمجانين ولهم أيضاً من يتفقد في كل يوم احوالهم ويقابلها بما يصلح لها ، والسلطان يتطلع هذه الاحوال كلها بالبحث والسؤال ويؤكد في الاعتناء بها والمثابرة عليها غاية التأكيد . عمل في

هذا المارستان من الاطباء رضي الدين الرحبي[1] ، وكانت صناعة الكحل اغلب عليه وموفق الدين أبو العباس المعروف بابن ابي اصيبعة .

البيمارستان الكبير المنصوري او دار الشفاء او مارستان قلاوون :

كان قاعة للسيدة الشريفة ست الملك حولت الى بيمارستان بأمر قلاوون سنة ٦٨٠ هـ ١٢٨١ م ولما تكامل ذلك ركب السلطان قاصداً البيمارستان فجلس فيه ومعه الأمراء والقضاة والعلماء . وقال : قد وقفت هذا على مثلي فمن دوني ، على الملك والمملوك ، الكبير والصغير والحر والعبد والذكر والانثى . وجعل لمن يخرج منه من المرضى عند برئه كسوة ومن مات جهز وكفن ودفن ورتب فيه الحكماء الطبائعية والجرائحية والمجبرين والكحالين ورتب به الفراشين والفراشات والقومة لخدمة المرضى واصلاح اماكنهم وتنظيفها وغسل ثيابهم وخدمتهم في الحمام وعملت التخوت والفرش والطراريح والاقطاع والمخدات واللحف والملاءات ، لكل مريض فراش كامل ، وأفرد لكل طائفة من المرضى امكنة تختص بهم فجعلت قاعة للرمد وقاعة للجرحى وقاعة للنساء وقاعة للمحرورين من الرجال ومثله للنساء ورتب فيه مكان يجلس فيه رئيس الاطباء لالقاء درس طب ينتفع به الطلبة وقد جعل السلطان المارستان سبيلاً لكل من يصل اليه في سائر الاوقات من غني وفقير ولم يقتصر ايضاً فيه على من يقيم به من المرضى بل رتب لمن يطلب وهو في منزله ما يحتاج اليه من الاشربة والاغذية والادوية . وكان سبب بناء المستشفى ان الملك المنصور لما توجه وهو امير الى غزاة الروم في ايام الظاهر بيبرس سنة ٦٧٥ هـ - ١٢٧٦ م ، أصابه بدمشق قولنج عظيم ، فعالجه الأطباء بأدوية اخذت له من مارستان نور الدين الشهيد ، فبرأ وركب حتى شاهد المارستان فأعجب به ونذر أن آتاه الله الملك ان يبني مارستاناً فلما تسلطن أخذ

---

١ - السفر الثالث من تاريخ الطب ص ٢٠٤ .

في عمل ذلك . قال فيه خالد البلوي[1] كان يعالج المرضى به من قناطير الاشربة المقطرة والاكحال الرقيقة الطبية التي تسحق فيها دنانير الذهب الابريز وفصوص الياقوت النفيس ، وأنواع اللؤلؤ الثمين ، فشيء يهول السماع ويعم ذلك الجميع ، الى ما يضاف الى ذلك كله من لحوم الطير والاغنام على اختلافها وتباين اصنافها



الشكل (٥٣)

صورة صيدلية

مع ما يحتاج اليه كل واحد ممن يوافيه ويحل فيه لفرشه وعرشه من غطاء ووطاء ومشموم ومذرور وشبه ذلك مما هو معد على أكمله وما ليس مثله الا في منزل أمير أو خليفة وقد رتب على ذلك كله من الاطباء الماهرين والشهود المبرزين والنظار العارفين والخدام المتصرفين ، كل من هو خبير في معالجته موثوق بعدالته ،

١ ـ خالد البلوي اندلسي قاضي قنطورية قام برحلة الى مصر فوصف ماشاهد فيها .

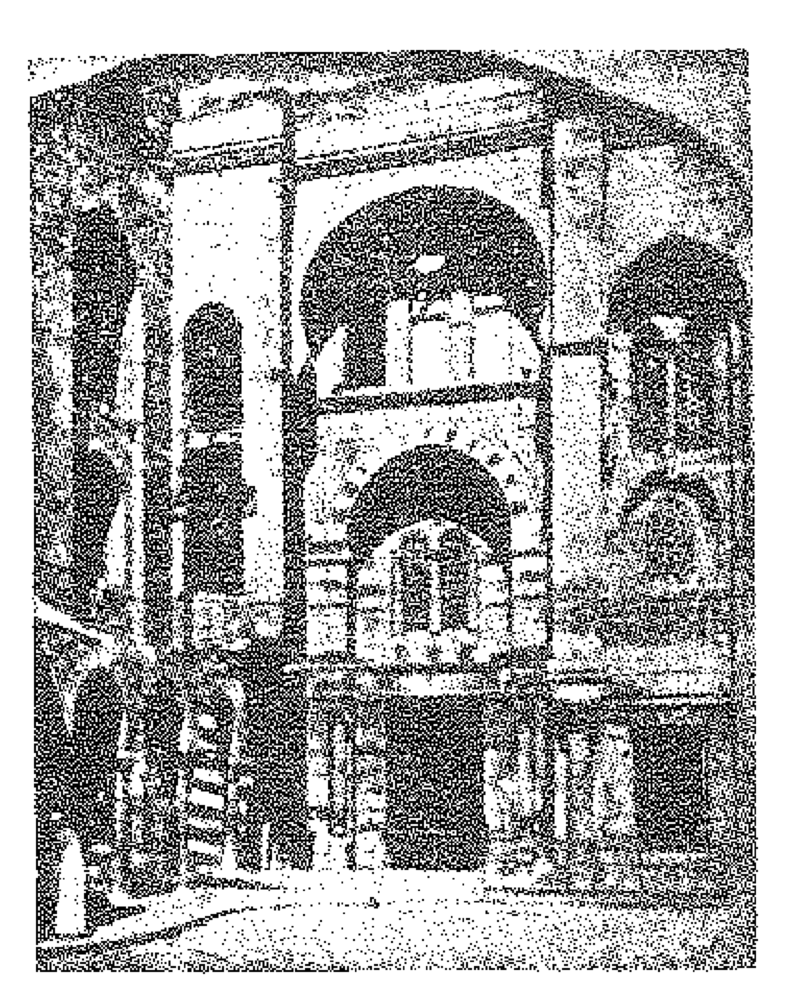
مسلّم له في معرفته ، غير مقصر في تصرفه وخدمته ولو استقصيت الكلام في هذا المارستان وحده لكان مجلداً مستقلاً بنفسه ، أو في مبانيه الرائعة وصناعاته الفائقة وتواريخه المذهبة ونقوشه العجيبة المنتخبة التي ترفل في ملابس الاعجاب وتسحر العقول والالباب ما يفتن النفوس ويكشف انواع البدور والشموس وتعجز عن وصف بعضها خط الاقلام في ساحة الطروس فما وقعت عيني على مثله ولا سمعت اذن بشبهه وشكله . قال فيه غومارا[1] أحد العلماء الذين استقدمهم نابليون الى مصر : انشىء في القاهرة منذ خمسة قرون او ستة ، عدة مارستانات ، تضم الأعلاء والمرضى والمجانين لم يبق منها سوى مارستان واحد هو مارستان قلاوون ، صرف عليه سلاطين مصر مالاً وافراً ، وأفرد فيه لكل مرض قاعة خاصة مع طبيب خاص ، وللذكور فيه قسم منعزل عن قسم الاناث وكان يدخله المرضى فقراء واغنياء بدون تمييز وكان يجلب اليه الأطباء من مختلف جهات الشرق ويجزل لهم العطاء ويقال إن كل مريض كانت نفقاته في كل يوم ديناراً وكان له شخصان يقومان بخدمته وكان المؤرقون من المرضى يعزلون في قاعة منفردة يشنفون فيها آذانهم بسماع ألحان الموسيقى الشجية أو يتسلون باستماع القصص يلقيها عليهم القصاص وكان المرضى الذين يستعيدون صحتهم يعزلون عن باقي المرضى ويمتعون بمشاهدة الرقص ، وكانت تمثل امامهم الروايات المضحكة وكان يعطى لكل مريض حين خروجه من المارستان خمس قطع من الذهب ، حتى لا يضطر الى الالتجاء الى العمل الشاق في الحال . وبنى السلطان قلاوون المدرسة التابعة للمارستان في المكان الذي هي فيه في الوقت الحاضر وكان يدرس فيها الطب والفقه . وقال بريس دافن[2] : كانت قاعات المرضى تدفأ باحراق

---

١ - Gomara

٢ - Prisse d' Avennes : L'art arabe

البخور أو تبرد بالمراوح الكبيرة الممتدة من طرف القاعة الى الطرف الثاني ، وكانت أرض القاعات تغطى بأغصان شجر الحناء أو شجر الرمـــان أو شجر المصطكي أو بعساليج الشجيرات العطرية وكان البلسان يؤتى به من عين شمس الى المارستان لعلاج المرضى وقد كان يصرف من الوقف على بعض أجواق



الشكل (٥٣)
بيمارستان قلاوون

تأتي كل يوم الى المارستان لتسلية المرضى بالغناء أو بالعزف على الآلات الموسيقية ولتخفيف ألم الانتظار وطول الوقت على المرضى كان المؤذنون في المسجـــد يؤذنون في السحر وفي الفجر ساعتين حتى يخفف قلق المرضى الذين أضجرهم السهر وطول الوقت وقد شاهد علمـــاء الحملة الفرنسية هذه العناية بأنفسهم ، لعبت

بالبيمارستان المنصوري بيد الزمان فأصبح أثراً بعد عين وعفت آثاره وزالت معالمه ، ولم يبق منه سوى النزر اليسير من رسومه ومرافقه . وتعد وقفية السلطان قلاوون على البيمارستان المنصوري من الوثائق التاريخية الهامة لانها تعرّف عما بلغته المدنية العربية الاسلامية من الرقي والرحمة وحب الخير ويفهم منها الحث على معالجة الفقراء فيه وتزويده بخيرة الاطباء وما يحتاجون اليه من أدوية وآلات وأدوات كما بينت مقاصده ومن جملتها دخول المرضى اليه جموعاً ووحداناً وشيوخاً وشباناً وبلغاء وصبياناً وحرماً وولداناً ، يقيم به المرضى الفقراء من الرجال والنساء لمداواتهم الى حين برئهم وشفائهم ويصرف ماهو معد فيه للمداواة ، ويفرق للبعيـــد والقريب ، والاهلي والغريب والقوي والضعيف والدني والشريف والعلي والحقير والغني والفقير والمأمور والامير والاعمى والبصير والمفضول والفاضل والمشهور والخامل والرفيع والوضيع والمترف والصعلوك والمليك والمملوك ، من غير اشتراط لعوض من الاعواض ، ولا تعريض بانكار على ذلك ولا اعتراض بل لمحض فضل الله وطوله الجسيم وأجره الكريم وبره العميم . وممـــا جاء في هذه الوقفية عن توزيع الدواء والطعام قوله ويتسلم المأذونون صبيحة كل يوم وعشيته أقداح الشراب المختصة بالمرضى المقيمين بهذا المارستان ويفرق ذلك عليهم ويباشر كل منهم شرب ما وصف له من ذلك ويباشر الطبخ بهذا المـارستان فيطبخ به للمرضى من ودجاج وفراريج ولحم وغير ذلك ويجعل لكل مريض ما طبخ له في كل يوم في زبدية منفردة له من غير مشاركة مع مريض آخر ويغطيها ويوصلها الى المريض الى أن يتكامل إطعامهم ويستوفي كل منهم غداءه وعشاءه وما وصف له بكرة وعشية . وجاء فيها أيضاً ويصرف الناظر من ريع هذا الوقف لمن ينصبه بهذا المارستان من الاطبـاء الطبائعيين والكحالين والجرائحيين الذين يباشرون المرضى والمختلين من الرجال والنساء بهذا المارستان مجتمعين ومتناوبين ويسألون

عن أحوالهم وما يتجدد لكل منهم من زيادة مرض أو نقص ويكتبون بما يصح لكل مريض من شراب وغذاء وغيره في دستور ورق ليصرف على حكمه ، ويستلزمون المبيت في كل ليلة بالبيمارستان مجتمعين او متناوبين . ويصرف الناظر في هذا الوقف لمن ينصبه شيخاً للاشتغال عليه بعلم الطب مايرى صرفه اليه وبجملة أطباء البيمارستان . أما من كان مريضاً في بيته وهو فقير ، فللناظر أن يصرف له ما يحتاج اليه من الاشربة والادوية والمعاجين وغيرها مع عدم التضييق في الصرف فان مات بين أهله صرف اليه النـاظر في موته بتجهيزه وتغسيله وتكفينه وحمله الى مدفنه ومواراته في قبره مايليق بين اهله . ثم تقول الوقفية وعلى الناظر في هذا الوقف أن يراعي تقوى الله سبحانه وتعالى سراً وجهراً ولا يقدم صاحب جاه على ضعيف ولا قوياً على من هو أضعف منه ولا متأهلاً على غريب . وجاء في الوقفية أيضاً : وقف هذا البيمارستان لمداواة المرضى على اختلاف اجناسهم واوصافهم وسائر أمراضهم من امراض الاجسام قلت أو كثرت ، اتفقت او اختلفت ، وامراض الحواس خفت أو ظهرت من غير اشتراط لعوض من الاعواض ، ولا تعريض بإنكار على ذلك ولا اعتراض ، بل لمحض فضل الله العظيم على أن تكون المسطبة الكبرى التي بالبيمارستـــان المرقوم مرصدة لجلوس مدرس من الحكماء الاطباء عارف بالطب وأوضاعه متبحر في فضله لكثرة عمله واطلاعه ، عالم بأسباب الامراض وعلاجاتهـــا وتكون المسطبة المقابلة لها مرصدة لجلوس المستخدمين والمباشرين لإدارة البيمارستان المرقوم . وتقول الوقفية وعلى الاطباء المرتبين بالبيمارستان المرقوم والكحالين والجرائحيين مباشرة المرضى ، الرجال والنساء مريضاً بعد مريض بحيث يستوعبون جميـع المرضى بالمباشرة في كل يوم بكرة وعشية وعلى كل من القومة والفراشين أن يتعاهد المرضى ويقوم بما يحتاج اليه من غسل ثيابه وتنظيف مكانه واصلاح شأنه وحك رجليه والقيام بمصالحه والاهتمام بشرابه

وغذائه وترتيب المشموم له على العادة بحسب ماتدعو الحاجة اليه ولا يشرك مريضاً مع مريض آخر في شراب ولا في غذاء ويتقي الله سبحانه وتعالى في خدمتهم ويراقب ربه جل جلاله في ملاطفتهم .

ويصرف الناظر من ريع هذا الوقف ثمن ماتدعو حاجة المرضى اليه من سرير حديد أو خشب . وقد عمل في هذا البيمارستان من الاطباء :

ابن الاكفاني : توفي سنة ٧٤٩هـ ومن مؤلفاته الطبية ، غنية الطبيب في غيبة الطبيب ونهاية القصد في صناعة الفصد .

ابن صغير : تميز في الطب وعالج وتدرب به وله في الطب كتاب اسمه الزبد وكان أحد الاطباء بالبيمارستان وبخدمة السلطان مات سنة ٨٣٩ عن ٨٤ سنة .

محمد بن محمد الكحال : ويعرف كسلفه بابن صغير عانى الطب واستقر في نوبة البيمارستان وله كتاب تشريح الاعضاء في الطب مات في صفر سنة ٨٩١هـ وهو ابن ٩٦ سنة

شهاب الدين ابن الصائغ : مات عن مشيخة الطب بدار الشفاء المنصوري ورياسة الاطباء سنة ١٠٣٦ هـ وكانت ولادته سنة ٩٤٥ هـ ولم يخلف الا بنتاً تولت مكانه مشيخة الطب .

مدين بن عبد الرحمن القوصوني المصري : رئيس الاطباء بدار الشفاء بمصر ، ولي مشيخة الطب بمصر ، ألف التآليف النافعة منها : ريحـــان الالباء وريعان الشباب في مراتب الآداب ، وكتاب قاموس الاطباء وناموس الالباء في المفردات .

مضر بن علي بن الخطاب : كان من ولاية آيدين وارتحل الى القاهرة ثم

عرض له مرض شديدفاضطره الى الاشتغال بالطب فمهر فيه وفوض اليه بيمارستان مصر فدبره احسن تدبير وصنف كتاب الشفا في الطب أو شفاء الاسقام توفي سنة ١١٠٠ هـ .

المارستان المنصوري في نظامه الاخير : يقول في هذا الصدد الدكتور احمد عيسى ماخلاصته : بعد الشريف السيد القاسم التونسي لم اعثر على طبيب آخر تولى العلاج في المارستان المنصوري والظاهر ان أمر المارستان كان مهمــلاً من العلاج في الفترة الواقعة بين سنة ١٧٩٧ وسنة ١٨٠١ وبلغ غاية الاضمحلال في سنة ١٨٥٦ وظل كذلك الى أن تولى امره الدكتور حسين عوف .

حسين عوف : تولى أمر العلاج في المارستان المذكور وتولى بعده العلاج غيره من الأطباء العصريين ثم شيدت الأوقاف المارستان الجديد عام ١٩١٣ وتم بناؤه وابتداء العلاج فيه في ١٥ نيسان سنة ١٩١٥ حيث كانت الحرب العالمية مشتعلة الأوار فلم يحتفل بافتتاحه . خدم فيه من الاطباء العصريين :

حسين عوف وابنه محمد عوف : عين حسين عوف استاذاً للرمد وظل كذلك الى أن أحيل على المعاش سنة ١٨٧٩ وخلفه ابنه محمد عوف استــاذاً بمدرسة الطب ومستشفى القصر العيني سنة ١٨٧٩ واستمر في وظيفته نحو ثلاثين سنة ثم احيل على المعاش وفي سنة ١٩٠٢ تولى العلاج في مارستان قلاوون كما كان أبوه وتوفي سنة ١٩٠٨ م .

محمد سامح : ولد بالاسكندرية سنة ١٨٥١ وتعلم الطب بالقاهرة أتقن فن الكحالة في باريز ثم عين طبيباً كحالاً بمارستان قلاوون وأحيل في سنة ١٩١١ على المعاش وتوفي سنة ١٩١٧ م وله جملة مؤلفات منها مرشد الطبيب للعلاج المجيب .

محمد شاكر : تعلم في مصر وأتم علومه في فرنسة وعـين سنة ١٩١٢ طبيباً في مارستان قلاوون عـالج فيه الرمد الى سنة ١٩١٥ حيث أحيل على المعاش

محمد طاهر : ولد بدمياط وتعلم الطب بمدرسة القصر العيني وتخرج سنة ١٩٠٤ وفي سنة ١٩١٤ عين رئيساً لمستشفى قلاوون الى سنة ١٩١٨ ثم عـين مدرساً للرمد بمدرسة الطب .

البيمارستان المؤيدي : ضاعت معالمه وقد كتبت لجنة حفظ الآثار العربية فيه تقريراً في سنة ١٨٩٤ باعتباره أثراً يستحق العناية ووصت اللجنة بارجـاع البيمارستان الى حالته الأصلية بقدر ماتسمح به حال الموجود من آثاره .

د – ميزات الطب عند العرب والمسلمين في عصورهم الذهبية :

كان الطب عند العرب في القرون الوسطى بعد الاسلام صناعـة نبيلة لا يسمح بتعاطيها الا لمن حصل على خبرة واسعة في علوم تتصل بالطب وأُعد اعداداً علمياً وخُلُقياً لمعالجة الناس وتطبيبهم والاطلاع على أسرارهم المتعلقـة بحاضر صحتهم وماضيهـا . عرفّ العرب الطب بانه حفظ الصحة موجودة وردهـا مفقودة فلو قارنا بين هذا التعريف وبين التعاريف العديدة حتى الحديثة منها التي وضعت لتحديد الطب لوجدنا التعريف العربي جامعاً بين الايجاز والفصاحة والبيان والصراحة اختار من الكلمات أبلغها دلالة وأكثرها افادة . ولقد اشترط حكام العرب على محترف المهنة الطبية ان يكون عالماً بالتشريح[1] ، ملماً بعلم وظائف الأعضاء خبيراً بالنبض وتبدل البول ، محيطاً بجميع العلوم التي

١ – انظر التفصيل في صفحة ٢٠٩ عن بنـاء المعتصم قاعة تشريح خاصة على ضفة دجلة .

لها صلة قريبة أو بعيدة بالطب . وقد جاء في أقوال الرازي ما يدل على اعتبار العرب معرفة التشريح اساساً لكل عمل طبي[1] .

ولقد كان الزهراوي يوصي بمعرفة التشريح معرفة عميقة[2] فكان يقول عنه إنه بمثابة قاعدة للطب وخاصة للجراحة وكان يقول ان جهل التشريح يجر الى نتائج



الشكل (٥٤)

طبيب يجس نبض مريضه

وخيمة ، ويرى بورتل ان الزهراوي شرح الجثث بنفسه . وقد عني العرب بنقل كتب التشريح اليونانية الى لغتهم والفوا فيه ومن مؤلفاتهم فيه كتاب ابن نفيس

---

١ - انظر التفصيل في صفحة ٢٢٦ ، ٢٣٠ .

٢ - انظر التفصيل في سيرة الزهراوي ص ٢٨٠ ، ٢٨١ .

– مكتشف الدورة الدموية – المسمى بشرح تشريح القانون .

أما عنايتهم بعلم وظائف الاعضاء فيلاحظ الباحث اثرها في اكثر كتبهم الطبية فما من كتاب موسع في الطب العربي الا وفيه ذكر لخصائص كل عضو وعمله في حالتي الصحة والمرض . وكانت لهم خبرة زائدة بمعرفة احوال النبض والاستدلال



الشكل (٥٥)

تحضير ترياق مضاد لسم الافاعي

بتبدلاته على الحميات والامراض وربما كان العرب اول من اعتمد على فحص القشع للتعرف على أمراض الصدر عامة والرئة خاصة . اما معرفتهم بالأدوية ولا سيما النباتية منها فانها تكاد تحاكي في اساليبها طرق التعريف بالنباتات الطبية اليوم كما يتضح من سيرة رشيد الدين الصوري[١] ومما جاء فيها أنه كان متعمقاً في معرفة الأدوية المفردة وصفاتها وتحقيق خواصها وكان يطب بالبيمارستان الذي كان في القدس وقد خدم بصناعة الطب الملك العادل ابا بكر بن ايوب في سنة اثنتي عشرة وستمائة ولما كان الملك العادل متوجهاً الى الديار المصرية استصحبه معه من القدس

١ – انظر التفصيل في سيرته ص ٣٠٨ .

وبقي في خدمته وخدمة ولده من بعده ، وكان له مجلس للطب والجماعة يترددون اليه ويشتغلون بالصناعة الطبية عليه . وقد جاء في سيرة البيطار[1] ما يحاكي سيرة الصوري من حيث التوسع في علم النبات الطبي .

وقد تأكد أنه كان يبحث عن نباتات البلاد ويعتني بجمعها ودرسها ويختار النباتات والاعشاب ويحققها ويبحث عن مواضيع نباتها وانه سافر للاتصال بعلماء الافرنج وباحثيهم في النباتات والاعشاب واتقن دراسة كتاب ديسقوريديس النباتي اليوناني المعروف اتقاناً لا يكاد يوجد من يجاريه فيه وقد كان عنده من الذكاء والفطنة والدراية في النبات وفي نقل ما ذكر ديسقوريديس وجالينوس ما يتعجب منه .

واما معرفة أطباء العرب بأنواع المرض وطرق تشخيصها ومعالجتها وعلاماتها وعاقبتها فتشهد به كتبهم التي ظلت ترجمتها كتب الطب المدرسية في اوروبا خلال خمسة قرون .

وكان العرب لا يسمحون لمتطبب بمعالجة الناس قبل أن يمتحن ويجتاز فحصاً صعباً وكان يعهد بهذا العمل الى اصحاب الباع الطويل في المهنة الطبية .

وكانت عناية الخلفاء وموظفيهم بأمر الرعية وتطبيبهم على يد الاكفاء من الاطباء بالغة حد الروعة وقد لا تقل عن عنايتنا اليوم ان لم تفقها[2] . وقد وضع العرب في أنظمتهم تشريعاً ينظم صناعة الطب تنظيماً دقيقاً عرّفوا به بما للاطباء وما عليهم وقد جعلوا الاشراف على هذا التنظيم من واجبات المحتسب في

---

١ - انظر التفصيل في سيرته ص ٣١٠ .

٢ - نستشهد على ذلك بما جاه في سيرة سنان بن ثابت بن قرة الحراني في الصفحة ٢٢١ وما جاه عن الاسعاف الطبي في الصفحة ٣١٥ من هذا الكتاب .

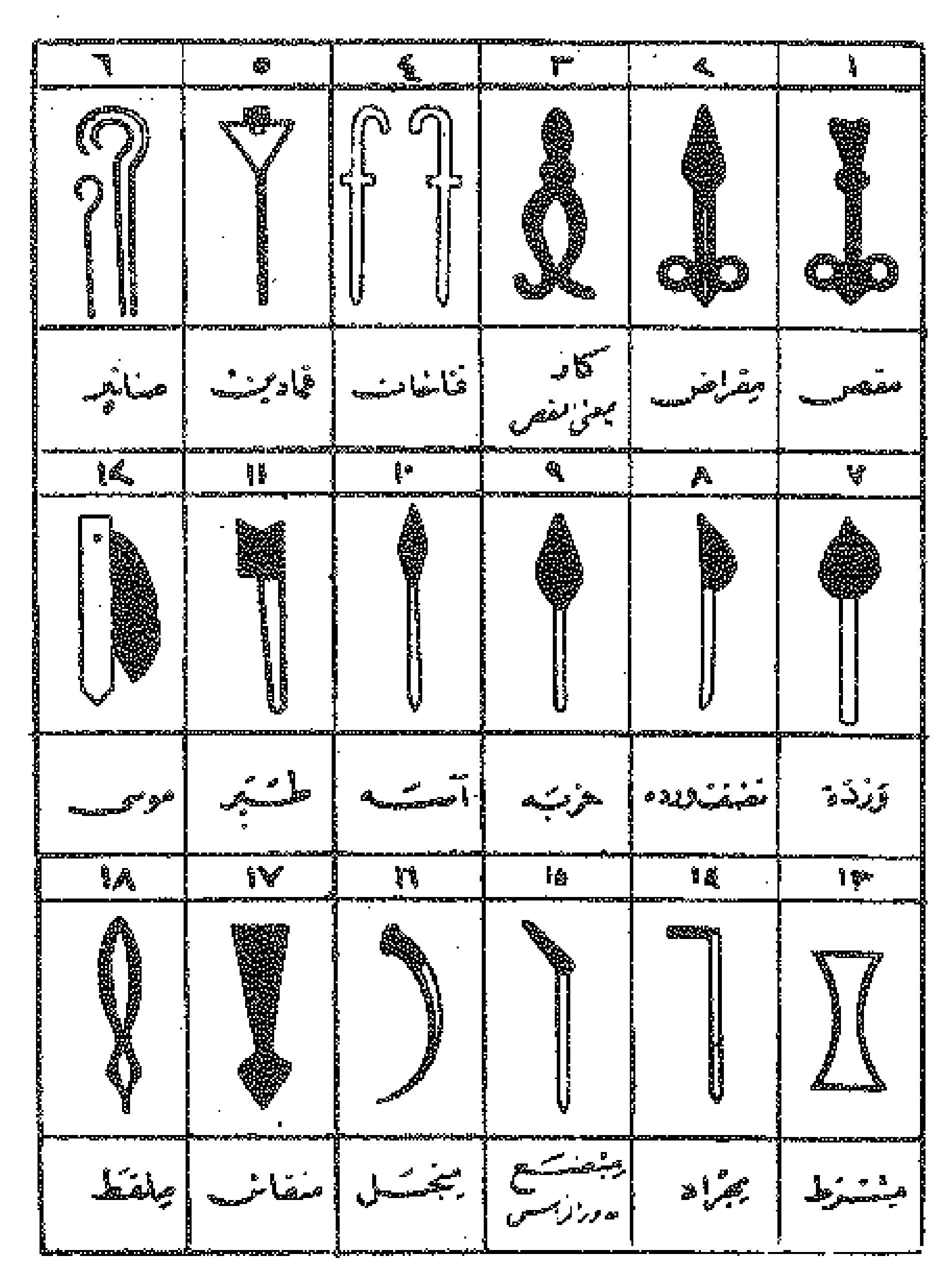
ديوان الحسبة[1] . وما ذلك الا لأن صناعة الطب خطيرة الشأن شديدة المساس بالمجتمع تصونه من الهلاك وتحفظه من الزوال وتدفع عنه الامراض وتحميه من الاوبئة الفتاكة يتحكم اصحابها بأرواح العباد ، فلا بد ان يكون ممتهنها على معرفة بعلومها ودراية بأصولها وخبرة بفنونها، ليكون قادراً على اداء مهمته عالماً برسالته ولهذا فان المحتسب اخضع هذه الصناعة لرقابته وشملها بعنايته ، منعاً للاضرار ودفعاً عن ايذاء الناس لان في ذلك حفظاً على مصلحة المجموع وسلامته . فكان المحتسب ينظم اختبار الاطباء ويفحص معلوماتهم ويشرف على امتحانهم ويتعرف على مقدرتهم للعمل فاذا رأى من احدهم عجزاً أو تقصيراً منعه من امتهان الطب وحمله مسؤولية ما قام به من اعمال وما نتج عنها . وكان المحتسب يمتحن الطبيب ليعرف علمه من جهله وكان يختبره ليعرف درجة اتقانه للصنعة وكان على المحتسب أن يأخذ على الاطباء عهداً يستحلف به الاستاذ العربي الطبيب الجديد مخاطباً إياه:

برئت من قابض أنفس الحكماء وفياض عقول العقلاء ، ورافع أوج السماء ، مزكي النفوس الكلية ، وفاطر الحركات العلوية ان خبأت نصحاً ، او بذلت ضراً أو تلبست بما يغم النفوس وقعه ، أو قدمت ما يقل عمله ، اذا عرفت ما يعظم نفعه وعليك بحسن الخلق بحيث تسع الناس على نفعك واستفرغ لمن ألقى اليك زمامه ما في وسعك فان ضيعته فأنت ضائع وكل منكما مشتر وبائع والله الشاهد

---

١ - الحسبة قانون مدني وكان ينظر المحتسب في أمور عديدة تتعلق بالصحة ومنها أمر التنبوليين - والتاموول أو التانبول ضرب من اليقطين الهندي طعم ورقه كالقرنفل وهو مثله مطرب باهي ، مقو للثة والمعدة والكبد وهو خمر الهند يمازج العقل قليلاً والتنبولي بائعه - والبغايا ومنع المطلسمة والسحار والكهان ومنع الناس عن تصديق الكهان والمنجمين ومنع القوابل عن اسقاط جنين الحوامل ومنع الجراحين عن الجب والخصاء في الناس ، ومما طلب من المحتسب الاشراف عليه ، بيع العقاقير فلا يجوز ذلك الا لمن لاإسترابة فيه وهو معروف وبوصفة طبية يخطها طبيب ماهر لمريض معين بدواء مجرب ومعروف .

علي وعليك في المحسوس والمعقول ، والناظر الي واليك والسامع لما نقول فمن نكث عهده فقد استهدف لقضائه ، إلا أن يخرج عن أرضه وسمائه ، وذلك من أمحل المحال .



الشكل (٥٦)

آلات جراحية بعضها للكحالة .

وكان المحتسب يمتحن أطباء العيون — الكحالون — امتحاناً صعباً

فمن كان منهم ، عارفاً بتشريح طبقات العين السبعة وعدد رطوباتها الثلاث ، وعدد امراضها وانواعها وما يتفرع من ذلك ، وكان خبيرا بتركيب الاكحال وامزجة العقاقير ، أذن له بالتصدي لمداواة اعين الناس وبذلك كان لا يفسح مجالاً للدجالين والجهال بتعاطي طبابة العيون . وأما الأطباء المجبرون فلا يحل لأحد منهم ان يتصدى للجبر الا بعد ان يحكم معرفة الصنعة ، وان يعلم عدد عظام الآدمي وصورة كل عظم منها وشكله وقدره حتى اذا انكسر منها شيء أو انخلع رده الى موضعه على هيئته التي كان عليها

واما الأطباء الجراحون فيجب عليهم معرفة كتب الجراحة الباحثة عن الجراحات والمراهم وان يعرفوا ايضاً كتاب الزهراوي في الجراح وان يعرفوا التشريح واعضاء الانسان ، وما فيه من العضل والعروق والشرايين والاعصاب ليتجنب الجراح ذلك في وقت فتح المواد وقطع البواسير .

ويطلب المحتسب من الطبيب ان يكون لديه جميع آلات الطب وجميع ما تحتاج اليه مهنة الطبابة من ادوات وغيرها . يتبين لنا من ذلك مبدأ تطبيق الاختصاص في علم الطب في ذلك العهد ، إذ أن هنالك الطبيب والمجبر والكحال والجراح والفصاد والحجام ... وكلٌ يعمل في حدود علمه وفي ضمن صنعته واختصاصه ومن المهم ان نذكر شيئاً عما كان عليه عمل الطبيب وفحصه الناس وكيفية مداواتهم ووصف الدواء والعلاج لهم . قال الشيرزي في هذا الصدد

ينبغي اذا دخل الطبيب على مريض أن يسأله عن سبب مرضه ، وعما يجد من الالم ، ويعرف السبب والعلامة والنبض ، ثم يرتب له قانوناً عن الاشربة وغيرها ، ثم يكتب نسخة بما ذكره للمريض وبما رتبه له في مقابلة المرض ، ويسلم نسخة لأولياء المريض بشهادة من حضر معه عند المريض ، فاذا كان من الغد حضر ونظر الى دائه ، وسأل المريض ورتب له قانوناً حسب مقتضى الحال وكتب له

نسخة ايضاً وسلمها الحذوية ، وفي اليوم الثالث كذلك ثم في اليوم الرابع وهكذا الى ان يبرأ المريض او يموت ، فان برىء من مرضه ، أخذ الطبيب أجرته وكرامته ، وان مات حضر أولياؤه عند الحكيم المشهور وعرضوا عليه النسخ التي كتبها لهم الطبيب ، فان رآها على مقتضى الحكمة وصناعة الطب من غير تفريط ولا تقصير من الطبيب أعلمهم ، وان رأى الأمر بخلاف ذلك ،قال لهم : خذوا دية صاحبكم من الطبيب فانه هو الذي قتله بسوء صناعته وتفريطه ... وهكذا نجد ان الأعمال التي يجريها طبيب الامس هي نفس الأعمال التي يجريها طبيب اليوم مع مسؤولية كل منهما في حالتي الجهل والتقصير . وقد تعرض الطب العربي الى صفات معلم الطب والطبيب وطالب الطب الخُلُقية والخلقية . ذكر العرب صفات يجب أن يتحلى بها الطبيب منها أن يكون حسن الهيئة كامل الخلقة صحيح البنية نظيف الثياب طيب الرائحة يسر من ينظر اليه ، وتقبل النفس على تناول الدواء من يديه ، وان يتقن بقلبه العلوم التي تتوقف الاصابة في العلاج عليها وان يكون متيناً في دينه متمسكاً بشريعته ، دائراً معها حيث دارت واقفاً عند حدود الله تعالى ، خلي القلب من الهوى ، لا يقبل الارتشاء ولا يفعل مايشاء ، وتستريح اليه النفوس من العناء .

وذكروا صفات متعلم الطب فقالوا يجب أن يكون حديث السن ، جيد الفهم ، حسن الحديث ، صحيح الرأي عفيفاً شجاعاً مالكاً لنفسه عند الغضب مشفقاً على العليل حافظاً للأسرار ، وقد أوجز علي بن رضوان من أطباء العرب المشهورين في القرون الوسطى الصفات المرغوبة في متعلم الطب والطبيب ومعلم الطب بقوله : يجب أن تجتمع في الطبيب سبع خصال : أن يكون تام الخلق ، صحيح الأعضاء ، حسن الذكاء ، جيد الرواية عاقلاً ذكوراً خير الطبع وان يكون حسن الملبس ، طيب الرائحة ، نظيف البدن والثوب وان يكون كتوماً

لاسرار المرضى لا يبوح بشيء من امراضهم وأن تكون رغبته في ابراء المرضى اكثر من رغبته فيما يلتمسه من الاجرة ورغبته في علاج الفقراء اكثر من رغبته في علاج الاغنياء وأن يكون حريصاً على التعلم وان يكون سليم القلب، عفيف النظر، صادق اللهجة لا يخطر بباله شيء من امور النساء والاموال التي يشاهدها في منازل الأعلاء فضلاً عن ان يتعرض الى شيء منها وان يكون مأموناً ثقة على الارواح لا يصف دواء قتالاً ولا يعلمه ولا دواء يسقط الأجنة، يعالج عدوه بنية صادقة كما يعالج حبيبه .

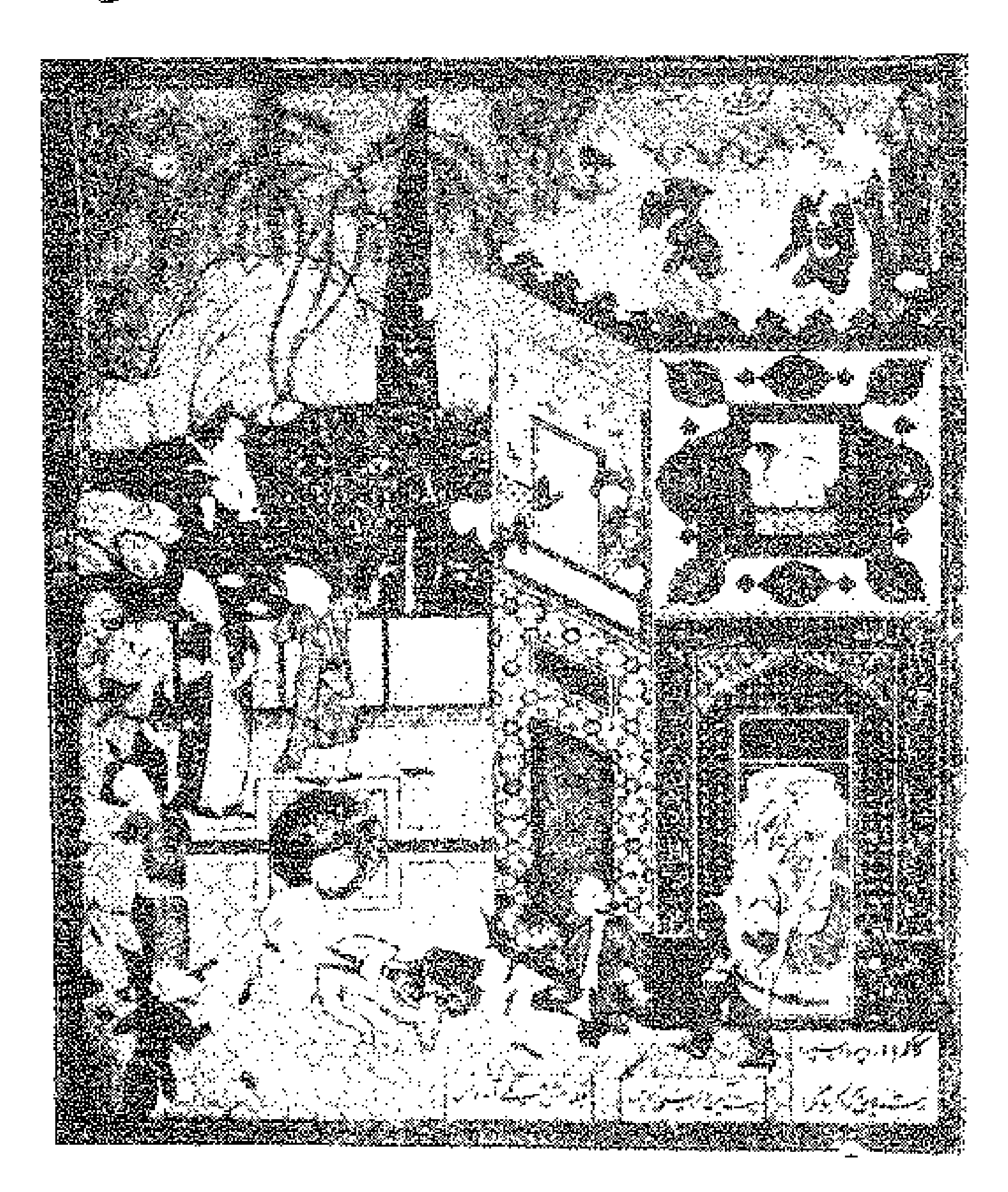
وأما المعلم لصناعة الطب فهو الذي اجتمعت فيه هذه الخصال بعد استكماله صناعة الطب وتعمقه في دراسة نواحيها وأما المتعلم لها فهو الذي تدل فراسته على أنه ذو طبع خير ونفس زكية وأن يكون حريصاً على طلب العلم، ذكيا ذكوراً لما تعلمه، شجاعاً، مالكاً لنفسه عند الغضب مشفقاً على العليل وقد أكد الطب العربي على ضرورة تشخيص المرض قبل اعطاء العلاج يؤيد ذلك ماجاء في قول علي بن رضوان المذكور إذا دعيت الى مريض فاعطه مالايضره الى أن تعرف علته فتعالجها عند ذلك، وتميز أطباء العرب بتابعة الدراسة مهما علت منزلتهم ويعد العرب أول من عرف خطر التمادي في البزل، ولقد جاء في سيرة موفق الدين أنه كان يعالج المرضى في البيمارستان الكبير وكان من جملتهم رجل به استسقاء زقي استحكم به فقصد الى بزله على مايجب فجرت مائية صفراء وموفق الدين يتفقد نبض المريض فلما رأى أن قوته لاتفي باخراج اكثر من ذلك أمر بشد الموضع وأن يستلقي المريض ولايغير الرباط أصلا ووجد المريض خفة وراحة كبيرة فأصر على زوجته بحل الرباط حتى يخرج المـــــاء الذي بقي، فأنكرت عليه قوله ولم تقبل منه فكرر ذلك عليها مرات ولم يعلم أن بقية المائية

إنما أجل اخراجها لوقت آخر مراعاة لحفظ قوة المريض والشفقة عليه فلما حلت الرباط وجرت المائية باسرها خارت قوته وهلك . والعرب أول من عرّف بوصفة تراندي لانبرغ[1] أول من خاط الجروح بخيوط مصنوعـــة من الامعاء - كاتكوت - وأول من أقر سراية الامراض وأحسن وصفها من ذلك وصف الجدري والحصبة وأول من قام بعمليات جراحية واسعة على الرقبة والصدر والمثانة وقد تحلى الأطباء العرب بصفات عالية من ذلك ماروى عن مهذب الدين عبد الرحيم بن علي انه تردد الى البيمارستان الكبير بدمشق وعالج المرضى بـه وشرع في تدريس صناعة الطب واجتمع اليه خلق كثير من أعيان الأطباء وغيرهم يقرؤون عليه فكان يُظهر من ملح صناعة الطب والتقصي في المعالجة مايفوق به أهل زمانه ويحصل من تأثيرها شيء كأنه سحر ، وكان الشيخ مهذب الدين إذا تفرغ من البيمارستان وزار المرضى من أعيان الدولة وأكابرها وغيرهم يأتي الى داره ثم يشرع في القراءة والدرس والمطالعة والنسخ فاذا فرغ من ذلك اذن للجماعة فيدخلون عليه ويأتي قوم من بعد قوم من الأطباء والمشتغلين وكان إذا فرغت الجماعة من القراءة يعود هو الى نفسه فيأكل شيئاً ثم يشرع بقية نهاره في الحفظ والدرس والمطالعة يصحبه، سيف الدين علي بن ابي علي الآمدي الذي استمر على ملازمة مجلسه حتى ثقل لسانه وكانت الجماعه تبحث قدامه فاذا استعصى معنى يجيب عنه بايسر لفظ وفي أوقات يعسر عليه الكلام فيكتبه في لوح وتنظر اليه الجماعة . وكان أكثرهم يعالج حباً بخدمة المريض المتألم لاطمعاً بالمال ، جاء في سيرة أمين الدولة بن التلميذ أنه كان حسن العشرة كريم الأخلاق ، عنده سخاء ومروءة لايقبل عطية من خليفة أو سلطان فعرض لبعض الملوك النائيـة مرض مزمن فقيل له ليس لك إلا ابن التلميذ وهو لايقصد أحداً فقال انا أتوجه اليـه

---

١ ـ تعطى هذه الوضعة بامالة منضدة العمليات ليسهل إبعاد الاحشاء عن الحوض .

فلما وصل رحب به أمين الدولة ابن التلميذ وأفرد له ولغلمانه دوراً وأفاض عليه من الجرايات والمعالجات حتى برىء وتوجه الى بلاده ثم أرسل الملك اليه مع بعض التجار أربعة آلاف دينار وأربعة مماليك وأربعة أفراس فامتنع من قبولها

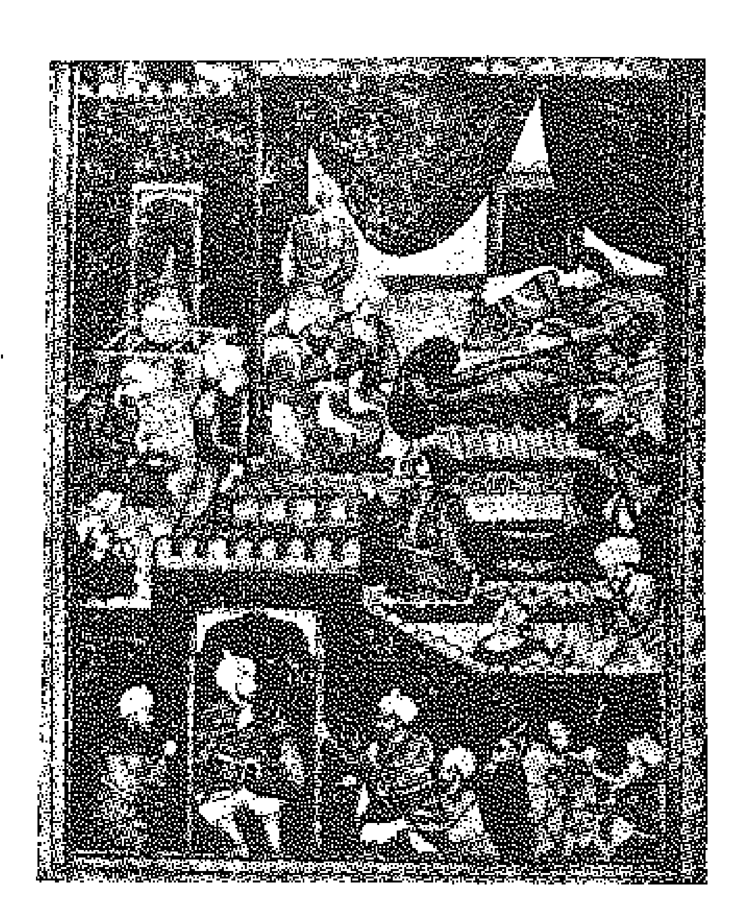


الشكل (٥٧)

اطباء يتناظرون في جلسة علمية

وقال إن عليّ يميناً أن لا أقبل من أحد شيئاً فقال التاجر هذا مقدار كثير قال :

لما حلفت ما استثنيت وأقام شهراً يراوده ولايزداد إلا إباء فقال له عندالوداع : ها أناسافر ولا أرجع الى صاحبي المال فتتقلد منته وتفوتك منفعته ولايعلم أحد بأنك رددته فقال ألست أعلم في نفسي اني لم أقبله فنفسي تشرف بذلك علم الناس أو جهلوا !



الشكل (٥٨)

صورة مريضة يستشار في صدد مرضها عدد كبير من الاطباء

وقد زعم الطب الحديث أن اول من عالج بالتخييل هو الطبيب الفرنسي الشهير شاركو في القرن التاسع عشر ويستشهد على ذلك بمعالجته لفتاة انيقة اصابها بشكم نفساني عصى على المعالجه فلم تقد فيه جميع الأدوية التي وصفها كبار الاختصاصيين آنذاك ، بحث شاركو في حاضر المريضة وسوابقها فتبين له أن مرضها غير عضوي وان المعالجة بالتخييل لاشك موصلة الى نتيجة وقد عرف من

ذويها شدة عنايتها بتصفيف شعرها لذلك اتفق مع مساعد له أن يدخلها في غرفة مجهزة بآلات عديدة توحي بالرهبة وان يوهم المعاون حرق شعرها متى اذن له بذلك وكان ماتفقا عليه فدخلت الغرفة وحدها وشرع الاستاذ شاركو بفحصها فحصاً دقيقاً ولّد فيها شعوراً بالهيبة والرهبة ، أشار حينئذ الى معاونه بان يقوم بعمل المتفق عليه بينهافوقف المعاون خلفهاوأشعل ثقابا من الكبريت بلاصقةشعرها فصاح الاستاذ فيه متظاهراً بالغضب لقد اشعلت شعر الفتاة ، تباً لعملك ، فما كان من الفتاة إلا ان اسرعت بمغادرة الغرفة صائحة باعلى صوتها شعري ، شعري ففك بذلك عقاد لسانها وتم شفاؤها بالتخييل من البكم الذي أصابها .

والواقع أن المعالجة بالتخييل برع بها اطباء العرب ومن ذلك ماروى عن نوادر أبي البركات هبـــة الله بن ملكان وذلك ان مريضاً ببغداد كان قد عرض له السوداء (المانخوليا) وكان يعتقد أن على رأسه دَنّاً وأنه لايفارقه أبداً فكان كلما مشى يتحايد المواضع التي سقوفها قصيرة ويمشي برفق ولايترك أحداً يدنو منه حتى لايميل الدن او يقع عن رأسه وبقي بهذا المرض مدة وهو في شدة منه وعالجه جماعة من الأطباء ولم تحصل بمعالجتهم تأثير ينتفع به وانتهى امره الى اوحد الزمان ففكر أنه مابقي شيء يمكن أن يبرأ به إلا بالأمور الوهمية فقال لأهله إذا كنت في الدار فأتوني به ثم ان اوحد الزمان أشار الى احد غلمانه باحضار دن دون ان يشعر المريض بذلك فلما اطل المريض على اوحد الزمان قال له والله لابد لي ان اكسر هذا الدن وأريحك منه ثم ادار خشبة وضرب بها فوق رأسه بنحو ذراع وعند ذلك رمى الغلام الدن من أعلى السطح فكانت له جلبة عظيمة وتكسر قطعاً كثيرة فلما عاين المريض مافعل بـه ورأى الدن المتكسر تأوه لكسرهم اياه ولم يشك انه هو الدن الذي كان على رأسه بزعمه وأثر فيه الوهم اثرا برىء به من علته تلك ، وهذا باب عظيم في المداواة وقد جرى امثال ذلك لجماعة

من الاطباء المتقدمين منها القصة الآتية التي ذكرها الرازي في مشاهداته عن العلاج النفساني وخلاصتها ان الرازي استدعي لعلاج امير بخاري وكان يشكو آلاماً عصت على المعالجة فعالجها الرازي دون جدوى وفي النهاية قال للامير : أنه في غد سيجرب علاجاً جديداً ولكن شرط ان يضع الامير تحت تصرفه اسرع جوادين في اسطبلاته فوافق الامير . وفي اليوم التالي قصد الرازي حماماً بظاهر المدينة وربط الجوادين مسرجين خارج الحمام ودخل وحده غرفة الحمام الساخنة مع مريضه الأمير ثم صب عليه الماء الساخن وجرعــه الدواء الى ان نضجت الاخلاط في مفاصله ثم تركه وخرج ولبس ملابسه وعاد يحمل سكيناً في يده ودخل على الأمير وشهرها في وجهه ووقف يؤنبه ويهدده ويتهمه واشتد في تعنيفه فاستشاط الأمير غيظاً وبتأثير عامل الغضب والخوف اللذين القاهما الرازي في روع الأمير وثب على قدميه ونهض واقفاً بعد ان كان لا يستطيع الوقوف وفي الحال هرب الرازي من الحمام الى حيث كان ينتظره خادمه مع الحصانين فركبا باقصى سرعة وعاد الرازي الى بلده وهناك كتب للأمير كتاباً قال فيه : انه لما عالجه بما اوحاه اليه ضميره قدر استطاعته لم يتيسر شفاؤه وانه خشي ان تطول مدة مرضه لذلك لجأ الى العلاج النفساني على الطريقة التي ابتدعها له واتت بالشفاء وانه اصبح من عدم اللياقة ان يعود لمقابلة الأمير بعد ذلك ، فلما هدأت عن الأمير ثورة الغضب واشتد سروره بشفائه ورجوع صحتــه امر بالبحث عن الرازي في كل مكان ولكن عبثاً الى ان رجع خادمه بعــد حين مع الحصانين حاملاً خطاب الرازي فلما رأى الأمير عزم الرازي على عدم الرجوع كافأه بحلة نفيسة وسيوف وعبد وجارية وجواد مطهم واجرى عليه الفي دينار سنوياً وارسل له مائتي حمل من الحنطة ، وقد روي في هذا الصدد ايضاً انه كان لامير زوجة لعوب طروب عزيزة عليه اضطربت نفسها وساءت صحتها وتبدل نشاطها ومرحها فشق على الامير مرضها وانتشار اجنحة العلل عليها إذ مالبثت ان

اصيبت بالفلج وهي في ميعة الصبا فعصى النطق لسانها وشلت يداها ورجلاهـا وقالتها اوجاع مضنية واصبحت قلقة البال حزينة كئيبة يائسة بعد ان كانت تبعث بدلّـها ونشاطها روحاً مرحة في القصر ، استشار الأمير الأطباء في شأنها فجرب كل منهم طرائقه في المعالجة فبدت كلها فاشلة ، ولما يئس الأمير من طب بلاده امر باستحضار شيخ اطباء العرب من بلد بعيد وطلب منه العناية بالمريضة واحكام الترياق ، فحص الطبيب الشيخ المريضة وامعن النظر فيها فاتضح له ان مرضها نفساني غير عضوي وان شفاءها ممكن بالايحاء والحيلة فوصف من العلاج ما عنّ لطبه من اشربة وادهان وارتأى اعتكافها في قصر خاص لاحشم فيـه ، ولاخدم تأوي اليه وقدم معاونه مطالباً بالسماح له في امر العناية بزوجة الامير.

نظر الامير الى الطبيب الشاب فاذا به فتى ، جميل طلق المحيا حلو الحديث جمع من أوصاف الجمال البدني اكملها ومن صفات المحاسن النفسانية ابدعها ففكر الامير فيه وفي انفراده بالمريضة في القصر فساوره الحدس والظن فطلب من الطبيب تعليم العناية لجارية او وصيفة فاعتذر بقوله كنت أتمنى أن اقوم بنفسي بهـذه الخدمة ولكن ضعف قوتي تحول دون غرضي فدلك الادهان يتطلب قوة زائدة وصنعة حكيمة وخبرة مديدة لاتتوفر إلا في مساعدي هذا . تصور الامير ما قد يجلبه عليه القبول من القيل والقال والوساوس وشغل البال فقرر الرفض ولكنه استبقى الطبيب في المدينة وحاول أن يقنعه بتغيير الاسلوب وابدال المعاون بوصيفة من الوصائف فاعتذر الطبيب بقوله علمت مساعدي طرق العناية بمثل هذه الامراض منذ نعومة اظفاره وليس من المستطاع اتقان ذلك في يوم أو يومين ولا في عام أو عامين وبين أنه لابد طلبا للشفاء ، من التدليك بالدواء فرفض ذلك الامير ولكنه استمهل الطبيب فتقدم بعد اسبوع الى الامير مستعطفاً راجياً السماح له بعودته الى وطنه فذاكره مرة ثالثة فاكد الطبيب أنه ما من طريقة للشفاء غير

التي وصفها ، لذلك قرر الامير استشارة اصحابه ووزرائه فلم يروا مايدعو الريبة او الشك فقبل الامير على مضض وتقرر أن يعد المساعد وسائله لمباشرة المعالجة في اليوم التالي بالقصر الخالي فلما جاء الصباح قصد المساعد القصر ففتش نواحيه على مرأى من الاميرة التي اخذت تنظر اليه شذرا وتوجس منه خيفة كيف لا وهي لاتستطيع أن تقوم بحركةٍ ما اذا بدر منه مايزعجها فلسانها معقود ويداها مشلولتان ورجلاها ساكنتان، تقدم المساعد منها واخذ يدلك بالادهان اعضاءها دلكا يدعو الى سوءالظن فهالها شأنه فاستجمعت قواها ولما تبين لها مراوغته وقلة حيلتها ذهلت عمايلجم حركات اطرافها ويعقد لسانهامن اضطراب نفساني فصرخت مستغيثة ولطمت الشاب بيدها وركضت نحو النافذة واخذت تستجير بصوت مرتفع مضطرب سمعه من في القصر الثاني فهب الجميع لنجدتها وامسك رجال الشرطة بالرجل وكادوا يمزقونه لو لم يطلب ايصاله الى الامير لينال جزاءه على يديه فقادوه الى الامير فاعترف بأن جمالها فتنه وسحر عينيها اذهله ، وقال لولا أن الله حل عقدة لسانها وسرح يديها ورجليها لبدر منه ماهو اكثر من ذلك .

أمر الأمير بقتله فتوسل اليه أن يؤجل التنفيذ حتى يرى معلمه ويوصيه وصية شرعية وأن لايقتل بدون دراية استاذه فاستحضر الاستاذ وقصت له القصة فما وسعه الا ن يقول: حكم الأمير بالقتل أعدل الاحكام ولكنه رجاه ان يشترك في قصاصه وأن يكون ذلك على مشهد من الوزراء وطبقات الناس فاجتمع الخلق في الميعاد المضروب لتنفيذ حكم القتل ، وجلس الأمير على سدته ومن حوله رجاله فتقدم الطبيب الهرم من مساعده وقال له : أيها الخائن الغادر يامن خنت الامانة والله لانتقمن منك وانتفن لحيتك وشاربيك قبل قتلك أمام هذا الجمع الحافل لتكون قصتك عبرة وقصاصك ذكرى وتقدم بيديه المرتعشتين وجسمه المرتجف من مساعده فقبض على لحيته وجرها بقوة فانسلخت وامسك بشاربيه وقلعهما

فانفكا وجذب غطاء رأسه بيديه فظهرت للناس حقيقة الامر اذ تبين ان الشاب مزيف وانه فتاة في ربيع الصبا هي بنت الطبيب نفسه فهال الناس فرحاً وقدروا عمل الطبيب وحنكته وبعد نظره إذ وفق الى شفاء المريضة وعدم ايذاء سمعتها وازالة وساوس الامير فكوفيء الأب والبنت بما يستحقان وانصرفا الى وطنهما وقد جاء في كتاب ثمرات الاوراق عن اذكياء الاطباء روايات طريفة من هذا القبيل . هذا واتماماً لبحثنا عن الطب العربي ومميزاته في القرون الوسطى نذكر طرفاً مما كان عليه الطب في الغرب لقد جاء في كتب التاريخ الطبي الغربي أن الطبيب فرنسيسكوس دولاهاي كان يوصي في سنة ١٦٩٤ بوقاية الاسنان من الامراض بحمل سن شخص ميت كما كان يوصي غيره للغاية نفسها، بتطويق العنق بعقد من أسنان الخلد، او ا كل معقود العناكب أو المضمضة بالبول او مس اللثات بزيت سرو على أن يمزج به مسحوق عظام الكلاب وغير ذلك من معالجات خرافية لاتمت الى العلم لا بل الذوق السليم بأية صلة ، يقول في هذا الصدد مؤلفو الغرب بينما كان الغرب على الحالة التي بيناها كان العرب متقدمين في سائر العلوم ولا سيما الطب منها وكانت وسائلهم في الوقاية من الامراض مستندة الى اسس معقولة مثال ذلك عنايتهم بنظافة الاسنان التي تعتمد على تسويكها مراراً في اليوم بينما كان الغرب يوقيها بالبول ، قاوم العرب هذه الخرافات مقاومة جدية فابطلوها لا في بلادهم فحسب بل سعوا الى ابطالها حتى في أوروبا لذلك تعتبر اوروبا مدينة لهم في نقل العلوم اليها ولولا العلم العربي لبقي العالم في ظلام الجهل الدامس فقد كان العرب نقلة العلم وموسعيه والحفاظ عليه والمبتكرين فيه .

سيرة العلوم الطبيعية المؤهبة لدراسة الطب

وتاريخ علومه عند العرب

أ ـ تاريخ العلوم الفيزيائية والكيميائية وعلوم النبات والحيوان والحياة[١]

١ الفيزياء : اشتغل العرب في علم الفيزياء ــ الطبيعية ــ فترجموا كتب اليونان ثم علقوا عليها وشرحوها وتوسعوا فيها ومالبثوا أن زادوا عليها فاخترعوا آلات تمكنوا بواسطتها من حساب الثقل النوعي ، وقد صححوا آراء اليونان في بعض المباحث التي لولاها لما كانت بعض ابحاث الفيزياء على ماهي عليه الآن .

كان الكندي[٢] أول من كتب عن البصريات والمرئيات ، ويزيد عدد تآليفه فيها عن المئة ،منها كتاب المناظر الذي ترجمه جيرار الكريموني[٣] والذي أصبح فيما بعد أساس تآليف روجه باكون[٤] ودراسات ليوناردودي فينشي[٥] وكوبرنيك[٦] وكتب أيضاً في الموسيقى رسالة سماها المدخل الى صناعة الموسيقى

---

١ ـ نعني بذلك العلوم الفيزيائية والكيميائية والحيوية ويرمز اليها ب (ف ، ك ، ح . (P. C. B

٢ ـ انظر سيرته مابين صفحتي ٢١٠ ـ ٢١٢ من هذا الكتاب ويعزى اليه تواصي طريفة قالها لابنه منها : يابني الأب رب والأخ فخ والعم غم والخال وبال والولد كمد والأقارب عقارب (طبقات الاطباء ج٢ ص ٢٠٦) .

٣ Gérard de Crémone : ١١ ـ ١١٨٧ م من اقدم المستشرقين .

٤ ـ انظر التوسع في ذلك مابين صفحتي ٢٦٦ ـ ٢٦٨ من هذا الكتاب .

٥ ـ Léonardo da vinci ١٤٥٢ ـ ١٥١٩ رجل فن ايطالي امتاز بالبناء والهندسة والموسيقى وخاصة بالتصوير .

٦ ـ Copernic ١٤٧٣ ـ ١٥٤٣ ، فلكي بولوني برهن عن دوران الكرة الأرضية على ذاتها وحول الشمس .

ورسالة أخرى سماها مختصر الموسيقى في تأليف النغم ورسالة في اللحون كما كتب في الجواهر والأشياء والمعادن وتاويح الزجاج والشعاعات واحداث الجو ومناظر المرآة والمرايا التي تحرق واستخراج الساعات . واكتشف ابن الهيثم [1] تأثير الجو على انعكاس النور واختلافه باختلاف كثافة الهواء . ويعتبر ابن الهيثم رائداً كبيراً في علم الفيزياء ، ومبتكراً أصيلا في علم الاضواء . ولقد استطاع ابن الهيثم أن يؤلف من بحوثه الفيزيائية وحدة مترابطة الاجزاء وهو في هذا لم يبدع ولم يبتكر فحسب بل أقام الاسس التي ارتكز عليه علم الضوء الحديث . وكتب البيروني (٩٧٣ – ١٠٤٨ م) [2] كتباً في الطبيعيات بحث فيها عن تقديرات الثقل النوعي وعاش الخازني ابو الفتح [3] مابين أواخر القرن الحادي عشر وأوائل القرن الثاني عشر فكتب في البصريات ووصف العين وصفاً مقبولاً ووضع كتاباً في الطبيعة سماه ميزان الحكمة [4] بين فيه ان الماء كالهواء يحدث ضغطاً من اسفل الى أعلى على أي جسم مغمور فيه ومن هذا استنتج ان وزن الجسم بالهواء ينقص عن وزنه الحقيقي . قال فؤاد جميعان المقدسي في هذا الكتاب : لقد قسمه مؤلفه الخازني الى ثلاثة أقسام ، بحث القسم الأول في الكليات والمقدمات من ذلك الثقل والخفة ، ومراكز الاثقال ومقدار غوص السفن في الماء واختلاف

---

١ ـ انظر سيرته مابين صفحتي ٢٦٢ - ٢٦٧ من هذا الكتاب .

٢ ـ انظر سيرته في صفحتي هذا الكتاب ٢٧٠ - ٢٧١ .

٣ – هو ابو الفتح عبد الرحمن المنصور الخازني المعروف بالخازن . وهذه الأخيرة كنيته لانه كان خازناً لمكتبة السلطان أبي الحارث ، سلطان خوارزم في النصف الأول من القرن الثاني عشر أي حوالي سنة ١١٠٥ م .

٤ ـ ان هذا الكتاب مفقود ولا يوجد منه الا نسخة واحدة في الهند ولكن بعض المستشرقين نقلوا بعض ماجاء فيه وعن العرب عرفنا شيئاً عن هذا الكتاب نقلا عن اولئك المستشرقين .

فساب الوزن والقبان وكيفية الوزن به في المايعات ، ومقياس المايعات لمعرفة الأخف والأثقل منها من غير واسطة الصنجات ، ومعرفة النسب بين الفلز والجواهر في الحجم واقوال المتقدمين والمتأخرين في ميزان الماء وما أشاروا اليه . وبحث القسم الثاني في صنعة ميزان الحكمة وامتحانه واثبات مراكز الفلزات والجواهر عليه ووضع صنجات لائقة . وبحث في القسم الثالث عن البيوعات والمعاملات وعن ميزان يعرف بالقسطاس المستقيم وعن ميزان للساعات تعرف به الساعات الماضية من ليل ونهار وكسورها بالدقائق والثواني . يدل البحث في هذا الكتاب على أن فلاسفة العرب الطبيعيين جدوا وتوسعوا في البحث عن ايجاد الثقل النوعي للمعادن المخلوطة من نوع او اكثر من نوع ويرى بعضهم أن الفارابي حدث عن الجاذبية فقال : من الاجسام ماينجذب الى غيره ، لا لأن هذا الغير فيه صفة تدعى صفة الجاذبية بل لأن شكل الفضاء الذي يتحرك فيه الجسم يحتم عليه الاقتراب من الجسم الثاني . ويقول ابو النصر الفارابي [1] في رسالة عيون المسائل ، وكل جسم له مكان خاص به ينجذب اليه . ويجب أن يحشر في زمرة العالمين بالفيزياء محمد وأحمد وحسن ابناء موسى شاكر فان كتابهم في الحيل يدل على خبرتهم في علم الطبيعة . يقول في هذا الكتاب حافظ طوقان : وقفت عليه فوجدته من أحسن الكتب وأمتعها . ولقد سعى العرب الى الاستفادة من علم الطبيعة في شتى النواحي من ذلك محاولتهم الطيران وأول من فكر فيه هو عباس ابن فرناس فقد جاء في نفح الطيب عنه أنه احتال في تطيير جثمانه وكسا نفسه الريش ومدّ له جناحين وطار في الجو مسافة بعيدة ولكنه لم يحسن الاحتيال في وقوعه فتأذى في مؤخره ولم يدر أن الطائر انما يقع على زمكه ولم يعمل له ذنباً ، وهو من اصحاب الفن والصناعات فقد أدخل الموسيقى الشرقية الى اسبانيا واستنبط صناعة الزجاج من

---

١ - انظر سيرته مابين صفحتي ٢٣٥ - ٢٣٧ من هذا الكتاب .

الحجارة في الاندلس. ولقد اختُلف في مكتشف الابرة المغنطيسية فعزيت الى الصينيين واليونانيين والعرب. وسواء أكان العرب موجديها أم لا فان توتيهم استعملوها في القرن الثالث عشر الميلاد. ومن الثابت أن العرب وصفوا البوصلة وان المقريزي ذكرها عام ٨٤٥ هـ ١٤٤٢ م [1] واشتهر من علماء الطبيعيات العرب علي بن يونس سنه ١٠٠٩ م وقد حسّن رقاص الساعة وقياس الوقت والعرب يعود الفضل الاكبر في اختراع الساعة الشمسية وكانت الساعة المهداة من هارون الرشيد الى الامبراطور شارلمان شاهداً على سعة معارف العرب في العلوم الطبيعية، ولقد تفنن صناع العرب في القرن الثالث عشر صناعة الساعات [2] وقدمت احداها الى الامبراطور فردريك الثاني وكان يضرب المثل في اتقانها وصنعها. ونرى من الواجب اتمام البحث عن الساعات وعناية العرب بها التذكير بخبرة فخر الدين الساعاتي [3] فهو الذي عمل الساعات التي عند باب الجامع الأموي بدمشق، صنعها في أيام الملك العادل نور الدين محمود بن زنكي وكان له منه الانعام الكثير. وكان ابن ابي الصلت من أمهر ميكانيكيي العرب فحاول تعويم المراكب الغارقة [4]. ويقول همبلدت ان العرب هم المؤسسون الحقيقيون للعلوم الطبيعية ولتطبيق العمليات على النظريات ويعتبر ابو حنيفة الدينوري [5]

---

١ ـ الخطط المقريزي ج ١ ص ٢١٠ كتاب الحضارة الاسلامية في القرن الرابع عشر تأليف آدامز ص ٣٦٤.

٢ ـ المقتطف ج ٧٠ ص ١١٠، ١٥٩ الساعات.

٣ ـ هو رضوان بن محمد علي بن رستم الخراساني الساعاتي مولده ومنشؤه بدمشق كان ضليعاً بالعلوم الحكمية توفي سنة ١٢٣٠ م.

٤ ـ هو ابن الصلت امية بن عبد العزيز بن أبي الصلت من بلدة دانية من شرق الاندلس ١٠٠٧ م وهو من اكابر الفضلاء في صناعة الطب وفي غيرها من العلوم وكان أوحد في العلم الرياضي متقناً لعلم الموسيقى وعمله جيداً بالعود.

٥ ـ لغوي مؤرخ وعالم في الطبيعيات كان له مرصد في دينور.

الذي اشتهر بسعة معارفه في النبات والكيمياء من علماء الطبيعة أيضاً فقد وصف الزناد والوان النيران والأرمدة والادخنة وبيّن مدلول كل منها .

٢ ـ الكيمياء [١] علم حقيقي ولّده العرب من السيمياء الخرافية [٢] التي اختلطت بالسحر وإراءة الباطل ، من ذلك تحويل المعادن وإظهار النحاس أو غيره بمظهر الذهب وتحوير القصدير الى الفضة [٣]

لقد وجدت الكيمياء منذ زمن بعيد والواقع أن مبادئ بعض المعارف الكيماوية متوغل في القوم فالناس الذين تركوا عصير العنب او نقيع الحبوب

---

١ ـ قيل في الكيمياء أنها مشتقة من مادة كمي بمعنى استتر وقد كانت الكيمياء القديمة من الصناعات السرية . يستدل على ذلك من قول كثير

واني لأكمي الناس ما انا مضمر مخافة ان يثري بذلك كاشح .

٢ ـ تدل على ذلك تعابير مازالت شائعة بين الناس ، منها نعتهم الاعمال التي تخدع الجمهور وتظهر الامور الباطلة بمظاهر حقيقية بانها ابواب سيما .

٣ ـ ولقد كان من الذين ادعوا تحويل المعادن وصدقهم الناس ريموند لول الذي حض الملك أدوارد الثالث سنة ١٣١٢ على غزو الارض المقدسة ووعده بدفع نفقات الحملة التي قدرت بخمسين رطلا ذهباً ، ويخيل الينا ان هذه القصة التي تأكدت روايتها ترتد الى ترغيب الناس في الاسهام بالحروب الصليبية واقناعهم بتوفر المال اللازم لها بعدان استنفدت هذه الحروب اموال اوروبا فهي في نظرنا خدعة آمن بها الناس في ذلك الحين . ولقد أشاع الدكتور بريس الذي كان عضواً في الجمعية الملكية انه اكتشف على حجر الفلاسفة وصنع بواسطته قطعاً من الذهب وعرضها على الملك جورج الثالث فكاد يصدقه لولا انخذاله عند الامتحان فشرب سماً مات به سنة ١٧٨٣ م على ان العلماء الحقيقيين الذين شاعت في أيامهم هذه الادعاءات فندوها باظهار طرق الخداع فيها واليك ما كتبه في هذا الموضوع جوفروا الكيمياوي الفرنسي سنة ١٧٧٢ ، قال : ان غرض من يدعي الكيمياء هو ان يري الناس ذهباً وفضة بدل المعادن الرخيصة فيريك احدهم مسماراً من الحديد قد استحال الى ذهب وهو في الاصل قطعتان ، واحدة من الذهب ، وواحدة من الحديد وقد طلي الذهب بلون الحديد فاذا غطس في الماء الذي زعموا انه يحوله الى ذهب زال الطلاء فظهر الذهب ومن قبيل ذلك المدية التي عرضت على الملكة اليصابات الانكليزية .

حتى اختمر . كان عملهم هذا من قبيل الشغل بالكيمياء وفي كل حال قيل إن الصينيين اشتغلوا بالكيمياء حوالي القرن الخامس والرابع قبل الميلاد ثم تبعهم الهنود فالايرانيون والكلدانيون والبابليون ، ولقد كان لسكان مابين النهرين في الجزيرة العربية اشتغال بالكيمياء وهؤلاء طائفتان ، احداهما الحرانيون سكان حران في جنوب الرها وهم من نسل العرب والثانية جنس من أهل الكتاب يقال لهم الكسائيون أما المصريون فقد كانت لهم خبرة خاصة واختصاص عميق ببعض نواحي الكيمياء المتعلقة بالتحنيط .

وقد نسب هذا العلم الى هرمس الاعظم الذي يسمونه كبير فراعنة مصر أو اعلم علمائهم[1] ويروي لنا التاريخ ان البيزنطيين واليونان عرفوا الكيمياء في حوالي القرنين السادس والسابع قبل الميلاد وكانت للآخرين مدرسة الاسكندرية التي كانت العلوم الكيميائية فيها متقدمة وقد نهج هؤلاء منهج المصريين فحشروا هذا العلم في اطار العلوم الفلسفية ثم جاء بعدهم العرب الذين برعوا في الكيمياء واكتشفوا كثيراً من الاجسام الجديدة . يرى المدقق في تطور تاريخ الكيمياء أن رجال القرون الوسطى تكتموا في هذا العلم وملأوه بالخرافات والأوهام والشعوذات . ولقد غالى بعضهم في التكتم فعملوا تجاربهم بعيدة عن الناس وكتبوا رموزاً وطلاسم يصعب فكها وكثيراً ما كان الكيمائي يعلّم ابنه التجارب العملية ويترك له غالباً وصية ليقرأها من بعد موته ، كما يترك له بعض الأوائل اللازمة للاختبار ، ثم جاء بعد ذلك عصر رغب الكثيرون فيه بتعلم هذا الفن ، وأصبح متعلموه جماعة شديدة الاختلاف ، متباينة النزعات ، فيها كيمائيون حقيقيون وجهلاء مشعوذون وأطباء وسحرة ، ولقد جرف بتيار

---

١ ـ ذكر الدكتور حسن كمال في محاضرة له نشرت في المجلد ٨٠ من المقتطف ص ١٠٣٦ ان كيميا اسم مصر القديمة ومعناه الارض السوداء فاذا صح ذلك اصبح علم الكيمياء هو علم مصري وفي ذلك شهادة بما كان لمصر من معرفة بالكيمياء في عهد الفراعنة.

الكيمياء علماء العرب وكان بديهيا ان ينقلوا اقوال من سبقهم ومنها القول القائل
إن المعادن كلها ترجع الى أصل واحد وأن تبديل بعضها ببعض أمر ممكن وكان
لولوج العرب باب الكيمياء أحسن العواقب، اذ لم يطل بحثهم حتى جعلوا الكيمياء فناً
بقواعد وأصول وكان أول اكتشاف لهم هو أن إحماء بعض الأجسام كملح
البارود يُطيّر منها شيئاً غير منظور يجمع في الأوعية كسائر الأجسام ويحصر
فيها بسد المنفذ عليه ، فاذا أُدني ضوء منه فقع فقعاً شديداً ومزق الأواني
وقالوا ان هذا الشيء كروح الانسان لا يُرى ولكنه يعمل عظائم ولذلك سموه
روحاً فنقل عنهم الافرنج هذه التسمية فترجموها[1] وكان الناس من أهل الأدب
يصبون الى هذه الصناعة حتى أن الملوك والأمراء أنفسهم كانوا يتمهرون في استخراج
المركبات ومزجها فهذا خالد بن يزيد بن معاوية الاموي[2] قد شغل نفسه بطلب
الكيمياء، وهذا جعفر الصادق[3] سادس الائمة الاثني عشر قد ترك في مجاميعه اكثر
من خمسمائة رسالة في علم الكيمياء . ولقد بقيت الكيمياء مفرقة حتى عهد جابر بن
حيان[4] ، تلميذ جعفر الصادق فكتب سفراً جليلاً في علل المعادن ودون
الكيمياء في سبعين رسالة ربطها بأصول العلم ونبذ من مذاهب المتقدمين ما لم
يؤيده التحقيق في تجرباته وقد وضع القواعد على منهاج لم يشركه فيه أحد ولا قدر

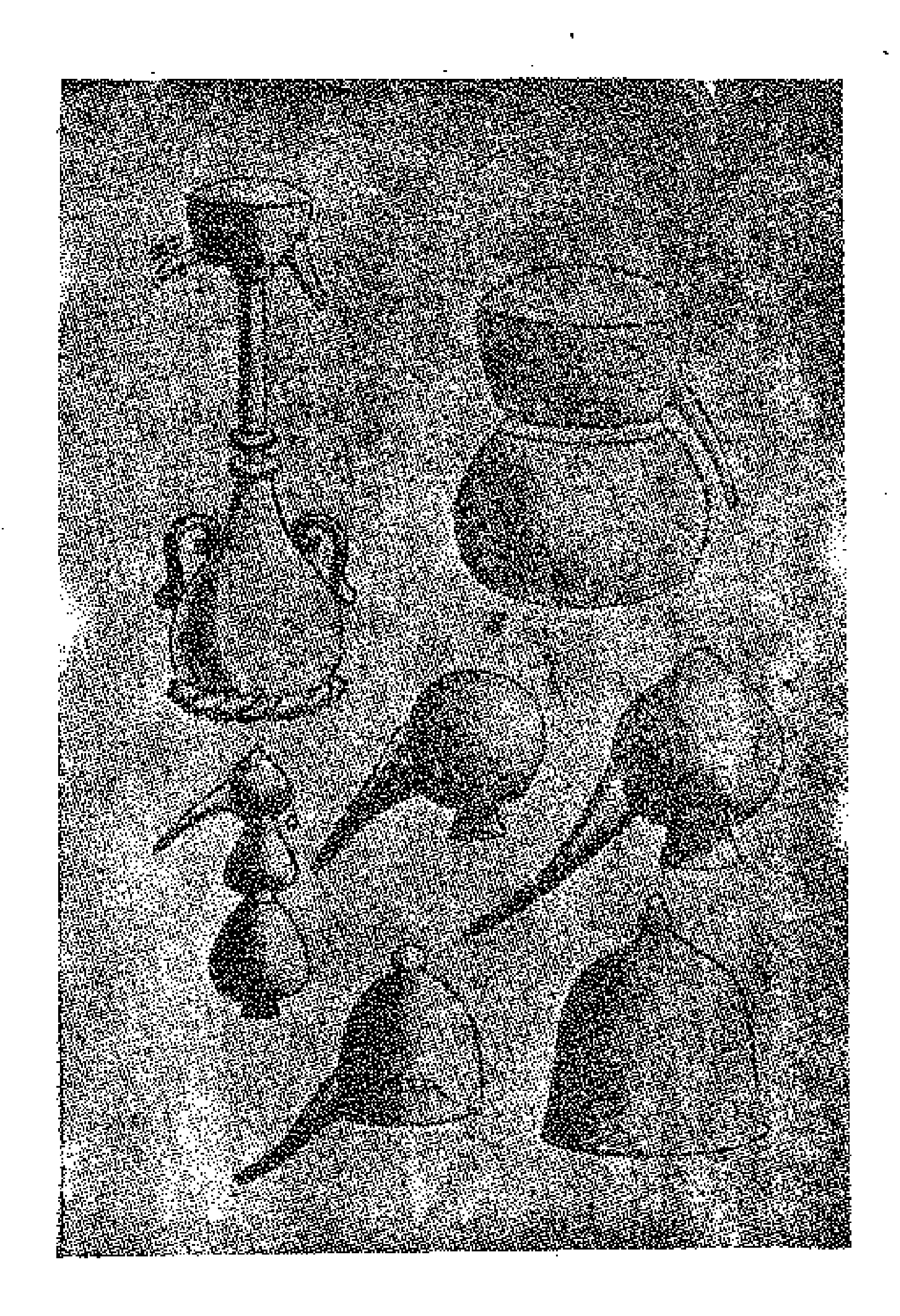
١ - esprit , spirit.

٢ - انظر سيرته في الصفحة ٩٠ ، من هذا الكتاب ويبدو ان بعض كتب خالد بن يزيد في الكيمياء كانت منظومة ونستدل على ذلك من قول ابن هانىء :

وأجاد النظم فيها خالد   رجال من خيار السلف

٣ - جعفر الصادق - ابو عبد الله ٦٩٩ - ٧٦م توفي في المدينة ودفن في البقيع.

٤ - جابر بن حيان من علماء العرب في الكيمياء عاش في الكوفة نحو ٧٦٠ م من مؤلفاته الرحمة وفيه بحث عن طريقة تحويل المعادن الى ذهب وقد قيل بأنه لم يكن تلميذ جعفر الصادق بل رفيقاً له ولذلك نسبت ابوة الكتب الكيمياوية له ولم تنسب لجعفر ولو كان في رأيهم تلميذاً لجعفر لنسبت اليه ابوة الكيمياء .



الشكل (٥٩)

١ – قرعة وانبيق مصمولان من النحاس وهو المعروف بالانبيق البارد ٢ وهذا أيضا قطعة من انبيق طويل الرقبة ٣ – انبيق كبير ٤ – انبيق مدور صغير ٥ – انابيق ثلاثة منضدة ٦ و ٧ – هذان الشكلان يمثلان آلتين تستخدمان في استخراج ماء الكبريت بها .

على مثلها حكماء اليونان انفسهم ولذلك نسب اليه هذا العلم وصار علم الكيمياء يعرف بعلم جابر . اما الذين اشتغلوا بعده في هذا العلم فقد قصروا دون الغاية التي بلغها. وربما أكب عليه جماعة بأطماع فيه من تكوين الذهب واحرازه ولذلك لم يقيدوا تجرباتهم ومصطلحاتهم بالقواعد الثابتة فلم يكن طائل فيما صنعوه ولا فائدة مما دونوه ووضعوه . نبغ جابر في اواخر القرن الثامن ميلادي فشهد بفضله كبار العلماء ولقبوه بواضع علم الكيمياء وكان من اكتشافاته التقطير والتصعيد . وقال جابر اذا حُمي الزنجفر يتصعّد ويتطاير ومتى جُمع هذا المتصعّد وبُرّد يتحول الى زئبق ، ومن اكتشافاته الحوامض القوية وترشيح السوائل وتصفيتها ، وهو مكتشف حجر جهنم والسلياني وطريقة تحميض الذهب والفضة وطرق التقطير الثلاث ، التصعيد ، والتكثيف والترشيح ولقد قيل عن بعض اعمال جابر انها أحسن ما صنعت يد الانسان في الكيمياء القديمة ويقال أنه كان له مختبر في الكوفة وانه قضى شطراً كبيراً من عمره في بلاط هارون الرشيد في بغداد . وصنّف له كتاباً في الصناعة الشريفة وسماه كتاب الزهرة وجاء عنه في كتاب البرهان في أسرار علم الميزان: الاستاذ الكبير جابر بن حيان بن عبد الله الكوفي مولداً ، الطوسي منشأ ، الصوفي مذهباً، وقال فيه الجلدكي : كان جابر بن حيان على اتصال مع البرامكة وقد عالج بنتاً أسيرة تخص يحيى بن برمك مما يدل على أنه لم يكن كيمياوياً فحسب ، بل كان طبيباً وفيلسوفاً ورياضياً وطبيعياً . يتبع جابر في فلسفته العامة خطوات الفيلسوف الكبير ارسطوطاليس الا أنه تقدم عليه وبزّه في علم الكيمياء وقد ذكر في كتابه الكبير مئات من التجارب التي أجراها بنفسه . ويعزى الى جابر القول أن علماء الطبيعة لا يفرحون بغزارة المادة العلمية بقدر ما يبتهجون بمهارة طرقهم في التجارب ومن قوله ايضا : أن ليس للنقل والسمع محل في علم الطبيعة ما لم يعضدهما البرهان ، يعتبر جابر أول من

وصف المعادن الذائبة وصفاً مدققا وتكلم عن ماء الفضة والماء الملكي و كيفية تأثير ماء المعادن وتأثير الماء الملكي[1] على الذهب والفضة والكبريت وفي كتاب جابر كلام جيد في وصف كثير من المركبات الكيميائية المستعملة في المعامل الصناعية وفي الصيدليات مثل كلامه عن حجر جهنم المستعمل في الجراحة وهو المعروف بنيترات الفضة وكلامه عن زهر الكبريت وملح الطرطر وروح النشادر وحجر الشب والشاب اليماني ولقد وصف جابر طرقاً لصبغ الأقمشة والجلود وصبغ الشعر . ولقد فرّق علماء القرون الوسطى الغربيون الذين سموا علم الكيمياء علم جابر ، بين الكيمياء المعرّفة بالألف واللام العربيتين[2] وبين كلمة كيمياء التي تعرّف باللام والألف الفرنجيتين[3] توفر على دراسه ابن جابر آلدوميالي فقال : لقد عنينا بالكتب التي تنسبها الرواية المتناقلة الى من يدعى جابر بن حيان فوجدناها من صنع رجال الاسماعيلية التي ترجع طائفتهم الى القرن الثامن وقد كان لها تأثير قوي في تصنيف دائرة معارف عظيمة ، هي : رسائل اخوان الصفا[4] ولقد عرفنا منهم الأسماء التالية ، ابا سليمان محمد بن مشير البستي المقدمي ، وأبا الحسن علي بن هارون الزنجاني ، وحمد بن احمد النهرجوري ، والعوفي ، وزيد بن رفاعة ، ولكن لا ريب أن هناك كثيرين ايضاً لم تعرف اسماؤهم .

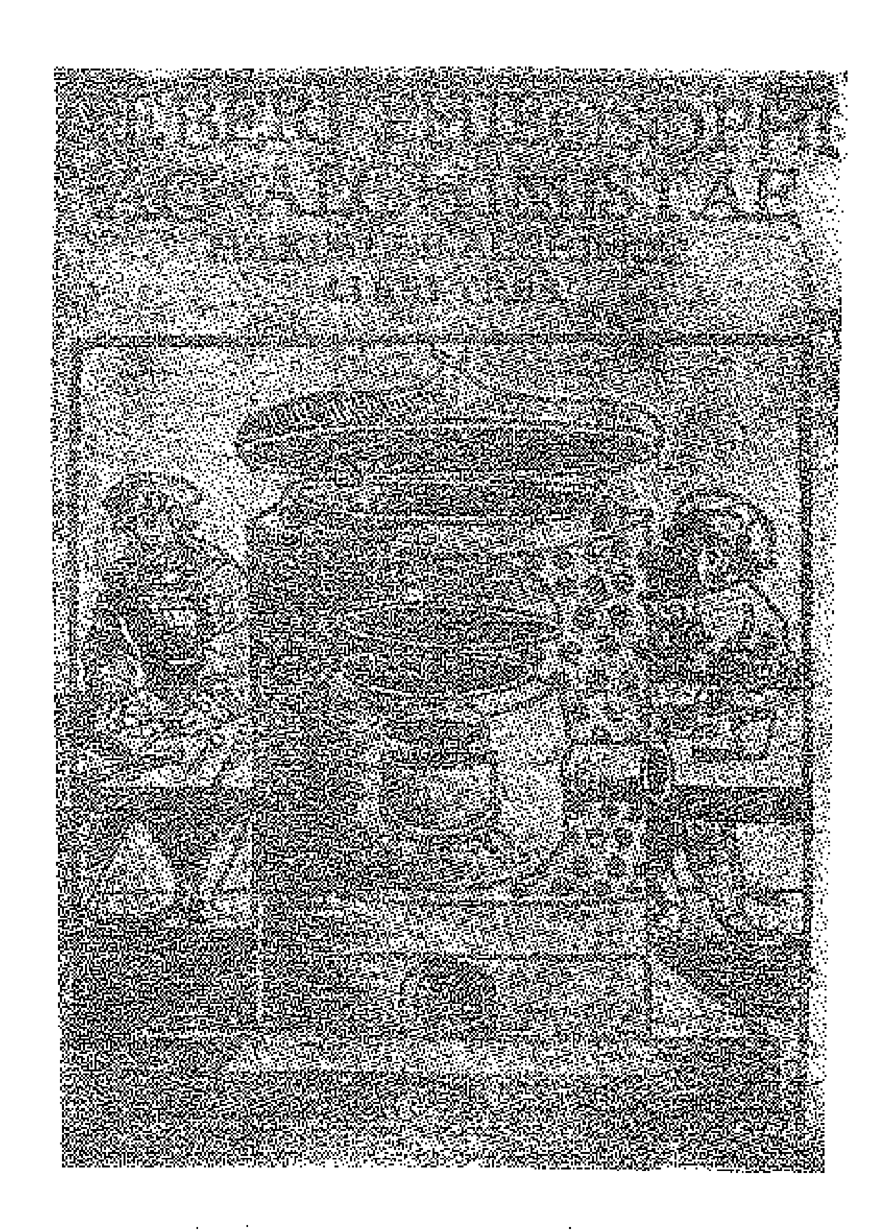
---

١ - الماء الملكي مزيج من حامض الكلوريديك وحامض النيتريك ونعتوه بالملكي لانه يذيب ملك المعادن وهو الذهب .

٢ - Al chimie   ٣ - La chimie .

٣ - اخوان الصفا : جمعية سرية تألفت في بغداد في أواسط القرن العاشر . كان اساس مذهبهم ان الشريعة الاسلامية في حاجة الى الفلسفة وانه اذا انتظمت الفلسفة اليونانية والشريعة الاسلامية حصل الكمال . وقد دونوا فلسفتهم هذه في ٥٢ رسالة سموها رسائل اخوان الصفا وكتموا اسماءهم وقد ضمنوها ما كانوا يقولون به في العلوم الطبيعية والفلسفية والالهية واهمها الرسالة الجامعة المنسوبة الى المجريطي .

وجدير بالملاحظة في ختام هذه الفقرة أنه في الوقت الذي تبدو فيه الكتب المنسوبة الى جابر بن حيان غامضة غموضاً مقصوداً ، وعسيرة الفهم الى حد كبير ،



الشكل (٦٠)

فرن جابر الذي ذاع استعماله في القرون الوسطى

نجد رسائل اخوان الصفاء محررة باسلوب يتقبله ويفهمه كل من حصل على قسط من الثقافة . وهذا هو السبب في أن هذه الموسوعة ، استطاعت ان تترك اثراً

ظاهراً في أوساط متراميه الاطراف ، كما نلاحظ اننا نجد في هذه الرسائل محاولة لتصنيف العلوم .

لقد وجهت دراسة علماء الغرب الى الادعاء بان جابر بن حيان شخصية موهومة منتحلة لاوجود لها على ان تدوين سيرة حياته وذكره من قبل عدد كبير من مؤرخي العرب المعاصرين له يحتم علينا القول ان جابر ابن حيان شخصية وجدت وقد تحلت بعبقرية فذة نسج حولها وحول الموضوع الذي تعمقت بدراسته أقوال متباينة ووضعت مؤلفات عديدة عزى قسم كبير منها اليه مع انها ليست من تآليفه كما وقع لابن سيرين وكثير غيره من علماء العرب والاسلام[1] .

ونسبت أيضاً كتب في الكيمياء القديمة الى أبي بكر احمد بن علي بن وحشية الكلداني، أو النبطي . وهو عراقي عاش في أوائل القرن العاشر للميلاد ، ولكن يبدو أن كتبه منحولة .

ولقد اشتهر الرازي – ابو بكر محمد بن زكريا ٨٦٤ – ٩٣٢ م ، بالكيمياء فصرف جهده في تحضير المواد الكيماوية لأجل استعمالها في الطب . يقول الدوميالي لقد اشتغل الرازي في الصيدلة والاقرباذين وغير ذلك من علوم لها صلة بالكيمياء وخصص في الوقت نفسه سلسلة كاملة من كتبه بمعضلة الكيمياء القديمة ، على أن أشهر كتبه في الكيمياء كتاب من ثلاثة أقسام سماه سر الأسرار[2] . يصف في قسمه الأول المواد التي يستخدمها على أدق الوجوه الممكنة في عصره ، ثم يصف

---

١ – وغني عن القول بان من الكتب المنسوبة الى جابر ، ما ادخل فيه السحر الرمزي ، الذي لايقدم لنا على وجه العموم معارف حقيقية ، او تجارب كيائية .

(٢) لم يعرف النص العربي الاصيـــل لكتاب سر الاسرار معرفة حقيقية الا في السنوات الاخيرة ، وقد طبع في برلين سنة ١٩٣٧ . وقد ترجم هذا الكتاب الى اللاتينية في العصور الوسطى وجمعت التنقيحات والتهذيبات العربية المتعلقة بكتاب سر الاسرار في كتاب مخطوط محفوظ في المكتبة الريكاردية في فلورنسة .

في القسم الثاني الادوات التي يستعملها بعناية . ويعرض في القسم الثالث والاخير ، وهو أطول الاقسام ، الطرق الموصلة الى اعداد الخمائر المطلوبة لتغيير طبيعة المعادن الى الذهب ، وتحويل طبائع الاحجار الى احجار كريمة . على أنه الى جانب الاشارات الواضحة الدقيقة في كتاب الرازي ، توجد مواضع اخرى لامناص من الاعتراف بغموضها . ويمكن رد ذلك في عظمه الى اننا لم نصل بعد الى فهم التطور الكيميائي الحقيقي ، الذي اراد المؤلف أن يعرفنا به ، ولكنه يبقى هناك دائماً شيء غامض لا نستطيع فهمه ، اذا فكرنا كيف يستطيع عالم عظيم مثل الرازي أن يقدم الينا نتائج من التحويل يعتقد أنه حققها بنجاح ، مرة واحدة على الأقل[1] على أن اكثر علماء تلك العصور لم يكونوا قانعين بامكانية التحول وبهذا التيار العلمي والفني للكيمياء القديمة ، يرتبط أبو الحاكم محمد بن عبد الملك الصالحي الخوارزمي الكاثي ، الذي عاش في بغداد ، وصنف في حدود سنة ١٠٣٤م كتاب عين الصنعة وعون الصناع . على أن الاهمية الخاصة التي نالها كتاب الرازي نشأت من امر واحد ، هو ان سلسلة كاملة من الكتب العربية واللاتينية اقتبست من هذا الكتاب الباهر . ولقد عزيت للرازي كتب اخرى في الكيمياء

---

١ - ذكر الرازي عن عملية تحويل عملها طبيب من همدان في بغداد ، فبعد ان أراه الطبيب المذكور كيف يحول بضربة معلم كمية من القصدير الى فضة بوساطة درهم من اكسير معين ، حول الرازي نفسه الفضه فجأة الى خالص الذهب باستعمال نفس الاكسير ، وقيل أن أبا بكر الرازي ألف كتاباً في اثبات تحويل المعادن الى ذهب لابي صالح المنصور صاحب كرمان وخرسان وقصده به من بغداد فاعجبه وشكره عليه واعطاه الف دينار وقال اريد ان تخرج هذا الذي ذكرت في الكتاب الى الفعل فباشر عمله ولكنه عجز عن الحصول على شيء فقال له المنصور : ما اعتقدت ان حكيما يرضى بتخليد الكذب ثم قال له : كافأناك على قصدك بما سار اليك من الالف دينار ولا بد من معاقبتك على تخليد الكذب ثم أمر ان يضرب بالكتاب على رأسه فكان ذلك الضرب سبب نزول الماء على عينيه . لم يكن الرازي بأول من الف في صناعة الكيمياء الكاذبة ولا هو بآخر من اشتغل بها واغراه سرابها .

منها اثنا عشر كتاباً في الصنعة عرف منها اثنان وهما كتاب المدخل التعليمي ، وكتاب الشواهد وقد نشر امع ترجمة انكليزية وشروح ولقد عرفت ثلاث رسائل في الكيمياء القديمة لمحمد بن اميل من علماء القرن العاشر للميلاد غير ان اكمل النماذج ، التي يمكن أن نعدها نماذج علمية عن الكيمياء القديمة هي كتب الرازي ويعد في زمرة كيماويي العرب مسلمة بن محمد أبي القاسم المجريطي المتوفي سنة ١٠٠٤ للميلاد ،٣٩٥ للهجرة ،وهو كيماوي مجرب[1] ،وله كتاب في الكيمياء اسمه رتبة الحكيم ، ذكره ابن خلدون في مقدمته وقال إن كلامه فيه من قبيل الالغاز . ولقد عاش في بغداد أبو الحاكم محمد بن عبد الملك الصالحي الخوارزمي الكاثي وصنف في حدود سنة ١٠٣٤ كتاباً سماه عين الصنعة وعون الصناع وهو من القائلين بأن التحويل غير ممكن . ونستطيع أن نعد بين الكتب العربية ، القسم الخاص بالصنعة من كتاب مفاتيح العلوم لأبي عبد الله محمد الخوارزمي ، واخيرا القسم الخاص بالصنعة من كتاب شمس المعارف ولطائف العوارف لأبي العباس احمد بن علي بن يوسف البوني ، المتوفي في حدود سنة ١٢٢٥ م ، وهو أشهر علماء الاسرار الباطنة عند العرب . وكان عبد اللطيف الجوباري من ثقات أهل الكيمياء الذين فضحوا الكيمياء الكاذبة واشتغل من علماء العرب والاسلام بالكيمياء الفارابي وابن سينا والطغرائي .

لقد أثبت البحث التاريخي أن العرب في القرنين العاشر والحادي عشر ميلاديين بحثوا في المركبات الكيماوية المستعملة في الطب وكشفوا كثيراً من المواد التي لم تكن معروفة كالكحول والبوتاس ونيترات الفضة والسليماني وكثيراً من الحوامض وذكروا في كتبهم الكحول وكان في كثير من الأحيان الكيماوي هو الطبيب والصيدلي فابن سينا والرازي والزهراوي كانوا

---

١ - المقتطف مجلد ٦١ ص ٢٥٨ . الكيمياء العربية .

من الأطباء ومن علماء الكيمياء ، ولقد أسس الأمير الصنهاجي علي بن يحيى حفيد المعز بن باديس ، بمدينة المهدية سنة ٥٠٩ هـ مدرسة للعلوم الكيميائية وأشرف على سيرها والتعليم فيها حكيماً من أشهر حكماء العرب في وقته وهو الطبيب الفيلسوف الأديب أمية ابن أبي الصلت فزودها بما يلزم لها من وسائل



الشكل (٦١)

عالم عربي يلقي درس كيمياء في معمل المدرسة

وآلات وأدوات ، كما أنه جعل حولها غرفاً وفيرة لإسكان الطلبة . لم يعش هذا المعهد أكثر من ربع قرن أو خمسة فيما ذكره نقلة الأخبار [1] . ومعروف من كيمياويي العرب أيضاً أبو المنصور الموفق وذو النون بن ابراهيم الاخميمي المصري الذي كان في انتحال الكيمياء من طبقة جابر وله تآليف فيها ومن علماء الكيميـــاء في القرن التاسع عشر علي بن أيدمر الجلدكي المتوفى سنة

---

١ - مجلة المجمع العربي مجلد ٢٨ جزء ٤ تشرين الاول سنة ١٩٥٣ من مقال عنوانه : الثقافة في تونس بقلم حسن حسني عبد الوهاب .

(٧٦٢ هـ — ١٣٦٠م). لقد كان عدد الكيماويين العرب كبيراً جداً فقد أحصى الأستاذ فون ليبمان [١] ستين كيمياوياً عربياً عاشوا بين القرن الثامن والقرن الرابع عشر وكتبوا عنها، منهم الحسن الرماح، عمر بن العظيم، جابر بن حيان، الرازي، الطغرائي، ابن ارفع رأسه، عبد اللطيف الجوباري، خالد بن يزيد، أبو المنصور الموفق، أبو القاسم العراقي. ولهذا الأخير رسائل عديدة أشهرها كتاب العلم المكتسب، في صناعة الذهب وعيون الحقائق في السحر والكنز الدفين وقد لخص فكرته في مقدمة كتابه الأخير. يعتبر الأستاذ سارطن أبا القاسم من أعظم كيمياويي العرب لأنه سار على مبدأ الشك في جميع ما كتبه أسلافه فكان لا يؤمن بما بين يديه من النظريات والعروض الا بعد التجربة. قال عنه الجلداقي في كتاب نهاية الطلب إن ابا القاسم صرف سبع عشرة سنة في دراسة الكيمياء وجالس الكثير من علماء العراق ومصر والمغرب وسورية والحجاز واليمن ودرس كتب من تقدمه من العلماء وبحث في الطرق التي استعملوها في تجاربهم وقد أدى بحثه الطويل الى الاعتقاد بأن من تقدمه من العلماء اوجد نظريات مضطربة تخالف بعضها بعضاً فلذا رأى من واجبه ان يكتب رسالة تشرح النتائج التي وصل اليها في ابحاثه، والى فكرته هذه أشار في مقدمة كتابه العلم المكتسب. والفكرة السائدة في كتابة هذا ان المعادن من أصل واحد واختلافها ناجم عن صفات عرضية. وعرف العرب نيترات البوتاسيوم او ملح البارود من الصين وفي نسخة كتاب حسن الرماح المؤلف بين ١٢٧٥ و١٢٩٥م المحفوظة بالمكتبة الوطنية في باريز بحث عن آلة تحاكي الطوربيد اليوم يقول عنها انها بيضة تخرج وتحرق ووضع لها صورة نشرها روموكي [٢] في كتابه عن تاريخ المفرقعات وقد قيل

١ ـ Von Lipmann المقتطف ج ٨٧ ص ٥١ .

٢ ـ Romoki .

ان أبا يوسف سلطان مراكش نصب سنة ٦٧٢ هـ - ١٢٧٣ م آلات الحصار من المجانيق وهندام النفط القاذف بحصى الحديد ، ينبعث من خزانة امام النار الموقدة في البارود بطبيعة غريبة وقيل بأن اهل مراكش استعملوا الأسلحة النارية قبل ذلك ايضاً في محاربتهم سرقوسة سنة ١١٨٨م ولا يفوتنا ان نذكر انه في حصار مكة سنة ٦٩٠ هـ استخدم المحاصرون نوعاً من القنابل واستعمل البارود في مصر خلال القرن الثالث عشر لرمي القذائف الى مسافات بعيدة ولقد ذكر البارود ايضاً في وصف معركة بحرية بين ملك تونس وامير اشبيلية في القرن الحادي عشر كما ذكر البارود في القرن الثالث عشر سنة ١٣٠٨ م في حصار جبل طارق وسنة ١٣٢٤ م في بايزة و كذلك استخدمه الملك اسماعيل ، ملك غرناطة سنة ١٣٤٠ م واستعمله الجزائريون سنة ١٣٤٢م ويؤخذ من وصف اهل فيزارة ان العنابر كانت تقذف بالبارود . وخلاصة القول استفاد العرب من الكيمياء فحسنوا بها الطب والصناعة حتى انهم استحصلوا دهانا يقي الخشب من الاحتراق وهم اول من كتب عن العمليات الكيميائية ودونوا وصفها في كتبهم ورسائلهم ولا يجوز ان يغفل فضل استعمالهم للأوعية الخزفية والزجاجية في التقطير وفي التجارب الكيميائية الاخرى . وننهي بحثنا عن تاريخ الكيمياء ببحث عن الاسلام والذرة يقول الدوميالي أنه كثيراً مانجد في كتب التاريخ اشارة الى ان العرب أسسوا نظرية ذرية والواقع انهم عرفوا حقاً نظرية ذرية ، فان من المتكلمين من جعلوا وجود الجزء الذي لايتجزأ اساساً لاثبات حدوث العالم . وفي الحق ان الجسم عند العرب في أصغر معنى من مدلولاته - يتكون من عدد معلوم من الذرات ، ومسألة تعيين العلاقة التي تقوم بين هذا العدد من الذرات لتكوين الجسم ، كانت موضوع الجدل والمناقشات الطويلة بين المتكلمين وقد أخذ المعتزله بهذه النظرية التي تجعل الاحداث الطبيعية متوقفة على تصادم

الذرات وسبحها ودورانها في دوامة مستمرة مع خضوعها في نفس الوقت لقانون طبيعي لا يختلف[1] وقد أخذ بهذا الرأي علماء طبيعيون أمثال الرازي وعلماء متصوفون أو متكلمون أمثال الأشعري وربما كان قد ارتفع صدى عند علماء آخرين من العرب . ولقد كان من بين هؤلاء علي بن موسى صاحب الشذور وله قصيدة في هذا المعنى[2] شرحها الجلدكي[3] في كتابه «نهاية الطلب عن زراعة الذهب» وكأن المؤلف يصف اسرار المادة وصفاً حديثاً[4] . وخلاصة القول : لقد طهر العرب علم الكيمياء من الخرافات والحيل التي كادت أن تقضي عليه واكتشفوا كثيراً من المواد واستخدموا الجديد من الآلات واستفادوا منه في الصناعات .

٣ ــ علوم الحياة : نذكر من تاريخ علومها النبات والحيوان والوراثة وتحسين النسل

أ ــ علم النبات : عني العرب بعلم النبات فترجموا الكتب النبطية وغيرها من الكتب القديمة وأدخلوا في الطب نباتات غير معروفة عند اليونان مثل التمر هندي والاهليلج والقرنفل وجوز الطيب والخيار شنبر والكافور والراوند وورق السنامكي وجوز القيء والصندل والقرفة والبيش والحنظل وغيرها . ونقل العرب النباتات الغريبة الى بلادهم ، مثل الأترج المدور الذي نقلوه من الهند أيام المقتدر

---

١ ــ راجع ترجمة كتاب الدومياني عن العلم عند العرب ص ٢٧٧ ، ٢٧٨ ، ٢٧٩ .

٢ ــ ومما قاله مشيراً الى السيمياء والكيمياء :

إذا كنت عن سر الجوهر خالياً ... فما انت من علم الصناعة حاليا

هي الصنعة المضروب من دون نيلها ... من الرمز اسوار تشيب النواصيا

ولكنها ادنى اذا كان عالماً ... الى المرء من حبل الوريد تدانيا

٣ ــ للجلدكي مخطوطتان في المكتبة الظاهرية بالرقمين ٣٩٢٣ و ٨٨٤٨ .

٤ ــ من ذلك قوله :

فشتان بين اثنين هذا ككوكب ... يدور وهذا مركز للمراكز

راجع قضية الرمز في الشعر العربي في كتاب الدكتور عبد الكريم اليافي الاستاذ بجامعة دمشق وقد نقلنا عنه ما اتينا على ذكره هنا .

بالله العباسي ثم الى البصرة والعراق والشام وقال عنه ابن خلدون أنه تغير عندنا عما كان عليه في منبته الأول . ومثلها شجرة البرتقال ــ البردقان ــ المنسوب الى البرتقاليين ، الذين أوصلوه الى العرب وزرع العرب القطن في سواحل بحر الروم وفي الاندلس واتخذوه للعلاج وجلبوا النباتات من مدن مختلفة واقطار متنوعة اسلامية وغير اسلامية فجلبوا من مصر الفول والبصل ومن ايطاليا الشاه بلوط ، الكستنة والبندورة ــ [1] طماطــــم ــ [2] ومن الصين التوت والفجل ومن جزيرة كريت ــ اوقريطش ــ السفرجل ومن العجم الجوز والدراقن [3] ومن أوروبا الأجاص والتفاح ومن سردينية البقدونس ومن الهند البهار والخيار .

وكانت غوطة دمشق وحدائقها وكذلك حدائق الأندلس العربية التي يضرب المثل بحسنها دليل اعتناء العرب بالنبات ، وانشأ عبد الرحمن الاول ملك قرطبة حديقة نباتية جمع فيها أصناف النبات المختلفة من جميع البلاد ، مشرقها ومغربها وكانت غرناطة تشمل في القرن العاشر حديقة عظيمة للنبات .

واعتنى العرب بالتأليف في النبات فوضعوا فيه كتباً قيمة للغاية ضاع اكثرها ، منها :

رسالة وضعها أحمد بن ابراهيم طبيب الخليفة يزيد بن عبد الملك في نحو سنة ١٠٠ للهجرة ٧١٨ م تبحث في النبات المستعمل في الطب .

كتاب في النبات وضعه ابن أبي زاحف نحو سنة ١٢٥ للهجرة ٧٢٤ م

---

١ ـ تعريب بومي دوري الايطالية .

٢ ـ محرفة عن الانكليزية والفرنسية .

٣ ـ يعرف في مصر بالخوخ على ان الخوخ والدراقن في نظري فاكهتان مختلفتان وقد ذكرت كلمة الدراقن تاج العروس وجاءت في قول الشاعر

وترميني حبيبــــة بالدراقن ... وتحسبني حبيبة لا اراهـــا

الأغاني ج ١ س ٦٠

كتاب الدينوري : وضعه ابو حنيفة الدينوري[1] وهو مؤلف لامثيل له كتاب في تاريخ النبات . وتعتبر النسخة الأصلية لهذا الكتاب مفقودة ، ولكن بقيت منـــه مقتطفات عدة مدونة في كتب فقهاء اللغة وبخاصة ابن سيده ، وابن البيطار . ولهذا الكتاب أهمية عظمى لدى علماء الغرب ، الذين اعتمدوا عليه في مؤلفاتهم حيناً طويلاً من الزمان واعتبروه دائرة معارف نباتية عربية .

كتاب الفلاحة النبطية : لقد كان ابن وحشية اول من كتب عن الزراعة في كتابه هذا وقد قال فيه زيللربوج النباتي الألماني المستشرق[2] : ان اليونانيين بلغوا في علم النبات بعد مدة الف سنة مادونه ديوسقوريديس في كتابه ولكن مابلغ اليه المسلمون في قرنين أو ثلاثة فاق اليونانيين بكثير . وما يجدر بالذكر هنا أن كتب النبات اليونانية لم تكن تترجم الى اللغة العربية قبل وفاة الدينوري فعلمه علم المسلمين وعلم الشرق . ان كثيرين من العلماء اعتنوا في السنين الحالية بالأفكار النباتية عند أبي حنيفة الدينوري ، منهم الاستاذ احمد عيسى والأمير مصطفى

---

[1] ـ راجع مقدمة كتاب الاخبار الطوال لأبي حنيفة الدينوري ، وقد جاء فيها : هو أحمد بن داود الدينوري الذي عاش في القرن الثالث للهجرة ـ القرن الثالث ميلادي ـ ووضع كتابه نحو سنة ٢٧٧ هـ وينسب ابو حنيفة الى دينور بسكون الباء وفتح النون وكانت في عهد الخليفة عمر ابن الخطاب اكثر مدن اقليم همدان عمارة . ازدهرت ازدهاراً كبيراً في عهد الامويين . وامضى الدينوري شبابه في الرحلات فجاب اكثر البـــلاد العربية. اخذ ابو حنيفة دروسه عن البصريين والكوفيين ودرس معارف كثيرة وكان مفتناً في علوم النحو واللغة والهندسة والهيئه والحساب ، ثقة فيما يرويه ويمليه . وانتقل الى اصفهان سنة ٢٣٠ هـ ٨٥٠ م فاشتغل فيها برصد الكواكب. ولقد شاهد الفلكي المشهور عبد الرحمن الصوفي ، المتوفي سنة ٣٧٦ ـ ٩٨٦ م المنزل الذي كان يستخدمه ابو حنيفة معملاً للدراسات الفلكية . وقد شهد الجاحظ بمؤلفاته وحقق المستشرق فلوغل flugel في قسم منها وله رسالة في الطب لم تحظ بشهرة عظيمة بين المؤلفات .

[2] ـ هذه المعلومات ملخصة عما جاء في الجزء الرابع من المجلد ٢٨ ص ٥٥٢ والجزء الثالث من المجلد الحادي والثلاثين من مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق .

الشابي . وقد وضع الدينوري قاموساً ابجدياً للنباتات ذكر فيها أشياء كثيرة تتعلق بالعلوم الطبيعية .

كتاب ديوسقوريديس وترجمته : عرف بعد ذلك العرب كتاب ديوسقوريديس النباتي اليوناني الذي عربه اصطفن ابن باسيل في صدر الدولة العباسية واصلحه ابن جلجل[1] .

كتاب محمد بن ابراهيم بن الفاضل الاندلسي : اشتهر بالبحث عن النبات أبو عبد الله محمد بن ابراهيم بن الفاضل الاندلسي الذي لم تعرف سيرته ويظن أنه عاش نحو سنة ٤٦٧ ه أو ١٠٧٤ م وأنه ألف كتاباً ضخماً في الزراعة ذكره ابن العوام واقتبس عنه الشيء الكثير .

كتاب ابي عبد الله ابراهيم بن البصل الاندلسي : وضع كتاباً اسمه القصد والبيان أشار اليه ابن العوام في كتابه عن الفلاحة أربع مرات .

كتاب المغني لمؤلفه أبي عمر أحمد بن الحجاج يقال أنه ولد في إشبيلية وعاش فيها وذكر ابن العوام في فاتحة كتابه كتاب المغني المؤلف عام ٤٦٦ ه و ١٠٣٢ م وهو كتاب كبير مفيد استعان به ابن العوام في وضع كتابه الجليل .

كتاب أبي الخير الاشبيلي : مؤلفه يعد من أشهر علماء الزراعة قام بتجارب زراعية عديدة وألف كتاباً زراعياً لم يهتد اليه ، وقد ذكره ابن العوام مرات في كتابه .

كتاب فضل الله العمري : هو جزء خاص من مسالك الابصار يحث مؤلفه فيه عن النباتات وصورها بألوان .

كتاب الإدريسي : طاف الشريف الادريسي بمصر وآسيا الصغرى والقسطنطينية والأندلس وفرنسا وانجلترا ووصف نباتات كل قطر .

---

١ ـ راجع سيرة ابن جلجل في هذا الكتاب ص ٢٢٣

كتاب أعشاب الاندلس وأشجارها : ولقد ألف أبو عبيد البكري صاحب المسالك كتاباً حول أعشاب الأندلس وأشجارها .

كتاب الرحلة النباتية : ولقد اشتهر بالنبات في الأندلس أيضاً ابو العباس أحمد ابن محمد مفرج النباتي الاندلسي المعروف بابن الرّومية الاشبيلي [1] فانه طاف في بلاده الاسبانية .وفي شمال أفريقيا ، وفي مصر والعراق والشام ، ودخل دمشق وعرف نباتاتها ، وصنف كتاباً سماه الرحلة النباتية رتبه على حروف المعجم ، وقد فقد كتاب ابن مفرج المذكور ، كبقية كتب أخرى في الصيدلة ولاتوجد منه إلا بعض عبارات ذكرها ابن البيطار وكان من معاصري ابن الرومية عبد الله بن صالح الذي عاش القسم الاكبر من حياته في بلاط الموحدين .

مخطوطتا ابن عبدون : ومن مؤلفي العرب في علم النبات ايضاً ابن عبدون وقد عاش بين القرن الحادي عشر والثاني عشر في مدينة اشبيلية وله مخطوطتان في مكتبة مراكش ومكتبة مكناس ويقول ابن عبدون عن الزراعة انها هي اساس المدنية ومنها تنبثق كل الحياة .

كتاب محمد بن علي فرج : وهو الطبيب الملقب بالشفرة ، جمع الأعشاب في أشد النواحي مناعة في جنوبي الأندلس وأنشأ حديقة نباتية في وادي آش ووضع كتاباً في النبات لم يعثر عليه [2].

كتاب الصوري : وقد اشتغل في النبات رشيد الدين الصوري فجرى على

---

١ ـ ولد في اشبيلية عام ١١٦٥ م وتوفي عام ١٢٣٩ م .

٢ ـ لم يعثر من مؤلفاته الا على كتاب صغير في الجراحة هو كتاب الاستقصاء والابرام في علاج الجراحات والاورام وقد وصف هذا الكتاب في مجلة Hespéris سنة ١٩٣٠ تحت عنوان الجراح الاسلامي في مملكة غرناطة ، محمد الشفرة .

H · P·J · Renaud : un chirurgien musulman du royaume de Grenade M . Al shafra .

سنة سابقيه بتصوير النباتات ورسم في كتابه النبات في مختلف أطوارة غضاً وجافاً ، مبرعماً ومزهراً ومثمراً .

كتاب الفلاحة : وظهر في القرن السادس من الهجرة مجرّب في الزراعة هو أبو زكريا يحيى بن محمد بن العوام الأشبيلي فألف كتاباً زراعياً قيماً وهو كتاب الفلاحة وصف فيه ٥٨٥ نوعاً من النبات ذكر من بينها ٥٥ نوعاً من الأشجار المثمرة وشرح كيفية حراثتها .

بحث العالم الفرنسي رنجلمان في ابن العوام وزراعة الأندلسيين فقال في هذا الشأن :

كان ابن العوام يسكن اشبيلية وكان يجرب تجارب عديدة في جبل الاشرف ووصف ابن خلدون هذا الكتاب بقوله : اختصر ابن العوام كتاب الفلاحة النبطية مهملاً منه ماجاء فيه عن السحر والطلاسم .

وقد قدم العالم الزراعي الاستاذ انتوان باسي[1] تقريراً الى الجمعية الوطنية الزراعية في باريز قال فيه : لا يقتصر كتاب ابن العوام على كونه حاوياً الفنون الزراعية القديمة التي تتبع في الأندلس بل لهذا السفر قيمة ثانية هي أنه كشف النقاب عن نظريات عربية في الطبيعة والكيمياء لم نكن نرقب وجودها وهو سفر مملوء بالفوائد يرينا على شكل موجز ما بلغته الزراعة من الرقي في الأندلس وفي جميع البلاد الاسلامية إبان الفتح الزاهر ويبين لنا عناية العرب بالسدود لضبط ماء المطر وري البلاد الجافة بمخزونها ولقد اهتم عرب الأندلس بري البساتين والحقول ، وطريقة الري المتبعة في بلنسية حتى الآن هي طريقة الأقنية الرئيسية والأقنية الفرعية الموزعة ، ولا تزال احراج النخيل بين غرناطة ومرسية تذكرنا بنشاط العرب العجيب يومئذ وهناك أثر عظيم من آثار العرب في زراعة الأندلس وهو

---

١ – Antoine Passi .

فن هندسة الحدائق في الرياض الخاصة والعامة إذ كان العربي يرى في حديقته جزءاً متمماً لبيته وحياته العائلية . أما نباتات الأزهار فكانوا يزرعونها في قواريرو أصص ليسهل نقلها وبذلك كانوا يغيّرون شكل الحديقة ومناظرها كيفما أرادوا وحسبما رغبوا .

وفي اسبانيا اليوم بقايا من هذه الحدائق العربية منها حديقة المركيز دوفيانا وحديقة القصر الملكي في إشبيلية التي تعد أجمل منتزه يتخيله الإنسان وفي رندة بستان مسكن الملك العربي كما يدعونه حتى الآن وفي غرناطة جنة العريف الذائعة الصيت .

ولقد استفاد العرب من معرفتهم بالنبات وانواعه فاخترعوا الأشربة والكحول والمستحلبات والخلاصات العطرية .

كتاب الغافقي في النباتات الطبية[1] والأدوية المفردة : وهو كتاب ذكر فيه بأوجز لفظ وأتم معنى قول المتقدمين والمتأخرين ووصفت فيه النباتات التي ذكرها وصفاً بالغ الدقة وذكرت أسماؤها بالعربية واللاتينية والبربرية وفوائدها الطبية وغير ذلك مما يجعل المؤلف اعظم الصيادلة أصالة وأرفع النباتيين مكانة في العصور الاسلامية . وقد اختصر الكتاب المذكور ابن العبري .

كتاب الأعشاب : وللغافقي أيضاً كتاب الأعشاب وهو موجود في دار الآثار العربية ويحتوي على ٣٨٠ رسماً ملوناً لنباتات وعقاقير وحيوانات متقنة الرسم

كتاب تقويم الأدوية المفردة والأغذية : لكمال الدين التفليسي وهو كتاب مجدول فيه اسم الدواء بالعربية والفارسية والسريانية واللاتينية واليونانية .

كتاب ابن البيطار : إنه أعظم الكتب الجامعة لمفردات الأدوية . لقد كان

---

١ ـ الغافقي هو ابو جعفر احمد بن محمد المعروف بالغافقي المتوفي سنه ١١٦٥ م كان اعرف اهل زمانه بقوى الادوية المفردة ومنافعها وخواصها واعيانها .

ابن البيطار[1] أعظم النباتيين والصيدليين في الاسلام . لقد ذكر ابن البيطار في كتابه المذكور أكثر من ١٤٠٠ صنف من الأدوية المختلفة ، مرتبة على حروف



الشكل (٦٢)

صورة تحضير عقار من نبات طبي ترجع الى مدرسة التصوير ببغداد في القرن الثاني عشر ، محفوظة في متحف واشنطن (سيبا)

المعجم ، منها ٣٠٠ صنف لم يتناولها كتاب في الصيدلة من قبل ، ووصفه دقيق للغاية وهو يذكر المترادفات ، كما يذكر ترجمتها بالاغريقية بل وبالفارسية

---

١ - نشر كتاب الجامع لابن البيطار في ٤ أجزاء بالقاهرة سنة ١٨٧٥ وترجم للفرنسية بقلم لوكلرك Leclerc وترجم للالمانية بقلم زونتايمر Sontheimer في جزئين طبعا في شتوتجارت سنة ١٨٤٠ ، ١٨٤٢ .

والبربرية والأسبانية الدارجة وله كتاب آخر لا يقل عن هذا أهمية .

كتاب المغني : وللبيطار كتاب المغني في الأدوية المفردة وهو يبحث في نفس الموضوع ولكن مادته مرتبة تبعاً لنظام العلاج بالأدوية . ويحسن بنا أن نذكر هنا ملاحظة عظيمة الأهمية بالنسبة الى ابن البيطار وهو ان عمله يسجل في جملته تقدماً بعيد المدى ولكن بالرغم من ذلك كان تأثيره قليلاً في أوروبة وذلك لأن تيارات الترجمة العربية اللاتينية كانت أخذت طابعها النهائي . وعلى نقيض ذلك درست كتب ابن البيطار في العالم الاسلامي دراسة واسعة المدى وانتفع بها علماء الصيدلة المتأخرون . ويظهر أثر علم ابن البيطار في كتب عدة وضعت بعده منها .

كتاب يوسف ابن اسماعيل الكتبي البغدادي المعنون : ما لا يسع الطبيب جهله الذي صنفه سنة ١٣١٠ م فهو تلخيص لابن البيطار .

كتاب أبي المنى الطبيب المعروف على الخصوص باسم كوهين العطار المسمى منهاج الدكان ودستور الأعيان فقد صنف هذا الكتاب سنة ١٢٥٩ م فطبع كثيراً .

كتاب شفاء الأسقام وهو موسوعة طبية ضخمة رتبها خضر بن علي - حاجي باشا – حوالي نهاية القرن الرابع عشر وهو يشتمل على قسم من الأدوية المفردة مأخوذ من كتاب ابن البيطار

كتاب التذكرة لداود والأنطاكي وقد نقل ما فيه من بحث في النباتات الطبية والأدوية المفردة عن ابن البيطار .

كتاب ابن السراج الغرناطي ١٢٥٦ ١٣٥٦ م : كتاب نقلت مفرداته عن ابن البيطار .

كتاب تحفة الأحباب وهو معجم المادة الطبية المراكشية تولى نشره رونو وكولان لم يعرف مؤلفه[1] .

---

١ – G .S Colin و A Renaud .

إن ما قدمناه يبين أثر العرب العلمي في تقدم علم النبات وتحسين الزراعة واعتبارهم الباعث الأول لنهضتها في أوروبا ويطيب لنا في هذه المناسبة أن نثبت أسماء نباتات أعجمية من أصل عربي فإنها تشكل بنظرنا تواقيع تمهر بطوابعها فضل العرب على الغرب في هذه الناحية العلمية المدنية التقدمية مقتبسين ذلك مما أوردته مجلة المجمع العلمي العربي[1] تحت عنوان اسماء نباتات أعجمية من أصل عربي بقلم الأمير مصطفى الشهابي جاء فيه : عندما كنت جمع كلمات معجم الالفاظ الزراعيـة وأدقق في أصول أسماء النباتات وجدت أن بعض الاسماء الفرنسية والاسماء العلمية لعدد من النباتات هي من أصل عربي منها :

Abelmosch — من حب المسك. وهو نبات من فصيلة الخبازيات تستعمل بزوره في صناعة العطور و Azeroie — ثمرة الزعرور: من Acerola الاسبانية وهذه من زعرور العربية و Café — من قهوة العربية وكذا الاسم العلمي Coffea والقهوة في اللغة الخمر ، وهي بمعنى البن مولدة ، وكلمة البن أيضاً مولدة . و Cat —من كلمة قات المعربة الحبشية على ما يرجح ،و Estragon — من Tarcon وهذه من طَرْخون المعربة قديماً . و Henné من حِنّاء العربية وهي صبغة مشهورة من فصيلة الحنائيات ، و Ketmie - من الخِطْمي ،وتطلق على بضع نباتات من فصيلة الخبازيات ، و Limonier —من الليمون و Orange — من نارنج المعربة قديماً و Pastèque — من بطيخ العربية و Safran — من Safranum اللاتينية وهذه من زعفران العربية و Sumac — هو السماق بالعربية و Tamarin — من الاسم العلمي Tamarindus وهذا من التمر الهندي ، وهو اسم هذا النبات بالعربية .

---

١ – المجمع العلمي العربي مجلد ٢١ ج١ في ٢ شباط ١٩٤٦، ربيع الاول ١٣٦٥، ص ٤٧ مقال بقلم الامير مصطفى الشهابي عنوانه اسماء النباتات الاعجمية من أصل عربي.

ب ـ علم الحيوان والبيطرة : كتب العرب في الحيوان ابحاثاً مبعثرة وقد يكون الجاحظ أول عربي وضع كتاباً في الحيوان ، كما وضع القزويني كتاباً سماه عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات تعرّض فيه للبحث عن الحيوان وألف الدميري كتاباً سماه حياة الحيوان ذكر فيه ماينوف عن التسعمائة من الحيوان مبيناً اسماءها وفصائلها وطبائعها مع وصف عام لها وما يروى عن خواصها .

ولقد نقل العرب الى لغتهم كتباً تبحث عن طب الخيل وعما عرف في موضوع البيطرة فعرفت البيطرة بفضل العرب عصرها الذهبي ولا بد من التنبيه الى أن في أقوال الرسول الامين وادباء العرب ماتحث على العناية بالحيوانات عامة والابل والخيل خاصة . ولا يخفى أن من طبيعة العرب حب الفروسية والخيل والابل إذ يرى الاعرابي في الفرس أليفه الأمين ، وفي الابل عماده القويم . ولقد وضع من علماء العرب محمد بن يعقوب سنة ٦٩٥ هـ كتباً مفصلة عديدة في طب الخيل ، ونقل حنين بن اسحق المتوفي سنة ٨٧٣ م كتب البيطرة الى لغة العرب ، ووضع قابوس الذي خدم سلاطين العرب والاسلام في بلاد الاسلام المختلفة كتباً عديدة منها في طب الخيل عدها الغرب من الكتب الممتازة ، ولقد اشتهر ممن كتب في هذا الموضوع ابو عبد الله محمد بن عبد الله الخطيب الاسكافي وكتب في القرن الثامن عشر ابو زكريا يحيى بن احمد ابن العوام كتاب الفلاحة وخص فيه فن البيطرة بجزء كبير ، وقد ترجم هذا الكتاب النفيس الى اللغتين الاسبانية والفرنسية واشتمل على فصول تبحث عن صحة الماشية والدواب وتربيتها وطبها . وممن ذكر أمراض الخيل وعلاجها الحافظ شرف الدين الدمياطي مؤلف كتاب الخيل في ثلاثة اجزاء جمع فيها صفة الخيل وما يمدح ويذم منها وأدويتها وأمراضها . وللأصمعي مؤلفات في اختيار أوقات

نتاجها ومن كتب الخيل كتاب البيطرة للسان الدين بن الخطيب الاندلسي من أهل القرن الثامن للهجرة . وفي خزانة المجمع العلمي العربي بدمشق كتاب عن الخيل وشياتها وصفاتها، وفيه ثلاثة رسوم أحدها للفرس الأصيل ، والثاني للفرس المولود بالعيوب، والثالث للفرس الذي طرأت عليه العيوب . وألف أبو بكر بن بدر لمحمد بن الناصر بن قلاوون كتاباً في كل مايتصل بالخيل سمـــاه الناصري ويعتبر هذا الكتاب أكمل ماوضع عن الطب البيطري في القرون الوسطى . ومن بين الكتب التي وضعت في الخيل كتاب اسمه السراج الوقاد في طب الجياد وهو من الكتب النادرة . ولقد وضع أحد مؤلفي العرب بعد كتاب الناصري كتاباً عن الخيل سماه كتاب الأقوال لم يعرف مؤلفه ، وتاريخ المخطوط الذي عثر عليه هو سنة ١٣٢٧ هـ وقد نقله الى الفرنسية بيارون ويشتمل الكتـــاب على ذكر الحيوانات الداجنة وطبها ووسائل المحافظة على صحتها ويخص بالذكر الابل والفيلة. ولقد عرف العرب من أمراض الإبل الجرب والطاعون والكلب والزحار والرغام وغير ذلك من الامراض المعدية فبينوا علاماتهـــا وأعراضها وبحرانها كما عرفوا الأمراض العصبية والعينية في الخيل والإبل . وقد كتب داوود الضرير الانطاكي الذي نشأ في القرن العاشر للهجرة في كتابه الكبير المعروف باسم التذكرة عن البيطرة فعرفها بقوله :

البيطرة علم بأحوال بدن المواشي من جهة مايصلحها وما يحفظ عليها الصحة، وكان المؤلف يستعمل الكلمات الفارسية مثل التبشيم واللاتينية مثل اللنصة مع بلاغته في اللغة العربية .

ج ـــ **علم الوراثة** [١] : الوراثة في علم الحياة هي انتقال الصفات من السلف الى الخلف مما يجعل الفرع شبيهاً بالأصل . عجب الانسان من هذا الشبه فشرع

---

١ ـ Heredity - Hérédité .

في التنقيب عن اسبابه وأسراره لا في الخَلْق فحسب بل في الخُلُق أيضاً على أن هذا التشابه لا يكون مطرداً وربما اختلف الاخوان المتحدران من الابوين نفسيهما مع انهما يعيشان في بيئة واحدة قد يؤثر المحيط في منهج كل منهما الا أن تأثيره لا يعدل ما في نطفة كل من الذكر والانثى من عوامل مؤثرة في نقل الصفات[1]

التهجين[2] في الوراثة: هو تزاوج بين فردين من نوع واحد يختلف احدهما عن الثاني بصفة واحدة فاكثر ، زعم البعض ان هـــذا البحث جديد على أننا لو تصفحنا ماجاء على لسان أدباء العرب وعلمائهم لتبين لنا أنه كان للعرب باع طويل في هذا الموضوع فقد سموا الولد الذي أبوه عربي وامه عجمية الهجين وسموا الهجنة من قبل الأب الإقراف كما سمو الولد الذي لم يحمل محاسن ابيـــه وامه بالنغل[3] .

وقد اطلق العرب على حصول التهجين بين نوعين النتاج المركب فلجأوا اليه لتحسين جيادهم وإبلهم ونسلهم وكان عثمان بن بحر الجاحظ البصري ممن عالج هذا الموضوع

---

١ ـ لقد كثر إهتمام العرب بعلم الوراثة فان كتبهم العلمية والادبية حافلة بالبحث عما له صلة بهذا الموضوع ، وتعد عناية العرب بأنسابهم وانساب خيلهم دليلاً على اهتمامهم بعلم الوراثة كما يصح ان يتخذ الحديث الشريف القائل تخيروا لنطفكم أمتن دعامة في هذا العلم ومن أروع ماقيل فيه وأبلغ ماجاء عنه ، كما ان في أقوال العرب الكثيرة ومنها قولهم الولد سر ابيه مايبين اتيانهم بقوة الوراثة .

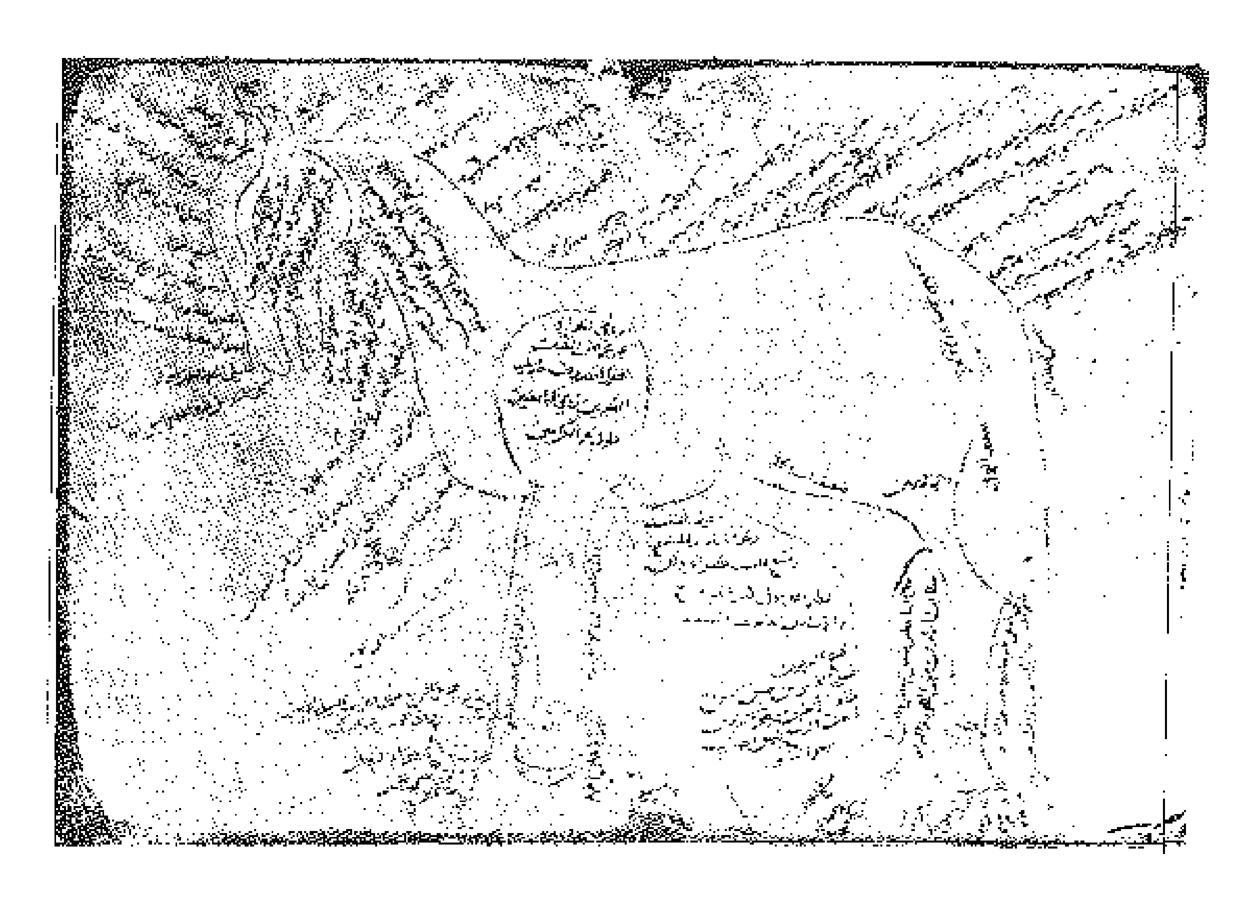
٢ ـ ان التهجين بالعربية Hybridation مرادفات كثيرة منها التخليط والاقراف والنغولة وإن كان في مدلولها مايبين نوعاً من اختلاف في معانيها .

٣ ـ يدلنا على بعض ذلك مانقله الازهري عن هند بنت النعمان بن بشير اثر حملها بعد زواجها من روح بن زنبـــاع وكانت غير ممتنة من زواجها وتخشى ان لايكون ولدها متحلياً بصفاتها فقالت :

وهل هند الا مهرة عربيــــة ... سليلة أفراس تحللهـــا نغل

فان نتجت مهراً فلله درها ... وإن يك اقراف فما انجب الفحل

معالجة مفصلة في كتابه الحيوان ، ومما جاء فيه : اذا ضربت الفوالج[1] في العراب[2] جاءت هذه بالجواميس[3] والبخت[4] الكريمة التي تجمع عامة خصال العراب وخصال البخت ومتى ضربت فحول العراب في اناث البخت جاءت الابل البهوتية اقبح منظراً من ابويها . ثم يتابع الجاحظ بحثه عن التهجين في الانسان



الشكل (٩٣)

صورة الفرس المولود واسماء عيوبه عن كتاب قديم في الخيل موجود في خزانة الكتب العامة - الظاهرية - بدمشق

١ - الفوالج جمع فالج وهو الجمل الضخم ذو السنامين .

٢ - نوع ممتاز من الابل العربية .   ٣ - ابل ممتازة .

٤ - البخت هي الابل الخراسانية التي تنتج من عربية وفوالج .

فيقول : ان الخلاسي من الناس هو الذي يتخلق بين الحبشي والبيضاء والعادة من هذا التركيب أن يخرج اعظم من ابويه واقوى من أصليه ومثمريه ثم يقول ان اليسري من الناس هو الذي يخلق من بين البيض والهند فلا يخرج ذلك النتاج كالأبوين ولكنه يجيء احسن واملح ، ثم يذكر ماجاء في الكتب من أقوال باطلة في هذا الموضوع فينتقدها انتقاداً لاذعاً على عادته .

وجاء في كتاب عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات للامام العالم زكريا محمد بن محمود القزويني مانصه : الحيوانات المركبة تتولد من حيوانين مختلفي النوع ولذا يكون شكلها عجيباً بين هذا وذاك ، فاعتبر حال البغل فانه مـا من عضو منه الا وهو دائر بين عضو الفرس وعضو الحمار فاذا كان الذكر حماراً كان بالفرس أشبه وان كان الذكر فرساً كان بالحمار أشبه .

ويستهل القزويني كتابه بفصل جدير به أن يكتب بماء الذهب حيث يقول : وعلى الناظر في كتابي هذا أن يعنى في جمع ما كان مبدداً وتأليف ما كان مشتتاً فانها وان كانت بعيدة عن العادات المعهودة والمشاهدات المألوفة ، لكن لا يستعظم شيء مع قدرة الخالق وجبلة المخلوق وجميع مافيه ، إما عجائب صنع البـاري تعالى ، وذلك إما محسوس أو معقول لاميل فيها ولا خلل وإما حكاية طريفة منسوبة الى رواتها لاناقة لي فيها ولا جمل ، وإما خواص غريبة وذلك مما لايفي العمر بتجربتها فان أحببت أن تكون منها على ثقة فشمر لتجربتها واياك أن تفتر أو تمل ، اذا لم تصب في مرة أو مرتين ، فان ذلك قد يكون لفقد شرط أو حدوث مانع [1] .

---

١ ـ يقول بعض مؤلفي الغرب ان العرب كانوا نقلة للعلوم لم يلجوا باب الاختبار لذلك كانت علومهم نظرية . افلا ترى ايها القارىء في كلمات القزويني هذه مايدل دلالة اكيدة على قيمة التجربة والاختبار في العلم العربي وهل لاترى فيها مايدعو الى الاختبار والحض عليه والتشجيع على تكراره .

لقد نقلنا نتفاً من كلمات هذين العلامتين الكبيرين - الجاحظ والقزويني - لتكون حجتنا قوية وبرهاننا ساطعاً في نسبة أولية هذا البحث الى مؤلفي العرب وطول باعهم فيه ولنظهر رغبة علماء العرب في تحري الحقائق. ينسب الغربيون أولية البحث في هذه المواضيع الى نودان وأما نحن فنقول ان نودان وجرتنر وداروين وغيرهم مجددون لعلم الوراثة وليسوا موجديه، أجرى نودان تجاربه على أنواع مختلفة في كثير من الصفات فحصل على نتائج عديدة لم يستطع استنتاج قواعد ثابتة منها إلى أن جاء مندل سنة ١٨٦٥ [١] فدرس أنواعاً من البسلة أو الفاصوليا لا يختلف بعضها عن البعض الآخر الا بصفات بسيطة كلون الأزهار وشكل الحبوب وجعل يلاقح بين أصنافها ويراقب محاصيلها ويدون النتائج التي حصل عليها.

النزوع الى الأصل [٢] أو التأصل في علم الوراثة، وما جاء عنه في الحديث الشريف والأدب العربي: يقصد بالنزوع الى الأصل مشابهة الأحفاد للأصول

---

١ - ولد مندل Mendel سنة ١٨٢٢ وتوفي سنة ١٨٨٤، ابواه فلاحان لم يستطيعا تزويده بما يلزمه من المال فحال الفقر بينه وبين امانيه في متابعة العلم الى ان اعطته شقيقته مهرها الضئيل ليستعين به ويتابع العلم ثم درس العلوم الطبيعية خمس عشرة سنة دخل بعدها ديراً في مدينة برن مترهباً وانعكف على اجراء تجاربه الاولى في حديقة الدير، وقد قدر رؤساؤه عمله فكنوه من الدرس مدة سنتين في جامعة ويانه ثم رجع بعدها الى الدير وانعكف على تجاربه واختباراته، انعكاف الراهب على صلواته وعبادته فحصل على نتائج بسطها سنة ١٨٦٦ امام جمعية العلوم الطبية في برن فلما تعبأ بما ذكره على ان استهتار الجمعية ببحثه لم يثن عزيمته لأنه كان حازم الرأي فلم يكترث بالخيبة وتلقى الصدمة بعقل الفيلسوف. وقال لبعض اصدقائه ان زمني سيأتي سريعاً وقد صدق في هذا القول اذ اصبحت مواضيع بحثه شغل العلماء الشاغل وعادت دعامة من دعائم الوسائل المؤدية الى انقاذ الفرد والمجتمع من الامراض الوراثية وعماداً قوياً في اصلاح النسل وتحسين الولد.

٢ - اتافيزم Atavisme مأخوذة من كلمة Atavus.

البعيدة من الأجداد بينما يقصد بالوراثة الحيوية مشابهة الأصول المباشرة من آباء وأجداد ، قد يكون التاريخ البعيد للنزوع الى الأصل مجهولاً عند الغربيين ولكن القضاة المسلمين كانوا يعرفون ذلك تمام المعرفة وكانوا يحيلون قضايا الشك في النسب الى خبراء سموهم أهل القافة [1] أو المقيفين اشتهر منهم بنو مدلج . ولقد عرف أدباء العرب ايضاً النزوع الى الأصل [2] . ولقد استوحى ايضا قضاة الاسلام

---

١ ـ مفردها القائف وهو الذي يعرف الآثار ويعرف شبه الرجل او الولد باخيه وابيه وأمه . ويقال هو اقوف الناس .

٢ ـ ونستدل على ذلك مما جاء على لسان رجل من بني عامر بن صعصعة فقد تزوج امرأة من قومه ثم غاب في أسفاره بضعة شهور ولدت له امرأته ولداً احمر ـ اشقر ـ فدعاها وشهر سيفه في وجهها وقال :

لاتمشطي رأسي ولا تفليني وحاذري الحسام في يميني

واقتربي دونك اخبريني ما شأنه احمر(أ) كالهجين

خالف ألوان بني الجون(ب)

فأجابته : ان له من قبلي اجداداً بيض الوجوه كراماً انجادا (ج)

ماضرم ان حضروا امجاداً(د) او كافحوا يوم الوغى انداداً(هـ)

ان لايكون لونهم السوادا

وهكذا ردت هذه الزوجة العربية بادبها الرفيع تهمة زوجها فأرشدته الى ما هو حق وهو ان الابن قد يرث لون اجداده . تفسير بعض الكلمات الواردة في هذا الشعر :

(أ) احمر : تطلق على من كان به بياض وشقرة ولذلك نعتت عائشة رضي الله عنها بالحميراء (ب) بنو الجون : قبيلة اشتهرت بسواد لون افرادها (ج) انجاد : شجعان (د) امجاد : من المجد (هـ) نظراء .

احكامهم مما روي عن الرسول الكريم [1] وكان لفقيه الاسلام العلامة ابن القيم نظرية في ذلك تعرف اليوم بنظرية التولد الكلي تقول : ان في العناصر الجنسية ميراثاً خاصاً ، لايظهر الا في الخلف . ولقد تساءلوا عن حملة هـــذا الميراث فأقروا انها أجزاء دقيقة سماها سبنسر الوحدات وداروين البزيرات وابن القيم قبلهما الجزئيات وما هي في الواقع الا الصبغيات .

وخلاصة هذه النظرية ان اجزاء الجسم كلها تشترك في تكوين نطفة الذكر ونطفة الأنثى فكل عضو من اعضاء الجسم يبعث من مادته بأوقات معينـــة جزيئات متناهية في الصغر تسري في الدم الى ان تصل الخصية او المبيض ،تنمو هذه الجزيئات بعد الالقاح فيولد كل منها النسيج ذاته الذي اشتقت منه .

انتقال الصفات العقلية والميول النفسية : يقول بوراثة الصفات العقلية عدد كبير من علماء الوراثة كما يؤكدون انتقال الغرائز والصفات النفسية من السلف الى الخلف ويسعدنا ان نذكر في هذا الشأن مايثبت وراثة الصفات النفسية من كرم وشح وجود وبخل وكرامة ولؤم وما الى ذلك من صفات نفسية وسجايا خلقية تؤثر فيها البيئة الأثر الكبير على ان العامل الوراثي يظل عظيم الشأن كبيره .

---

١ ـ ثبت انه ضمضم بن قتادة ولدله مولود أسود عن امرأة من بني عجل فأوجس لذلك فشكا الى النبي وقال : ان امرأتي ولدت غلاماً اسود ، فقال له الرسول : هل لك ابل ؟ قال : نعم . قال : فما ألوانها ؟ قال سود . قال : هل فيها من اورق ؟ قال : نعم ،قال : فأنى له ذلك ؟ قال : عسى ان يكون نزعة عرق ، وقال : وهذا يعني ولده عسى ان يكون نزعة عرق . قال : فتقدم عجائز بني عجل فأخبرن أنه كان للمرأة جدة سوداء وقد فسر ابن القيم هذا الحادث تفسيراً علمياً بانتقال ماسماه الاجزاء من السلف البعيد الى الخلف وذلك قبل ان يلقي نور العلم المعاصر على هذه القضية اضواءه الحديثة .

الأثر نستشهد على ذلك بما جاء في قصص العرب [1] .

وراثة الصفات السيئة : تنتقل طباع الانسان من حسنة وقبيحة بالارث ، كطباع الحيوان، حتى أن بعض الخبيرين قال : عاشرت كثيرين من ذوي العلوم العالية ممن لا أنكر عليهم معرفتهم وخبرتهم الواسعة ولكن أخلاقهم السيئـــة كانت تحول بينهم وبين امانيهم فهم يعرفون الداء ولا يجدون الدواء فذو الأخلاق السيئة لا يمكنه تغييرها الا بجهد كبير [2] . هـذا هو اعتقاد الفيلسوفين هربرت

---

١ ـ قال عثمان بن سليمان : خرجت في نفر من هذيل من اهل البصرة ، فنزلنا على حي من بني مازن ، فقصدنا بيتاً رحباً ، فاذا ببابه رجل وامرأة ، فسلمنا فردت المرأة السلام ، وحيت . واعرض الرجل واظهر تبرماً وتضجراً . فقالت لنـــا المرأة : انزلوا بالرحب والسعة ، فقال الرجل : ماعندنا موضع لنزولهم ، فقالت المرأة : سبحان الله ! تقول هذا لضيفان (جمع ضيف) قد حلوا بنا ، وانطلق بعلها كالحاً (عابساً) وجهه كالمغضب ، فكثر منه تعجبنا ، وبتنا ليلتنا خير مبيت ، واصبحنا فأخذنا الطريق حتى أمسينا في حي آخر فقصدنا بيتاً ضخماً ، فاذا ببابه رجل وامرأة ، فسلمنا فرد الرجل السلام ، واعرضت المرأة فقال لنا الرجل : انزلوا بالرحب والسعة ، فظهر منا انقباض شديد لما رأيناه من زوجته ، ودخلت المراة البيت مغضبة فأطلنا المناجاة فيما بيننا وصاحب البيت يتأملنا ويصغي الينا ثم اقبل علينا فقال : من اين خرجتم ؟ قلنا : من البصرة ، قال : فيمن بتم البارحة ؟ فقلنا في منزل رجل يقال له فلان ، قال : فاني رأيتكم تتحدثون بينكم حديثاً تكثرون منه التعجب ، فما ذلك ؟ قال : فقلنا : انه كان من الامر كذا وكان كذا فقال : افلا اخبركم بما هو اعجب مما تعجبون منه : قلنا : بلى ! قال : اعلموا ان تلك المراة التي بتم ببيتها اختي لأبي وامي ، وان الرجل اخو زوجتي لأبيها وامها ، فقلنا : الحمد لله الذي جبلك على اخلاق الكرماء من الرجال .

٢ ـ وقد جاء في الحديث الشريف في هذا المعنى (زيادة العلم في الرجل السوء كزيادة الماء في اصول الحنظل كلما ازداد رياً ازداد مرارا) .

سبنسر وشوبنهاور القائلين بتأصل الصفات في النفس وانتقالها بالارث[1] .

أثر البيئة في الوراثة : نحصر الكلام عن هذا الموضوع في بحثين :

أ ـ أثر البيئة القريب : اننا لا نوافق القائلين بعدم امكان اصلاح الانسان بالتربية والتأديب لأن الله ميز الانسان بالعقل وجعله قابلًا للتأثر بالمواعظ والهداية وهكذا غيَّر الاسلام في فجره ،بما أمر به من الأخلاق الكريمة طبائع عرب الجاهلية فزجرهم عن المساوىء الذميمة وأخرجهم من ظلمات الجهالة الى سبيل العلم القويم والخُلُق الكريم . ومما لا شك فيه أن تبديل الصفات السيئة القطرية ممكن ولكنه صعب جداً يحتاج الى مكابدة ومشقة[2] . لقد قيل أن الضعف العقلي والخلقي والاجرام حالات يمكن أن تورث[3] وقد جاء في الحديث

---

(١) يشير المتنبي الى ذلك بقوله :

افعال من تلد الكرام كريمة   وفعال من تلد الاعاجم اعجم

ويريد بالاعاجم اللئام .

٢ ـ وهذا هو رأي حجة الاسلام الامام الغزالي القائل بقبول الاخلاق للتغيير بطريق الرياضة .

٣ ـ نذكر سيرة عائلة (ج) على سبيل المثال عن وراثة الميول السيئة والضعف الخلقي والاجرام ، كان عدد افراد هذه العائلة (١٢٦٠) شخصاً منهم ٣٧٨ مومساً و ١٨١ مدمناً للخمر و ١٧٠ متشرداً و ٢٢٩ عاطلا و ١٨ مجرماً و ٨٦ سيئي التصرف في بيوتهم وقد احترف منهم ٢٠ شخصا فقط حرفة تعلموها في السجن ، وكان نصف افراد هذه العيلة ضعفاء العقل وينتمون بنسبهم الى امرأة اسمها ادي وكانت عاهرة تزوجت برجل هولندي ، وقد كلف نسل هذين الشخصين ولاية نيويورك (١،٢٥٠،٠٠٠) ريال اميركي فضلا عن الاذى الذي لحق الناس بسببهم ، ويبدو تأثير الوراثة جلياً في عيلة اخرى وكان الرجل فيها محترما تزوج من امرأة سيئة المنبت ، ضعيفة العقل ثم تزوج بامرأة حسنة التربية ، كاملة العقل فخلف عدداً من الاولاد وكان لذريته فرعان فكان في الفرع الاول حيث الام الضعيفة العقل عدد كبير من ضعفاء العقل والمجرمين اما ذرية الفرع الثاني فتحلت بأكمل الصفات .

الشريف والأدب العربي ما يؤيد ذلك[1].

ب ـ أثر البيئة البعيد : لقد بحث علماء الغرب عن أثر البيئة الاقليمي في الوراثة فأنكروها وجاؤا بأدلة على إنكارها منها أن نسل البيض في الأقاليم الحارة يبقى أبيض اللون رغم المحيط حيث يكون السكان سود اللون واننا لا نشك في الأدلة التي يقدمها هؤلاء البحاثون ولكنها في نظرنا أدلة تؤكد انعدام التأثير الاقليمي القريب في النسل ولكنها لا تنفي الأثر البعيد ، ذلك الأثر الناتج من تأثيرات الأقاليم في الانسان والحيوان منذ قديم الأزمان . ذلك الأثر الذي يبدو لنا أن علماء العرب و الاسلام كانوا من القائلين بعمله على طول السنين وكر الأعوام[2].

الوراثة في الزواج وتحسين الولد[3] الزواج سنة طبيعية وعقد شرعي أو مدني بين الرجل والمرأة يساق الانسان اليه ولا يسهل العدول عنه بحكم التعاطف المتقابل والتجاذب الغريزي المتبادل ، ومن أهم مقاصده التعـــاون على احتمال متاعب الحياة والتساند في تصريف همومها وتقاسم شقائها وهنائها ، ولم يجتمع في شيء ما اجتمع في الزواج من دواعي الشرع والعقل والطبع (،) فأما دواعي الشرع فقد نصت عليه الكتب السماوية ودعت اليه أقوال الرسل ومنها الاحـــاديث الشريفة . (،) وأما العقل فان كل عاقل يحب أن يبقى اسمه ويخلد ذكره (،) وأما الطبع فانه يدعو الى تحقيق ذلك (،) وأما الاجماع فهو الدعوة اليه من قبل جميع المصلحين .

ـ يقول الحديث الشريف : اياكم وخضراء الدمن فانها تلد مثل اصلها وقد قيل في ذلك شعراً :

واياك يا هذا وروضة ودمنة ستترجع عن قريب الى أصلها الردى

٢ ـ يدل على ذلك قول ابن سينا في ارجوزته :

بالزنج حر غير الاجسادا حتى كسا جلودها سوادا

والصقلب اكتست البيــاض حتى غدت جلودها بضاضا

٣ ـ رجحنا تعبير تحسين الولد على اصلاح النسل لان التعبير الاول خاص بالانسان.

يحسن أن لا يكون الزواج وليد عاطفة جامحة، لأن من الخطأ أن ينظر الى الزواج كأمر دونه الغريزة وأن يغض الطرف عن ثمرته وهي الاولاد فان صفات السلف وقسماً من أمراضه تنتقل الى الخلف. يجب أن يبنى الزواج لا على الحب الجامح كما يرى خطأ الكثيرون بل على استعداد لتبادل المودة وتجانس التقدير والاعجاب عند الخاطبين، وشذ أن لا ينقلب ذلك الى وئام يحدث في العائلة السكينة والسلام. لا تكفي الجاذبية الجنسية المتبادلة وحدها لتبرير زيجة من الزيجات. بل يجب فيها مراعاة الوراثة الصالحة الى جانب الجاذبية الجنسية ويجب تحاشي الحب الطائش الذي قد يعمي ويصم[1]. وبعد فالحب كلمة فيها متناقضات، فيها الطهارة والدعارة، فيها الجحيم والنعيم، فيها السعادة والشقاء، والحب صراط خطر لا يضمن السائر عليه زلة قدمه ولا تستطيع سالكته إتمام الشوط دون ارتباك فسقوط الى هاوية سحيقة ووقوع في شرك أنواع من البلايا وضروب من الهوان. ويخيل إلي في هذا الصدد ان الحب الذي يفهمه بعض الكتاب هو غير الحب الذي بشرت به الرسل، أن الحب الذي بشرت به الرسل هو ذلك الملاط الذي يستطيع توحيد الناس بسبب قوته، لا ذلك الحب الغريزي، وليد النزوات الجامحة المؤدي الى ضعف النسل، ذلك الانحلال الجسماني والنفساني الذي أصيبت به جميع الحضارات فانهارت.

الضوى في الوراثة والزواج بين الأقارب: الضوى في اللغة دقة العظم، والهزال وقلة الجسم خلقة بسبب التزاوج بين الاقارب. ان مشكلة الزواج بين الاقارب قديمة العهد اذ يظهر ان الانسان الابتدائي فضل الزواج بين الاقارب

---

١ – يقول الشاعر علي بن الحسين القرشي في هذا الصدد:

فلا تلم المحب على هواه ... فكل متيم كلف عميد

يظن حبيبه حسناً جميلاً ... وإن كان الحبيب من القرود

لاسباب عديدة ولكنه ما لبث أن أدرك محاذير ذلك فقامت الرسل بالهداية الى الاغتراب واجتناب الاقربين وسار على غرارهم رجال الدين وحذا حذوهم اليوم علماء الاجتماع والحياة بعد تقص عميق[1] . نقب عن هذا البحث في القرن الاخير علماء الحياة والاجتماع فأخذوا بجذافيره ، طارفه وتالده ، جليّه ودقيقه فتناقشوا فيه طويلاً وبحثوا في جميع نواحيه حتى استحلوا عليه فجاءت بحوثهم محبية الى العمل بما جاءت به الشرائع السماوية في هذا الصدد واعترفت بأن الاضرار التي تنتج عن الزواج بين الاقارب تختلف بدرجة اختلاف قرابة الزوجين وأن من أهمها ضعف الولدان وتشوه أعضائهم وحدوث اضطرابات مهمة في أجسامهم وانتقال بعض الامراض الى أولادهم وحفدتهم وذراريهم . هذا وصفوة القول أن الزواج بين الانسباء غير مرغوب فيه من الوجهة الصحية والعلمية والى ذلك ينبه الرسول الكريم في حديثه المشهور (اغتربوا ولا تضووا) أي تزوجوا الغرباء عنكم واختاروا زوجاتكم من غير أقربائكم لان الزواج بين الاقارب يضعف الاولاد ويروى عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه رأى بني السائب ضعفاء ضاوين فقال لهم

---

١ ــ كان العرب في جاهليتهم معتادين الزواج بين الاقارب ولما جاء الاسلام حرم عليهم ذلك وحبب اليهم التزوج بالبعيدين فعملوا بأوامره وانتهوا عن نواهيه فتبين لهم من ذلك وتحققوا ان ذلك انجب للولد وابهى للخلقة فرغبوه ورغبوا فيه كما يتضح من اقوالهم المأثورة منها :

قول شاعرهم :

تجاوزت بنت العم وهي حبيبة ... مخافة ان يضوى على سليلي

وقول آخر :

تنجبتها للنسل وهي غريبة ... فجاءت به كالبدر خرقاً معمما

ويقصد بذلك الشاعر انه اختارها زوجة بعيدة عنه في النسب فجاء ولدها صحيح البنية سليم الجسم يحاكي بجماله جمال البدر ، وقد نسب الى الاصمعي قوله : بنات العم اصبر والغرائب انجب .

(يا بني السائب قد ضويتم فانكحوا في الغرائب أو في النزائع) والضوى هو ولادة أولاد ضعفاء ، والنزائع جمع نزيعة وهي المرأة التي تتزوج في غير عشيرتها[1].

هذا ولا بد من التنبيه الى أن الزواج من الاقارب مرغوب فيه وليس له من المحاذير ما بيناه اذا تأكدت سلامة الاصول البعيدة من الامراض الوراثية ، فاذا تحققت السلامة كان الزواج بين الأقرب مرغوباً فيه ، واذا تحقق وجود المرض عاد مرغوباً عنه

ب ـ العلوم المتعلقة بدارسة الانسان وبنائه ، وعمل اعضائه ، وهي ماتعرف اليوم بالدراسات المؤهبة للسريريات[2]: من المعلوم ان الانسان اكثر المخلوقات تعقيداً في البناء وأعظمها دقة وتنظيماً ، تميز من غيره بميزات كثيرة ، أروعها عقله الذي جعله اشرف المخلوقات طراً وسيدها جميعاً ، وأبدعها كماله وحسن تقويمه ، وأعظمها ، جعل تركيبه أعلى من تركيب جميع المخلوقات . يدخل في نطاق هذا البحث الكلام عن الجنين وتشريح الأعضاء وعملها .

أ ـ **علم الجنين**[3] : تعبير يطلق على العلم الباحث عن تخلّق الانسان . كان يظن أن انثى الانسان ليست ذات شأن في تكوين الولد ، وانها أرض خصبة يبذر الرجل فيها بذرته الانسانية فتولد بشراً سوياً . ولقد كان ابن القيم من المناهضين لهذا الرأي ومن القائلين باشتراك الرجل والمرأة معاً في تخليق الجنين . يقدم ابن القيم دليلاً على اشتراك الذكر والانثى بتكوين الولد ، مشابهة الولد

---

١ ـ قال الشعراء في هذا الصدد :

انذر من كان بعيد الهم ... تزويج اولاد بنات العم

فليس بناج من ضوى وسقم

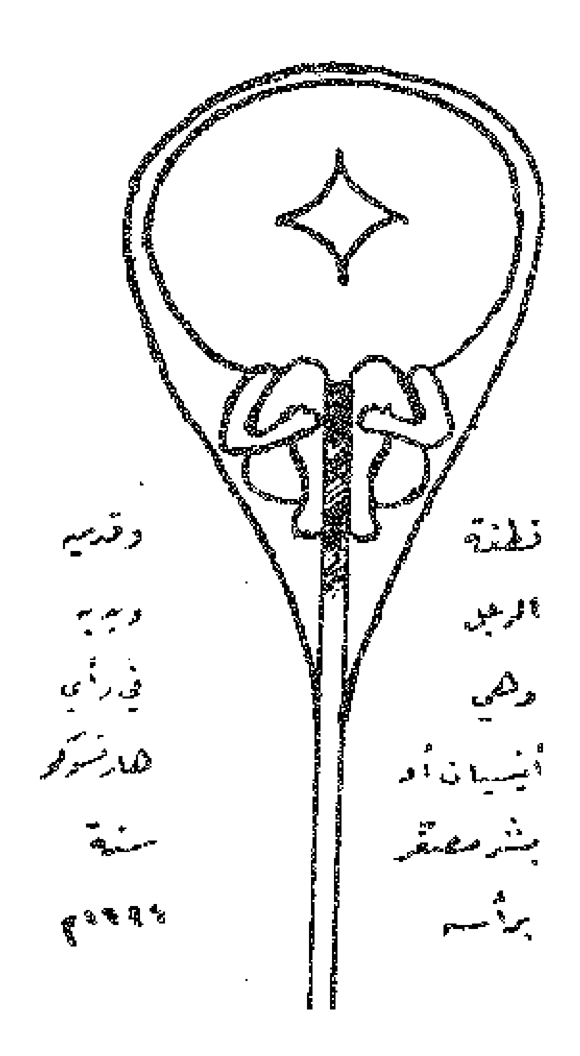
وقد مدح احدهم فتى قوياً بقوله :

فتى لم تلده بنت عم قريبة ... فيضوى وقد يضوى رديد الغرائب

٢ ـ études précliniques .

٣ ـ Embryologie . Embryology .

لأمه ، كمشابهته لأبيه ، وانه لو لم يكن للمرأة شأن لما اشبهها ولدها . ويؤكد ذلك بقوله : وماء الرجل وحده لا يتولد منه الولد ما لم تمازجه مادة اخرى من الانثى ، وبديهي ان المقصود من المادة الاخرى المشتركة في تكوين الجنين هي بذرة الانثى التي نسميها اليوم بالبيضة . وذلك خلافاً لرأي ظل سائداً حتى بعد اكتشاف الحيوان المنوي الذي خيل الى الباحثين الأول أن الحيوان المنوي انيسيان – تصغير انسان – فيه من الأعضاء الابتدائية الكامنة ما في الانسان الكامل .



الشكل (٦٤)

يقول ابن القيم ان النطفة تخرج من جميع اجزاء البدن والحجة على ذلك مشابهة المولود للوالدين مشابهة كلية ويقول عن النطفة ان فيها حيواناً صغيراً فهو بذلك اول من قال بالحيوان المنوي . إذا أمعنا النظر في كلام ابن القيم من حيث احتواء كل من نطفة الرجل وبذرة الانثى على عناصر تخليق الجنين (٤) وجدنا في قوله هذا نظرية قصد بها توفيق المشاهدات لقاعدة عامة فهو يرى ما رآه داروين من بعده أن اجزاء الجسم كلها تشترك في تكوين نطفة الذكر وبذرة الانثى او انه تكمن في كل منها صفات الاصلين وعناصر اعضائها .

ب – علم التشريح وعلم وظائف الاعضاء : زعموا ان خبرة اطباء العرب

بالتشريح ضئيلة وأن السبب في ذلك يرجع الى تحريم الديانة الاسلامية تشريح جثث الموتى على ان البحث يدل على غير مازعموا ويثبت غير ما نقلوا من أقوال حول هذا الموضوع فقد كان ابن رشد [1] الطبيب الاندلسي والفيلسوف العربي يقول ان معرفة الاعضاء بالتشريح تقرّب من الله ، وبيّن ان مركز التصور في مقدم الدماغ ومركز الذاكرة في مؤخره ومركز التفكير في وسطه ويقف ابن القيم عند قوله تعالى : « وفي انفسكم افلا تبصرون » حائراً فيدفعه التفقه في الدين الى متابعة البحث لإدراك معاني هذه الآية وحقائقها ويؤول به ذلك الى الاطلاع على بناء الانسان وتشريحه فيتوسع فيه ويصف الأذن والعين وينبه الى أمور نبه اليها الفرازيون حديثاً ، منها بعض فوائد ملحقات الأذن فيقول : في صدفة الأذن انحرافات واعوجاجات لتطول المسافة قليلا ، فلا يصل الهواء إلا بعد انكسار حدته فلا يصدمها ، وايضاً لئلا يفاجأها الداخل اليها من الدبيب والحشرات بل إذا دخل الى عوْجة من تلك الانعطافات ، وقف هناك فسهل اخراجه .

ونقتطف من بحثـــه عن الأنف قوله : ان على الانسان ان يستنشق بالمنخرين فيستغني عن فتح الفم ، وذلك لأن للانف عملا في كسر حدة الهواء ويقول ان للأنف شأنا في النطق ، اذ يعين على تقطيع الحروف ، ثم يقرر قاعدة طبيـة صحيحة حين بحثه عن الفم واللسان وهي قاعدة الاستدلال عما يبدو للبصر على اللسان من الخشونة والملاسة والبياض والحمرة والتشقق ، من أحوال المعـــدة والامعـاء ، ثم يصف اللعاب ويقول فيه ان الطعام يخالطه بل هو الذي يحيل الطعام فيبين بذلك أثر اللعاب في هضم بعض المواد كما عُرف في العصر الاخير ويقول : إن فيه – أي في الفم – آلة للتقطيع وآلة للطحن فيذكر أقسام الاسنان وصفاتها ومنافعها ويقرر قاعدة نسجية غريزية يستنتج منها مبدأ طبياً صحيحاً إذ

---

[1] – أسمه عند الغربيين Averroès .

يقول : ومن عجيب امرها الاتفاق والموالاة التي بينها وبين المعدة فانه يُسَلّم اليها الشيء اليابس والصلب فتطحنه ، ثم تسلمه الى اللسان فيعجنه ، ثم يسلمه اللسان الى الحلق فيوصله الى المعدة فتنضجه وتطبخه ، فاذا عجزت المعدة عن إنضاجه وطبخه ، ضعفت المعدة وضعفت معها باقي اعضاء الهضم . وينهي ابن القيم كلامه عن الانبوب الهضمي بقوله : إن أسنان الانسان سلاح ومنشار وسكين وزينة ، وفيها منافع ومصالح غير هذه . ويتابع ابن القيم الكلام عن آلات الغذاء فيقول وأما آلات الغذاء فثلاثة أقسام آلة تقبل الغذاء وتنضجه وتفرقه وترسله الى جميع البدن ، وآلة تقبل فضلاته ، وآلة تعين في إخراج ثقله أو مالا منفعة في بقائه ثم يصف كلاً من الآلات المذكورة وعملها ويقول عن المريء انه موضوع خلف الحلقوم وينتهي في ذهابه الى متسع هو المعدة وفمها هو السدفة ويسمونه الفؤاد[1] . وتنتهي من جهة قعرها الى منفذ هو باب المعدة وبوابها . ويذكر الامعاء والمصارين فيقول انها جمع مصران بضم الميم وهو جمع مصير وسمي مصيراً لمصير الغذاء اليه والسفلي يقال له الاقتاب – الامعاء الغليظة – والعليا أرق من السفلى واما أعلى الرقاق فيسمى الاثني عشر لأن مساحته اثنا عشر اصبعا ، فيعرّفنا عن سبب هذه التسمية[2] . ثم يقول : ويلي الاثني عشر الصائم وسمي بذلك لقلة لبث الغذاء فيه ، لا لأنه يوجد أبداً خالياً ، ويبحث عن المعى الثالث ، المسمى بالرقيق واللفائف فيقول عنه انه اطول الامعاء واكثرها تلافيف ، ولبث الغذاء

---

١ – ينتقد هذه التسمية ويثور عليها وهو محق في انتقاده. ورأيه أن هـذه التسمية من غلط الاطباء ، فالفؤاد عند اهل اللغة هو القلب، واما كون فم المعدة هو الفؤاد فهذا لانعلم احداً من اهل اللغة قاله وقد استبدل كلمة الفؤاد بالسدفة فجاء رأيه موافقاً لما اتجهت كلية الطب بدمشق اليه .

٢ – ويرشدنا بذلك الى خطأ اجتهاد بعضهم في عد كلمة الاثني عشر كلمة مركبة وعدم تتبعها لقواعد الاعراب فيفيدنا فائدة لايقدرها الا من عانى لغة الطب اليوم .

فيه اطول . واما الدامع فهو الرابع أو الاول من الثلاثة السفلى فيسمى الأعور والخامس القولون والسادس هو المعى المستقيم لأنه مستقيم الوضع ، يجتمع فيه الثفل ، ويبين حكمة كثرة لفائف الامعاء بأنها تعين الانسان على الاكتفاء بوجبات من الطعام وأنه لو كانت مستقيمة وبدون لفائف لكان الانسان مكبآ على الغذاء دائماً ، عديم الصبر عنه كبعض أنواع الحيوان . ويقول عن الكبد إنها عضو لحمي تتخلله عروق رقاق غلاظ وإنه على الكبد غشاء عصبي حساس يحيط بها وشكل الكبد هلالي محدب من ظاهره ، مقعر من باطنه ويقال للشعبة الصغيرة منها خاصة زائدة الكبد[1] . ويسمي مقعر الكبد المورد لانه يُوَرِّد الغذاء من المعدة والامعاء ، ويسميه أيضاً باب الكبد وتتشعب العروق على جانبه بشعب تتصل بالامعاء تسمى الجداول لشبهها بالسواقي الصغار وتؤدي الى نقرة عظيمة ثم يقول : وتنقسم العروق في الكبد الى عروق أصغر فأصغر منها حتى تبلغ غاية الرقة ثم تعود وتجتمع أول فأول على قياس ماتفرق ، واخذ من كثرة الى وحدة ومن رقة الى غلظ ، حتى يجتمع منها العرق الخارج من الكبد المسمى بالأجوف فيقرر بذلك مبدأ الدوران الشعري . ويقول عن المرارة انها موضوعة على الكبد ولها مجريان ، احدهما متصل بتقعير الكبد يجتذب المرة الصفراء والآخر متصل بالامعاء العليا . ويبحث عن الهضم فيقول اذا انهضم الطعام وخرج من المعدة الى الامعاء صار كيلوسا شبيهاً بماء الكشك الثخين وهذا دليل على أنه فتح بطون الحيوانات أثناء حياتها وشاهد صفات الكيلوس فذكره ويقول اخيراً ثم تقذفه العروق الرقاق الشعرية التي هي برقة الشعر وينجذب الى الكبد . ثم يبحث عن التنفس الذي لم تعرف حقيقته الا منذ زمن قريب فيقول فيه ان الهواء الذي يستنشقه الانف يدخل أولا من المنخرين وينكسر برده ثم يصل الى الحلق فيعتدل

---

١ – وربما كان يعني به مانسميه اليوم فص سبيغل .

مزاجه ثم يصل الى الرئة ألطف مايكون ثم تبعثه الرئة الى القلب فيروّح عن الحرارة الغريزية التي فيه ، ثم ينفذ من القلب الى العروق المتحركة ويبلغ أقاصي طرف البدن وهكذا يبيّن ابن القيم اعتماداً على صدق فراسته وكثرة إمعانه نوعي التنفس . ويبحث ابن القيم عن الشعر والشيب بحثاً جديداً بالامعان ويذكر في صدد الشعر بوجود ارتباط بين الشعر وبين الخصية وانه اذا تعطلت ، تعطل شعر اللحية فيشير بذلك الى عمل الغدد الصم بالهورمونات ، ذلك العمل الذي اصبح الركن الاساسي في فن المعالجة اليوم على أن الجاحظ يسبقه في هذا المضمار .

ولا يخفى أن ابن القيم من كبار الفقهاء ومن اكثرهم توسعاً في الشريعة الاسلامية وقد رأى هذا المؤلف في علمي التشريح ووظائف الاعضاء مايوصله الى أعماق الشريعة وأهدافها فاثبت ذلك في كتابه المعروف باسم التبيان في أقسام القرآن . فاذا كان هذا تقدير الفقهاء للتشريح فما بالك بعناية الاطباء العرب بالتشريح . وقد ذكرنا طرفاً من ذلك في سيرة مشاهيرهم . كان الرازي أول من وصف الفرع الحنجري للعصب الراجع وقال عنه انه يكون مزدوجاً في الجهة اليمنى أحياناً وقد كان أطباء العرب يعلمون جيداً بأن حركات الحدقة ناتجة عن انقباض القزحية وقد ذكر ابن حيان في رسائله التشريح فقال عن العين انها تتركب من سبع طبقات وثلاث رطوبات بيّن صفات كل منها . وبحث اسحق ابن حنين في العضلة الثلاثية الخلفية الموجودة في مؤخر عين الحيوانات فقال انها لاتوجد عند البشر وهذا يدل على دقة أطباء العرب في تشريح العين وبعض الاعضاء الاخرى عند الحيوانات ولو توسعنا ودققنا في دراسة الطب العربي لعثرنا على اكتشافات اخرى للعرب في التشريح ومنافع الأعضاء ، وعلينا أن ننبه الى أننا نجد في كثير من الكتب العربية الطبية جملاً كهذه : إن التشريح يكذب ما ذكر ، أو أن التشريح يبرهن كذا وكذا . ومما لا شك فيه أن أبا القاسم الزهراوي مارس التسليخ

وأكد في كتبه على أتقان علم التشريح وقد تطرق لهذا الموضوع أمين أسعد خير الله[1] فقال : قيل إن العرب لم يساهموا في علمي التشريح والجراحة لأن الشريعة الاسلامية تحرم تشريح جثث الموتى ولكن من يتعمق في بحث المخطوطات الطبية العربية يجد أنهم قد ساهموا في تقدم المعارف في التشريح بطرق مختلفة .
ويقول موفق الدين البغدادي لطلابه عن التشريح : إن جماعة ممن يتعانى في الطب قد وصلوا الى كتاب التشريح فكان يعسر إفهامهم وفهمهم لقصور القول عن العيان فقصدنا تلاً عليه رمم كثيرة فخرجنا اليه فشاهدنا من شكل العظام ومفاصلها وكيفية اتصالها وتناسبها واوضاعها ما أخذنا علماً لا نستفيده من الكتب .
ولو توسعنا ودققنا في دروس الطب العربي لعثرنا على اكتشافات لهم في التشريح ومنافع الأعضاء ، كان منها اكتشافهم الدورة الدموية الصغرى ، وقد أقر علماء الغرب بما للعرب من طول الباع في هذا الموضوع فقال علامتهم جول لابوم في تعليقه على القرآن الكريم : كانت الامبراطورية العربية في القرن العاشر تعلم التسليخ في قاعات مدرجة خصصت لتدريس التشريح[2] انشئت في أماكن متعددة ولا سيما في صقلية . وصف العرب بمؤلفاتهم الأجسام وأعضاءها وبحثوا عن وظائفها ومنافعها ولهم في ذلك مصنفات جزيلة الفائدة منها كتاب لأبي الخير هبة الله في التشريح ومنافع الأعضاء وكتاب اختصار التشريح لاوحد الزمان ابن ملكا البلدي ، وكتاب خلق الانسان وهيئة أعضائه ومنافعها لشرف الدين بن الرحبي الدمشقي والتصريح بفن التشريح لابن سينا والكفاية في التشريح لموفق الدين البغدادي وغير ذلك . ويدخل في نطاق البحث عن تاريخ علمي التشريح

---

١ ـ كتاب الطب العربي تأليف الدكتور امين سعيد خير الله .

٢ ـ dès le Xe siècle dans plusieurs parties de l' empire musulmane , particulièrement en Silice , il a existé des amphithéatres de dissection où l' anatomie humaine était enseignée. in Kuran analysé p. jules La Baume p 682

ووظائف الأعضاء الكلام عن الدورة الدموية ، لقد زعموا أن هرفي[1] كشف دورة الدم والواقع أن العرب عرفوها وعرفوا ما هو أدق منهـــا ونعني بذلك الدورة الدموية الصغرى . لقد تعرض الطبيب الدمشقي المصري ابن نفيس في كتابه تشريح القانون للدوران الرئوي كما تؤيد ذلك المخطوطات التي عثر عليها من تآليفه منها : مخطوط باريس ودرسه الدكتور عبد الكريم شحادة تلميـــذ مدرستي الطب في دمشق وباريس والمتخرج من الأخيرة فقال عنه : قارنا بين هذا المخطوط وما نشره الدكتور سامي حداد عن المخطوط الذي يملكه فاستنتجنـا من ذلك كله أن ابن نفيس كان اول من وصف الدورة الدموية الرئوية ، ومن غريب التصادف أن سارفيتس[2] الذي أدعى أنه مكتشف الدورة الدموية الصغرى في القرن السادس عشر للميلاد اي بعد ابن نفيس بنحو ثلاثة قرون ، كتب اكتشافه في مقدمة كتابه في التوحيد ، فاعتبر لأجله مارقاً من الدين المسيحي فأُحرق هو وكتابه . فهل يا ترى أطلع سارفيتس على كتاب ابن نفيس وتعاليمه فانتحلها لنفسه ؟ لقد قـــال ابن نفيس بالدورة الدموية الصغرى قبل ميشل سرفه وغيره من العلماء الايطاليين بثلاثـة قرون كما وصف عروق القلب الاكليلية حين بحثه عن تغذي عضلة القلب . وهنا لا بـد من التساؤل هل كان لآراء ابن النفيس تأثير في نهضة العلوم الطبية في ايطاليا التي ساهم فيهـــا ميشل سارفيتس ، فعرض نظرية الدوران الرئوي بنفس الصورة التي عرضها ابن النفيس؟ ترى هل اقتبس هـذه النظرية من رأي الطبيب العربي الكبير وعزاها لنفسه ؟ وينطبق هذا القول وهذا التساؤل على هارفي نفسه الذي أكمل دراسته في ايطاليا

---

١ - Harvey : ولد وليم هرفي في غرة نيسان سنة ١٥٧٨ ودرس في مدرسة كمبردج ولما اكمل دروسه قصد مدرسة بادو في ايطاليا وبعد ان اقام فيها خمس سنوات عاد الى انكلترة واقام في لندن يتعاطى صناعة الطب .

٢ - Servitus

حيث كانت الثقافة العربية واسعة الانتشار . يقول مايرهوف[1] ان ما أذهلني هو مشابهة لا بل مماثلة بعض الجمل الأساسية في كلمات سرفيتس لأقوال ابن نفيس كأنها ترجمت ترجمة حرفية . ويدعم هذا الرأي الدوميالي[2] وقد نشر الاستاذ ليون بينه[3] عميد كلية الطب واستاذ الفسيولوجيا السابق في باريس سنة ١٩٣٥ مقالاً في مجلة الطباعة الطبية بيّن فيه أن ابن نفيس اكتشف الدورة الدموية الصغرى في الرئة وذكر هذا الرأي أيضاً في كتابه المسمى على هامش المؤتمرات المطبوع سنة ١٩٣٩ كما قدم أيضاً سنة ١٩٤٨ بالاشتراك مع هربين[4] الى مجمع العلوم الطبية الوطني في باريس بحثاً أثبت فيه معرفة ابن النفيس الطبيب العربي للدوران الصغير[5] منذ القرن الثالث عشر . ومما لا شك فيه أن كشف الدورة الدموية

---

١ - Mayerhoff   ٢ - Aldo Mielli

٣ - Léon Binet   ٤ - Herpine

٥ - الدورة الدموية الصغرى هي دورة الدم في الرئتين ويبلغها الدم بواسطة الشريان الرئوي مدفوعاً من بطين القلب الايمن فيتنقى فيها بأخذه الاوكسجين ثم يعود بالاوردة الرئوية الى البطين الايسر من القلب متمماً بذلك دورة نعتوها بالصغرى تمييزاً لهـا من الدورة الكبرى . يزعم مؤلفو الغرب في تاريخ اكتشاف دورة الدم أن هرفي الانكليزي هو المكتشف الاول لدورة الدم واقروا له بذلك مدة قرنين الى أن قام موراري الايطالي وادعى بأن المكتشف الاول لدورة الدم هو اندريا سيزلبين الطبيب الايطالي . وقام منذ برهة سراديني في جنوا وانتصر لسيزالبين وأثبت أنه هو المكتشف الاول فأقيم له نصب في رومية وتذكار في مدرسة بيزا وهي الكلية التي علم فيها قبل أن صار طبيباً للبابا كلمينضس الثامن . وما من بينة على أن هرفي كان عالماً باكتشاف سيزلبين بل لايخفى انه لما ارتأى رأيه قاومه اطباء فرنسا وانكلترا مقاومة من تفرد برأي فاسد فدافع عن رأيه بحجج قوية اقنعت اضداده . ولما قام هلر الاسوجي الشهير قاوم القاصدين اثبات الاكتشاف لسيزلبين واتى بأدلة قاطعة على ان هرفي هو المكتشف الحقيقي لدورة الدم وانه وان سبقه سيزلبين الى القول بها فقوله غير جلي ولا مثبت بالادلة القاطعة كقول هرفي . هذا والقول هلر مزيد الاعتبار عند الخالين من الغرض . والواقع ان مكتشفهـا هو ابن النفيس كما بينا في المتن .

الصغرى يعتبر من المكتشفات العظيمة الشأن في الطب .

ج - الدروس الطبية الخاصة :

علم الامراض ، المرض ووسائل تشخيصه ومعالجته وعاقبته : وصف أطباء العرب والاسلام الصحة بأنها حالة الجسم الصحيح الخلق الذي تقوم أعضاؤه بوظائفها حق القيام وتكون أمزجته معتدلة ووصفوا المرض بأنه حالة خروج الأمزجة عن الأمر الطبيعي والاعتدال وقد قسموا الأمراض الى امراض ظاهرة للحس كالخراجات والقروح وامراض تفرق الاتصال وامراض باطنــــة وقالوا إن العلل التي تحدث في باطن البدن ليس تعرفها سهــلا كتعرف علـل الأعضاء الظاهرة ، لكن يُحتاج فيها الى أن يكون المتطبب عـارفاً بفعل كل واحد من الأعضاء ومزاجه وجوهره ومنفعته ومقداره وشكله وموضعـه في البدن ومشاركته لما يشاركه من الأعضاء وما يحتوي عليه من الرطوبات وغير ذلك وقد بحثوا في امراض كل من أجهزة الجسم على حدة ورتبها بعضهم ترتيباً مبتكراً كما فعل ابن جزلة في مؤلفه تقويم الأبـدان . وقد بحث العرب في أسباب الأمراض فقالوا منها ماهو ظاهر كالجرح بالسكين والرض بالحجر ولدغ الحشرات وغير ذلك أو باطن يتأتى من التغيير في الاخـلاط ، أو وبائي شك العرب بسببه التعفني لابل جزموا فيه . وأكد العرب على ضرورة التشخيص قبل العلاج فكانوا يفحصون العليل بكل الوسائط المعروفة في تلك الأيام من فحص للنبض والبول والبصاق والدم وغير ذلك وقد قالوا عن النبض انه رسول لايكذب ومناد أخرس يخبر عن اشياء خفية بحركاته . وتروي القصة الطريفة الآتية عن التشخيص بفحص النقل وهي أن اوحد الزمان ابا البركات هبة الله بن ملكا البغدادي العربي من اهل المائة السادسة للهجرة كان يطب للخلفاء والعلماء وبينما كان جالساً في مجلسه اذ دخل عليه رجل من اوساط البغداديين وشكا

اليه سعالاً ادركه وقد طالت مدته ولم ينجع فيه دواء فأمره بالعقود واستقلا‌ـ
حه على البصاق ـ فسُئل صاحبه بالنقلة فقال احميتها مدة ساعة فوق قطعة من ثوب
ونظرت فيهـــا بعد ما تشربها الثوب فما وجدت رسوبا كالقشور والنخالة .
ولو وجدته دلني على أن السعال من قرح اما في الرئة أو في الصدر وكلاهما صعب
فلما لم أجد شيئاً من ذلك علمت أنه بلغم لزج زجاجي وقد لصق بقصبة الرئـة
وآلات التنفس يشفى بإجلائه عنها بما يدعو الى السعال كالنارنجة بحامضها .
ومن غريب امتحاناتهم الطبية في الجراح ماذكره ياقوت الحموي في معجم البلدان
أن عبد الله بن مالك جمع الأطباء لعلي بن أبي طالب لمـا ضربه ابن ملجم وكان
أبصرهم بالطب أثير" المنسوب الى أثير بن عمر السكوني الطبيب الكوفي المعروف
بابن عمر . فأخذ أثير رئة شاة حارة فتتبع عرقاً فيها فاستخرجه وأدخله في جراحة
علي رضي الله عنه ثم نفخ العرق واستخرجه فاذا عليه بياض الدماغ واذا الضربة
قد وصلت الى ام رأسه . فقال يا أمير المؤمنين اعهد عهدك فانك ميت .

وأتقن العرب فحص البول وجلسوا له وكان يوحنا بن مـــاسويه المترجم
لهارون الرشيد ذا دعابة وكان أطيب مايكون مجلسه في وقت نظره في قوارير
البول التي يسمونها التفسرة . واشتهر أبو قريش عيسى طبيب المهدي بذلك وكانوا
يميزون كثيراً من الأمراض بجس النبض ومعرفة حركة القلب الدموية وسرعته
وبطئه فألفوا في هذه التجارب كتباً ورسائل منها في التفسرة ومنها في النبض
مثل كتاب كفاية المرتاض في علم الأبوال والأنباض ومنها موجز في علم الطب
وبيان القارورة والنبض للسيد حافظ لطف الله بن محمد . وأما الاستدلال بالدم
على بعض أنواع الحميات وغيرها من الأمراض فقد برعوا فيه أيضاً وألفوا الرسائل
والكتب مثل كتاب غاية الأمنيات في معرفة الحميات نسخ سنة ٨٨٤ هـ وفيه
صور الدم بألوان مختلفة . ثم بحثوا عن الانذار فقسموه الى نوعين الأول في

حالة الجسم الصحيح وهي تنذر بوقوع المرض ان لم يتداركه بالوقاية والثاني حالة الجسم المريض وما اذا كان متماثلا للشفاء أو معرضاً لاشتداد المرض أو الدخول في حالة خطرة يتبعها موت محتوم . وقد كتب أطباء العرب مجلدات عن البحران وقالوا عن معناه أنه الفصل الخطاب وتأويله تغير عند المريض يكون دفعة اما الى جانب الصحة وهو البحران الجيد واما الى جانب المرض وهو البحران الردي وذكروا علامات كل منهما .

الأمراض السارية والعدوى والحجر الصحي والوقاية من الأمراض بالتطعيم : عرف العرب العدوى حتى في عهدهم الجاهلي وقالوا عن الأمراض المعدية بأنها نتيجة التعفن واكتشف الطبري الحشرة التي تسبب داء الجرب وقال بعدواه واستعمل العرب التدخين لتطهير الهواء مدة الأوبئة كما أنهم منعوا المخالطة وحرموا بيع ثياب موتى الأوبئة بينما كانوا يجهلون وجود الجراثيم لقد لاحظ الفيلسوف الأندلسي ابن الخطيب أن مخالطة المريض المصاب بمرض سار مدعاة للعدوى وان لبس ثيابه يعرض للاصابة بالمرض نفسه وان الابتعاد عن المرضى والاحتراز من مخالطتهم تجنب العدوى . ولقد وضع العلامة أبو جعفر احمد بن خاتمة الاندلسي سنة سبع واربعين وسبعمائة في خلال وباء ظهر في المرية احدى مدن الاندلس كتاباً سماه تحصيل غرض القاصد في تفصيل المرض الوافد عرّف فيه بالمرض الوافد الوبائي فقال هو المرض الذي يعم كثيراً من الناس في وقت واحد وقسم أسباب المرض الوبائي الى اسباب خاصة واسباب عامة وقسم الاسباب العامة الى قريبة وبعيدة وأفاض المصنف بعدوى الوباء فقال : الظاهر الذي لاخفاء به ولا غطاء عليه ،ان هذا الداء يسري شره ويتعدى ضره ،شهدت بذلك العادة واحكمته التجربة فما من صحيح يلابس مريضاً ويطيل ملابسته في الحادث الا ويتطرق اليه أذاه ويصيبه مثل مرضه ، وبعد ان انتهى من البحث

الفني انتقل الى البحث الديني فدلل بالأحاديث الشريفة على أمكان العـدوى من ذلك ماجاء في قوله عليه السلام : (اذا وقع الطاعون في بلد وانتم به فلاتخرجوا منه واذا كان ببلد فلا تدخلوه) وهذا هو أساس الحجر الصحي المتبـع الآن ، فمنع الخروج من المحل الموبوءدفع لانتشار الوباء بواسطة الخارجين ومنع الدخول اليه وقاية للأصحاء القادمين اليه ، ومنها (لايوردن ممرض على مصح) ويتعرض ابن القيم الى عدوى السل فيقول انه يعدي اذا كانت الطبيعة سريعة الانفعال ، قابلة للاكتساب من ابدان تجاوره وتخالطه ، فانها نقالة وقد يكون خوفاً من ذلك ووهماً فان الوهم فعال مستول على القوى والطبائع ، ويقول : قد تصل رائحة العليل الى الصحيـح فتسقمه ومع هذا كله فلا بد من وجود استعداد البدن وقبوله لذلك الداء . ولقد عرفت في بلاد العرب والاسلام الوقاية من الامراض الوبائية بالتطعيم اذ اشتهر فيها التطعيم ضد الجدري قبل ان يعرفه ادورجنر الانكليزي ويبدو أن طريقة التطعيم ضد الجدري نقلت الى البلاد الاسلامية من الصين والهند حيث كانوا يطعمون السليم بمادة مستخرجة من بثرة الجدري نفسه في بداءة اليوم الثامن ، يؤيد ذلك ما كتبته ماري منتاغو سنة ١٧١٧ زوجـة سفير انكلترا في البلاد العثمانية التي زارت أدرنة فوجدت الجدري الشديد الوطأة في الغرب خفيف الوطأة في الشرق ، لذلك بعثت الى احدى صديقاتها بكتاب قالت فيها : اليك امراً يجعلك تودين المجيء الى هنا وهو أن مرض الجدري العام في بلادنا ، الشديد الفتك باهاليها ، لايخشى شره هنا ، لانهم اخترعوا له علاجا يسمونه التطعيم ويطعمون الناس في شهر ايلول سبتمبر حينما تنخفض الحرارة وقد يتطعمون في أرجلهم او في مكان لايظهر من اذرعهم ولم يذكر أن واحداً مات من التطعيم وانا واثقة بصحة ذلك حتى انني عزمت ان اطعم ابني وسأجتهد في اذاعة هذا الاختراع في انكلترة وسوف اكتب عنه الى بعض الاطباء . قرأ هذا الكتاب كثيرون في بلاد الانكليز ولكنه لم يطبع الا سنة ١٧٦٣ م أي

لما كان عمر أدوار جنر اثنتي عشرة سنة وكان الجدري في ذلك الحين من أشد الضربات على نوع الانسان وفي اقل من سنة عادت منتاغو الى بلادها الانكليزية مع زوجها وشرعت من وقتها الى اذاعة التطعيم في مدينة لندن ولم تصادق الحكومة ومدارس الطب على ذلك إلا بعد ستين سنة ولكن الشعب رأى نفع التطعيم واقبل عليه اقبالا عظيما بعدما قنعت زوجة ولي عهد انكلترة بفائدته وطعمت به اولادها ايضاً وكأنها ختمت على صحة التطعيم بخاتم الملك وللحال وافقت مدرسة الاطباء على صحته . وتوفيت السيدة ماري منتاغو سنة ١٧٦٢ وكتبوا على قبرها السطور التالية بعد وفاتها بسبع وعشرين سنة : تـذكار للشريفة السيدة ماري مورتلي منتاغو التي وفقها الله الى جلب طعم الجدري من البلاد العثمانية الى هذه البلاد بعد ان اقتنعت بفائدته وجربته أولاً في اولادها ثم اشارت الى اصدقائها ان يجربوه ، وبعملها ومشورتها خفت وطأة هذا الداء ونجوا من مخاطر هذا المرض الخبيث . وقد انشأت هذا التذكار هنريتا انج أرملة تيودور وليم انج وابنة السرجون رتلسي تخليداً لذكرى هذا العمل المبرور واعترافاً بالشكر والفضل وذلك سنة ١٧٨٩ الميلاد . وقد تابع هذه القصة ادوار جنر وعرف بعدئذ طعمه البقري .

الامراض العصبية والعقلية والنفسية واثر الغناء والموسيقى فيها كان المجنون عند العرب قبل الاسلام يهيم في فلوات القاحلة على وجهه ويجتمع حوله في واحاتها الخضر الكهان والعرافون فيعلقون عليه التمائم والطلاسم ويوقدون أمامه النار ليتصاعد منها دخان العود والند ذلك لأنهم كانوا يعتقدون كسائر الأمم القديمة بأن الجنون روح شيطانية . ولقد بدد الاسلام الفكرة القائلة بأن الجنون وغيره من الأمراض النفسانية تنتج من سكنى أرواح شريرة في جسد الانسان وأوجب معاملة المصابين بالحسنى والرحمة وهكذا أفرد العرب امكنة خاصة لا بل أوجدوا مشافي خاصة لمعالجة هذه الامراض وعاد المجنون موضع رعاية

المجتمع والافراد وبقينا نبصره في مشافي بغداد ودمشق ومصر وقرطبة مضطجعاً على فراش من القطن اللين في ردهة يتنازع جوهـا الهواء والنور والمشارفون يتعهدونه بانواع الاشربة المسكنة والمرطبة ويغذونه بمرق الدجاج وانواع الالبان بينما الموسيقى تصدح خلفه بالحانها الشجية. لقد خص المجانين في البلاد العربيـة الاسلامية بعناية خاصة فقد جاء في وقف أحد المستشفيات في حلب بأن كل مجنون يخص بخادمين فينزعان عنه ثيابه كل صباح ويحممانه بالمياه البارد ثم يلبسانه ثياباً نظيفة ويحملانه على أداء الصلاة ويسمعانه قراءة القرآن يقرؤهـا قارىء حسن الصوت ثم يفسحانه في الهواء الطلق ويُسمّع اخيراً الاصوات الجميلة والنغمات الموسيقية الطيبة ، لاعتقادهم بفائدتها في الأمراض النفسانية وقد كتب في هذا الموضوع هبة الله بن جميع كتاباً سماه كتاب الارشاد ، لمصالح الانفس والاجساد وكتب ابن الهيثم عن تأثير الموسيقى في الانسان والحيوان وقـد درس أطباء العرب أثر الغناء [1] في النفس فجعلوه من جملة وسائل المعالجة في اضطرابها . وقد كتبنا في موضوع الطب والموسيقى ماخلاصته ان للموسيقى في الانسان

---

١ – الغناء في الاسلام وعند العرب : الغناء فن جميل يقصد به تنسيق الاصـوات وتأليفها فترتاح لها الآذان وتنشرح الصدور وتتأثر النفوس وخير الغناء ماتضمن اغراضاً شريفة وصادف أفئدة حصيفة وصدر عن ألسنة فصيحة. لم يكن الاسـلام وهو دين الأذان لينكر سماع الغناء ويحرمه أو يجعله مكروها فان النبي الكريم سمع نسوة يتغنين في وليمة عرس فلم ينكر ذلك عليهن وقد أستقبل حين هجرته من مكة الى يثرب من نساء الانصار بالدفوف والمزاهر وهن يتغنين . وكان ممن كتب في هذا الموضوع محمد بن أحمد محمد ابي المواهب فقد ألف رسالة في اباحة السماع والمثاني ، ذكر فيها خلاصة من اقوال الائمة في هذا الموضوع الى ان قال لقد غلب الجهل على اهل هذا الزمان وفشا ،ولم يصدق احدهم الا بما عليه نشا ، فلهذا يسارع كل منهم الى التكفير والنكير ، ومـا علم المسكين مافاته من كثير ، فاسمع ايها الجاهل تحرير العلماء الاكابر ولا تلتفت الى الاصاغر وما هم عليه من عصبة الانكار حتى أن أحدهم يسفه بالمقال ، ولم يدر حقيقة ماقال .

والحيوان تأثيراً في الدوران الدموي اذ يختلف توتره باختلاف شدة اللحن وعلاوه كما تؤيد الألحان الموسيقية في الغالب تقلصات القلب وعدد الانفاس وتخفف الآلام وقد وضع أحد الأطباء الاميركان دوبوستوفار كتاباً في المداواة الموسيقية وصف فيه لكل داء قطعة موسيقية كما وضع كتاباً آخر في الموسيقى والصحة جاء فيه ان الموسيقى تشفي من الجنون . ويحق لنا بعد أن اثبتنا ما بيناه القول بان للعرب والمسلمين ان يفخروا بانهم أول من عالج الاضطرابات النفسية برفق ورحمة واعتمد على الغناء والموسيقى في معالجة الامراض والترويح عن المرضى .

الأمراض الجراحية والجراحة : عرف علماء العرب عن الجراحة أشياء كثيرة نقلوها من تقدمهم وزادوا عليها من ابتكارهم وكان أبو القاسم الزهراوي في طليعة جراحي العرب وكانت تعاليمه ومعلوماته ووسائله وآلاته أساساً متيناً بنيت عليه صروح الجراحة الحديثة[1] ودعت الى الاقرار بأن العرب كانوا أسياد الطب والجراحة ومعلميها في القرون الوسطى وظلوا كذلك حتى منتهى القرن الخامس عشر لأن الذين مارسوا الطب في الغرب بعد أبي القاسم كانوا مستعربين ومن تلامذة العرب . وكان الطب العربي ايضاً الدافع الذي بين ماللجراحة من قيمة فدعا الى فصلها عنه الطب الباطني فأصبحت علماً طبياً جديداً[2] .

نقل جراحة ابي القاسم الى اللاتينية جيراردو كريمون بطليطلة كما نقلها عدد كبير من الأطباء الطليان الذين غادروا اوطنهم على أثر ماحل بها من الفتن فاستوطنوا فرنسة وكان زادهم العلمي ماحفظوه عن العرب، وتعلموه منهم وماتزودوا به من كتبهم .

---

١ ـ راجع سيرته في الصفحة ٣٧٨ من هذا الكتاب .

٢ ـ من كلمات الدكتور لوسركل Lecercle من مونبليه استاذ الجراحة في كلية الطب بدمشق . مجلة المعهد الطبي العربي مجلد ٢ جزء ١ ص ١٤ .

الاقرباذين[1] : علم بأصول يعرف به الجيد والرديء من الجواهر الدوائية كما يعرف به اتقان العمليات وحفظ الجواهر مع بقاء خواصها ، والعلاج هو الجوهر الذي يقصد باستعماله من الظاهر أو الباطن برء المرض او ضعفه او ذهابه أو تسكينه .

واشتهر العرب ايضاً بايجاد مركبات واشكال دوائية لدفع بعض الامراض منها المعاجين ، وقد كان للمعجون المسمى بالمعجون المغيث الكبير شأن خطير في معالجة أوجاع الجوف وكانت السقية منه بخمسين ديناراً وقد ادخل هذا المعجون يونس الحراني[2] الى الأندلس بعد ان تعلمه في المشرق وقد أثرى منه . وقد اجتمع اطباء الاندلس واشتروا الدواء المذكور وحلل كل منهم جزءاً منه فكشفوا سره وعرضوا على يونس عملهم فشاركهم في عمله وأرباحه وعرف المعجون بالاندلس وعم استعماله ، ومنها المربيات والخلاصات للعلاجات وكان الرازي أول من صنع شراب العود المفرح ، وكان ابن زهر الاندلسي اول من صنع شراب الارسيم كما كان بختيشوع أول من عمل الشراب الديناري وسماه بذلك لأنه كان يسقى كل شربة بدينار وعمل بعده ابن دينار من ميافارقين

---

١ - الاقراباذين يقال انه فارسي والامثل ان يكون يونانياً اصله اكرويبيذينون منحوتة من اكرو أي اطراف ومن بيذينون اي أراضي فالمعنى الاطراف المنفرشة على الارض والمراد بذلك مايسمى بالعقاقير وهي النباتات المتخذة للادوية واقدم كتاب اقرباذين معروف عند العرب هو كتاب سهل بن سابور الاهوازي الملقب بالكوسج .

٢ - نسبة الى حران ، وهي مدينة قديمة في مابين النهرين اشتهرت بالفلاسفة والحكماء، عرف يونس بعمل الاشربة والمعجونات والجوارشنات الحادة العجيبة . والجوارشنات: ادوية هاضمة وهي فارسية بمعنى هضم الطعام وعربيتها هاضوم قال ابن جلجل في كتابه : ورأيته اثني عشر صبياً طباخين للاشربة ، صناعين للمعجونات بين يديه وذلك في مدينة قرطبة في منتصف القرن الرابع للهجرة .

شراب الديناري وهو غير الأول ، ومنها شراب برء الساعة ويسمى بالسريانية بوشعثا —(١) ومنه اختصر اسم البوشي وهو من التراكيب القديمة وقد نسب إعادة تركيبه الى هبة الله الأوحد ابي البركات الطبيب المشهور وقد قسموا منافعه على الزمان فقالوا انه يقطع الإسهال في ساعة والصداع في يوم والمفاصل في جمعة والاستسقاء في سنة .

ولأوحد الزمان بن ملكا البلدي مقالة في الدواء الذي ألفه المسمى بوشعثا — برء الساعة — استقصى فيه صفته وشرح ادويته . وله مقالة أخرى في معجون آخر ألفه وسماه امين الأرواح ، ومنها الجوارش التكيني وهو دواء هاضم ركبه أبو علي بن صملي الطبيب المشهور بتركيب الأدوية الكبار البيمارستانية وذلك لتكين صاحبه فنسبه اليه . واشتهر موسى ابن العازار طبيب المعز العلوي في مصر بتركيب المعاجين والأدوية وهو مؤلف شراب الأصول في امراض الأمعاء والنساء والكلى والمثانة ، وركب للمعز شراب التمرهندي وفيه منافع كثيرة صحت وذكر ابن القفطي لجواد الطبيب الذي كان في أيام الأمير محمد بن عبد الرحمن الأوسط الاندلسي مركبات منها العوق ودواء الراهب والشرابات والسفوفات المنسوبة اليه والى حمدين .

---

١ — ومما ورد في هذا المعجون ان القاضي معروفاً الصهيوني المتوفي سنة ١٠٦٣م ارسل سكرجة يستهدي الاوحد فيها شيئاً منه وفي طرازها هذه الأبيات :

لازال كل رئيس	يريك سمعاً وطاعة
وكل رب مزاج	بكم يرجّي انتفاعه
عبد أتاكم محب	قد مدّ كف الضراعه
يشكو أذىً ودواه	لديكم برءُ ساعه

علم الصيدلة[1] : كان العرب رواده ومؤسسيه . أدخل العرب في الصيدلة تغليف الحبوب وعرفوا اصناف الطيب[2] والبخورات والغوالي[3] والجوارشنات[4] والندود والمستقطرات والأدهان والنضوحات وذكروا الأدوية التي فيها وتوسعوا في دراسات المسك وانواعه والعنبر واصنافه والعود واشكاله والصندل وخواصه والسنبل الهندي وعناصره والقرنفل وجوهره وذكروا

١ ـ نسبة الى الصندل ومحرفة عنه قيل انهذا اللفظ باللغة السنسكريتية ـ لغة الهنود القدماء ـ جندل والصحيح ان لفظ الصندل اسم عربي . أخذه الافرنج من العرب وابدلوا الدال تاء او طاء ثم ذكر انه شجر منظره كمنظر الآس وذكره داود في تذكرته فقال شجر يشبه شجر الجوز الا انه سبط . وقيل : ان العرب نقلوا كلمة الفرس الجندل الى لغتهم بلفظ صندل او صيدل وجعلوا النسبة اليه صيدلي او صيدلاني وسموا محل العمل الصيدلية واطلقوا على الصناعة اسم الصيدلة وكان العرب كثيري العناية بالصيدليات ولا سيما الاندلسيون فانهم كانوا يتفحصون ادويتها تفاديا من وقوع الغش فيها وحدوث الضرر لمتخذيها ويسعرونها بأسعار معتدلة رفقاً بالفقير . ووضعوا قانونا للاقرباذين يحتم الحصول على اجازة الحكومة بالتراكيب الخاصة من الادوية مثل السموم وغيرها . واشتهر كثير من الصيادلة ببراعتهم وجمع بعضهم بين الطب والصيدلة مثل ابو قريش عيسى طبيب المهدي الصيدلاني .

٢ ـ حدث سفيان بن عيينة قال قال رسول الله صلعم : (خير طيب الرجال ما ظهر ريحه وخفي لونه وخير طيب النساء ما ظهر لونه وخفي ريحه . عيون الاخبار ص ٣٠٣ ج١ قال ابو هريرة قال النبي (لاتردوا الطيب فانه طيب الريح خفيف الحمل) .

٣ ـ الغالية ضرب من الطيب ،أول من سماه بذلك سليمان بن عبد الملك ، وسمي بذلك لأنه اخلاط تغلى على النار بعضها مع بعض ليصلح ابدان النساء وارحامهن ، ثم توسع فيها فصنعت لبعض الامراض كالفالج واللقوة وعرق النسا والخدر والتغلية والتغلي والتغلل والاغتلال هو التطيب والمعالجة بالغالية .

٤ ـ الجوارشنات بالنون وبحذفها من الجوارش بالفارسية ومعناها المسخن الملطف وقيل الجوارش هو الدواء الذي لم يحكم سحقه ولم يطرح على النار يشترط تقطيعه رقاقا وقيل أنه هاضم للطعام .

الآلات التي تصلح لعمل الغوالي والندود وأجزاء الأدوية التي تدخل فيها ولقد اشتهر من بين الأدهان دهن السيدة[1] ، وكان بينها مايصلح الشعور ويكثرها ويذهب بالحاصة[2] ، وينفع شعر الرأس واللحية واما النضوحات فذكر العرب لها نوعين ،مايصلح للشرب منها ومايدخل في اصناف الطيب وأما المياه المستقطرة فذكروا ماء الجورين[3] وماء الصندل وماء القرنفل وماء السنبل وماء الكافور وماء التفاح وماء العنب . وبرع العرب في ايجاد ادوية معينة على الحبل ومانعة منه وذكروا الحقن والحمولات والمسوحات والضمادات ووصفوا اقراصاً تقطع الصنان ورائحة العرق تذهب برائحة الابط وتطيب البدن وركبوا ادوية تنفع اصحاب الامزجة الحارة وتطيب رائحة الفم والنكهة وتزيل البخر ، واشتهر من بين الندود ند كانت بنان العطارة تصنعه للواثق بالله ، وند آخر كانت ام الخليفة المقتدر بالله تصنعه وتبخر به الكعبة وصخرة بيت المقدس في كل جمعة . ولقد بدل العرب اساليب التداوي والمعالجة في بعض الأمراض تبديلا كلياً ، من ذلك معالجتهم الشلل بالأدوية المبردة خلافاً لليونان الذين كانوا يستعملون الطرق الحارة في علاجها كما يستدل على ذلك من اقوال ابن ابي اصيبعه في كتابه عيون الانباء حيث جاء فيه : نقلت من خط المختار بن حسن بن بطلان في مقالته في علة نقل الاطباء المهرة تدبير أكثر الأمراض التي كانت تعالج قديماً بالادوية الحارة الى التدبير المبرد كالفالج واللقوة والاسترخاء وغيرها ومخالفتهم في ذلك لسطور القدماء قال : ان اول من فطن لهذه الطريقة ونبه عليها ببغداد واخذ

---

١ - اطلب للتوسع في الجزء الثاني من كتاب نهاية الارب في فنون الادب لشهاب الدين احمد بن عبد الوهاب النويري .

٢ - الحاصة علة ينتثر منها الشعر .

٣ - الجورين : اي الماء المصنوع من الورد الجوري والياء والنون في لغة الفرس تفيدان معنى الشيء المصنوع .

المرضى في المداواة بها وطرح ماسواها الشيخ ابو منصور صاعد بن بشر الطبيب رحمه الله فانه اخذ المرضي بالفصد والتبريد والترطيب ومنع المرضى من الغذاء، فنجح تدبيره وتقدم المختار في الزمان وبعدان كان قاصداً في البيمارستان انتهت الرياسة اليه فعوّل الملوك في تدبيرهم عليه فرفع من البيمارستان المعاجين الحارة والأدوية الحادة ونقل تدبير المرضى الى ماء الشعير ومياه البذور وأظهر في المداواة عجائب .

حفظ الصحة : عنيت الحضارة العربية الاسلامية بحفظ الصحة عناية فائقة ودعت الى ممارسة ثقافة صحية عملية تهدف الى تمتع الانسان بالعافية في جميع مراحل حياته جسماً ونفساً .

١ ـ التغذية والغذاء : دعت فيها الحضارة العربية الاسلامية الى الجمع بين الأغذية النباتية والحيوانية والمعدنية فقد جاء في الأحاديث الشريفة : إذا أكلتم فرازموا) (ان اللحم لينبت اللحم) . (عليكم بالبقول) أي الخضر . (عليكم بالفواكه في إقبالها فإنها مصحة للأبدان، طاردة للأحزان) . (سيد الإدام الملح) .

ولقد نوه الرسول الكريم بالصلة بين الغذاء والطبع والخُلُق بالحديث الشريف :

(من ترك اللحم أربعين يوماً ساء خُلُقه ومن داوم على اللحم أربعين يوماً قسا قلبه) .

وبين الاسلام ما للماء من أثر في استمرار الحياة بالآية الكريمة : « وجعلنا من الماء كل شيء حي » . وعلم الرسول سبيل السلامة في الشرب بقوله : (اذا شرب أحدكم فليمص الماء مصاً فانه أروى وأمرأ وأبرد) . (اذا شرب أحدكم فلا يتنفس في القدح ولكن ليبن الإناء عن فيه) .

وحذر الاسلام من الافراط في التغذية وعلم قواعدها بالآية الكريمة

« وكلوا واشربوا ولا تسرفوا انه لا يحب المسرفين[1] » . وبالأحاديث الشريفة (نحن قوم لا نأكل حتى نجوع واذا أكلنا لانشبع) . (لاتشبعوا من الطعام ثم تأكلوا عليه فإن ذلك أصل كل داء) . (البطنةأصل الداء والحمية أصل كل دواء) . (أصل كل داء البردة) .

وللعرب في موضوع الافراط في التغذية أقوال طريفة منها : قول عمر رضي الله عنه : اياكم والبطنة في الطعام والشراب فإنها مفسدة للجسم ، مورثة للسقم ، مكسلة عن الصلاة وعليكم بالقصد فانه أصلح للجسم وأبعد من السرف وقوله أيضاً محذراً من إكثار أكل اللحم : اياكم وهذه المجازر فإن لها ضراوة كضراوة الخمر . ومنها قول الرشيد : الدواء الذي لا داء معه ان لا تأكل الطعام حتى تشتهيه وان ترفع يدك عنه وانت تشتهيه ومنها قول الأعشى : ان الشبع داعية البشم وان البشم داعية السقم وان السقم داعية الموت فمن مات بهذه الميتة فقد مات ميتة لئيمة وهو مع هذا قاتل لنفسه وقاتل نفسه الأم من قاتل غيره ولو سئل أهل القبور عن سبب آجالهم لقالوا البطنة والتخم . ومنها قول ابن المقفع: عليك ألا تحمل عليه ـ أي الجسد ـ من المآكل والمشارب والباه الا خفافا . ومنها قول الحسن : ان ابن آدم أسير الجوع ، صريع الشبع . وقدعرف العرب تأثير البطنة في المجتمع فقال عمرو بن العاص : فوالله ما بطن قوم الا فقدوابعض عقولهم . وقد عرف الاسلام بقيمة اللبن الغذائية وبين كمال عناصره المغذية بالحديث الشريف : (ليس شيء يجزىء عن الطعام والشراب غير اللبن) وعرّف بقيمة العسل الدوائية بشطر الآية الكريمة : « فيه ـ أي العسل ـ شفاء للناس » . وبالحديث الشريف :

الشفاء في ثلاث : شربة عسل وشرطة محجم وكية نار . وقد تبين حديثاً

---

١ ـ سورة الأعراف آية ٧ .

ان العسل يحسن الجهاز الدوراني والقلب - بسكّره السهل التمثل - فيشفيه من طلائع الانقباض وعدم الانتظام ويزيد من صحة العروق مما يساعد على انتظام الضغط الدموي وانه يحسن الكبد والمرارة ويشفي من بعض أمراض الجلد وينفع من داء الاشعة ويكافح الضعف على اختلاف انواعه . وقد بحث الاسلام عن الغذاء في الطفولة وبين مدة الرضاع وشجع على الرضاع الطبيعي من لبن الأم . بالآية الكريمة « والوالدات يرضعن أولادهن[1] » . وبالحديث الشريف (أرضعيه ولو بماء عينيك)

وفرض الصيام لغايات عديدة ومن أهمها الغاية الصحية باعتبار الصيام وسيلة الجسم الطبيعية في شفاء بعض الامراض والوقاية منها . وبين ان الصوم لاتحصل الفائدة منه ما لم يكن أساسه الاعتدال في الطعام والشراب وانه يؤثر في النفس وأمراضها .

٢ النظافة[2] : ركن الصحة والعافية ووسيلة الوقاية من الأمراض السارية والحصن المنيع امام الأوبئة الفتاكة المعدية وهي رمز الذوق والجمال ودليل الادب وحسن الحال . والنظافة في الاسلام واجب على الفرد نحو نفسه حفظاً لصحته كما هي واجب على الفرد نحو الغير لأن القذر مستكره ومنفور عنه ، ومستقبح مجتنب منه وهي أيضاً واجب الفرد نحو المجتمع وقد حث الاسلام على النظافة بالآيات الكريمة : « ان الله يحب التوابين ويحب المتطهرين[3] » « فيه رجال يحبون أن يتطهروا والله يحب المطهّرين[4] » ، وجاء فيها من الأحاديث الشريفة : (بني الدين على النظافة) (الطهور نصف الايمان) (ان الله طيب يحب الطيب ،

---

١ - سورة البقرة آية ٢٣٣

٢ - راجع كتاب النظافة والحركة في الاسلام للمؤلف نفسه .

٣ - سورة ٢ البقرة آية ٢٢٢ .

٤ - سورة ٩ التوبة آية ١٠٧ .

نظيف يحب النظافة) ، (النظافة من الايمان) .

ضمن الاسلام نظافة الأقسام المكشوفة والمعرضة للتعطن والفم وما فيه والأنف وما فيه بالاغتسال والوضوء . ورغب في الاستحمام ومن أقوال العرب المأثورة في الحمام نعم البيت بيت الحمام ، ينقي الوسخ ويذكر النار .

٣ - الحركة الرياضية الحركة حسنة وبركة لأنها أساس كل عمل غريزي ودعامة الوظائف الحيوية فلا يعيش الجسم الا بها فاذا عدمها مات ، فالحركة حياة والمرض سكوت فموت قال عمر في هذا الصدد الراحة عقلة . وقد دعا الاسلام بتعاليمه وعباداته الى اصلاح الجسم والعقل والعاطفة والى الموازنة بينها ففرض الرياضة بالصلاة وما يسبقها من وضوء وسنها بالرماية والرماحة والمصارعة والسباحة والجري والمبادحة[1] وحث على اكتساب القوة بأقوال مأثورة منها الحديث الشريف : (المؤمن القوي خير وأحب الى الله من المؤمن الضعيف) .

الفروسية سنة شريفة ، كل ما فيها رياضة للجسم والنفس معاً وكذلك الرماية والرماحة والمصارعة والمسايفة والعوم والسباحة

وقد نفرت الأحاديث الشريفة من الغلظة في الدين والتظاهر بالرزانة المزيفة الخداعة بقول الرسول : (الهوا والعبوا فاني أكره ان يرى في دينكم غلظة) .

وكان اللعب مع الأولاد وتفريحهم من عدة الرسول وما كان الوقار يمنعه ان يشاركهم بالمداعبة والمجاملة فكثيراً ما استحثهم الى اللعب كما يصنع الترب مع الترب[2] وكان يرقص الحسن والحسين وكان الرسول يسابق جرياً على الاقدام

---

١ - المبادحة من بدح اللعب بالكرة .

٢ - الترب المقارب بالسن عن محاضرات في الدين والتاريخ والاجتماع للأستاذ عبدالغني الدقر ص ٧ .

وكان ممن سابقهم زوجته عائشة .

٤ ـ محاربة السكر والمسكرات والمخدرات : حارب الاسلام السكر والمسكرات والمخدرات حرباً لاهوادة فيها، لما تبين افسادها للجسم والعقل وقد نبه العرب الى التراث القولي بأقوال طريفة[1]

وحارب الاسلام

استعمال الحشيش والتحشيش الذي ثبت أذاه في النفس والجسم

حرمت الحشيشة لضررها جسم الانسان ونفسه وعقله

وما ينتج عن ذلك من أمور ومشاكل واضطرابات ويرى ابن تيمية ـ وهو محق برأيه ـ ان الحشيشة أشد خبثاً واكبر ضرراً واكثر ايذاء للفرد والمجتمع من الخمرة

وما قيل عن الحشيش ينطبق على الكوكائين والمورفين وغير ذلك من المخدرات

فذائع الاستعمال في اليمن وهو مضر بالصحة والنسل يفقد المرء شهوة الأكل ويفسد اسباب الهضم وله محاذير أخرى تبرر حشره في زمرة المحرمات كالدخان .

٥ - النوم وقواعده الصحية واقوال الحكماء فيه : تبدو حياة الانسان من المهد الى اللحد مقسمة بين حالتين يناسب تعاقبهما تتابع النهار والليل ، احداهما اليقظة والثانية النوم ويناسب ذلك حالتين من حالات النفس ، حالة استراحة ، ان حرمتها النفس كلّت ، وحالة تصرف ان اراحها الانسان فيها تخلت ، فالأولى به تقدير حاليه ، حال نومه ودعته وحال تصرفه ويقظته . وعلى كل انسان ان لا يُغفل امر النوم ففيه نشاط وهناء وقوة وشفاء . تفوق حاجة الجسم الى النوم حاجته الى الطعام فقد يستطيع الانسان الصبر عن الطعام اياماً عديدة ولكنه لا يقوى على التخلص من النوم لأن الحاجة اليه قاهرة ومسيطرة لا سبيل الى الافلات منها ولذلك قيل النوم سلطان . يتضح مما مر ان في النوم تجديد القوى وراحة الجسم والاعضاء وزوال التعب مما يلاقيه الجسم في اليقظة وفيه ايضاً راحة النفس والفكر والعقل واستعادة مظاهر نشاطها جميعاً .

وصفوة القول ان في النوم تجديد القوى وسكون الجوارح وهدوء البال وراحة الحواس والأعضاء وزوال التعب مما يلاقيه الجسم في اليقظة وفيه ايضاً راحة النفس والفكر والعقل واستعادة مظاهر نشاطها جميعاً .

د - الطب والمجتمع :

١ - **تاريخ الطب العدلي**[1] : عرفوا[2] الطب العدلي بأنه علم تطبيق المعرفة

---

١ - سمي بعضهم الطب العدلي La Médecine Légale بالطب الشرعي وهي تسمية صحيحة ولكننا نرجح عليها اسم الطب العدلي لان كلمة الشريعة يفهم منها خاصة التشريع الديني الذي تختلف فيه الآراء باختلاف الاديان بينما كلمة العدل عامة تدخل في اطار كل دين أو مذهب .

٢ - تورد Tourdes ومدرسته .

الطبية على المشاكل المتعلقة بحقوق الانسان - العائش في مجتمع - وعمله وواجباته على أننا نجد أن خير تعريف للطب العدلي هو تعريفه بالفن الذي يعلم سبل الاستفادة من العلوم الطبية في القضايا العدلية والشرعية . نشأ الطب العدلي منذ تكون المجتمع البشري فصاحب تطوره وكان عالم الشرق الأدنى أول موطن استعان به ، ففي شريعة حامو رابي قواعد ومبادىء تساعد على حل كثير من القضايا التي تتعلق بالطب العدلي . وفي الإلياذة شيء من ذلك وقد نص القرآن الكريم في كثير من سوره ولا سيما في سورتي الطلاق والمؤمنين على قضايا من صميم الطب العدلي كما نص الحديث على تعاليم كثيرة تعد ركناً من أركان الطب الشرعي ، ومن ذلك تعاليم الرسول في المسؤولية الطبية وغير ذلك .

٢ ـ **تاريخ الطب** : إن نقل العرب لعلوم من سبقهم أدى بهم الى العناية بتاريخ العلوم عامة والطب خاصة وكان من أوائل من كتب في هذا الموضوع اسحق بن حنين ومن المؤكد أنه اعتمد في كتابه على ما جمعه من معلومات وعلى ما نقله عن يحيى النحوي الذي عاش في الاسكندرية في القرن السادس الميلادي وقد نبغ من العرب محمد بن اسحاق المعروف بابن النـــديم سنة ٩٥٠ م فوضع كتابه فهرست العلوم أو الفهرست في حدود سنة ٣٧٧ ه أي في نفس السنة التي ألف فيها ابن جلجل كتابه وذكر فيه أسماء الكتب الطبية سواء أكانت عربية الأصل أو مترجمة الى اللغة العربية وكان ابن النديم أول من جمع في كتاب واحد جدولاً بأسماء الكتب المترجمة عن اليونانية وقد وضع في التاريخ نفسه ابن جلجل ـ أبو داود سليمان بن حسان الأندلسي ـ كتاباً سماه طبقات الأطباء والحكماء . واشتهر من مؤلفي العرب أيضاً بتأريخ حياة الحكماء والأطباء جمال الدين بن يوسف ابراهيم المعروف بابن القفطي الذي ولد في مصر وعاش في سوريا وفيها أتم القسم الاكبر من تآليفه وقد حوى كتابه المسمى أخبار العلماء سيرة أكثر من ثلاثمائة طبيب . وقد وضع ظهير الدين البيهقي[١] كتاباً سماه تاريخ حكماء الاسلام أتى فيه على كثير من أخبار علماء وأطباء العرب والاسلام .

ويعد كتاب ابن أبي أصيبعة ١٢٠٣ ـ ١٢٧٠ أكمل كتاب وضع في تاريخ الطب .

---

١ ـ طبع المجمع العلمي العربي هذا الكتاب سنة ١٩٤٦ وقد عني بتحقيقه المغفور له الاستاذ محمد كرد علي .

وكانت المكتبة العربية خلواً من كتاب يؤرخ الطب العربي بعد العصر الذي وقف عنده ابن ابي اصيبعة الى أن قام العلامة المرحوم الدكتور احمد عيسى فجمع تراجم اطباء العرب في كتاب سماه ذيل عيون الانباء وقد أسهمنا في هذا الموضوع فوضعنا كتابين يؤرخان الطب ما بين سنة ١٨٦٠ -- ١٩٦٠ في البلاد العربية ، خاصة في مصر وسورية ولبنان وقد اشتمل كتابنا هذا على ملخص عما جاء فيها .

٣ علم آداب الطب[1] : علم داب الطب هو في الواقع علم سلوك الاطباء المبيّن ما على الاطباء من واجبات وما لهم من حقوق ولقد اصطلح العرب على تسميته بعلم آداب الطب فاستسغنا هذه التسمية واحتفظنا بها . لقد جعل أطباء العرب للطب مقاماً رفيعاً وسموا بمكانة الجراحة فجعلوها اختصاصاً ممتازاً بينما كانت الجراحة في أوروبا مهنة عادية حيث كان مقام الجراحين لا يرتقي عن مقام الجزارين والحلاقين . ومن أهم أبحاث هذا العلم السر الطبي والمسؤولية الطبية والتشاور الطبي وللعرب في هذا الشأن أقوال مأثورة . أما عند الغربيين فيقال أن قدم القوانين التي تبحث عن المسؤولية الطبية وضعت في القرن الثالث عشر للميلاد في محكمة الاسياد الصليبيين المؤلفة في القدس حيث أدين طبيب بتهمة بتر الساعد بتراً أدى الى وفاة المصاب ويخيل الينا أن الشعور بالمسؤولية الطبية تعلمها الامراء الصليبيون من اختلاطهم بالعرب واحترامهم لعلمهم واستنجادهم بالاطباء العرب في الحالات الصعبة كما بين ذلك أسامة بن منقذ في كتاب الاعتبار . وكان من بين الاطباء الذين كتبوا في هذا الموضوع الرازي وله كتاب في سر الطب ، وابن رضوان وله مقالة في شرف الطب .

---

١ ــ هذه هي كلمتنا عن سيرة آداب الطب في الغابر اما حاضره فقد خصصنا له الكتاب الثاني من مؤلفنا هذا .

الباب الثالث

الطب العربي في الغرب ، المدارس الغربية التي تأثرت بالثقافة العربية آراء ونظريات قال بها العرب وعزيت الى الغرب

١ ـ نقل العلوم ومنها الطب الى الغرب : لقد نقل العرب اليهم علوم الاولين الذين سبقوهم فحفظوها من الضياع وزادوا عليها كثيراً من المبتكرات والمكتشفات ثم انهم لم يحتكروها بل علموها غيرهم حتى ولو كان ممن ناصبهم العداء . كانت أوروبا قبل القرن الميلادي العاشر في جهل مطبق وجهالة عمياء ثم أخذت تستيقظ وتسعى الى التعرف على العلوم اليونانية ولكن اللغة اليونانية كانت مهملة آنذاك في أوروبا غير معروفة الا في مناطق محددة منها ، مثل صقلية ، على أن البيزنطيين كانوا أغنياء بالكتب العلمية اليونانية المدخرة بين ايديهم ولكن استفادتهم منها لم تتم الا بقياس ضيق ، لذلك لم تتجاوز مدنيتهم بسعتها ضفاف البوسفور . ظل الغرب يتخبط في دياجير الجهل وظلام الهمجية الى أن احتك بالعالم العربي وأخذ عنه بذور نهضته فأشرق فيه نور العلم وبدأ الرقي العلمي في أوروبا ، ولقد تم هذا الاحتكاك في ثلاث جهات هي : مناطق الحروب الصليبية في الشرق ، صقلية وايطاليا في جنوبي أوروبا ، اسبانيا أو الاندلس في الغرب حيث كانت الثقافة العربية واسعة الانتشار وكان فنها عظيم الاشتهار .

آ ـ **أثر الاحتكاك مع العرب في الحروب الصليبية** : لقد كانت غزوات الصليبيين للشرق العربي ابتغاء تخليص بيت المقدس من العرب كما زعموا زوراً وبهتاناً عاملاً في نقل العلوم والصناعات الى أوروبا ، ولقد أدى اتصالهم في سواحل سورية وفلسطين التي كانت تزهو بمدنية عربية رائعة الى تعرف الغربيين على نقائصهم فذهلوا بما شاهدوا من تقدم العرب وتأخرهم فتعلموا اللغة العربية وعاشروا أهلها ونبغ منهم علماء احبوا العربية وتتلمذوا على الاساتذة العرب ومن بين هؤلاء ادلاردباث[1] الذي اشتهر نشاطه العلمي ما بين سنة ١١١٥ — ١١٤٢ ، عاش في الشرق سبع سنوات وألف كتباً عديدة يشعر الباحث فيها بالروح العلمية العربية ، كما ترجم عدداً من الكتب العربية فعاد من أوائل من ترجموا العلوم الكونية من اللغة العربية الى اللغة اللاتينية ، وكان من بين المترجمين الذين نشطوا للعمل من جراء ذلك الاحتكاك ستيفانو البيزي[2] الذي عاش في انطاكية نحو سنة ١١٢٧ .

ب **صقلية وايطاليا** : لقد كانت صقلية وشواطىء ايطاليا ذات أثر كبير في نقل المدنية العربية الى الغرب ففي سنة ٨٢٧ م شغل عرب افريقيا صقلية وفتحوا في سنة ٨٣١ بالرمو وفي سنة ٨٤٣ مسينا واتموا سنة ٨٧٨ فتح الجزيرة كلها وقد استمر حكمهم فيها قرنين ونصف القرن ثم استولى النورمانيون على مقاليد الحكم في البلاد فقدروا الثقافة العربية حتى أن أميرهم فردريق الثاني ضرب بسهم وافر من العلوم والآداب العربية ، ولقد أدى ذلك كله الى تمتع صقلية بثقافة ممتازة خاصة ، قوامها اللغات اللاتينية واليونانية والعربية أي لغات العلم العلمية في ذلك الحين فاتسعت العلوم وازدهرت الفنون واتسع نقل المؤلفات من لغة الى أخرى وتمت بذلك مدنية لاتينية ، يونانية ، عربية زاهرة ذكر آثارها ميشل عمري وشارل هومرهاسكين . ولقد أثبت المؤرخ آماري أن صقلية

---

١ - Adelard Bath

٢ - Stephano de Pisa

وايطاليا من بعدها مدينتان للعرب لا في العلوم فحسب بل وفي الادب ايضاًفهم الذين أوجدوا فن القصة فيها ، وقد كتب الشاعر بيترار كا الى صديقه الطبيب الشهير جيوفاني يقول : لقد بلغ علماء العرب وأطباؤهم وشعراؤهم وفلاسفتهم ورياضيوهم وخطباؤهم ، كلٌ في فنه قمة المجد في السماء ، وأدخل العرب في أوروبا صناعة الورق وأنشأوا لها مصانع عظيمة في صقلية والاندلس ساعدت على نشر الورق وتعميمه واتساع نشر العلم بذيوعه .

ج – **شبه الجزيرة الايبرية او اسبانيا وقاطولونيا** : لقد كانت الاندلس أعظم مراكز الاشعاع للعلوم العربية في البلاد الغربية ، منها اقتبس الغرب نهضته ولقد ناسب ذلك رحلات بحرية واسعة واكتشاف أراضي جديدة حلت بها الامم اللاتينية مزودة بالعلوم العربية ولعل أعظم ما يمكن ان تزهو به بلاد قاطولونيا والبرتغال والاسبان هو نقلها الثقافة العربية الى الغرب ومنه الى امريكا عن طريق سكانها المستعمرين . ولقد كان التماس بين العرب والفرنج في اسبانيا واسعاً فسادت اللغة العربية على اللغة اللاتينية وصاحب سيادتها انتشار علوم العرب كلها فاتجهت اليهم الانظار ، وشدت الى مدنهم الرحال ، يقصدها كل تواق الى الانتهال من ينابيع علومهم العديدة ومناهل فنونهم الرفيعة وكان من بين هؤلاء **جوبرت**[1] المولود في اوفرن (بلد فرنسية) نحو سنة ٩٣٠ والذي توج بابا باسم **سيلفستر الثاني**[2] وتوفي سنة ١٠٠٣م .

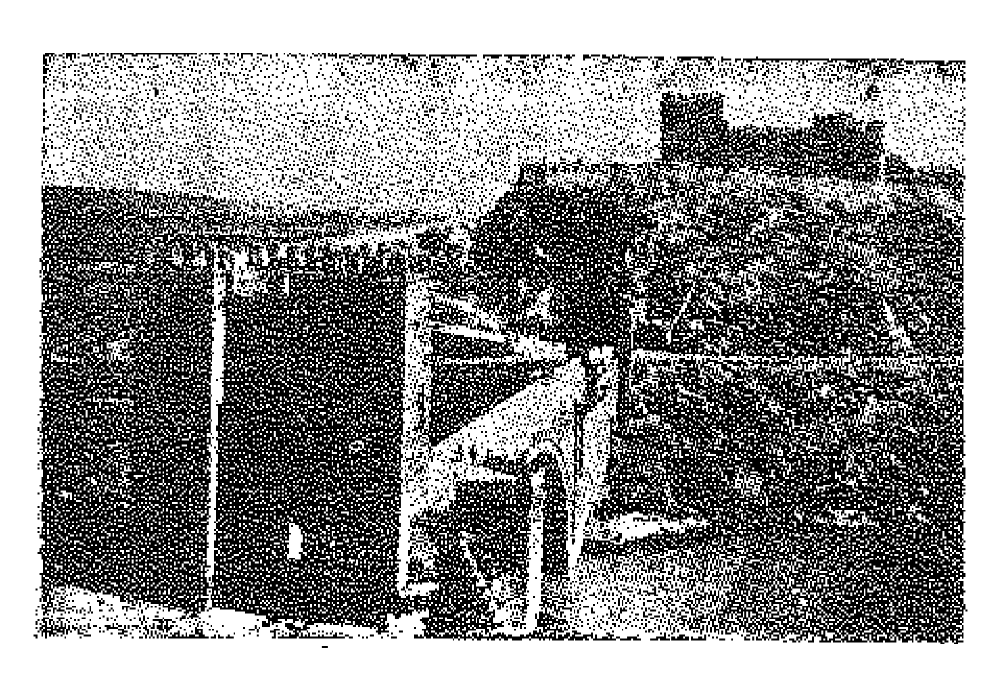
لم تنقطع تيارات العلوم العربية عن طليطلة التي اكتوت بنار الحرب الاهلية على الرغم من غزو ألفونسو لها واحتلالها فقد كان يجتمع في ظلال قصرها المهدم بالحرب الاهلية علماء من مختلف الأديان وكان مطران طليطلة دون **ريموندو**[3] الذي أدار دفة الامور في مملكة الكاستيل بين ١١٢٦ – ١١٥١ ، يستدعي اليه

---

١ - gerbert ٢ - Sylvester II ٣ - Rémondo

العلماء المعروفين ليترجموا كتب العرب وينقلوا علومهم . ويحق لطليطلة ان تزهو بأميرها الفونسو السابع الذي حكم بين سني ١٢٥٢ و ١٢٨٤ اذ كان عالماً محباً للعلوم واسع التفكير افاد من العلم العربي فائدة عظيمة .

ولقد كانت كاطولونيا أيضاً مركزاً آخر لاشعاع العلم العربي وهي بلاد



الشكل (٦٥)

قصر طليطلة

تشكل جزءاً كبيراً من فرنسا الحالية . ولقد اشتهر بالترجمة بلاطون التيفولي[١] وجيرارد الكريموني وكانا ايطاليين اقاما مدة طويلة في اسبانيا جعلتهما اسبانيين ولد جيرارد سنة ١١١٤ ومات في طليطلة سنة ١١٨٧ ويعتبر أعظم رجال الترجمة من العربية الى اللاتينية ، ان العمل الكبير الذي قام به وعدد المؤلفات التي نقلت بواسطته تحتم علينا القول بانه كان مشرفاً على عدد كبير من التراجمة وعلى عمل واسع في الترجمة تبنته الحكومة وتم تحت سلطانها ، يضاف الى هؤلاء

١ - Platon de tivoli .

العلماء المترجمين من العربية الى اللاتينية من كبار النصارى الفرنج جماعة ترجموا من العربية الى العبرانية ويأتي في مقدمة هؤلاء ابن ازرع ويوسف الكيمحي وآل بن طيبون واشتهر في القرن الثالث عشر اسطبان من سارغوازا[1] عرف سنة ١٢٢٣م وترجم كتاب ابن الجزار كما عرف بيدرو غاليغو[2] المتوفي سنة ١٢٦٧ وقد ترجم كتب الحيوان التي نقلها العرب عن اليونان وترجم ابن حسداي كتاب اسحق بن ميمون وكان يعقوب الاناطولي الذي خدم الملك الكبير فردريق الثاني الصقلي أول مترجم لكتاب ابن رشد. وعني بحماية الترجمة ملكان الأول هو الفونسو السابيو القاتالاني[3] فقد اشرف على الترجمة وكان هو نفسه عالماً والثاني، هو حفيد الفونسو دينيس[4] وقد حكم البرتغال مابين سنة ١٢٧٩ – ١٣٢٥ واوجد جامعة لشبونة سنة ١٠٩ وأمر بنقل عدد كبير من الكتب المكتوبة بالاسبانية والعربية الى البرتغالية، ولقد اشتهر من المترجمين في عهد هذين الملكين أرمانغو وقد ترجم عدداً كبيراً من الكتب بينها الكتب الطبية ومنها كتاب جالينوس في الطب وكتاب حنين بن اسحق وبعض كتب ابن سينا وابن رشد كما اشتهر ابراهيم الحاكم الطليطلي الذي ترجم كتب ابن الهيثم ويوسف بن ايوب السفردين وقد ترجم كتب ابن سينا وابن رشد وابن غانا ومن هؤلاء المترجمين ابن اسحق وقد ترجم كتاب التصريف للزهراوي وكتاب المنصور والرازي ويعرف ايضاً باسم بابي ها الطرطوسي ويعقوب بن موسى ابن عباس الدارس، وهنالك عدد كبير من التراجمة الطليان بينهم سامبو بادوفا وجيوفاني وسيمون من جنيف المترجم لكتاب ابي القاسم وابن سارابي ويشاهد خلال هذه المرحلة اتصالاً بين علماء عرب واجانب ومن بين هذا الاتصال ماتم

---

١ – Astaban de Saragoza   ٢ – Pedro gallego

٣ – Alfonso Al Sabio   ٤ – Denis

بين بوتوس هيسبانوس الطبيب البرتغالي والذي صار بابا باسم جيوفاني الحادي والعشرين وكان من تلامذة العرب .

٣ ـ **المدارس الغربية التي تأثرت بالثقافة العربية وأذاعتها** : لقد كان لبعض المدارس والجامعات الغربية المتأثرة بالثقافة العربية شأن عظيم في النهضة العلمية في أوروبا ولا سيما في الطب وانا لنذكر من هذه المدارس سيرة ما اشتهر منها مبينة كما يلي :

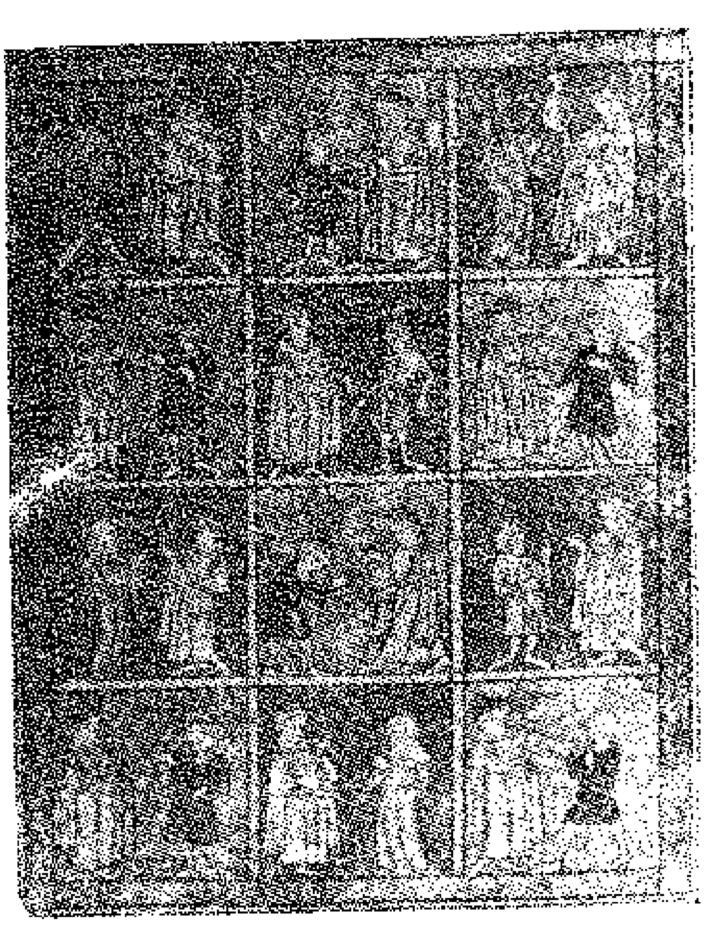
١ ـ **مدرسة سالرنو**[١] اتفق المؤرخون على أنه بينما كان التدجيل في العلم سائداً في أوربا اللاتينية كانت سالرنو البلد الايطالي الذي حبته الطبيعة بالروعة والجمال مركزاً علمياً ممتازاً ، فيه مدرسة للطب يعلم فيهـا بفرعيه الجراحي والباطني وقد تخرج منها اجيال عديدة من الأطباء . ولقد زاد في شهرة سالرنو انها كانت مركزاً لاستشفاء الامراء الصليبين في الحروب الصليبية . يعزى تأسيس مدرسة سالرنو الى ثلاثة من الأطباء : احدهم يوناني والثاني لاتيني والثالث عربي وذلك في القرن العاشر الميلاد . أما سبب النهضة العلمية فيها فهو قربها من صقلية العربية ، أحد أطراف العالم العربي آنذاك ، وضمها عدداً من الاساتذة السوريين والمصريين الذين طعموا علمهـا البيزنطي بالعلم العربي ثم جاءها من نفخ فيها روحاً جديدة وجعلها سيدة كليات الطب في عالم ذلك الزمن ودعامة النهضة الطبية بل والنهضة العلمية في اوروبا كلها ، أما الشخص الذي كان له أكبر الأثر في ازدهار كليـة سالرنو الطبية فهو المدعو قسطنطين الافريقي الذي تروى في صدده وفي أصله وفصله وحياته قصص وروايات

فمن هو قسطنطين الافريقي : انه تونسي الأصل ولد في قرطاجنـة سنة

---

١ ـ سالرنو Salerne مدينة ساحلية تقع في خليج على البحر الابيض المتوسط جنوب شرق نابولي .

١٠٢٠ م وهاجر الى سورية فالهند فالحبشة ومصر وتعلم فيها جميعاً ثم أقام في بغداد ودرس فيها ثم عاد الى تونس فاتهم بمعاطاة السحر مما اضطره الى الهرب فالتجأ الى سالرن سنة١٠٧٧م فاتصل بامبرهاجيز ولفوباخيه الذي كان طبيباً . ولقد اخفى هذا العالم التونسي اسمه الحقيقي فعاد مجهولا وبقي كذلك حتى اليوم



الشكل (٦٦)

لوحة زينت بها قاعة الدروس في مدرسة سالرنو.

وانتحل لنفسه اسم قسطنطين فعاد معروفاً به ، ولما كان قادماً من افريقية لقبوه بالافريقي ، ومالبث ان تعلم الايطالية واللاتينية فعاد عالماً كبيراً خبيراً باربع لغات هي العربية واليونانية والايطالية واللاتينية مما حبب به دوق سالرن المدعو

روبر غيسكار[1] فعينه سكرتيراً له . ويبدو ان قسطنطين المذكور رغب عن خدمة الأمراء فاعتكف في دير شهير في سالرن يدعى دير جبل قاسين[2]، فترجم فيه ما كان لديه من ذخائر العلوم العربية الى اللغة اللاتينية ،فكانت كتبه هذه عاملا دفع مدرسة سالرن الى الاقتباس من الطب العربي اقتباساً واسع النطاق ، وعادت كلية سالرن بفضل ما اقتبسته من طب العرب زعيمة مدارس اوروبا .

لم تكن كتب قسطنطين الافريقي ترجمة حرفية من العربية الى اللاتينية بل كان يتصرف قسطنطين في النقل تصرفاً واسعاً ، ولا يشير الى من نقل عنه ، والواقع أن قسطنطين المذكور لم يقم بهذا العمل منفرداً بل ساعده في الترجمة يوحنا القاسي العربي الأصل الذى تحاكي سيرته سيرة قسطنطين في بعض نواحيها ، عاش مثله في سالرنو ثم ترهب في دير جبل قاسين وتتلمذ عليـــه ، ولاشك أن عدداً آخر من الرهبان تتلمذوا على قسطنطين ساهموا معه في نقل العلوم الى اللغـة اللاتينية ، وكان من بين الكتب العربية الاصل التي وضعت في سالرنو كتاب عن التشريح يرجع تاريخه الى القرن الثاني عشر .

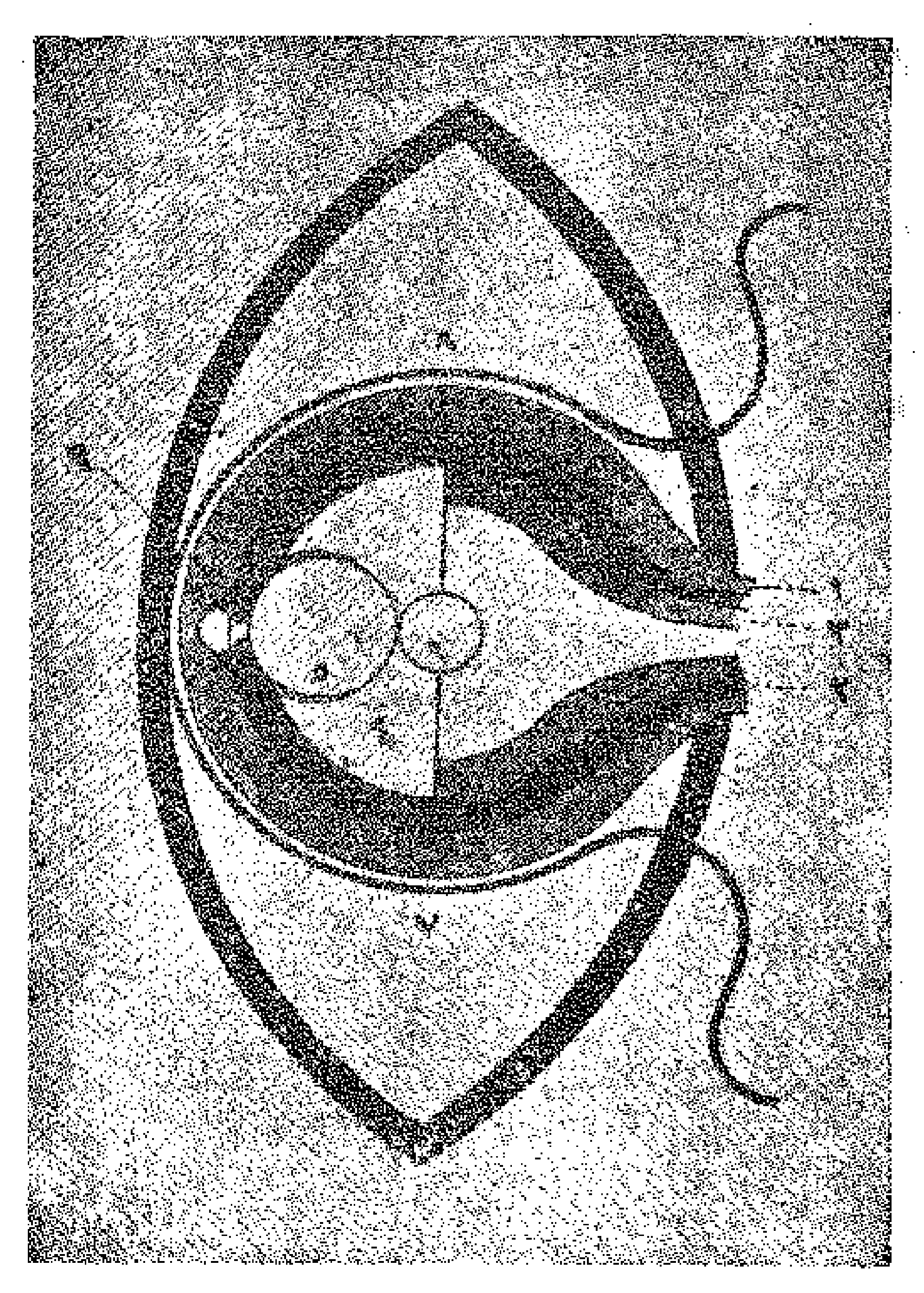
ولقد عني قسطنطين بتنظيم دراسة التشريح وبيّن ضرورة العناية به ، وانه لاطب بدونه ، وحور دراسته النظرية الى دراسة عملية . ويقدر مجموع الكتب التي ترجمها أو أشرف على ترجمتها قسطنطين بنحو أربعين كتاباً منهـا كتب في الطب والفلسفة ، ويرجع الفضل في خلق الطب السريري في سالرنو الى المؤلفات العربية الأصل التي نقلها قسطنطين الافريقي . ويعزى اليه ايضاً اظهار كتاب عن القبالة يعرف بالتروتولا نسبة الى قابلة ماهرة تدعى تروت استعانت في وضع كتابها بما ترجم في موضوع القبالة عن كتاب كامل الصناعة . جارى بعد ذلك تلامذة قسطنطين مؤلفي العرب واطباءهم بوضع ارجوزات علمية فوضعوا في

---

[1] Robert guiscar

[2] Monta Cassini

الطب ارجوزة يبلغ عدد أبيات احداها ٥٢٠ بيتـــاً ، وقد طبعت الارجوزة المذكورة ثلاثمائة مره وكان اول طبع لها سنة ١٤٨٤ م ، وقد جاء فيها مايلي



الشكل (٦٧)

صورة تخطيطية في مخطوط قديم تبين فيها الارقام ١،٢،٣،٧،٨،٩ طبقات العين و ٤،٥،٦ رطوباتها

على نقلها من ارجوزات عربية . كانت مدرسة سالرنو ذات تقاليد عربية ، مدة الدراسة فيها خمس سنوات ، أعتبر اميرها فريدريك الثاني التطبيب بدون حمل اجازتها تدجيلا ، ثم اعتراها الانحطاط لوقوع مدينة سالرنو في طريق الفاتحين واشتهار معاهد غربية أخرى مثل مونبيليه وبادو وبولونيا بما ضمته من علماء عرب اليها ، وما ورد اليها من كتب عربية ترجمت في طليطلة فعزف طلاب العلم عن سالرنو قاصدين الكليات المذكورة .. ولقد استمر معهد سالرنو في حالة التدني والتقهقر حتى كانت سنة ١٨١١ م فاغلق نابليون ابوابه . لقد كانت سالرنو حلقة اتصال بين الشرق والغرب قبل بزوغ النهضة في أوروبا ، ولبثت مدة قرنين كاملين عاملة على نقل العلوم العربية والطب العربي الى أوروبا ، ومالبثت أن تنازلت عن هذه الامانة لتحملها المعاهد التي انتشرت اثناء النهضة وبعدها . لقد كانت جنسية قسطنطين موضع بحث ومناقشة مدة طويلة ، وقد اتفق اخيراً على عروبته واسلامه جميع البحاثين ومنهم م ايرهوف الحجة في هذا الموضوع ومنهم ايضاً الآباء اليسوعيون كما اثبتوا ذلك في منجدهم الشهير . يرى بعض البحاثين أن السبب في كتمان اسماء المؤلفين الأصليين ، من قبل قسطنطين يعود الى ان الطب النفساني الاكليريكي الشائع في أوروبا حينها كان يقاوم الاسلام والعلم العربي ، ويحول دون نشرهما مما حمل قسطنطين على كتم دينه الحقيقي واخفاء اسمه الاصلي والسكوت عن مآخذ تآليفه حتى لايعاكس في نشرها . والواقع ان كتابه الكامل هو كتاب كامل الصناعة لعلي بن عباس الاهوازي المجوسي وكتابه المؤلف من مجموعة نصائح وارشادات طبية للمسافرين هو كتاب ابن الجزار . ويرى مايرهوف تأكيداً لهذا الرأي ان الثقافة العربية اشتدت مناهضتها في أوروبا اثناء الحروب الصليبية ، وشملت الاوساط العلمية والثقافية فكان لابد لقسطنطين من ان يكتم دينه الحقيقي واسمه الاصلي ويسكت عن

مصادر تآليفه الاسلامية . إن المقابلة بين كتاب الفن الكامل لقسطنطين و كتاب كامل الصناعة لعلي بن عباس ترينا مشابهة عظيمة بين التأليفين ، خاصة في موضوعات التشريح والطب الداخلي والحميات والاعراض والانذار وامراض جهاز البول والتغذية والتوليد والجراحة

هذا وصفوة القول تعتبر مدرسة سالرنو اول مدرسة نظامية في اوروبا تزاوجت فيها الحضارتان البيزنطية والعربية ويعتبر قسطنطين الافريقي العربي أول عربي نفخ فيها روحا جديدة بنقل العلوم العربية اليها ، كما كان عاملا في بذر بذور النهضة العلمية في البلاد الغربية بما تم نقله اليها عن طريق سالرن من علوم عربية .

٢ـ مدرسة مونبليه ودور العرب فيها ان المعلومات التاريخية عن مونبليه قبل القرن الثامن ضئيلة جداً وجل ما يعلم عنها انها كانت قرية خاملة ليس لها شأن علمي او ثقافي ولكنها لوقوعها في جنوب فرنسة على مقربة من ساحل البحر المتوسط وعلى الطريق الموصل ما بين ايطالية واسبانية أصبحت محطاً لقوافل المسافرين بين ايطاليا ،مركز الثقافة اللاتينية واسبانيا قاعدة الثقافة العربية ولما اكتسح شارل مارتيل في غزواته مدنا وقرى كثيرة منها ماغلون اتجه سكان هذه البلدة وغيرها من المدن المكتسحة الى مونبليه وكان هؤلاء اللاجئون ذوي جنسيات ونحل مختلفة آوتهم مونبليه فتضاعفت قيمتها وارتفع شأنها . وشرعت حوالي القرن الحادي عشر تزداد شهرة مونبليه فقد اكسبها حكامها من أسرة غيلهم الذين اتصفوا بالحكمة والتسامح ، سمعة تحسد عليها وذلك باطلاقهم الحرية للدين والقومية والتجارة ، فصار العلماء يتدفقون اليها حتى اصبحت بحق بلدا للحرية الامين يفد اليه الناس من كل حدب وصوب ومن مختلف النحل والملل ووضعوا فيها أسساً لمعهد علمي عظيم ، وهكذا تحولت مونبليه من قرية حقيرة وضيعة الى

مركز عالمي ليس للتجارة فحسب بل للعلم والثقافة أيضاً ، وهكذا كان أول المعهد بمدرسة مونبليه ثم انتقلت علوم العرب التي ترجمت في طليطلة الى مونبليه بحيث يصح القول ان لطليطلة الاندلسية الاثر الاكبر في اليقظة العلميـــة والثقافية في اوروبا .



الشكل (٦٨)

مدينة طليطلة احدى مراكز نشر العلم العربي في العالم الغربي

ولقد شاهد ختام القرن الثاني عشر بدء انحطاط المدنية العربية في الطرف الغربي من العالم الاسلامي بسبب التعصب الشديد الذي اتصف به ملوك الاسبان ، فهجر الاندلس عدد كبير من العلماء العرب قاصدين مونبليه ، ان هذه الهجرة التي كانت خسارة فادحة لاسبانية أصبحت في الوقت عينه ربحاً عظيماً لمونبليه حيث استقر فيها عدد كبير من العلماء المهاجرين وكانت هذه الحركة عاملاً بعيد الاثر في سرعة نشوء مونبليه كمركز علمي عظيم الشأن .

وفي القرن الثاني عشر قام غيلهم الذي اشترك في الحملات الصليبية وتذوق

على ما يرجع الثقافة العربية ومدنيتها فخطا خطوات جريئة واسعة في ايجاد جو علمي في مونبليه ساعد على اجتذاب كثير من علماء الطب بصرف النظر عن عقائدهم وقومياتهم وكان بعضهم عربا وجلهم متحلين بثقافة عربية وقد ساعدت الكنيسة فيما بعد جو مونبليه العلمي فأوفد البابا سنة ١٢٢٠ م البابا الكاردينال كونراد ليضع براءة ينظم بها منهاج الدراسة الطبية في مدرسة مونبليه وفي سنة ١٢٨٩ م أصدر البابا منشوراً رفع فيه مدرسة مونبليه الى درجة جامعة .

كان منهاج التدريس في هذه المدرسة في اواسط القرن الرابع عشر مرآة صافية تعكس آثار العرب الواردة من طليطلة وقرطبة من جهة ومن سالرنو من جهة اخرى فكانت اسماء اعلام العرب الكواكب الساطعة في سماء الطب الغربي تتوضك اين سرت وكيفما ألقيت بصرك . وكان من الشخصيات التي خدمت أيضاً معهد مونبليه جيراردالكريموني ويضارع أثره فيها عمل قسطنطين الافريقي في مدرسة سالرنو ، وهناك عدد من المستعمرين كان لهم احتكاك اكثر مباشرة بهذا المعهد ومن أقدمهم ريموند لول الذي تعلم العربيــة لهداية مسلمي افريقيا الشمالية الى النصرانية ، ولكنه بدلاً من تحقيق ما جاء من أجله تعلم الكيمياء العربية وعدل عن التبشير اذ وجد ان لا فائدة منه ، ومنهم ايضاً ارنولد من فيلانوفا ١٢٣٥ - ١٣١١ الذي جعلته أعماله العلمية احد الثلاثة الذين ينسب اليهم خدمة العلم العربي في مونبليه ونشره في أوروبا ، درس ارنولد الكيمياء العربية وترجم من قانون ابن سينا الفصل الخاص بالقلب ومن كتاب ابن زهر بحث الغذاء وصنف كتباً كثيرة . اما آراؤه الرئيسية في الامراض فكانت مقتبسة عن المؤلفين العرب . وإليك عالماً آخر ذا أثر بعيد وهو هنري دي موندفيل وقد كان جراحاً من الطراز الأول ، وضع مؤلفاً على جانب كبير من القيمة العلمية اسماه التشريح والجراحة ، اقتبس كثيراً من مواده عن العرب اما الكوكب

الذي فاق غيره تألقاً في سماء مونبليه العلمي هوغي دوشولياك فقد بقي لكتابه المسمى الجراحة الكبرى المقام الرفيع في الاوساط الطبية حتى القرن السابع عشر ، وظل كتاباً للتدريس في جامعات اوروبا حتى القرن الثامن عشر ،وكان يعد في طليعة الكتب الطبية في عصره . وفي هذا المؤلف الضخم لم يخف دي شولياك الاثر العربي وقلما تفوتك صفحة لا تقرأ فيها شيئاً عن اطباء العرب .

واستمرت مونبليه على حالها من الازدهار والجد حتى القرن الخامس عشر اذ حل بها ما اوقفها عن التقدم وكاد يضعفها ، ومن اكبر عوامل هذا العائق الذي قام بوجه تقدمها الوباء الاسود الذي فتك بأوروبا ثم حرب المائة سنة الذي شل الحركة العلمية والفنية فيها ، ولكن عصر النهضة جدد فيها النشاط فاستعادت مركزها الرفيع في عالم الطب الاوروبي وما زالت محتفظة بهذا المقام الرفيع الى يومنا هذا . وتمتاز جامعة مونبليه عن غيرها باعتراف اساتذتها البحاثين بفضل العلم العربي ونقدم للقارىء دليلاً على ذلك مقتطفات من كلمات استاذ لمع اسمه في مبدأ القرن العشرين لا في فرنسة فحسب بل في العالم الغربي كله ونقصد به الاستاذ فورغ[1].

قال هذا الاستاذ في خطاب تذكاري ألقاه في احدى الجامعات الاسبانية: ان اسبانية ارض قائمة بنفسها يتحلى أهلوها بقوة حيوية قومية غير معهودة في غيرهم كما ان لهم من سرعة الفكر والاستعداد للنضال ما يجعل هذه الأمة فريدة في بابها ويرجع ذلك الى استيلاء العرب على اسبانيا واختلاطهم بشعبها اختلاطاً دموياً أدى الى السير بأوروبا في مضمار التقدم مما دعا ليبري الى القول : احذف العرب من التاريخ يتأخر عصر التجدد في أوروبا عدة قرون .

كانت طليطلة التي عادت للاسبانيول سنة ١٠٨٥ م نقطة الاتصال بين

---

١ - Forgue

المدنيتين العربية والغربية ومركز تبادل للبضائع العقلية ولكتب الترجمة يحج اليها طلاب العلوم من كل فج ثم انكفأ العرب في القرنين الأخيرين من تاريخهم الاسباني من اشبيلية وقرطبة الى غرناطة فصارت معقلاً للانكماش واجتمع فيها فلول العرب وأصبحت عاصمة ولمعت فيها أنوار شعلة المدنية العربية للمرة الأخيرة وفي الثاني من كانون الثاني سنة ١٤٩٢ جلا العرب عن غرناطة فتركوا كما قال الأديب الفرنسي كاودفري من قصر الحمراء وساحة أسوده بقية باهرة تتأمل فيه القرون القادمة كما ان طليطلة بقيت خزانة كتب تغذت بترجمتها الفكرة البشرية اعصراً مديدة؛ لا جرم ان هنالك تاريخاً نادر المثال لم ينقصه شيء لا من العظمة ولا من طول المدة ولنتأمل الآن في هذا التراث ووسائله وآثاره في ترقية المعارف الطبية .



الشكل (٦٩)

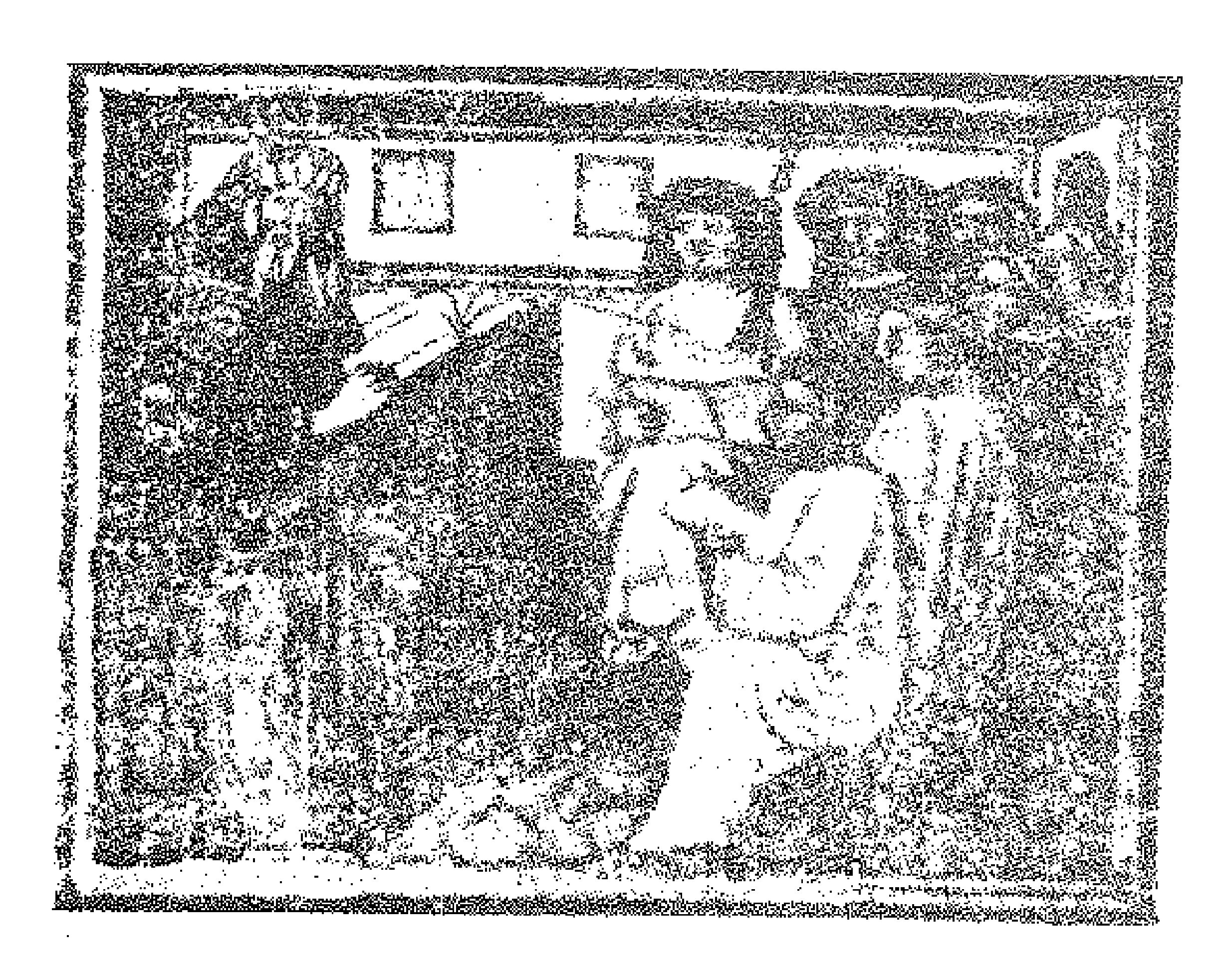
ساحة الاسود في قصور الحمراء في غرناطة

لقد كانت المدنية في بدء نشئتها مدنية يونانية لاتينية اقتبسها العرب سريعاً وطبعوها بطابعهم الخاص ، وبهذا المبدأ الشريف الذي بدأ به العرب باقتباس تلك المدنية تظهر جميع المعاني الادبية التي في المدنية العربية فانك ترى شعباً من

القبائل الرحل رعاة الابل ، بسائق دعوة دينية يحملون على الامم فيفتحون نصف العالم في مدة قرن واحد ثم يكون أعظم همهم بعد أن وطدوا هذا الملك الطويل العريض أن يضموا الى عظمة الفتح عظمة العلم فلم يكمل القرن التاسع حتى كان العرب كما يقول لوكلارك قد ملكوا جميع علم اليونانيين فصارت بغداد مركز الحركة العقلية في الدنيا وتعددت فيها مكاتب الترجمـــة ، ثم صارت طيطلة في القرن الثاني عشر ما كانت عليه بغداد في القرن التاسع . كان في بغداد نحو مائة مترجم ينقلون كتب اليونان الى العربية والسريانية وبعد ذلك بثلاثة قرون صارت طيطلة في اسبانيا مركز الترجمة فعادت الأفكار اليونانيـــة الى أوروبا بواسطة العرب على يد مترجمي طيطلة لا سيا جرار دوكريمون . أما كيفية هذا النفوذ العلمي الذي اخترق الاقطار العربية واستضاءت به مراكز المدنية العربية في اسبانيا بالأشعة الآتية من المشرق فان الأقرب الى العقل في أسبابها أن هـذه المملكة كانت متصلة من الهند الى المحيط الاطلانطيكي وكان لها نصف سواحل البحر المتوسط فكان الاتصال دائماً بين افريقية واسبانية من جهة وعواصم الغرب من جهة أخرى ، ولا شك أن الحج كان ذا تأثير شديد في نقل الأفكار والآثار ولم تكن الرحلة الى الحج فقط بل كانوا يعملون الرحـلة في طلب العلم نفسه ، وقد عين لوكلارك حوادث من هذا القبيل فقال : إن محمد بن عبدون ذهب من الأندلس الى مصر وكان يمارس التطبيب في مستشفى الفسطاط وان ولدي يونس الحراني ذهبا يحصلان الطب في بغداد وبقيا عشر سنوات وعمرو بن حفص ذهب الى القيروان للتحصيل وكما كان يذهب اطباء من الغرب الى الشرق كانت الاطباء تأتي من الشرق الى الغرب وتقصد سلاطين العرب في اسبانية فكانت الكتب نظير الطنافس الحريرية والحلي والجواهر يؤتى بها من الشرق الى الاندلس حتى اجتمع في خزانة قرطبة زهاء ستمائة الف مجلد في فهرس يقع في أربعة وأربعين مجلداً . وكان القرن العاشر هو القرن الذي بلغت فيه المدنية العربية في الاندلس

أوجها فأقبل الناس على العلم في جميع أنحاء المملكة العربية وتعددت مصادر الأشعة فعمت قرطبة . ولم يكن العرب مكتفين بمعرفة علوم اليونان بل حوروا هذه العلوم وكشفوا طرقاً جديدة وازداد عدد علمائهم وانتقل العرب من دور الترجمة الى دور التوليد وظهر بينهم نوابغ لذلك العهد مثل الجراح الشهير أبي القاسم خلف بن عباس الزهراوي ، به بدىء تاريخ الطب العربي في اسبانيا فكان فذاً منقطع النظير في الجراحة العربية واليه انتهت الرياسة في علم الجراحة في القرون الوسطى وكان مولده سنة ٩٣٦ م في الزهراء وكان بحاثة" مثابراً على الشغل كتب في حياته ما يقع في ثلاثين مجلداً وكتابه في الجراحة هو أهم تآليفه وهو يستحق أن يكون في تاريخ الطب العالم الأول الذي أظهر الجراحة كعلم مستقل مبني على أساس من الحقائق التشريحية ومما امتاز به أبو القاسم أنه أول من اخترع الجراحة المصورة فقد جاء في كتابه نحو مائتي صورة عملية ومن هذا أصبح هو العلم المشار اليه بالبنان في هذا الفن ، وفي القرن الثاني عشر عندما ترجم جيرارد وكريمون كتاب أبي القاسم الى اللاتينية صار هو الكتاب المتداول في أيدي الجميع ومما يدل على قيمته العظمى أن الاستاذ القديم غي دوشا لياك من مدينة مونبليه استشهد بكتاب أبي القاسم أكثر من مائتي مرة، فلاشك إذن أن الجراحة العربية التي كانت تنتمي الى أصل يوناني قد كانت نمت نمواً عظيماً عند العرب وحسبك شاهداً على رقي الجراحة العربية ما قاله لانفرانك في أواخر القرن الثالث عشر فانه كان ذهب الى ايطاليا واطلع فيها على ترجمة تآليف أبي القاسم ورجع الى باريس فقال عن جراحي باريس : انهم جهلاء ولا يكاد يوجد فيهم جراح واحد عالم بصنعته . لقد كانت طليطلة في القرن الثاني عشر والثالث عشر مدينة العلم الفاضلة ، مستودع الكتب العربية ومقر الترجمة وصارت في الطرف الغربي من المملكة العربية نظيرة العواصم العربية الكبرى ، مركزاً للترجمة والتأليف بعد ثلاثة قرون من ازدهار بغداد

قال لوكلرك مؤرخ الطب العربي : انه في ذلك الوقت حصل حادثان عظيمان في قطبي العالم العربي أحدهما الحروب الصليبية التي ساقت الى الشرق نحواً من مليون أوروبي والثاني زحف الأفكار العربية على الغرب بواسطة الأندلس فقد كان قصد مدارس العرب في اسبانيا كثير من طلاب العلم من جميع انحاء الغرب



الشكل (٧٠)

اطباء غربيون يدرسون كتاب الزهراوي

عطاشى الى تلك المناهل فوجدوا في خزائن العرب في الاندلس من التآليف والتراجم العربية ما أحيا بينهم الفلسفة القديمة التي كانوا يجهلونها وكان للفرنسيين يد في نشر هذه المعارف البشرية لأن اسقفاً فرنسياً هو ريمون داجين صار سنة ١١٣٠ رئيساً لأساقفة طيطلة فحق له الفخر بترجمة رسالة الروح لابن سينا اذ

بعث في الناس همة الترجمة للكتب العربية فخرج منها ثلاثمائة ترجمة من العربي الى اللاتيني .

وهكذا انسد النقص المظلم الذي كان واقعاً في الفكر الغربي في القرون الوسطى وتقدمت مدارس الغرب الى الامام ، لقد ذكر لوكلرك أن من هذه التراجم الثلاثمائة كان يوجد تسعون كتاباً مترجماً من العربيـة الى اللاتينية في الطب منها أربعة تآليف لابقراط وخمسة وعشرون لجالينوس والباقي لحكماء العرب والاسلام كالرازي وأبي القاسم وابن سينا وابن زهر وكان جيراردو كريمون وهو أعظم المترجمين همة ومن أذكى رجال القرون الوسطى قد أكمل في مدة خمسين سنة ثلاثة وسبعين ترجمة أكثرها لكتب طبية ومن جملة هـــذه الكتب قانون ابن سينا وكتب أبي القاسم في الجراحة التي عملت في سير هـذا الفن في أوروبا الى الامام العمل الاكبر فقد بقيت طيطلة اذن مدة قرنين كاملين معهداً للتأليف والترجمة من اللغة العربية ومن هذا المركز العلمي الذي هو طيطلة كانت توزع مجموع التآليف والافكار العامة على البشرية ، وكان لعلم الطب منه الحصة الكبرى فاذا ألقينا بنظرنا بصورة مجملة على هذه المدنية العربية يأخذنا العجب .

جرى مؤخراً بعض الكتاب المعاصرين على انكار العبقرية العلمية عند العرب ، والحقيقة أن هذه الملكة العلمية وأن هـــذا البحث والتنقيب قد أثبتها العرب لانفسهم منذ البداية حيث قرر علماؤهم من ذلك الوقت تقريراً صريحاً المبادىء التي ينبغي أن يسير عليها العلم وهي السير من المعلوم الى المجهول وعدم قبول شيء على أنه حقيقة الا بعد ثبوته بالتجربة ، إذن منذ القرن الحادي عشر أثبت العرب أنهم كانوا قد ملكوا الطريقة العلمية الصحيحة وليس بصحيح القول أنهم ما أتوا بشيء جديد ولا أضافوا شيئاً يذكر على التراث اليوناني اللاتيني ولا جرم أنهم بالبداية كان أساس عملهم الترجمة من الكتب القديمة ولكن ليس من العـدل أن

تقول أنهم لم يكونوا الا وسطاء وأنهم لم يكونوا يعلمون ما يترجمون ولم يكن عندهم روح التوليد وعلى هذا أجاب الفيلسوف الالماني هومبولد بقوله : ان العرب لم يقتصروا على حراسة كنز المعارف الذي عثروا عليه بل أضافوا اليه ووسعوه وفتحوا طرقاً جديدة للبحث في أسرار الطبيعة .

وكان أكثر أطباء العرب من كبار الفلاسفة ومما لا جدال فيه أن أبا القاسم وابن رشد كانا من الدرجة الاولى في رجال العالم وكانا من العلماء الواضعين ، وأبو القاسم هو الذي سبق الى سد الشرايين عند العمليات واخترع طريقة تفتيت الحصى في المثانة وطريقة استخراج الحصى من مثانات النساء ، وأشار بالقطع عند حصول الغنغرينة .

وأما ابن رشد الفيلسوف القرطبي الذي كان يشتغل ليلا ونهاراً وقيل أنه لم يخـل من الشغل بالعلم إلا ليلة زواجه وليلة وفاة والده فقد كان مفسر فلسفة أرسطو ، وفي كتابه الكليات في الطب أشار الى الدورة الدموية واذا شاء الانسان أن يزن بحق وعدل مقدار تأثير البضائع العلمية العربية في معاهد الطب في أوروبا فما عليه إلا بمراجعة برنامج مدرسة الطب في مونبليه فانه يجد في أواخر القرن الثالث عشر من جملة الكتب التدريسية تراجم لكتب عربية وكان في ذلك الجدول لحكماء اليونانيين ، كتب من تآليف أبقراط وجالينوس وكتب حكماء العرب من تآليف ابن سينا والرازي وقسطا واسحاق وحنين . وفي سنة ١٣٤٠ قرر المجمع الطبي الأولية لجالينوس وابن سينا وفي سنة ١٥٠٠ حكموا بالسبق لابن سينا في خمس محاضرات من أصل عشر ولجالينوس في أربع ولابقراط في واحدة وفي سنة ١٥٣٤ كانت تآليف العرب الطبية هي المعتمد عليه في المدارس الفرنسية والغربية ولم تزل الحالة هي هذه الى القرن السادس عشر حيث اخذوا يترجمون ابقراط من اليونانية رأساً ولم تحذف تآليف العرب من برامج التدريس إلا في اواخر القرن السادس عشر . قال المؤرخ الكبير جرمان من مونبليه اننا نشهد

لكتاب العرب الذين كتبوا في المواضيع العلمية بمزية الايضاح التام والطريقة التعليمية ، نعم ان هؤلاء العرب الذين يرجعون الى نصاب قديم من مدنية اليمن كانت فيهم قابلية عظيمة للثقافة العليا ولم يكن فيهم شيء من البربرية .

٣ — جامعة بولونيا[١] في ايطاليا : وجدت في القرن الثالث عشر اشتهرت بتبنيها آراء ابن زهر وكان فيها مدرسة طبية تأثرت بالعلوم العربيـــة ، مارس أساتذتهـــا التشريح وكان من بينهم بارتو لوميو فارينياتا[٢] المتوفي سنة ١٣١٨ ودينادي غارلو[٣] المتوفي سنة ١٣٢٧ وقد اشتهر كل منهما بشرحه كتاب ابن سينا، بلغ عدد طلاب هذه الجامعة سنة ١٣١٠ خمسة عشر الف طالب من جميع الملل والنحل بينهم عدد كبير من الالمان .

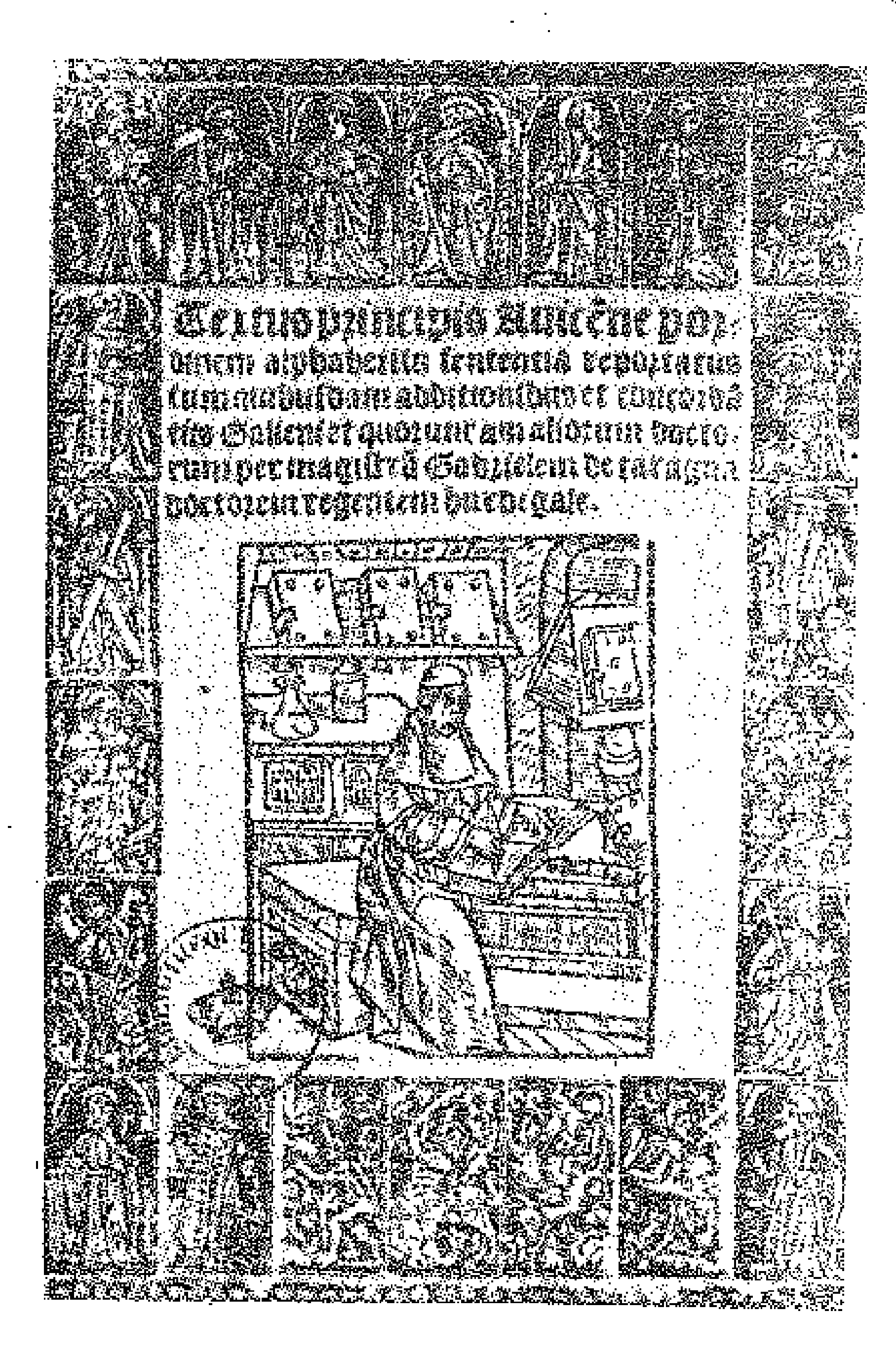
٤ — جامعة بادو[٤] وغيرها : أسست سنة ١٢٢٨ بتحريض من جمهرة من طلاب جامعة بولونية وكانت هذه الجامعة تتقبل آراء ابن رشد وقد حصلت على عدد كبير من كتب العرب فنفخ ذلك فيها روحاً علمية وثابة أطاحت بما كان يدرس فيها من علوم باطلة ، وقد اشتهر من أطبائها بياترو آبانو[٥] الذي أحرق ضحية تصريحه بآرائه وسعيه الى التوفيق بين ماتدين به الجامعة التي ينتمي اليها من آراء والآراء التي بثها العرب بتعاليمهم وكان له تلامذة عديدون منهم جانتيلي دوفولينو[٦] وقد شرح القانون لابن سينا . مات متأثراً من الطاعون سنة ١٣٤٨ وكان من بين أطباء هذه الجامعة فيزال المشرح الشهير .

هذا ويمكن القول بصورة عامة أن الجامعات الغربية كلها في القرون الوسطى

---

١ - Boulogne
٢ - Bartholome varignana
٣ - Dina Digarlo
٤ - Padoua , Padou
٥ - Pietro abano
٦ - Gentili De foligno

تأثرت بالعلوم العربية ، ويعد في زمرة الجامعات المتأثرة بالعلم العربي جامعات نابولي المؤسسة سنة ١٢٢٤ وطولوز – طولوشه – المشادة سنة ١٢٢٩ وسلمنكا في اسبانيا المؤسسة سنة ١٢١٣ وغيرها من جامعات القرون المذكورة .



الشكل (٧١)

مطران يدرس ترجمة قانون ابن سينا

٣ ــ آراء عربية عزيت الى رجال الغرب : يجد المتعمق في بحوث الحضارة العربية وعلوم العرب عدداً كبيراً من الآراء قال بها العرب منذ مئات السنين وقد رويت بأسلوب جديد فعزيت الى علماء الغرب مع أنها من مبتكرات القرائح العربية من ذلك قول ابن القيم بنظرية العوامل[١] وكشف الدورة الدموية الصغرى من قبل ابن نفيس[٢] وقول ابن مسكويه[٣] في أصل الانسان وتطور الحيوان قولاً يحاكي قول داروين :

« أول ما يرقى النبات من منزلته الاخيرة ويتميز به من مراتبه الأول هو أن ينقلع من الارض ولا يحتاج الى اثبات العروق فيها بما يحصل له من التصرف بالحركة الاختيارية وهذه الرتبة الاولى من الحيوانية ضعيفة لضعف أثر الحس فيها وانما تظهر بجهة واحدة أعني حساً واحداً وهو الحس العام الذي يقال له حس اللمس وذلك كالصدف وأنواع الحلزون الذي يوجد في شاطىء الانهار والسواحل ــ سواحل البحار ــ وانما تعرف حيوانيته ويعلم أنه ذو حس واحد من أجل أنه اذا استُلب من موضعه بسرعة وعلى عجلة وخفة فارق موضعه واستجاب للأخذ وان أخذ بابطاء وعلى ترتيب لزم موضعه وتمسك به وذلك لانه يحس أن لامساً يريد أخذه فيصعب حينئذ جذبه وتناوله من مكانه لتشبثه به وهو يضعف عن التنقل وان كان قد انقلع من الارض وصارت له حياة ما ، لانه في الافق القريب من النبات وفيه مناسبة منه ، ثم ينتقل عن هذه الرتبة الى أن ينتقل ويتحرك وتقوى فيه قوة الحس كالدود وكثير من الفراش والدبيب ثم يرتقي عن هذه المرتبة أيضاً ويقوى أثر النفس الى أن يصير منه الحيوان الذي له أربعة حواس كالخلد وما أشبه ، ثم يرتقي من ذلك الى أن يصير له حس البصر كالنمل والنحل والحيوان الذي عيونه تشبه الخرز وليس لها أجفان ولا

---

١ ــ انظر ص ٤٠٥ ٢ انظر ص ٣١٤

٣ ــ كان واسع النفوذ في الري توفي في بغداد سنة ١٠٣٠ م انصرف الى الفلسفة والطب والكيمياء .

تاريخ الطب م ــ ٣٠

ما يستر أحداقها ثم يقوى ذلك الى أن يصير منه الحيوان الكامل في الحواس الخمس وهي مع ذلك متفاوتة المراتب فمنها البليدة الجافية الحواس ومنها الزكية اللطيفة الحواس التي تستجيب للتأديب وتقبل الامر والنهي وتستعد لقبول اثر النطق والتمرس كالفرس من البهائم والبازي من الطيور، ثم يقرب من آخر مرتبة البهائم ويصير في أفقه الاعلى وفي مرتبة يشبه فيها الانسان وهذه المرتبة وان كانت شريفة فهي خسيسة دنية بعيدة عن مرتبة الانسان، إنها مراتب القرود وأشباهها من الحيوان الذي قارب الانسان في خلقته الانسانية فانتصبت قامته وظهرت فيه من قوة التمييز الشيء الكثير الذي يساعده على الاهتداء الى المعارف كما قويت فيه أثر النفس وعاد يقبل التأديب بالفهم والتمييز . »

يتضح من ذلك أن النشوء ليس من آراء فلاسفة الغرب ولا من مميزات جيلهم وانما هو رأي العرب أيام كانت دولتهم هي الدولة وصولتهم هي الصولة حين كانت الثقافة العربية الإسلامية في عصورها الذهبية .



الباب الرابع

الطب عند العرب في غفوتهم

لقد شع من علم الأطباء الذين نبغوا في القرن الثالث عشر للميلاد ، نخص بالذكر منهم ابن نفيس وابن أبي أصيبعة وابن القف نور متألق كالنور الذي يتألق من الشمعة قبل انطفائها اذ تبع ذلك انحطاط كبير في جذوة العلم في بلاد العرب وكانت العلوم والطب منها في طريق التدهور وأصبحت المناصب العلمية اسماً لامسمى جديراً بها ، فلم ينبغ في بلاد العرب رجل أحدث عملاً علمياً عظيماً أو دل على نبوغ في فرع من فروع العلم وزاد الانحطاط العلمي في القرنين الرابع عشر والخامس عشر للميلاد على أنه ظهر في دمشق في القرن السادس عشر ميلادي ابن الحكيم الصاحب ، ابو بكر بن محمود رئيس أطباء دمشق وخطيب اموهـا وعالم في العلوم العربية وله يد طولى في العقليات ، وجاء في بلاد الشام الأخرى صالح بن سلوم الحلبي رئيس الأطباء واشتهر في مصر داود الأنطاكي وانــــا لنكتفي بالتوسع في سيرة الأخير منهم لذيوع كتابه وتكرار طبعه وتعمق البحث فيه من قبل علماء أعلام في عصرنا هذا .

داود الانطاكي : هو داود بن عمر من أصل سوري ولد في انطاكيا سنة ٩٥٠ هـ ١٥٤٤ م توفي سنة ١٠٠٨ هـ ١٥٩٩ م ، حفظ القرآن ولما يبلغ السابعة

من عمره وبوفاة والده انتقل الى مصر ومر أثناء سفره بدمشق وغيرها من مدن الشام واجتمع بعلمائها وأخذ عنهم ، كان ضريراً لايبصر وإنما لقب بالبصير لما كان عنده من حدة الذهن وحسن البصيرة . لقد وضع عالمنا هذا عدة تآليف ،منها شرح قصيدة ابن سينا في الروح وكتاب البهجة والدرة المنتخبة في ماصح من الأدوية المجربة وكتاب غاية المرام ونزهة الأذهان في اصلاح الأبدان ومنها التذكرة الصغرى في الطب وكتاب التذكرة الكبرى الذي يعد أشهر مؤلفات الانطاكي وأكثرها ذيوعاً. وقد ذكر فيه مااشتملت عليه كتب أطباء اليونان والعرب مع التعديل ومسايرة طرق المعالجة عند أهل زمانه ، يرى الباحث في التذكرة معلومات طبية ذات فائدة كبرى والى جانبها معلومات أخرى مستمدة من روح عصره وتجرباتهم الخرافية التي لاتمت الى العلم بصلة ، وقد يكون من أسباب اثباتها في كتابه ليس ايمانه بها ولكن الانسجام والتجاوب مع مايستشفي به الناس بوسائل نفسانية يقبلها عهده ويقول بها عصره .

وقد طبعت تذكرته هذه لأول مرة في سنة ١٨٣٨ م ١٢٥٤ ه ، ثم أعيد طبعها بضع مرات وعلق عليها الكثيرون ولهذا الكتاب قيمة تاريخية وعلمية وكان من أكثر الباحثين في التذكرة والمتعمقين بموضوعاتها الدكتور رمزي مفتاح الذي بعث التذكرة بعثاً جديداً بكتابه النفيس المسمى إحياء التذكرة فجعله قنطرة بديعة تصل بين الطب القديم والطب الحديث .

ولقد استمر الانحطاط في القرن السابع عشر فمضى لاتجديد فيه ولاجديد إلا النظر في قضايا قديمة لاكتها الألسن قديماً ، لا إبداع فيها ولا اختراع ،وكان القرن الثامن عشر تتمة ماسبقه من ضعف في بطء الحركة العلمية وقد اقتصر الطب حينئذ على وجود متطببين في المدن الكبرى فقط ، أما في المدن الصغرى والقرى فكان يتعاطى المهنـــة الطبية أشخاص توارثوها عن الآباء والأجداد

واكتسبوها من كتب الطب العربي القديم وكان يوجد خلاف اولئك ممارسون جوالون كان لبعضهم خبرة في خلع الاسنان واجراء عملية الحصوة والساد (كاتاراكت) وكان أغلبهم يصف أعشاباً سرية معرقة أو مسهلة أو منفشة ، وكانت صناعتهم قائمة على التدجيل. لقد كان الطب خلال هذا القرن في حالة محزنة بعيداً عن كل مايليق به من معرفة وخبرة . وقد بدأ هذا الانحطاط بجمود الوعي القومي العربي وانهيار الحضارة العربية بما فيها الطب والطبابة فانتشرت في البلاد العربية الأمراض والأدواء وتعرضت لأنواع الأوبئة فمن طاعون جارف الى ربيض (تيفوس) كاسح وحمى راجعة تصيب العدد الكبير من الناس الى برداء تأخذ شكل الوباء دون أن تعرف لها وقاية أو دواء فعال ، الى هيضة تصيب الناس بالألوف سميت بالريح الأصفر أو الهواء الأصفر وقد كوفحت باساليب غريبة ووسائل عجيبة ليس لها أقل فائدة وكان الجدري يفتك بالناس والخانوق يلتهم الأطفال ، والتدرن الرئوي يحزن كل عائلة ، والتراخوم يخلف وراءه العميان في كل منزل .

ولقد اقتصر الطب على وجود متطببين في المدن الكبرى فقط يعالجون بوصفات توارثوها عن الآباء والأجداد ، ولقد لقبت العيل التي تعاني التطبيب بالحكيم ، ولعب الحلاقون دوراً في التطبيب وبقليل من الجراحة تجري على الأرجل والأيدي وأكثر منها وصف العلق وحمل المرضى على التداوي بما يمص الدماء من فصد وحجم وشطب رؤوس الأطفال المصابين بالقرع واستعمل بعضهم بعد الشطب عصير بعض النباتات او غير ذلك من العقاقير .

وقد لعب اليهود دوراً كبيراً في الطب فضلا لهم تعاطيه في البلاد العربية . ولقد عرفت دمشق واحداً منهم اسمه الزلطة كانت عيادته في خان السقالين على تخت الى جانب البحرة والأجرة التي يتقاضاها زلطة[1] ثم جاء الأطباء مصاحبين

---

١ ـ كلمة عامية تطلق على ثلاثين بارة رائجة والقرش الرائج اربعون بارة والصاغ خمسون والليرة العثمانية مائة قرش صاغ او مائة وثلاثون قرشاً رائجاً .

جمعيات التبشير فازعج ذلك اليهود اذ ضرب احتكارهم . واتخذ التبشير التطبيب المجاني وتقديم العلاج بالمجان من أهم عوامله وكانت البعثات الطبية التبشيرية تقوم برحلات منتظمة تجتاز بها بلاد العرب في الدولة العثمانية .

ولقد كان من ضعف الدولة العثمانية ونقص وسائلها وقلة عنايتها بالأهلين ان استغلت الدول الطامعة في البلاد العربية ضعف لا بل انعدام وسائل التطبيب فيها فأوجدت مستوصفات ومشافي تبشيرية في أمكنة عديدة وكان بعضها ظاهر التبشير كما كان بعضها مستتره .

والى جانب ذلك كان يتعاطى المهنة الطبية اشخاص يعتمدون في المعالجة على اعشاب سرية معرقة أو مسهلة أو منفثة ، وكانت صناعتهم قائمة على خبرة بدائية ، كما يستدل من بعض الوصفات التي تمثل ما كان يلجأ اليها الأهلون في مداواة مرضاهم مقتبسة من المعلومات التي كانت تسود طبقات الشعب يوم لم يكن في البلاد سوى الطبابة المتداولة والمنتقلة من الأب الى الابن ومن الأم الى بنتها . وهي تدخل اليوم في طيات الاهمال والنسيان وتصبح حديث الأمس ففي نشرها فائدة تاريخية ذات شأن .

الحمى التيفوئيدية : تعالج بعصارة الكرنب وبماء الشعير وبوضع لبخات على الرأس والبطن من مبلول صفائح عصير المشمش المجفف – قمر الدين – ويغذى المريض باللبن – الحليب والالبن الخاثر .

البرداء : تعالج الحادة بمغلي أوراق الصفصاف والمزمنة بأكل الطحال

الحصبة : تعالج بمغلي التوفر والعناب والزهورات وبالدبس العنبي .

السعال الديكي : يعالج برب السوس وشراب الرمان والكمون وبالعسل ومغلي التين ومنقوعه المائي

الخناق : يعالج بشراب التوت ودهن الورد أو دهن الخطمية والبنفسج كما يطلى حلق الطفل بدهن الورد .

النزلة الصدرية : تعالج بالحجامة من الظهر وبمغلي الزهورات مع ماء الشعير .

السكاف (ابو كعب): تدهن الرقبة بزيت الخس .

الهيضة (الكوليرا) : يطعم المريض الخبز وهو اللبن المجفف والرمان الحامض المشوي بقشره كما يسقى المصاب خليط الثوم بالماء لأجل قتل العلة ويوقف الاسهال بدبس الرمان والسماق والشاي الكثيف والخشخاش

الزحار : يعالج كما تعالج الهيضة .

الطاعون : يعالج بمغلي الزنجبيل مع المصطكي .

اليرقان : يعالج بان يعصر في أنف المصاب قثاء الحمار .

الجذام : يعالج بأكل الثوم مع العسل .

الكلب : يعالج بكي محل العضة ، وبالثوم أكلا وضماداً ، وبالحلتيت شرباً وضماداً ، ويعزل المعضوض أربعين يوماً بشرط أن لاينظر الماء ولا اللون الأحمر .

الكزاز : يعالج بورق الورد المغلي شرباً وبالمعرقات والفصادة .

الزهري : يعالج بتبخير المريض بالزئبق مع بعض عقاقير منها جوز السرو .

الرمد : علاجه قطرة من تفاح أو توت عليق .

السرطان : علاجه الكي بحديد محمي .

الرثية : تعالج بالضرب بورق القريص على محل الألم وبدهونات من الزيت والزعتر والقرفة وغيرها .

داء الحفر : يعالج بالليمون الحامض .

البول السكري : علاجه مغلي شرش البقدونس ، عصير الفجل[1] .

البحة : علاجها أكل الكرنب نيئاً ومطبوخاً .

الديدان : يعالج ببزر القرع النيء أكلا[2] ، وبمغلي قشر شجر الرمان[3] ، شرباً وبأكل حب الآس ، والترمس والكرنب .

لدغ الثعبان والعقرب : يعالج بمص مكان العضة وتدميتها مع الربط فوق مكان اللدغ ثم الكي بالنار على محل اللدغ

---

١ ـ ما زال الناس يستعملون عصير الفجل في البول السكري وقد استشارنا بعض مرضانا في استعماله فأجزنا ذلك ورأينا للعصير المذكور بعض الحسنات في معالجة هذا الداء .

٢ ـ ان فائدة بزر القرع في طرد الديدان أمر ثابت لاشك فيه وقد رأينا من استعمله فأفاد منه .

٣ ـ ان قشر شجر الرمان ، طارد ولا شك للديدان ولكن استعماله لهذا الغرض محفوف بأخطار عديدة .

الباب الخمسون

الطب عند العرب ومدارسه والمصطلحات الطبية والتقدم الصحي في صحوتهم

تناسب هذه المرحلة بدء كفاح العرب ضد الأجانب الذين سيطروا على البلاد العربية ليستثمروا خيراتها وينعموا بما فيها ويضمنون رفاهم على حساب بؤس أهلها، وليبلغوا ـ أولاً وأخيراً ـ هدفهم القديم ألا وهو : القضاء على العروبة واللغة العربية . والواقع أن ماتعرضت له البلاد العربية والعرب إبان هذه المرحلة التي حل الظلام فيها محل النور والجهل محل العلم ، كانت كافية لتحويل العرب عن لغتهم ونسيانها وعن أمانيهم وتحقيقها ، فتعود لغة قديمة لايتحدث عنها سوى التاريخ كما يتحدث عن لغة الآشوريين وغيرهم ، وتصبح المدنية العربية وسيرة العرب سيرة عهد انقضى لأمة مرت بالتاريخ ، وقصة زمن قضى من غابر الدهر لاعودة له ولا رجعة ولا أمل لبعثه أو تجديده ويغدو تاريخ العرب سفراً من أسفار الأيام الخالية والعصور الماضية ، فيبلغ بذلك المستعمرون أخصام العرب هدفهم القديم ألا وهو التخلص من أي امكانية تعيد للعرب سيرتهم البديعة ووثبتهم الماضية الرائعة .

ولما رأوا استحالة ذلك وضعوا في طريق القومية العربية عراقيل متشابكة

عويصة يحتاج اجتيازها الى جرأة واخلاص وعمل دائم ، ولعل أسوأ مافيهـــا وأكثرها خطراً ايجاد التفرقة بين العرب بشتى الوسائل ومختلف الأساليب .

لقد تميز النصف الثاني من القرن التاسع عشر من نصفه الأول بتباشير العلوم الرياضية والطبيعية تفد على بلاد الشام عن طريق الديار المصرية وأحدثت – في الوقت نفسه – المدارس العالية في الإستانة وفي عام ١٨٦٦ م أسست المدرسة العلمية السورية الانجيلية التي أحدثت في عامها التـــالي ١٨٦٧ م الفرع الطبي ، وكانت لغةالتدريس فيه العربية، وتألفت عمدةالمدرسة الطبية من الاطباء فان ديك ، وبوست ، وورتبات . وكانوا مولعين باللغة العربية ومخلصين لها

وكما انبعثت منذ القرن الماضي شعلة الثقافة الأميركية وفكرة التبشير بالمذهب الانجيلي من الجامعة الأميركية في بيروت انتشرت الثقافة الفرنسية والتبشير الكاثوليكي من كلية القديس يوسف اليسوعية الفرنسية إذ تأسست في عام ١٨٨٣ المدرسة الطبية الأفرنسية في بيروت فساهمت في نشر الطرق الطبية الحديثة ، كما أوجد العثمانيون في عام ١٩١٢ المدرسة الطبية في دمشق ، وكان قبل ذلك متعلمو الطب من الشاميين يفزعون الى مصر وبيروت والاستانة للدراسة فيها والحصول على اجازات من معاهدها . وكان في المقايضة العلمية بين الشام ومصر من الفوائد مالايمكن لأحد جهله . وبدأت في هذا الوقت تظهر تأثيرات الأجانب في التربية العلمية ، واختص هذا القرن أيضاً في بلاد الشام بأن تجلت فيه فائدة العلوم ، فصار المقتدرون من الناس يعلمون أولادهم ، وانبعثت جذوة العلوم الطبية والطبيعية من جديد ، ومما لاشك فيه أن مدرسة الطب بدمشق كانت ذات أثر كبير في النهضة الحديثة ، لا في سورية فحسب بل في غيرها من البلاد العربية ، وذلك بمتخرجيها الذين عملوا في المملكة العربية السعودية والأردن والعراق والكويت ولبنان حيث أشغلوا في بعضها مراكز رفيعة ومناصب عالية وأدّوا خدمات جلى . ومن واجبنا أن نخص بالذكر تاريخ هذه المدرسة فانها تنفرد بصفة تميزها من غيرها حتى يومنا هذا ، وهي التدريس باللغة العربية .

مدارس الطب في الجمهورية العربية المتحدة :

١ ــ مدرسة قصر العيني : كانت مدرسة أبي زعبل أول مدرسة طبية انشئت في مصر وغيرها من البلاد العربية ويرجع الفضل في تأسيسها الى محمد علي الكبير الذي استدعى كلوت بك وكان جراحاً في مرسيليا وعهد اليه بتنظيم مصلحة الصحة العسكرية ثم رأى ان يوصل منافع الصحة للاهلين ففكر في اتخاذ الوسائل

المؤدية لتخريج الاطباء فذاكر بهذا الامر نخبة من العلماء الذين قربهم منه ، بينهم كلوت بك[١] ، فأشاروا عليه بإيجاد مدرسة تخرج الاطباء فأمر بانشائها رغماً من معارضة المعارضين فأحدثت مدرسة الطب بأبي زعبل على مقربة من مستشفى عسكري كان هناك وذلك سنة ١٨٢٧ م وكان التعليم إذ ذاك على وتيرة التعليم في مدارس فرنسة الطبية وقد جُند الطلبة لكلية الطب من الازهريين وتم تعليم الطب بالعربية بمعونة المترجم السوري يوحنا عنحوري[٢] وبفضل عدد من علماء اللغة العربية بينهم الشيخ رفاعة الطهطاوي[٣] والشيخ محمد عمر سليمان التونسي (١٧٩٨ ١٨٥٧ م) والشيخ محمد الهراوي الأزهري . سافر كلوت بك عام ١٨٣٢ برفقة عدد من المتخرجين الى باريس فاختصوا في معاهدها ومشافيها وزادوا من خبرتهم حتى صاروا طليعة لسواهم من الأطباء العرب بعد عودتهم الى مصر .

---

١ . كلوت بك ١٧٩٣ – ١٨٦٧ : طبيب افرنسي مؤسس الاصلاحات الصحية وموجد المدرسة الطبية في قصر العيني استبسل في خدمة المرضى بالطاعون الذي تفشى في مصر .

٢ – من المترجمين الاول في كلية الطب في قصر العيني كان متقنا الايطالية فاذا كان الكتاب مؤلفا باللغة الفرنسية ترجمه الى الايطالية ثم ينقله هو الى العربية وكان يعرف أيضا بحنين عنحوري .

٣ – هو رفاعة بن بدوي بن علي بن رافع الطهطاوي ولد في طهطا سنة ١٨٠١ وتوفي في القاهرة سنة ١٨٧٣ ، انتظم في سلك الطلبة بالجامع الازهر وقضى فيه ثماني سنوات اختير إماماً للبعثة الاولى التي اوفدت من الطلبة لتعلم العلوم في الغرب فتاقت نفسه الى علوم الغرب فجاوز حدود وظيفته وعكف على درس اللغة الفرنسية من تلقاء نفسه ونبغ خلال مدة اقامته بباريس بالعلوم والمعارف الغربية وعلى الخصوص في فن الترجمة ، وقد عهد اليه بعد عودته الى مصر برئاسة الترجمة ، ولما انشئت مدرسة الالسن أسندت اليه نظارتها والاستاذية فيها ولم يزل رفاعة بك ناظراً لهذه المدرسة الى ان اغلقت في عهد عباس وابعد الى السودان ، ولما تولى سعيد باشا الحكم اعاده واسند اليه مناصب مختلفة وقد ترجم كتباً كثيرة منها نبذة في علم سياسة الصحة .

قام بالتعليم في مدرسة الطب في مصر جهابذة الأطباء من فرنسة وايطاليا ، ثم نقلت المدرسة بعد عشر سنوات من تأسيسها الى مكانها الحالي بجوار قصر العيني وكان من بين الاساتذة الاجانب الذين تميزوا بولعهم باللغة العربية واخلاصهم لها الدكتور بيرون الذي علم في مدرسة الطب الطبيعيات وتولى رياسة المدرسة بعد كلوت بك ، ولقد أدى بيرون خدمات جليلة لمصر واللغة العربية .

لقد بلغ عدد الجيل الجديد من اطباء العرب الى ان مضى محمد علي الى رحمة مولاه بعد ١٨ سنة من تأسيس مدرسة الطب ألف وخمسمائة طبيب ، وكان هذا العدد كافياً لتوظيف الاطباء بالمراكز ، وتوسيع النطاق في مساعـــدة المرضى بالمنازل واحداث ادارة للتلقيح ضد الجدري وايواء المرضى والمجانين في المشافي واحداث مدرسة لتخريج الصيادلة والقابلات والمولدات . وقد تمت في هذه المدة الوجيزة ترجمة ٥٢ مؤلفاً طبياً من الفرنسية وغيرها الى العربيـــة تولت اخراج أكثرها دار الطباعة في بولاق بالآلاف وصارت تعابيرها أساساً للمؤلفات التي يقرؤها الاطباء في مدارس الطب في البلاد العثمانية آنذاك : استنبول ، بيروت ، دمشق وسواها ، ولكنه ما تولى ابراهيم عرش أبيه حتى توفي بعـد قليل ثم تولى بعده عباس الاول فاضطربت في عهده مدرسة الطب واعتزل كلوت بك منصبه سنة ١٨٤٩ حتى اذا خلفه سعيد باشا وجد المدرسة على أسوأ حال فأغلقها وظلت المدرسة زائلة عن الوجود طوال عامين ، الى أن استدعي كلوت بك الى مصر ثانية وكان يحن اليها كوطن ثان فاعيد فتح المدرسة في ايلول – سبتمبر – ١٨٥٦ تحت ادارته مرة أخرى وأعاد تنظيمها من جديد .

تولى بعد ذلك ادارة المدرسة أعلام عرب برز منهم محمد علي البقلي[1] باشا الذي بقي مديراً لها ستة عشر عاماً سوياً فرفع شأن المدرسة وأصلح أمورهـا واصطفى الاساتذة جميعاً من العرب ما عدا نفر قليل جداً وفي زمانـه ترجمت انفس المؤلفات الفرنسية الحديثة وصدرت مجلة البحوث الطبية الاسبوعية عـدة سنين وأرسلت البعثات بانتظام الى الخـارج وبرز الاطباء المصريون الى البحث والتحقيق العلمي وبلغت المدرسة شأواً عظيماً وتولى ادارتها بعد حين طبيب عربي مصري قدير هو عيسى باشا حمدي[2] الذي يمكن اعتباره المؤسس الثـاني لكلية الطب بعد كلوت بك وكان من اساتذتها نفر من كبار الاطباء العرب المصريين مثل عثمان باشا غالب[3] الذي اكتشف دودة القطن ، ودري باشا سيد

---

١ - محمد علي باشا الحكيم هو السيد محمد علي بن السيد علي الفقيه البقلي ولد في زاوية البقلي في مصر سنة ١٢٢٨ هـ ، كان في جملة المنتخبين الذين اتموا دراستهم في اوروبا بعد ان تخرجوا من مدرسة ابي زعبل الطبية عين رئيساً لجراحي قصر العيني واستاذاً للجراحة ووكيلاً للمستشفى والمدرسة الطبية فقام بعمله خير قيام ، انقطع عن العمل في اواخر سنة ١٢٩٢ هـ ولم يعلم السبب في ذلك فلما كانت الحرب بين مصر والحبشة صحب الحملة المصرية التي وجهت الى الحبشة وادى هناك اجل الخدمات ثم عاجلته المنية فدفن هناك سنة ١٢٩٣ هـ الموافقة لسنة ١٨٧٧ ولم يعلم احد مكان ضريحه ويقال انه اقيم له قبر ببلدة تسمى جراع بين عدوة واسمرة .

٢ - عيسى حمدي باشا ولد بقرية ستيفة من اعمال دمياط سنة ١٢٦٠ هـ اعطي له الدبلوم المصري في الطب سنة ١٢٨٢ او ٨٦٦ م وارسل الى باريس . رأس المدرسة الطبية ومستشفى قصر العيني سنة ١٨٨٠ فبذل الجهد في اصلاح المدرسة توفي في تموز يوليو - سنة ١٩٢٣ م .

٣ - عثمان غالب باشا ، ولد بالجيزة سنه ١٨٤٥ م تخرج من المدرسة الطبية المصرية سنة ١٨٧١ ثم ارسل الى فرنسا لاتمام دروسه وعاد منها سنة ١٨٨١ م رقي الى وكيل مستشفى قصر العيني والمدرسة الطبية المصرية توفي في سويسرا سنة ١٩٢٠ اكتشف دودة القطن سنة ١٨٧٩ م ووصف طريقة ابادتها .

الجراحين في زمانه وبفضل عيسى حمدى صار انشاء المباني الجديدة في المدرسة سنة ١٨٨٧ وصارت البكالوريا شرطاً للدخول في سلك المدرسة وحتم على الطلبة ان يقدموا رسالة قبل حصولهم على الدرجة الطبية وقد اضطر عيسى حمدي للاستقالة سنة ١٨٨٩ ، وسيطر على المدرسة بعد ذلك الانجليز فزادوا عدد الاساتذة منهم وحولوا لغة المدرسة من العربية الى الانكليزية وتولى زمام ادارتهـــا الدكتور كيتنج سنة ١٩٠٤ فصـــارت بريطانية انكليزية ، أكثر مما هي عربية مصرية ، وقد ظل الحال كذلك حتى جـــاء سعد زغلول الى وزارة المعارف سنة ١٩٠٨ فزاد عدد أفراد البعثات للتخصص وعمل على توجيه مدرســـة الطب توجيهاً وطنياً ووضع لها سياسة تقضي بتولي المصريين مناصب الاساتذة نهائيا في كلية الطب ولكن المديرين الانكليز الذين تعاقبوا على ادارتهـا ما بين ١٩٠٨ و١٩٢٩ قاوموا كل محاولة تعيد الى المدرسة لغتها الاصلية وجعلوا ذلك مبـدأ قنع به بعض الاطباء المصريين حتى يومنا هذا . انتخب مجلس ادارة الكلية في مايس - مايو - سنة ١٩٢٩ الدكتور علي باشا ابراهيم عميداً لكلية الطب فدخلت الكلية في عهده مرحلة الشباب فصارت من أكبر دعامات الجامعـات المصرية تمنح الدرجات العليا وشهادات الاختصاص والدكتوراه وغير ذلك من الالقاب العلمية وأصبح أساتذتها عرباً مصريين بلغ فيهم التخصص في أكثر العلوم أرقى نواحيه وعاد بامكانهم ايصال راغبي التخصص الى أسمى درجاته ونشرت لهم بحوث مبتكرة في مجلات عربية واجنبية ووضعت مؤلفات أكثرها بالانكليزية . ومما لا شك فيه أن تبديل اللغة في كليات الطب المصرية من انكليزية الى عربية امر مقرر يُسعى اليه سعياً حثيثاً على الرغم من العراقيل التي يضعها البعض في سبيله والحجج التي يدلون بها والتي تعتبر أكثرها واهية لا مبرر لها . إن في مصر عدا كلية الطب التي أثبتنا تاريخها كلية طبية تابعة لجامعة عين شمس في القاهرة نفسها وكلية طبية في الاسكندرية وكلية طبية في اسيوط حديثة العهد .

ومما تجدر الاشارة اليه أن هنالك منافسة علمية قوية بين كلية الطب التابعة لجامعة القاهرة – قصر العيني – وكلية الطب التابعة لجامعة عين شمس وكلية الطب في الاسكندرية تبشر بتقدم علمي مرموق .

مدرستا الطب في الجمهورية اللبنانية

أ – مدرسة الطب الاميركية في بيروت : شعرت المشيخة الاميركيـــة بوجود حركة جديدة في البلاد تدعو الى تطورها وتقضي بإنشاء معهد عال يعنى بتدريس العلوم الحديثة والطب والواقع أنه منذ سنة ١٨٦٢ خطر للدكتور دانيـــال بلس وغيره من المرسلين الاميركانيين في سورية أن يسعوا الى انشاء جامعة كبيرة لتعليم العلوم العالية فرجع الى اميركا وأظهر مقصده الجليل بالخطب التي تلاها هناك وما زال يجول في اميركا وانكلترا يخطب في المحافل ويدعو الناس الى الأخذ بيده حتى فاز برغوبه وجمع المال اللازم لمشروعه وعاد سنة ١٨٦٦ الى بيروت وأعلن مقصده[1] بفتح مدرسة كلية فاجتمع اليـــه نحو عشرين من الطلبة فبـــاشر تعليمهم وكان معه النحوي اللغوي الشاعر المرحوم الشيخ ناصيف اليازجي[2] لتعليم العربية والرياضي المحقق المعلم الشدودي[3] لتعليم الرياضيات واستاذ لتعليم الانكليزية وآخر لتعليم الفرنسية ، ثم فتح باب المدرسة لطلبة الطب وكان أساتذها حينئـــذ فان ديك وبوست وورتبات ثم زيد في عدد أساتذها

---

١ – انظر الى المقتطف مجلد ٩ ص ٦٣٣ حيث يقول : جاء في رسالة مطبوعة بعض مقاصد مؤسسيها وهي اعتبارها مدرسة وطنية وجعل لغتها العربية .

٢ – الشيخ ناصيف اليازجي ١٨٠٠ – ١٨٧١ م ولد في كفر شيما – لبنان – شاعر ، انقطع الى التأليف والتدريس في الثلاثين سنة الاخيرة من حياته .

٣ – اسعد الشدودي ١٨٢٦ – ١٩٠٦ علم الرياضيات في الجامعة الاميركية في بيروت له العروس البديعة في علم الطبيعة وأرجوزة الحكيم للحكيم واهداء التوراة .

وتلاميذها كثيراً فأنشأوا لها بناءاً فسيحاً على نجوة من رأس بيروت ، وقد بذل أساتذة المدرسة جهدهم في التأليف وجمع المجاميع العلمية ، وكانت اللغة العربية لغة التدريس في مدرسة الطب الاميركية ببيروت واستمرت على ذلك خمس عشرة سنة تُعلم كل شيء بالعربية[1] وقد كان لاستعمال اللغة العربية في التدريس في حالات كثيرة آثار نافعة في تكوين ثورة فكرية كبيرة . ثم استبدلت الكلية اللغة العربية سنة ١٨٨٣ باللغة الانكليزية[2] .

هذا ومما تجب الاشارة اليه انه يلحق بكلية الطب مدارس عديدة ومشاف حديثة ومخابر متنوعة تديرها جميعها أياد فنية اكتسبت حنكة وخبرة وتجربة ومهارة وقد جعلها ذلك مطمح الانظار ومدار الفخار والافتخار تشغل كلية الطب أسمى مكانة علمية في جامعة بيروت الاميركية وتؤلف هذه الجامعة حياً ممتازاً من أحياء بيروت . وتعد كلية الطب سباقة الى اقتباس كل حديث ، ولقد مكنتها وسائلها الفنية واتصالاتها العلمية الوثيقة بجهابذة الطب ولا سيما الاميركيين منهم من تنظيم زيارات متتابعة لعلماء عالميين يدرّسون فيها كأساتذة زائرين أو كمحاضرين عابري سبيل وليس ذلك في المجال النظري فحسب بل في الميدان العملي الفسيح . وقد جاءت في السنوات الأخيرة مستعينة بما يفد اليها من أساطين الطب وبما تضمه من أساتذة ذوي خبرة الى تنظيم دراسات خاصة بالأطباء ابتغاء توسيع اختصاصهم ونشر الآراء الحديثة بينهم فزودت بذلك الاختصاصي بما جد في اختصاصه ومكنت الطبيب المتمرن من الاطلاع على كل ما يريد الاطلاع عليه من جديد في علم الطب .

---

١ – مجلة الابحاث سنة ٨ جزء ٢ عدد حزيران ص ٢٢٣

٢ – انظر ص ٤٩٢

ب ـ المدرسة الفرنسية للطب في بيروت[1] : تداعى الى اشادة كلية الطب الفرنسية في بيروت ، سلطتان احداهما حكومية وهي الجمهورية الفرنسية ، والثانية دينية وهي إرسالية اليسوعيين الى سورية . بدأت المدرسة عملهـا سنة ١٨٨٣ بأربعة أساتذة ، اثنين يسوعيين وطبيب من البحرية[2] اليزه سه نه س ـ ومولد شاب ـ جول فه ري[3] ـ وكانت مدة الدراسة فيها سنتين فثلاث سنوات فأربع سنوات فخمس سنوات فست سنوات فسبع سنوات بما في ذلك الصف التأهيبي . وقد سمي الدكتور دوبران[4] سنة ١٨٨٥ استاذاً للسريريات الطبيـة في المدرسة المذكورة فعلم فيها مابين سنة ١٨٨٥ و ١٩٢٦ ويعد رجلا الدين لوسيان كاتان[5] ودوبره لاتور[6] من كبار الذين عملوا في النهوض بكلية الطب المذكورة لقد كانت مدرسة الطب اليسوعية معدة لتخريج أطباء مساعدين ثم اقترح استاذان من باريز ، وفدا اليها مفتشين ، تحويرها الى كلية فنية تخرج الأطباء والصيادلة وذلك سنة ١٨٨٧ ، وقد وضع في ١ تشرين الأول ١٩١١ الحجر الأساسي في بناية كلية الطب الحالية كما ألحقت بها حديقة نباتية رائعة وأحدثت مؤسسة لمكافحة الكلب باشرت عملها منذ سنة ١٩١٣ ، والحقت بكلية الطب سنة ١٩١٩ مؤسسة للبحوث الكيماوية والجرثوميـة كما أحدثت سنة ١٩٢٠ مدرسة لطب الاسنان . وكانت التطبيقات السريرية والتعليم السريري تتم في مستشفى قلب اليسوع وهو مستشفى صغير لا يفي بالحاجة ، ولذلك وضع سنة ١٩٢٣ الحجر الاساسي لمستشفى

---

١ ـ نقتطف هذه المعلومات من مقال بعث به الينا عميد الكلية كتبه هنري جالابهرت Henri Jalabert . S . J وما نشرته مجلة الطب الفرنسي عن الكلية المذكورة . وما كتبه ليون بينة Léon Binet في العدد الرابع من مجلة الطباعة الطبية La Presse Médicale المنشور في ١٧ كانون اول سنة ١٩٤٨ .

٢ ـ Elysè Senès . ٣ ـ Jules Ferry . ٤ ـ Hippolyte de brun.

٥ ـ Lucien Cattan . ٦ ـ Duprè La Tour.

أوتيل ديو الحالي كما الحقت بالمدرسة سنة ١٩٢٥ مؤسسة للمعالجة الحكيمة ومعالجة السرطان ، وقد ألحقت هذه المؤسسة اعتباراً من سنة ١٩٥٨ بدائرة الاسعاف في الجمهورية اللبنانية ، وقد فتحت المدرسة الطبية عام ١٩٤٤ مدرسة للممرضات الزائرات ، وفي سنة ١٩٤٨ دمشت المدرسة دار ولادة كما شرعت دار الجراثيم بتعليم الخبرة الفنية في الأعمال المخبرية وأحدثت المدرسة عام ١٩٥٥ شهـــادة اختصاص بالتخدير . لم تقم كلية الطب اليسوعية بالذات بأي عمل في خدمة اللغة العربية ولكن الآباء اليسوعيين عوضوا عنها في خدمة اللغة العربيـــة بمعاجم العديدة[1] وبعدد من الكتب زودوا اللغة بنشرها[2] .

مدرستا الطب في الجمهورية العراقية

١ – كلية الطب ببغداد : اتخذ في سنة ١٩٢٧ مستشفى المجيدية الذي اخلته السلطات العسكرية مقراً للكلية الطبية ، وبوشر بتدريس الطب فيه في تشرين الثاني سنة ١٩٢٧ وقد قام بالتدريس نخبـــة من الأطباء توزعت مسؤوليتهم التدريسية حسب وظائفهم وقابلياتهم ، ومنذ ذلك الحين والكلية الطبية في تقدم

---

(١) نذكر منها المنجد المعجم المدرسي الذي ألفه الأب لويس معلوف اليسوعي واعيد طبعه بضع مرات ادخل في كل منها عليه كثير من التحسينات وساهم بجمع مواده بصبر ودأب مستمرين الأب فرديناند توتل اليسوعي والمعجم الفرنسي العربي للأب حوا ولا سيما الأب بيلو وكذلك المعجم العربي الفرنسي والمعجم الانكليزي العربي وكذلك المعجم العربي الانكليزي .

(٢) نذكر من بينها كتاب الألفاظ الكتابية لعبد الرحمن بن عيسى الهمداني الذي طبع عشرات المرات بطبعـــة الآباء اليسوعيين واعتنى بضبطه وتصحيحه الاب لويس شيخو اليسوعي ومنها مجاني الأدب في حدائق العرب للأب لويس شيخو نفسه ، خزائن العلم في التاريخ والادب والفلسفة وقد عمل فيها خاصة الآباء لويس شيخو وهنري لامنس وانطون صالحاني وموريس بوبج ومنها الروائع للأستاذ فؤاد افرام البستاني والمجاني الحديثة له وللأستاذ كرم البستاني وفلاسفة العرب للأب يوحنا قمير .

مستمر يتناسب مع حاجة البلاد وتقدم فنون الطب ، ولا أدل على هذا التقدم من الاحصاءات التي تشير الى الزيادة الكبيرة في عدد الطلبة والأطباء المتخرجين والاساتذة ومساعديهم في فروع الطب المختلفة ، ويحق للكلية أن تفخر اليوم بان الأكثرية الساحقة من الأطباء الممارسين في العراق هم من خريجيها سواء في الطبابة العامة أو في الاختصاص ، وقد قصد عدد كبير من خريجي الكلية الجامعات والمستشفيات والمعاهد الأجنبية في أوروبا وامريكا بقصد الاختصاص والتتبع والبحث في اكثر فنون الطب المعروفة . ولقـــد أدخلت على الكلية وسائل التدريس الحديثة باستعمال الاجهزة الصوتية والبصرية ، وفي كل عام تقدم عمادة الكلية الطبية الدعوات الى عدد من كبار الاخصائيين في عالم الطب والجراحة تدعوهم الى أن يكونوا اساتذة زائرين أو الى إلقاء المحاضرات على طلبة كلية الطب وأطبائها .

تشغل كلية الطب رقعة واسعة في قلب بغداد تكاد تكون حياً بكامله له مداخله وطرقه وله ابنيته وانظمته ولا يسع الداخل من بوابتها العامة إلا أن يعجب بمظهرها المتجانس وتنسيقها البديع وتوزيع ابنيتها المحكم ، ذلك لأن الكلية حديثة عهد بالظهور الى حيز الوجود وقد اقيمت مختلف مؤسساتها في فترة لاتزيد عن عشرين سنة لذلك جاءت متناسقة متشابهة ، تعد كلية الطب أضخم كليات العراق بناء واكثرها استعداداً بالاجهزة والادوات وهي المعهد الذي تتناوله الايدي بالعناية وتسعى جهدها لتجهيزه دوماً بأحدث ماتوصل اليه الفن .

تشمل كلية الطب العراقية على فرع للطب ، مدرسة موظفي الصحة ، مدرسة الممرضات ومدرسة القوابل . وتمنح الكليـــة من الدبلومات والشهادات ، دكتوراه في الطب ، دبلوم صيدلي كيماوي ، شهادة موظف صحي ، شهادة التمريض وشهادة القبالة . وقد اجيز عام ١٩٦٥ من كلية الطب ببغداد ١٤٢ طبيباً .

٣ ـ كلية الطب بالموصل : ادركت السلطات المسؤولة بان كليـة الطب

في بغداد مهما بلغت من التوسع فانها سوف لاتفي بحاجة البلاد التامة للأطباء في الحاضر أو في المستقبل لذلك شرع بانشاء كلية جديدة للطب في مدينة الموصل، وقد بلغ في سنة ١٩٦٥ عدد المتخرجين منها ٤٥ طبيباً .

الكلية الطبية في الجمهورية السودانية : ان في السودان كلية طبية تدرس باللغة الانكليزية زودت بهيئة تدريسية تضمن تقدمها وازدهارها كما ألحق بها مؤسسات تضمن حسن السير بالتدريس العملي جنباً الى جنب مع التدريس النظري .

الكلية الطبية في الجمهورية الجزائرية : كلية اسست بأقصى أجزاء العالم العربي من جهة الغرب ، ليس ثمة فرق بين تلك الكلية ومثيلاتها في فرنسا فهي تتبع النظم نفسها وتستعمل اللغة نفسها . ولاشك أن هذه الكلية الراقية قادمة على تطور جديد بعد استقلال الجزائر سوف يجعل منها في وقت قريب كلية عربية الروح واللغة .

كليتا الطب في الجمهورية العربية السورية :

١ ـ **مدرسة الطب وكليته في دمشق :** لقد استمر الاحتلال العثماني لبلاد الشام العربية منذ القرن السادس عشر حتى نهاية الحرب العالمية الأولى فكان عهدهم حائلا دون نمو التفكير وتفتح الذهن والبحث لا في سورية وحدها بل في جميع البلاد العثمانية .

وقد استطاع سنة ١٩٠٣ م بعض رجال الفكر العربي أن يقنعوا الحكومة العثمانية بفتح جامعة عربية ضمن الجامعة العثمانية ، فاصدر في ٢٧ أيلول ١٩٠١ السلطان عبد الحميد أمراً بانشاء مدرسة لتعليم الطب بدمشق فأعد في بناء زيور باشا في الصالحية[١] مخابر للكيمياء والطبيعة والتشريح والغرائز وذلك ريثما تتم الأبنية المناسبة ، وكانت لغة التدريس في المدرسة اللغة التركية وكانت مدة التدريس ست سنوات ، اربعاً في المدرسة والسنتين الأخيرتين بين

---

١ ـ وهو اليوم مدرسة تجهيز البنات .

مدرسة الطب والمستشفى[1] .

حالت الحرب العالمية الأولى دون اتمام خطة توسيع المدرسة الطبية وبعد أن دخلت الدولة العثمانية غمار الحرب العامة ، ترك الآباء اليسوعيون مدرستهم الطبية في بيروت فنقلت مدرسة دمشق العثمانية اليها وظلت فيها حتى اعلان الهدنة سنة ١٩١٨ وعودة الآباء اليسوعيين الى مدرستهم في بيروت ، فانقضت بانسحاب العثمانيين حياة مدرسة الطب العثمانية بعد أن استمرت من عام ١٩٠٣ الى ١٩١٨ وتخرج منها ١١٠ أطباء و ١٥٢ صيدلياً ولما وضعت الحرب العالمية الاولى أوزارها ، قام في دمشق جماعة من طلاب المدرسة الطبية[2] الذين توقفت دراستهم اثناء الحرب ، وعقدوا اجتماعاً قرروا فيه مطالبة الحكومة العربية بأعادة المدرسة الطبية ثانية ، وكان مفكرو هذا البلد ورجال دولتها منقسمين ، فئة تقول بعدم اعادة كلية الطب وفئة تقول بوجوب اعادتها ، وقد فازت الفكرة الثانية فافتتحت المدرسة في بناء المستشفى في كانون الثاني عام ١٩١٩ ودعيت بالمعهد الطبي العربي . وقد اختير الاستاذ الدكتور رضا سعيد لادارة المعهد بالنسبة لسابق خبرته في الأمور الادارية وحنكته ومرونته فأخذ على عاتقه تنظيم هذا المعهد بالرغم من العقبات الكثيرة التي واجهها بسبب التقلبات السياسية . ولقد رأت كلية الطب أنه لابد من اصدار مجلة طبية عربية تدعم اللغة[3] وقد تم ذلك سنة ١٩٢٤ وحددت اهداف المجلة بثلاث غايات هي : خدمة اللغة العربية الشريفة واحياؤها ، خدمة الطب والأطباء في البلاد العربية وخدمة الشعب

---

١ ـ كان اسمه مستشفى الغرباء ثم سمي المستشفى العام واسمه اليوم مستشفى كلية الطب.

٢ ـ وفي مقدمتهم السادة الاساتذة حسني سبح يحيى الشماع وجودت الكيال .

٣ ـ كان قبل ذلك الاستاذ سعيد السيوطي يشرف سنة ١٩١٩ على مجلة اصدرتها دائرة الصحة سميت مجلة الصحة العمومية وكانت تضم مقالات لاساتذة المدرسة الطبية العربية وغيرهم .

إذ يجد الباحث في بعض مقالات المجلة لذة لعقله وفائدة لصحته لأنها لم تقتصر في ابحاثها على الطب والصيدلة فحسب بل تناولت ايضاً الموضوعات الصحية التي يسهل فهمها وتعم فائدتها .

وما أن برزت مجلة المعهد الطبي للوجود وعهد برئاسة تحريرها وادارة امورها الى الاستاذ مرشد خاطر ، حتى بدت حلقة اتصال بين الغرب والشرق تنقل الى البلاد العربية كل مستحدث في البلاد الغربية ويدون فيها اساتذة المعهد الطبي مشاهداتهم التي نشر بعضها في مجلات الطب الغربية ، وقد بلغت هذه المجلة مقاماً رفيعاً في عالم الصحافة والطب بفضل ابحاثها القيمة عن اللغة والطب . ثم بدأ الاساتذة ينشرون تعاليمهم باللغة العربيـة ويدونونها في مؤلفات خاصة لاقت استحساناً كبيراً . والحق يقال إن رجال المعهد الطبي العربي بعملهم ومحاضراتهم ومؤلفاتهم ومقالاتهم قاموا بنهضة لغوية تبعها انتصار اللغة العربية في عالم العرب وبلاده الشاسعة . وقد سارت باقي الكليات التي انشئت بعد كلية الطب ـ المعهد الطبي ـ على غرارها فانتقوا الألفاظ ووضعوا المصطلحات وألفوا الكتب واصدروا المجلات حتى عادت جامعة دمشق ـ الجامعة السورية سابقاً ـ خليقة بأن تنعت بباعثة اللغة العلمية في البلاد العربية .

يتم التعليم السريري في كلية الطب الدمشقية في مشاف ملحقة بكلية الطب واخرى تابعة لوزارة الصحة . ان من بين مشافي دمشق مستشفى كلية الطب وكان اسمه مستشفى الغرباء وكانت له سمعة لا توحي بالثقة وقد استطاع رجال المعهد الطبي بما أدخلوا على المستشفى المذكور من تحسينات واصلاحات وبما جهزوه من الآلات والادوات أن يحسنوا مستواه العلمي ووسائل التشخيص والمعالجة فيه حتى اصبح خلال فترة من الزمن ملاذ السكان في دمشق وضواحيها ان لم يكن سورية كلها ، ومن مشافي كلية دمشق مستشفى المواساة وكان قائمة

عهد جديد في كلية الطب ، تستعمل فيه احدث أساليب التشخيص وتطبق أنجع وسائل المعالجة ويعقد فيه أساتذة السريريات والمخابر اسبوعياً جلسات علمية كما تعقد فيه الجمعية الطبية العربية جلسات دورية تقدم فيها ابحاث قيمة . ولقد خطت الجراحة في كلية الطب خطوة جبارة وأخذ المرضى يقبلون باجراء العمليات بعد أن كانوا اعنها مدبرين حتى غصت الشعب الجراحية بالمستشفين . ويتبع كلية الطب دار ولادة تتم فيها الولادات وتلحق بها شعبة امراض النساء وهي معدة لقبول كل من تراجعها من حامل او ماخض أو مصابة بمرض نسائي ، ولتمرين طلاب كلية الطب وطالبات مدرسة التمريض والقبالة . ولقد اتسعت أعمال دار التوليد واشتد الإقبال عليها حتى أصبح عدد المراجعات لدار التوليد عشرة أضعاف ما كان عليه قبل بضعة سنين .

ويقاس التقدم الذي تم في الشعب الأخرى على ما تم في الشعبة الجراحية والتوليد من حيث تعدد الفروع وكثرة الوسائل وتنوع المعدات وزيادة البنايات .

أما التعليم المخبري في كلية الطب فيعتمد على مخابر جهزت أحسن تجهيز يديرها اختصاصيون أكفاء يساعدهم أساتذة مساعدون أو مدرسون أو معيدون .

ولقد شعرت كلية الطب منذ سنواتها الاولى بضرورة العناية بالتمريض والقبالة فبدأت أولاً باعطاء دروس للقابلات المتمرنات ، ثم عمدت عام ١٩٢٢ الدراسي الى تنظيم هذا التدريس وجعلت مدته ثلاث سنوات وفي عام ١٩٢٦ — ١٩٢٧ أسس رسمياً فرع التمريض وفرع القبالة وألحقا بالمعهد الطبي العربي كما كان يدعى حين ذاك فاقبلت عليها الطالبات ، وأخذت الجامعة تمنح الخريجات المنتسبات ابتداء من ذلك العام شهادة في التوليد الطبيعي ووثيقة تدل على مثابرتهن على اعمال التمريض في المشافي ، وفي عام ١٩٤٦ — ١٩٤٧ استبدل الفرعان بمدرسة للتمريض والقبالة وأصبحت الدراسة فيها ثلاث سنوات للحصول على شهادة رسمية في التمريض

ويضاف اليها سنة رابعة اضافية للحصول على شهادة في التوليد الطبيعي وفي عام ١٩٤٩ عدل نظام المدرسة وادخلت فيه اصلاحات اقتضتها خبرة التعليم والتدريب في هذا الفن والحاجات التي أظهرتها نهضة البلاد في ميادين التعليم والصحة العامة. وهكذا، ما فتئت الكلية والجامعة خلال السنوات الماضية، تجهدان باستمرار وعلى مراحل متتابعة لرفع مستوى التدريس والاختبار المسلكي في هذا الفن.

وتعد مدرسة التمريض اليوم نموذجية بأساليب التدريس ووسائل الايضاح والتمرينات العملية وما الى ذلك من نواح علمية وعملية ذات شأن تتوفر فيها حتى يصح أن يقال فيها إنها من أحسن مدارس التمريض في الشرق الاوسط.

كلية الصيدلة: لقد كانت كلية الطب منذ تأسيسها حتى الآن تخرج الصيادلة فأسهمت بسد حاجة البلاد من الصيادلة ولقد اتسعت أعمالها ومخابرها وكثرت وسائلها حتى صارت جديرة بأن تصبح كلية مستقلة، وقد تم لها ذلك في هذه السنة المدرسية سنة ١٩٦٢ وعادت كلية من كليات الجامعة.

كلية طب الأسنان: يرجع الفضل في تنظيم دراسة طب الاسنان الى الدكتور رضا سعيد فقد هاله ما كان عليه طب الاسنان من تأخر في سورية حيث كان يتعاطى هذه المهنة محترفون جلهم من الدجالين، وكان أول عمل باشر به أن مهد السبيل أمام هؤلاء لاتباع دورة تعليمية مدتها محدودة سمحت الحكومة لمن أثبت كفاءة خلالها ونجح في فحص اختباري أجرى بعدها بتعاطي طب الاسنان باسم متمرن، وكان ذلك تدبيراً موقتاً تبعه احداث فرع لتدريس طب الاسنان تابع لكلية الطب فمدرسة مستقلة لتدريس طب الاسنان. لقد عادت اليوم مدرسة طب الاسنان كلية مستقلة كغيرها من كليات الجامعة وأصبحت كاملة التجهيز يدرس فيها اساتذة ومساعدون ومعيدون تخصصوا بدمشق أو أوفدوا الى

ديار الغرب لاتمام تحصيلهم فيه فزودوا بأحدث المعلومات وعادوا ليطبقوها في كليتهم الفتية .

التأليف والبحث العلمي والجمعية الطبية الجراحية والجمعية الطبية العربية :

آ – التأليف : قامت في كلية الطب حركة تأليف واسعة منذ تأسيسها حتى انه يمكن القول بأنه ما من علم يدرس في كلية الطب بدمشق الا وفيه مؤلف باللغة العربية .

ب – البحث العلمي : قام اساتذة كلية الطب ببحوث علمية نشرت خاصة في مجلة المعهد الطبي العربي كما نشرت بعضها في المجلة الطبية العلمية في بيروت او في المجلة الطبية المصرية كما نشر بعضها في مجلات غربية فرنسية وكتب فرنسية .

ج – الجمعية الطبية الجراحية : اسست في ٢١ حزيران سنة ١٩٣٤ ومازالت تعمل بنشاط حتى الآن ولقد بُدّل اسمها اليوم فعاد الجمعية الطبية العربية ، شجعت الجمعية المذكورة روح البحث والمناقشة بين الاطباء فساهمت بتقدم الطب في سورية .

٢ – كلية الطب بحلب – شعرت الجمهورية السورية بنقص الاطباء وشدة الاقبال على دراسة الطب فقررت اشادة كلية طب في حلب بوشر باعداد مايلزمها في مطلع هذا العام ليبدأ التدريس وشيكا في صفها التأهيلي

تلك هي سيرة كل من كليات الطب التي وجدت في البلاد العربية وقد قامت كل واحدة منها بعمل ممتاز سدت به فراغاً كبيراً ، ومما لا شك فيه أنها بأساتذتها ومتخرجيها اسهمت اسهاماً كبيراً في رفع مستوى الطب العلاجي والوقائي الى مرتبة حسنة في عدد من البلاد العربية والى درجة جيدة في عدد آخر والى مرحلة سريعة التطور والتقدم في باقي البلاد العربية ولولا الكليات المذكورة لعانت البلاد العربية التي تم تحريرها نقصاً في الايدي الطبية العاملة لا يمكن تداركه مها صرف في سبيل ذلك من اموال ، لذلك كله يصح اعتبار الكليات المذكورة أنها كانت

من جملة العوامل في تحرير البلاد العربية من سلطان الاوبئة القاهر وطغيان المرض الغادر وأنها انقذتها من اضطرارها الى استقدام عدد كبير من رجال الطب غير العرب . ان في بلاد العرب التي لم تنعم بعد بكليات الطب همة مبذولة لسد هذا الفراغ فقد وضعت المملكة العربية السعودية مشروعاً لاحـــداث كلية للطب وكذلك الامر في الدول العربية الاخرى حيث الاستعداد موجود والرجال المخلصون كثر والعلماء غير قليلين ، وقد تيسر لنا ان نزور تونس وبعض البلاد العربية الاخرى فوجدنا فيها من الرجال والوسائل ما يصح معه القول بأن كليات عديدة للطب وشيكة الظهور في البلاد العربيـة الأخرى وفي مقدمتها تونس والمغرب العربي .

مؤلفات العرب في الطب والصيدلة خلال المئة سنة الاخيرة:

وضع علماء العرب في المئة سنة الاخيرة وما قبلها بقليل اي منذ بـــدء القرن التاسع عشر حتى يومنا هذا عدداً ضخماً من المؤلفات باللغة العربية وعدداً غير قليل من المؤلفات باللغات الاجنبية وانا سوف نعنى خاصة بالبحث عن المؤلفات التي وضعت باللغة العربية ونعرّض على ماوضع منها بغير العربية .

صلاح اللغة العربية للتدريس العالي وأسباب تبديلها في القاهرة وفي بيروت :

لو تصفحنا الكتب التي ألفت أو ترجمت في مدرسة قصر العيني يوم كان الطب يدرس فيها باللغة العربية لوجدناها كتباً ممتازة لا تقل عن أمثالها في ذلك الحين من كتب الغرب جودة في الطبع وحسناً في التعبير وبراعة في الايضاح . والغريب في هذه الكتب أنها ألفت بالعربية في مدرسة كان ناظرها بيرون أجنبياً ولكنه اجنبي أحب اللغة العربية وتذوقها واخلص لبلادها اخلاص اهلها لها وكان حكم مصر بيدها لا سيطرة للأجنبي عليها في توجيه سياستها وادارة دفة الامور فيها . ويصح هذا القول تماماً على وضع الكتب الطبية يوم كانت تدرس الكلية الامريكية في بيروت دروسها

. باللغة العربية و كان ونديك ووركبات وادون لويس الذين اسبوا اللغة العربية وأخلصوا لها من اساتذتها ، انها كتب ممتازة بأسلوبها ولغتها ودقة معانيها وحسن تعابيرها .

ترى ما هي العوامل التي دعت الكلية الاميركية الى تبديل اللغة العربية باللغة الانكليزية . لقد ذهب الباحثون في هذا الأمر مذاهب شتى فكان لكل منهم رأيه الخاص وادلته عليه على أننا نرى ان تبديل اللغة مرهون به من جهة عليا وأن نقص الاساتذة الضالعين باللغة العربية لم يكن السبب او على الاقل لم يكن السبب الوحيد في تبديل اللغة العربية بدليل ان الكلية الاميركية اعلنت[1] عن عزمها على هذا التبديل منذ سنة ١٨٨١ وأجلته الى أن وجدت الفرصة الموافقة سنة ١٨٨٣ ويبدو لي ان شعوراً عميقاً بواجب الكلية الاميركية نحو اللغة العربية وتعهد مؤسسيها برعايتها واعلانهم عن ذلك في مناسبات عديدة ، دعا مالك دونالدصميث كلية الطب الأميركية في بيروت الى طرق هذا الموضوع في النشرة الصادرة عنه في تشرين الاول سنة ١٩٥٨ ، فذكر من جملة الاسباب اضطرار الكلية آنذاك الى الاستغناء عن بعض الاساتذة الذين كانوا يعرفون اللغة العربية وتعيين اساتذة جدد بدلاً منهم لم يتوفر لديهم الوقت الكافي لاتقان اللغة المذكورة . لم يذكر لنا مالك دونالد الاسباب التي دعت الكلية الى الاستغناء عن الاساتذة المذكورين ويبدو لنا ان خطاب[2] الاستاذ الدكتور ادون لويس الذي اشاد فيه بآراء داروين كان من جملة الاسباب فقد اعتبره بعضهم متطرفاً من الوجهة الدينية

---

١ — انظر في المقتطف ج ص ١٢٨ الى الاعلان المذكور الموقع من قبل رئيس المدرسة والمحرر في ٢٢ تموز سنة ١٨٨١ .

٢ — انظر في المقتطف ج ٧ ص ١٥٨ — ١٦٧ الى نص الخطاب المذكور أدون لويس استاذ الكيمياء والطبيعيات .

فاضطروا صاحبه الى الاستقالة وتبعه في الاستقالة متضامناً معه عمدة المدرسة فان ديك الشهير، وصف هذا الحادث بأنه رزيئة رزئت بها هذه المدرسة الشهيرة وقد اعقب ذلك احتجاج الطلبة وامتناعهم عن متابعة الدروس ففصل عدد منهم وقد تم في نظرنا بعد استقالة هؤلاء تبديل اللغة العربية باللغة الانكليزية ويخيل الينا أن أسباب تبديل اللغة العربية باللغة الانكليزية يرجع الى جهة عليا تشرف على الكلية وترشدها[1] . وقد رأت هذه الهيئة المرشدة أن توسيع آفاق الانتفاع بالكلية خارج البلاد العربية بعد أن ثبتت مكانتها ورسخت دعائمها في البلاد العربية لايتم إلا بتبديل اللغة فأقدمت على ذلك وكان من نتيجته أن أمّها طلاب من جنسيات مختلفة ، على أن الكلية ومن ورائها الجهة الموجهة لها لو أبقتا لغة التدريس عربية في عدد من الدروس فعهدت الكلية الى عدد من متخرجيها الذين ثبت تمتعهم بثقافة لغوية رائعة ، إن في العربية أو في الانكليزية وبمقدرة فنية بارعة ، بتدريس بعض المواد باللغة العربية لوازنت بين اللغتين ووفت بتعهداتها الأدبية التي كررها رجال مسؤولون فيها ، انها لو عملت ذلك لجعلت للكلية مكاناً اسمى من المكانة الممتازة التي تتمتع بها الآن[2] .

أما العامل الذي أطاح باللغة العربية في مدرسة قصر العيني فكان سياسياً إذ رأى الأجنبي الذي نصب نفسه حامياً على بلد عربي أن في خنق اللغة مجالا لعرقلة تقدمه فاحكم الخطة لتنفيذ هدفه وعمل على تبديل اللغة وسط مقاومة عنيفة

---

١ ـ سماها بعض البحاثين في الجزء الثاني الابحاث الثامنة الصادر في حزيران ١٩٥٥ المشيخة الاميركية : ص ٢٢٠ و ص ٢٢١ س ١ .

٢ ـ يقول الامير مصطفى الشهابي في مقال نشره في مقتطف فبراير سنة ١٩١٠ ، كان التعليم بالعربية بادىء ذي بدء في الكلية الاميركية والف اساتذتها المشهورون كتباً عربية ثمينة في بعض العلوم التي يدرسونها ولو لم يحملوا التعليم بعدئذ بالانكليزية لكان للجامعة الاميركية فضل كبير على لساننا العربي .

ومن المؤسف أنه كان بين المواطنين رجال سبقوا الاجنبي فيا يتطلع اليه فتفننوا في أساليب التملق له اكتساباً لمرضاته كما تدل على ذلك آراء بعض من عالجوا هذا الموضوع فأنكروا فضل من ألف بالعربية وتمادوا في غيهم حتى طلبوا ان تحل الحروف الافرنجية محل العربية زاعمين أن هذا التبديل لاينالنا نحن العرب منه أي ضرر .

لقد حملت أقلام الكتاب والعلماء على تبديل اللغة في كلية بيروت وكلية قصر العيني وانتصر للغة العربية الرجال والنساء بينهن مي زيادة فكانت لهم أقوال رائعة تميز من بينها قصيدتان احداهما لشاعر النيل حافظ ابراهيم[1] والثانية لخليل مطران[2] ينعيان فيها حظ العربية من أهلها . ولقد كان من جراء هذا التبديل أن وقفت حركة التأليف باللغة العربيـة من قبل أساتذة قصر العيني والكلية الاميركية بعد أن قاموا بعمل رائع وهنا برزت سورية بمعهدها الطبي العربي - كليـة الطب اليوم - فحملت مشعل اللغة العربية ومازالت تنير به طريق الباحثين وتشجع المترددين حتى ثبتت دعائم اللغـة في جامعة دمشق بجميع كلياتها والمرجـوان تسير كليات الطب في باقي البلاد العربية على غرارها فيعاد للغة العربية العلمية عصرها الذهبي وما ذلك ببعيد .

---

١ - يقول فيها على لسان اللغة :

رموني بعقم في الشباب وليتني	عقمت فلم اجزع لقول عداتي
وسعت كتاب الله لفظاً وغاية	وما ضقت عن آي به وعظات
انا البحر في احشائه الدر كامن	فهل سألوا الغواص عن صدفاتي
أرى لرجال الغرب عزاً ومنعة	وكم عز أقوام بعز لغـات

٢ - يقول فيها تحت عنوان ما مصير القوم؟:

سمعت الضـاد قائلة أأنعى	وهذا موطني والاهل اهلي
بنيـات الحمى ، بين اني	عزيزة امتي لم ينس فضلي
ويا فتيـانه هبوا لنصري	عقوق مساءة وعقوق جهل

لقد قامت حركة ترجمة واسعة إثر تأسيس كلية الطب في أبي زعبـل ففي قصر العيني شملت عدداً كبيراً من المواد التي تدرس في كلية الطب حتى صار لكل مادة مدرسية كتاب خاص بها مترجم أو مؤلف ثم نشط التأليف الى جانب الترجمة .

وقد كان للمقتطف[1] قصب السبق إذ برز فارساها نمر وصروف مجليين في هذا الميدان فاملاها باخلاصها العظيم وعلمها الغزير وغيرتها على اللغة أرفع مكان لا بين المجلات العربية فحسب بل بين المجلات العالمية التي ذاعت في ذلك الزمن وقد بقيت مجلة المقتطف محافظة على مستوى رفيع لم يبلغـه غيرها حتى انقطع نورها التي كانت تشعه فخسرت البلاد العربية لغيابها خسارة لم تعوض بعد .

لم يختط المقتطف سيره دون بعض العراقيل يضعهـا في طريقه الحساد مستترين وراء أقنعة شتى ولقد كان في تقاريظ برزات الاسلام العلامة النسيب محمود حمزة مفتي ديار الشام والحسيب أحمد بك المنشاوي والشيخ حسين أفندي الجسر والشيخ ابراهيم أفندي الأحدب والشيخ يوسف أفندي الأسير وحافظ[2] وشوقي[3] ما يبين مقام المقتطف في نظر رجال الدين والعلم واللغة والأدب .

لقد كان المقتطف الصلة الفكرية الموثقة بين الشرق الحديث والغرب الحديث ، كانت بيروت مهد طفولته وكانت مصر عهد فتوته ومرقاه في كهولته ولا غرو بعد ذلك ان يحتفل بتكريم صاحبي المقتطف في عيده الخمسيني وأن يذكر الخطباء

---

١ — اقترح اسمها فان ديك وساعد صاحباها جاه من نفوذ على السماح باصـــدارها في بيروت أولاً ثم نقلها صاحباها الى القاهرة .

٢ - قال فيها حافظ :

اني قرأتك في الكهولة والصبا — وملأت من ثمر العقول وطابي

٣ — كما قال فيها شوقي :

مشينا بنوريي علمها وبيانها — فلم نسر إلا في شعاع شهـــاب

مآثرها وفضلها[1] .

المصطلحات العربية في الطب والصيدلة : صاحب قصة المصطلحات العربية في الطب والصيدلة اليقظة الفكرية في البلاد العربية منذ مطلع القرن التاسع عشر ، والغريب في الأمر أنها بدت بسيطة وأخذت تتعقد حيناً بعد حين حتى جعلها كثرة البحث فيها محاطة بالأشواك لا يمد لها الباحث يده دون أن يجد ما يخزه منها مع أن تبسيطها يسير اذا صحت النية وحسن التخطيط وابتعد عن التقاصع وابعدت اللجان العديدة وعهد بالامر الى أيد خبيرة محدودة . قلت أنها بدت بسيطة ، لان مدرسة قصر العيني استطاعت بعدد محدود جداً من المترجمين وبنخبة ممتازة من رجال اللغة القيام بنقل الكتب الفرنجية الى اللغة العربية كما أن اساتذتها نشروا كتباً إذا ما قورنت بمثيلاتها من الكتب الغربية بدت معادلة لها اتقاناً في الطبع وحسناً في الايضاح وبساطة في اللغة مع فصاحة فيها وكان جهد أساتذة الكلية الاميركية في بيروت ايضاً موفقاً في انتقاء المصطلحات العربية .

ثم جاءت بعدئذ كلية الطب بدمشق فاحتضنت اللغة العربية ولقد برز من رجال المعهد الطبي بدمشق في موضوع اللغة العربية منذ تأسيسه اسماء ثلاثة أعلام وهم الأساتذة خاطر ـ مرشد ، خياط ـ حمدي ، خاني ـ جميل ، ولقد سميناهذه المرحلة اللغوية من حياة المعهد الطبي بمرحلة الخاءات الثلاثة نسبة الى الحرف الأول المشترك في أسمائهم ثم سار على غرارهم في وضع المصطلحات وبحثها الأستاذ

---

١ ـ وقد أنشد في هذه الحفلة شاعر النيل المرحوم حافظ ابراهيم قصيدة عصماء جاء فيها :

شيخان قد خبرا الوجود وادركا ... مافيه من علل ومن أسباب

والقى خليل مطران قصيدة بليغة نقتطف منها قوله واصفاً الحفلة ومخاطباً منشئيها :

تلك المنارة في المكان العالي ... ترمي الدجى بشعاعها الجوال

سهرت عيونكم على اتقانها ... فنن السطور بها سواد ليالي

صلاح الدين الكواكبي واشترك مع خاطر والخياط بوضع معجم المصطلحات الذي يصح أن يعتبر من بين المراجع الأساسية في هذا المضمار ، على أن الواجب يقضي بالاشارة الى أن كلا من أعضاء الهيئة التدريسية في كلية الطب الدمشقية ساهم بقدر طاقته فوضع من المصطلحات والألفاظ ماهو داخل في نطاق اختصاصه العلمي وللأستاذين حمدي الخياط والمرحوم مرشد خاطر موسوعة طبية لغوية كما للدكتور الاستاذ جميل الخاني قاموس لغوي لم يريا النور وفيها توسعة كبيرة في باب المصطلحـات . ولقد كان الدكتور حسني سبح دائم العناية بالمصطلحات ونقدها وانتقاء الأفضل منها فنشرت آراؤه في أعداد متتـابعة من مجلة المجمع العربي ويعد من المحققين والمجددين في لغة الطب العلمية الشاب اللامع الدكتور هيثم الخيـاط نجل الأستاذ حمدي الخياط . وكانت مطبعة الجامعة السورية - مطبعة جامعة دمشق - وسيلة لاظهار ماوضعه هؤلاء جميعاً من الألفاظ في الكتب الطبية العديدة التي تم طبعها فيها والتي تشتمل على فروع الطب كله كما كانت أيضاً مجلة المعهد الطبي العربي الذي أشرف عليها مدة ربع قرن الأستاذ المرحوم مرشد خاطر مرجع العلماء البحاثين يثبتون فيها ماتجود به قرائحهم أخص بالذكر منهم الأب أنسطاس ماري الكرملي ، الشيخ عبد القادر المغربي ، داود الجلبي كما كانت منهلاً يرتوي منه الباحثون عن كل جديد في موضوع المصطلحات وأسهمت في هذا المضمار المجلة الطبية العلمية التي كانت تصدر في بيروت إسهاماً كبيراً بينما كان إسهام غيرها من المجلات الطبية التي تصدر في البلاد العربية الأخرى محدوداً ، أما مؤتمرات الجمعية الطبية المصرية السنوية فالمؤتمرات الطبية العربية فانها على الرغم من جعلها موضوع المصطلحات بحثاً سنوياً لم تقدم فيه ما يذكر .

البحوث الطبية الأصيلة ونشرها في المجلات : بحث معقد اكتفي منه بذكر اسماء بعض المجلات العربية والغربية التي يُعثر فيها على اكثر تلك البحوث :

١ ـ مجلة الطبيب : أول مجلة طبية صدرت باللغة العربية في بيروت وأشرف عليها جورج بوست من أساتذة المدرسة السورية الانجيلية وقد ذكرها المقتطف في مجلده الأول ص ١٩٢ ومجلده الخامس ص ٢٢٤ .

٢ ـ مجلة الشفاء : أنشأها العالم العلامة الدكتور شبلي شميل في القاهرة وقد ذكرها المقتطف في مجلده العاشر .

٣ ـ مجلة طبيب العائلة : صدرت في بيروت . رأس تحريرها الدكتور عبدالغني شهبندر وقد ذكرها المقتطف في مجلده التاسع عشر ص ٩٤٠ .

٤ ـ مجلة الجمعية الطبية المصرية : صدرت في القاهرة وقد ذكرها المقتطف في مجلده الثاني والعشرين ص ٩٤٢ .

٥ ـ مجلة الرئيس : صدرت عن مطبعة الارزيجونية لبنـــان وقد ذكرها المقتطف في مجلده الرابع والعشرين ص ١٦٠ .

٦ ـ المجلة الصحية : وقد ذكرها المقتطف في مجلده السادس والعشرين ص ٢٧٥ .

٧ ـ مجلة الطب الحديث : وقد ذكرها المقتطف في مجلده السابع والعشرين ص ٢٩٢ .

٨ ـ مجلة الحكيم : طبعت في مصر . ذكرهـا المقتطف في مجلده الثامن والثلاثين ص ٢٩٦ .

٩ ـ مجلة العرب في بغداد : صاحب امتيازها الأب انستاس ماري الكرملي ومديرها المسؤول كاظم افندي الدجيلي وقد أدخلناها في عداد المجلات الطبية لطول باع صاحبها في اللغة العربية وإسهامه بوضع المصطلحات الطبية .

١٠ ـ مجلة العلم والطب صاحب امتيازها توفيق مفرج ورئيس تحريرهـا الدكتور اسماعيل مرتضي وقد ذكرها المقتطف في مجلده الرابع والسبعين ص ٢٢٨ .

١١ ـ المجلة الطبية الشرعية المصرية : توقفت عن الصدور وكان يرأس تحريرها السكرتير الفني لمصلحة الطب الشرعي .

١٢ — مجلة حكيم البيت: صاحبها الدكتور ابراهيم ناجي وقد ذكرها المقتطف في مجلده الرابع والثمانين ص ٣٨٣ .

١٣ — المجلة الطبية العلمية: صاحبها الدكتور فؤاد غصن ظهرت في بيروت ، وعنيت باللغة والابحاث العلمية عناية ممتازة وقد اشترك في تحريرها عدد كبير من أطباء العرب وبعض الاساتذة في كلية الطب بدمشق .

١٤ — مجلة المعهد الطبي العربي بدمشق : ورأسها المغفور له الاستاذ مرشد خاطر وحرر فيها أساتذة كلية الطب بدمشق فضمت البحوث الأصلية التي أعدها أعضاء الهيئة التدريسية في الكلية المذكورة : وقد حرر فيها خلال مدة من حياتها اساتذة غربيون من كلية الطب في باريز أو غيرهم من الأساتذة الفرنسيين كما أن عدداً من الأبحاث الأصلية التي نشرت فيها نقلت الى المجلات الفرنسية الطبية مثل :

مجلة أمراض البلاد الحارة التي تصدر في باريز[1] ، مجلة الطباعة الطبية التي تصدر في باريز[2] ، مجلة العالم الطبي التي تصدر في باريز[3] ، مجلة اسبوع المشافي التي تصدر في باريز[4] .

١٥ — مجلة المعهد الطبي العراقي : مجلة كانت تصدرها عمادة كلية الطب ببغداد صدر أول عدد منها في كانون الثاني سنة ١٩٢٥ ثم توقفت . ساهم في تحريرها الاستاذ هاشم الوتري ، الدكتور جميل دلالي ، الدكتور وصفي محمد علي والدكتور محمد خالد الشابندر .

١٦ — مجلة كلية الطب في العراق : تصدرها العمادة . رأس تحريرها الدكتور هاشم الوتري وقد صدر أول عدد منها سنة ١٩٤١

---

١ - Revue des maladies des pays chauds .

٢ - La presse médicale ٤ - La semaine des hôpitaux.

٣ - Le monde médical .

١٧ - مجلة المهن الطبية : تصدرها نقابة ذوي المهن الطبية الممثلة للأطباء البشريين والبيطريين وأطباء الأسنان باللغتين الانكليزية والعربية. بوشر باصدارها سنة ١٩٥٣ ورأس تحريرها على التوالي الدكتور وصفي محمد علي فالدكتور عادل أحمد حقي .

١٨ - مجلة الكلية الطبية يرأس تحريرها الدكتور فيصل طبيخ وتصدرها عمادة كلية الطب ببغداد وقد صدر العدد الأول خلال شهر كانون الثاني ١٩٥٩ .

١٩ - المجلة الطبية العسكرية العراقية : تصدرها مديرية الأمور الطبية في وزارة الدفاع وقد اصدر أول عدد منها في شهر تموز ١٩٦١ .

٢٠ - المجلة الطبية الأردنية : وهي مجلة حديثة العهد تصدر في عمان باللغتين العربية والانكليزية يحرر فيها نخبة من أطباء الأردن وفي مقدمتهم مدير الأمور الطبية العسكرية اللواء الدكتور عبد السلام المجالي .

٢١ - مجلة النقابة الطبية في الجمهورية العربية السورية : تميزت من غيرها أن المقالات التي تكتب فيها تذيل بخلاصة عنها بالانكليزية أو الفرنسية أو باللغتين على السواء .

٢٢ - المجلة الطبية في الشرق الأوسط [1] وقد البست من جديد حلة قشيبة فزودت بخلاصات عن الابحاث المكتوبة ترجمت الى اللغات الانكليزية والتركية والفارسية واليونانية وكان للأستاذ الدكتور بونتوس [2] أثر كبير في تطورها .

هذا ومن واجبنا أن نقول أن للأساتذة العاملين في كليات الطب في مصر وبيروت بحوثاً أصيلة عديدة تولت نشرها مجلات الطب الاميركية والانكليزية والفرنسية . أما مانشر من الأبحاث الطبية لأطباء عرب في بلاد غربية فلم يتيسر لنا جمع معلومات كافية عنها مع تأكيدنا بأن عددهم غير قليل .

---

١ - Revue médicale du moyen orient .

٢ - Ponthus .

الباب السادس

الطب عند العرب بعد استقلال بلادهم

لقد كان من استقلال البلاد العربية وتمتعها بحريتها مامكنها من أن تشاهد الهوة التي تفصل بينها وبين العالم الغربي فى جميع الميادين ، ولاسيما في الميادين الطبية والصحية ، لذلك شرع كل منها في العناية بهذة الناحية ، فزاد الوعي الصحي ، وزيد عدد المشافي ، وكثرعدد كليات الطب ، وأخذت البلادالمحرومة من تدريس الطب توفد بعثات عديدة للدراسة والتخصص كما أنها أخذت تفكر في إحداث مدارس طبية عندها ، وقد شرع بعضهم في اعداد الوسائل الكفيلة بهذا العمل ، كما أن البلدان العربية التي تنعم بوجود المدارس الطبية في اراضيها - الجمهورية العربية المتحدة ، الجمهورية العربية السورية ، لبنان ، العراق ، السودان ، الجمهورية الجزائرية - بدأت توفد البعثات تلو البعثات للتخصص ، بحيث يمكن أن يقال أن في البلاد العربية كلها وثبة علمية في جميع متطلبات الحياة ولاسيما في الطب والصحة . ومن الأمور المحببة الى النفوس أن يكون الوعي الصحي عند الناس قد زاد كثيراً فاخذوا يطالبون المسؤولين بزيادة سبل الوقاية والمعالجة ، وكان المسؤولون يستجيبون الى هذه النداءات بل يستبقونها بقدر ماتسمح لهم الامكانيات .

وقد نتج من تحسين الوسائل العلمية والعملية وتوفير الاختصاصيين وزيادة عدد

المستوصفات ودور التوليد والمشافي في البلاد العربية كلها أن أصبح الناس يرغبون في الاستشفاء فيها بعد أن كانوا يرغبون عنها ، وصار الناس يطالبون بتنفيذ سبل الوقاية بعد كانوا يعرضون عنها ، وما أن شعروا بقيمة اللقاحات الواقية حتى أصبحوا يطالبون بتعميم التلقيح أو التطعيم أو التحصين ضد أي مرض وبائي ، وهكذا صار الناس يقبلون على التلقيح ضد الجدري والهيضة والحمى التيفية والسل والخناق ، الدفتريا ، والكزاز ، والسعال الديكي ، الشهقة ، بطيبة خاطر ، لابل عادوا يلحون في اكمال وسائل الوقاية ، حتى أنه ما كاد يعرف اللقاح المضاد للشلل ويتأكد الناس من نفعه وعدم محاذيره حتى أقدم الكثيرون على تحصين أولادهم ضد المرض المذكور بلقاحه الخاص .

وكما انتشرت فكرة الوقاية المبنية على الأسس الحديثة ، انتشرت فكرة الاعتماد على المخابر في التشخيص وعلى الجراحة في المعالجة ، بعد ان كان الناس يعرضون عنها ، ويقال مثل ذلك في اقبال الناس على قبول أساليب المعالجة الحديثة من فيزيائية ودوائية . ولقد اتسعت العناية الصحية بالاطفال والحوامل ، فاوجدت مراكز عديدة لرعاية الأم والطفل حيث يقدم للوالدة الارشاد الصحي ، ولولدها الغذاء الاضافي الذي قد يحتاج اليه : كما تقدم جميع وسائل الوقاية من الامراض الوبائية ووسائط معالجتها . وكوفحت أيضاً عوامل انتقال الامراض المستوطنة كفاحاً جماعياً ، وذلك بشروعات مكافحة البرداء والزهري والقرع والبلهارسيا ، وكان لذلك أثره الكبير في رفع القيمة الانتاجية للفرد .

لقد كانت خطط التقدم الطبي ورفع المستوى الصحي ومباشرة تنفيذ تلك الخطط من أجل ما تعني به الدول العربية في مجالات الاسعاف والوقاية والعلاج ، فعملت على توفير الوسائل والمنشآت اللازمة لهذه الخدمات ، ولقد قارب القضاء على البرداء من النهاية في أكثر البلاد العربية وانتهى في بعضها ، وبات التلقيح

ضد السل في آخر مراحله في كثير من البلاد العربية وبوشر في بعضها وزيد في عدد المؤسسات العاملة على كفاحه ، وعمم التصوير الجماعي لكشف السل ووسعت أعمال الخدمات الصحية في الريف والبادية ، ووسعت أيضاً أعمال نشر الدعاية الصحية ، وزيد في عدد المخابر ، وعني عناية خاصة بدوائر الاحصاء الحيوي ، وبوشر بتأمين خدمات نقل الدم ، ووضعت الخطط لتوسيع هذا العمل ، وبوشر بتنفيذها ، وتوسعت أعمال الخدمات الصحية المجانية ، ولقد زيد في عدد الأطباء والممرضين والصيادلة بفضل ماتخرجه كليات الطب العربية من أطباء وصيادلة وممرضات ، وما احدثته دوائر الصحة من مدارس لتخريج الممرضات ، كما زيد عدد المشافي ، واستكملت وسائلها ، ووسعت مصحات الدرن ، وزيد في استيعابها ، وزيد في عدد المستوصفات ، وجهزت بوسائل التشخيص فيها ، وزيدت العناية بالمحاجر الصحية ، ورفع عدد مراكز رعاية الطفولة والامومة ، وافتتحت دورات تدريبية فيها للاطباء والقابلات والممرضات والزائرات الصحيات ولقد جعلت وزارات الصحة في البلاد العربية القول القائل درهم وقاية خير من قنطار علاج هدفاً لها ، وقد أيقن الناس جميعهم من مسؤولين وسائلين ان الوقاية تجارة رابحة يجتنى منها ربح في كفاءة الافراد الانتاجية لايضمنها دائماً العلاج ، كما أن تكاليف الوقاية أقل من تكاليف العلاج بما لايقاس ، وشعر الجميع أن سلامة المجتمع وقوته وزيادة طاقاته الانتاجية ورفع مستواه في جميع النواحي رهن بسلامة صحة الافراد وسلامة صحة البيئة التي يعيشون فيها ، والأمل معقود على مافي البلاد من وعي صحي وعلى مايتحلى به المسؤولون من اخلاص للعمل وقدرة على السير قدماً ، ان يتم تطوير البلاد العربية كلها تطويراً صحياً رائعاً بحيث يعود المستوى الصحي في بلادنا العربية معادلا للمستوى الصحي في البلاد المتقدمة ، في عهد قريب جداً ان شاء الله .

خلاصة القسم الخامس عن الاسلام والطب وتاريخ الطب عند العرب .

الطب النبوي : كان النبي يداوي نفسه ويأمر بذلك لمن أصابه مرض من أهله وأصحابه ، وكان غالب أدويته مفردة لا مركبة ، ولقد ورد في ذلك أحاديث عديدة جاء ذكرها في كتاب الأحكام النبوية في الصناعة الطبية وغيره من الكتب التي أطلق عليها عنوان كتب الطب النبوي .

حارب الرسول الايمان بالتطير والطيرة والتولة والتمائم والعيافة والتكهن والعرافة والتنجيم والسحر وما الى ذلك ، وجوّز الفأل والاسترقاء .

التمريض عند العرب في فجر الاسلام : اذا كان الغرب يفخر بالممرضة الانكليزية نايتنغل التي خرجت من الطبقة النبيلة تدعو النساء الى احترام مهنة التمريض واعتباره عملاً شريفاً ، فان من واجبنا في هذا الكتاب أن نسوم بهذا الفخار المرأة العربية . كان العرب يطلقون اسم الآسيات والأواسي على النساء العربيات اللاتي يعملن في تضميد الجراح وجبر العظام والوقاية من النزف وغير ذلك من اعمال الاسعاف . كان منهن أمينة بنت قيس الغفارية خرجت زعيمة للآسيات الممرضات ولما تبلغ السابعة عشرة من عمرها ، وام سليم قال فيها أنس إن رسول الله كان يغزو ومعه أم سليم ومعها نسوة من الأنصار يستقين الماء ويداوين الجرحى وام سنان الاسلمية وقد اشتركت ممرضة في غزوة خيبر وام ايمن حضرت أحداً وكانت تسقي العطشى وتداوي الجرحى وحمنة وكان موقفها في أحد مما تزل دونه أقدام الرجال ، فقد كانت تغشى الموقعة فتحمل الجريح وتعود به حيث تأسو جراحه والربيّع بنت معوذ كانت تسقي القوم في الغزوات وتخدمهم وتداوي الجرحى وترد القتلى الى المدينة .



الشكل (٧٢)

نموذج من بناء المدارس الجامعة عند العرب

الطب العربي وتاريخه : يقصد بالطب العربي مجموعة الآراء العلمية الطبية التي حوتها مؤلفات الأطباء العرب أو الأطباء الذين كتبوا باللغة العربية ، تلك الآراء المستوحاة من الطب القديم وخاصة منها اليوناني ، والتي زينت باضافات نفيسة من الطب الهندي أ والفارسي والسرياني . على أن ما يطبع الطب العربي بطابعه الخاص هو جمعه علوم الأولين في باقة أزهار عطرة وتقديمها تحفة ثمينة سهلة المنال الى العالم . لقد تم نقل العلوم اليونانية ولا سيما الطب الى اللغة العربية بأمر الخلفاء الامويين والعباسيين ثم قدمت مجموعات هذه العلوم بعد خمسة قرون الى أوربا — التي بدأت تشعر بظمئها للعلم — كنزاً ثميناً .

الشكل (٧٢)

نموذج من بناء المدارس الجامعة عند العرب

وكانت بعضها مساجد وجامعات في آن واحد

سهل بن الطبري كما كان مولده ومنشؤه بطبرستان ، يتصرف في خدمة ولاتها ويقرأ علم الحكمة ، وقد جرت فيها فتنة فاخرجه اهلها الى الري فقصد بغداد واستقر في سر من رأى وألف فيها كتابه المشهور « فردوس الحكمة » وهو موسوعة مشتملة على علوم طبية ، وغير طبية ، وقد اقتبس ماجاء فيها من مصادر يونانية وهندية .



الشكل (٧٤)

لباس الطبيب في طبرستان الاسلامية

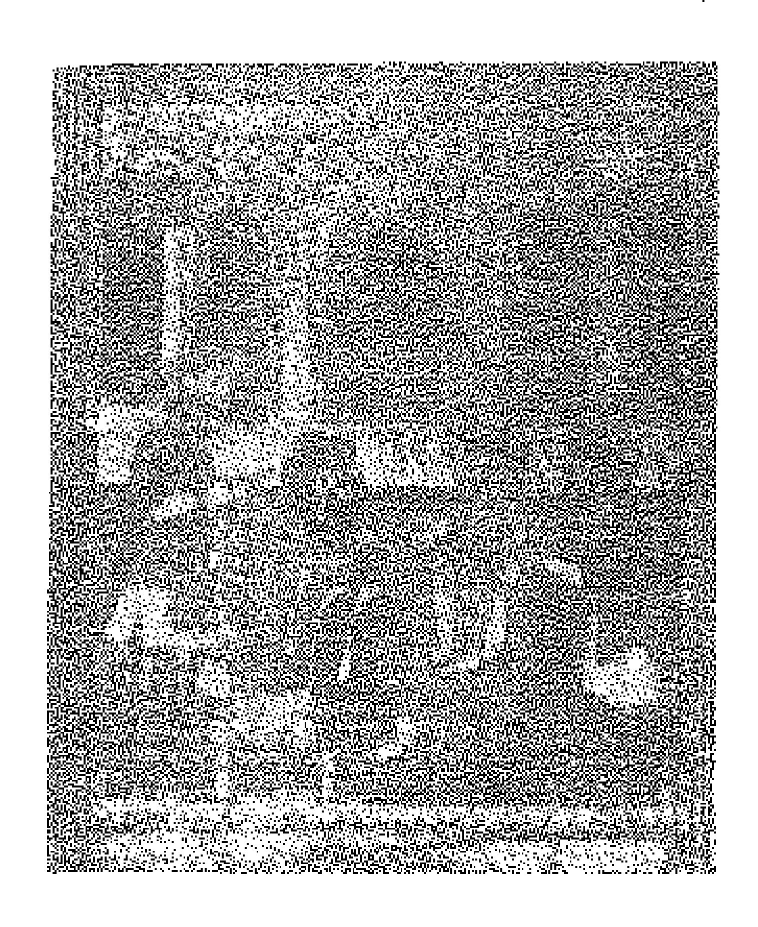
قسطا بن لوقا البعلبكي الشامي (٨٢٠ - ٩١٢ م) : نقل قسطا كبيراً من كتب اليونانيين الى اللغة العربية ، وكان جيد النقل .

أبو داود سليمان بن حسان المعروف بابن جلجل : من أطباء القرن العاشر الميلادي ، أصله من صقلية ، عاش في قرطبة . وقد فسر أسماء الأدوية المفردة من كتاب ديسقوريدس وأفصح عن مكنونها .

مشاهير أطباء العرب : عديدون منهم : أحمد بن الطيب السرخسي : توفي سنة ٨٩٩ م والرازي وقد عاش بين ٨٥٠ و ٩٣٢م وعلي بن العباس الأهوازي (المجوسي) وقد توفي سنة ٩٩٤ م وأبو نصر الفارابي وكان عالما فاضلا ، متجنباً عن الدنيا، وكانت له قوة في صناعة الطب ، توفي بدمشق سنة ٣٣٩ هـ أي ٩٥٠م وابن الجزار توفي سنة ١٠٠٩ م وعلي بن عيسى وقيل عيسى بن علي الكحال وقد توفي سنة ١٠١٠ م أي ٤٠٠ هـ وابن سينا عاش بين ٩٨٠ و ١٠٣٧ م وابن الهيثم عاش بين ٩٦٥ و ١٠٣٩ م وأبو الفرج بن الطيب توفي سنة ١٠٤٣ م والبيروني عاش بين ٩٧٣ — ١٠٤٨ م وأبو الحسن علي بن رضوان بن علي بن جعفر عاش بين ٩٩٨ و ١٠٦١ م وابن الشبل البغدادي توفي سنة ١٠٦٥ م وابن جزلة وقد توفي سنة ١٠٨٠ م وأبو قاسم خلف الزهراوي توفي سنة ١١٠٧ م وأنجبت أسرة ابن زهر خلال ستة أجيال متتابعة عدداً من الأطباء المشهورين في الأندلس اشتهر منهم الحفيد ابن زهر ، على أن اشتهاره بأدبه كان أكثر من اشتهاره بطبه وأمين الدولة بن التلميذ عاش بين ١٠٧٣ و ١١٦٤ م وأبو الوليد محمد بن أحمد بن محمد رشد وموسى بن ميمون بن عبد الله القرطبي عاش بين ١١٣٥ و ١٢٠٤ م وعبد اللطيف البغدادي عاش بين ١١٦٢ و ١٢٣١م ورشيد الدين بن الصوري عاش بين ١١٨٧ و ١٢٤١ وضياء الدين البيطار توفي سنة ١٢٤٨ م ، ويعرف بابن البيطار وابن أبي أصيبعة عاش بين ١٢٠٣ و ١٢٦٩ م وأبو الفرج ابن القف توفي سنة ٦٨٥هـ وابن النفيس الدمشقي عاش بين ١٢١٠ و ١٢٨٨ م .

تعليم الطب ودور المرضى والمشافي العربية : لقد تبارى الخلفاء ووزراؤهم

وملوك العرب وسلاطينهم وذوو الجاه والثروة وأهل العلم في ترقية الطب، ففتح الخليفة المنصور العباسي مدرسة طبية في بغداد ، وشاد هارون الرشيد مدرسة في دمشق . وانشأ الخليفة الناصرلدين الله الأموي الأندلسي مدرسة قرطبة ، ثم كثر في الشرق والغرب عدد المدارس المعدة لتعليم الطب والجراحة ، فكان عدد مدرسي الطب وطلبته ورجال الندوة العلمية في بعضها يزيد على ستة آلاف نفس ، وانشئت في الأندلس غير مدرسة قرطبة ثلاث مدارس اخرى في اشبيلية



الشكل (٧٥)

طبيب يفصد مريضاً وكان لجوء الاطباء العرب الى الفصد قليلا

وطليطلة ومرسية ، وأشهرها مدرسة قرطبة . وكانت تدرس الطب ، وكان الجامع الأزهر يدرس سنة ٣٥٩ هـ (٩٦٩ م) الطب وعلوم الصحة والكيمياء

بالاضافة الى علوم الدين ، وكان يلحق بكل مدرسة مستشفى يتمرن فيه طلاب الطب على الدروس السريرية . ثم انتشرت المدارس الطبية في كثير من مدن الشرق والغرب العربيين، وكثر عدد الأطباء ، فكانوا كواكب متألقة في سماء الحضارة تستضيء بها الشعوب قاصيها ودانيهـا ، وقد ضمت دمشق وحدها بين أسوارها الفخمة في عصور الحضارة العربية الاسلامية مدارس عديدة للطب في آن واحد . وقد عني الأطباء العرب باقامة أماكن لايواء المرضى ومعالجتهم ، فكان عندهم مشافي ثابتة ومشافي متنقلة ، أما المشافي الثابتة فنها ماهي عامة ومنها ماهي خاصة .

المشافي العامة : كان منها في كل مـدينة كبرى في الدولة العربية الاسلامية مستشفى عام واحد على الأقل للعناية بالمرضى .

المشافي الخاصة : هي مشافي الأمراض الخاصة ، اشهر منها المجاذم والمارستانات

المجاذم : أول مؤسسة عرفت هي مجذمة الوليد بن عبد الملك في دمشق سنة ٨٨ هـ ـ ٧٠٧ م . ثم تعددت الملاجيء بعد ذلك في مختلف البلاد العربية لبذل العناية الانسانية لهؤلاء التعساء .

المارستانات : تأسست في أوائل التاريخ العربي الاسلامي وخاصة في عهد الدولة الأموية للعناية بالذين أصابهم مس او اعتراهم ضعف عقلي .

مشافي الاسعاف الاولي : كان النبي صلى الله عليه وسلم أول من أمر بالمستشفى الحربي المتنقل في الاسلام ، فقد روى أن رسول الله قد جعل سعد بن معاذ في خيمة لامرأة من أسلم يقال لها رفيدة الاسلمية كانت تداوي الجرحى .

المشافي الحربية : كان للجيش مشافي حربية يشرف عليها جراح خاص

ملحق بالخليفة، وكلما ذهب الخليفة الى الحرب أخذ معه أطباءه للعناية به، وبجيشه.

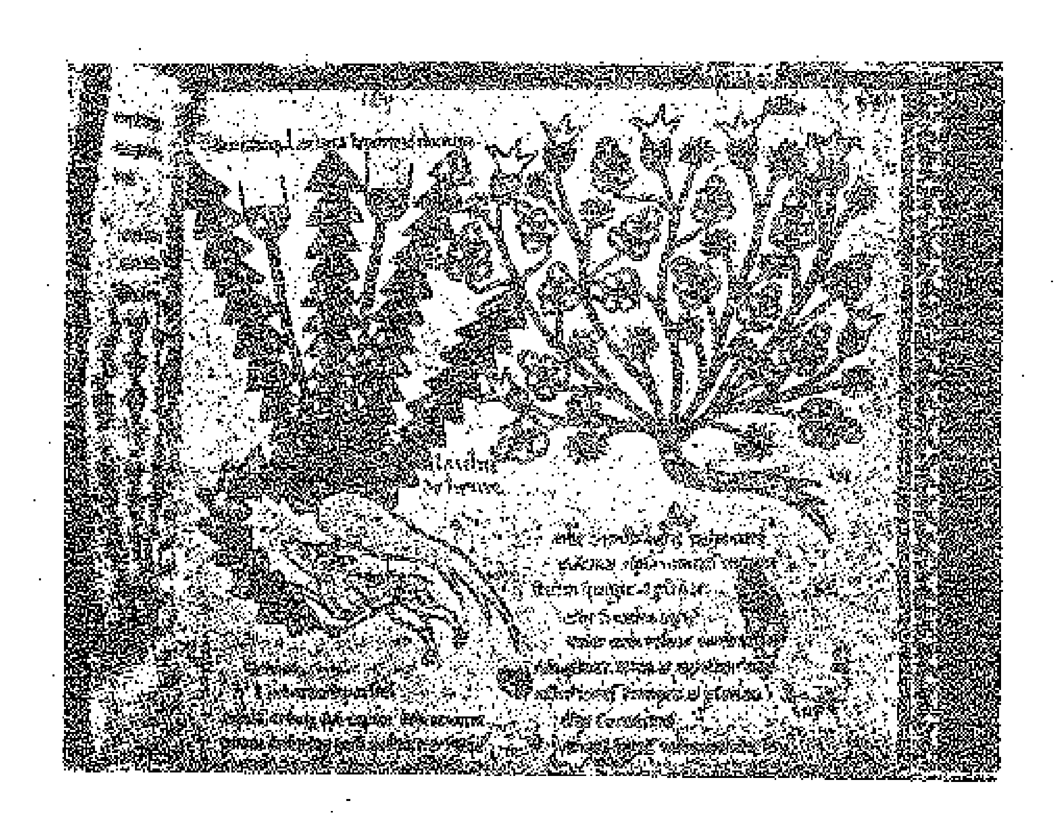
البيمارستان المحمول : هو المستشفى الذي ينقل من مكان الى مكان بحسب ظروف الأمراض والأوبئة وانتشارها وكذا الحروب.

مميزات الطب عند العرب في القرون الوسطى : كان الطب عند العرب في القرون الوسطى صناعة نبيلة لا يسمح بتعاطيها الا لمن حصل على خبرة واسعة في الطب وأعد لذلك إعداداً علمياً وخلقياً يكفل حسن عنايته بالناس وتطبيبهم والاطلاع على أسرارهم المتعلقة بحاضر صحتهم وماضيها . وأما عنايتهم بالمعالجة فكانت عظيمة الشأن . وقد وضع العرب في أنظمتهم تشريعاً ينظم صناعة الطب، عرّفوا به بما للأطباء وما عليهم ، وقد جعلوا الاشراف على هذا التنظيم من واجبات المحتسب .

الطب العربي في الغرب : لقد تم احتكاك الغرب بالعرب في ثلاث جهات: مناطق الحروب الصليبية في الشرق ، صقلية وايطاليا في جنوبي أوربا، والاندلس في الغرب حيث كانت الثقافة العربية واسعة الانتشار . ولقد كان لبعض هذه المدارس والجامعات الغربية التي تأثرت بالثقافة العربية شأن عظيم في النهضة الطبية في أوروبا، ونخص بالذكر منها مدرسة سالرنو ومونبلية وبولونيا الايطالية وبادوا وغيرها.

مدرسة سالرنو : لقد كانت سالرنو حلقة اتصال بين الشرق والغرب قبل بزوغ النهضة في اوروبا، ولبثت مدة قرنين كاملين عاملة على استمرار نقل الطب العربي الى أوربا. ولا بد لنا حين البحث عن معهد سالرنو من البحث عن جنسية من حباه بمقام رفيع، ونعني بذلك قسطنطين المترجم . لقد كانت جنسية قسطنطين موضع بحث ومناقشة مدة طويلة ، وقد اتفق أخيراً على عروبته وإسلامه جميع الباحثين . ويعتبر القرن الثالث عشر عصر ترجمة الكتب العربية للغة اللاتينية ومبدأ عصر ازدهار وتقدم في أوربا ، وقد بلغ عدد الكتب المطبوعة المترجمة من العربية الى اللاتينية التي

أحصي عددها مايقرب من خمسة آلاف كتاب ، وهكذا اجتاحت موجة الثقافة العربية الأقطار الغربية حاملة في ثناياها العلوم اليونانية كلها والعلوم الشرقيـة بأسرها ، فكان فضلها على العالم عظيماً وعلى أوربا كبيراً .



الشكل (٧٦)

صورة ورقة من كتاب طبي في النبات تم نقله من اللغة العربية الى اللغة اللاتينية

مدرسة مونبلييه : ان المعلومات التاريخية عن مونبلية قبل القرن الثامن ضئيلة جداً ، لقد انتقلت الى مونبلية علوم العرب التي ترجمت في طليطلة بحيث يصح القول أن لطليطلة الأندلسية الأثر الأكبر في اليقظة العلمية والثقافة في أوربا .
ولقد شاهد ختام القرن الثاني عشر بدء انحطاط المدنية العربية في الطرف الغربي من العالم الاسلامي ، فهجر الأندلس عدد كبير من العلماء العرب قاصـــدين مونبلية ، حيث استقر فيها عدد كبير من العلماء المهاجرين ، وكانت هذه الحركة

عاملاً بعيد الأثر في سرعة نشوء مونبليه كمركز علمي عظيم الشأن . وتمتاز جامعة مونبلية عن غيرها باعتراف أساتذتها الباحثين بفضل العلم العربي على العالم وعلمائه.

جامعة بولونيا في ايطاليا: وجدت في القرن الثالث عشر ، اشتهرت بتبنيها آراء ابن زهر ، وكان فيها مدرسة طبية تأثرت بالعلوم العربية .

جامعة بادوا ، أو بادوفا : أسست سنة ١٢٢٨م بتحريض جمهرة من طلاب جامعة بولونيا ، وكانت هذه الجامعة تتقبل آراء ابن رشد ، وقد حصلت على عدد كبير من الكتب العربية .

هذا ويمكن القول بصورة عامة أن الجامعات الغربية كلها في القرون الوسطى تأثرت بالعلوم العربية وكان طلابها من ملل ونحل مختلفة .

الطب عند العرب في غفوتهم : لقد شع من علم الأطباء الذين نبغوا في القرن الثالث عشر للميلاد نور متألق كالنور الذي ينبعث من الشمعة قبيل انطفائها . واننا لنكتفي بالتوسع في سيرة واحد منهم داود الأنطاكي .

داود الانطاكي : هو داوود بن عمر من أصل سوري ، ولد في أنطاكية سنة ٩٥٠ هـ ١٥٤٤ م وتوفي سنة ١٠٠٨ هـ - ١٥٩٩ م له تآليف ، منها شرح قصيدة ابن سينا في الروح ، وكتاب البهجة وكتاب الدرة المنتخبة فيما صح من الأدوية المجربة ، وكتاب غاية المرام ونزهة الأذهان في اصلاح الأبدان ، ومنها التذكرة الصغرى ، والتذكرة الكبرى في الطب ، وهذا الكتاب هو أشهر مؤلفات الأنطاكي وأكثرها ذيوعاً . وقد طبعت تذكرته هذه لأول مرة في سنة ١٢٥٤هـ ١٨٣٨ م ، ثم أعيد طبعها بضع مرات وعلق عليها الكثيرون .

ولقد استمر الانحطاط في القرن السابع عشر ، فمضى لا تجديد فيه ولا جديد ، الا النظر في قضايا قديمة لاكتها الألسن قديماً . وكان القرن الثامن

عشر تتمة ماسبقه من ضعف في بطء الحركة العلمية ، وقد اقتصر الطب حينئذ على وجود متطببين في المدن الكبرى فقط ، أما في المدن الصغرى والقرى فكان يتعاطى المهنة الطبية أشخاص توارثوها عن الآباء والأجداد .

الطب عند العرب في صحوتهم : تناسب هذه المرحلة بدء كفاح العرب ضد الاجانب الذين سيطروا على البلاد العربية ليستثمروا خيراتها ويضمنوا رفاههم على حساب بؤس أهلها ، وليبلغوا — أولاً وأخيراً — هدفهم القديم ألا وهو : القضاء على العروبة واللغة العربية .

ولقد تميز النصف الثاني من القرن التاسع عشر من نصفه الاول بتباشير العلوم الرياضية والطبيعية تفد على بلاد الشام عن طريق الديار المصرية ، حيث وجدت في القاهرة مدارس للطب وغيره من العلوم تخرج فيها كثير من المصريين ، وبعض أفراد من الشاميين ، وأخذت تبعث من أنوارها أشعة نافعة على بلاد الشام . وانشئت — في الوقت نفسه — المدارس العالية في الآستانة : منها المدرستان الطبيتان المدنية والعسكرية ، فاخذ بعض أفراد من الشاميين يدرسون فيها ، وفي عام ١٨٦٦ م أسست المدرسة العلمية السورية الانجيلية واحدثت في عامها التالي الفرع الطبي ، وكانت لغة التدريس فيه العربية . ولو أن الكلية الاميركية أبقت لغة التدريس بالعربية ولم تجعلها بالانكليزية منذ أول القرن العشرين لتضاعفت الفائدة . وكما انبعثت في القرن الماضي شعلة الثقافة الاميركية والتبشير بالمذهب الانجيلي من الجامعة الاميركية ، انتشرت الثقافة الفرنسية والتبشير الكاثوليكي من كلية القديس يوسف اليسوعية الفرنسية ، إذ تأسست في عام ١٨٨٣ م المدرسة الطبية الفرنسية في بيروت فاسهمت في نشر الطرق الطبية الحديثة ، كما أوجد العثمانيون عام ١٩٠١ م المدرسة الطبية بدمشق ، وكان قبل ذلك متعلمو الطب من الشاميين يفزعون الى مصر وبيروت والآستانة للدراسة فيها والحصول على اجازات من معاهدها .

وبدأت في هذا الوقت تظهر تأثيرات الأجانب في التربية العلمية ، واختص هذا القرن أيضاً في بلاد الشام بان تجلت فيه فائدة العلوم ، فصار المقتدرون من الناس يعلمون أولادهم ، وانبعثت جذوة العلوم الطبية والطبيعية من جديد . ومما لاشك فيه أن مدرسة الطب بدمشق كانت ذات أثر كبير في النهضة الحديثة ، لا في سورية فحسب بل في غيرها من البلاد العربية .

مدارس الطب عند العرب في يقظتهم :

مدرسة قصر العيني الطبية : يرتبط تاريخ المدرسة الطبية في القاهرة بسيرة كلوت بك الذي استدعاه المغفور له محمد علي الكبير وعهد اليه سنة ١٨٢٥ بتنظيم مصلحة الصحة العسكرية في مصر وترتيبها ، فبذل قصارى جهده في هذا السبيل ، وقد رأى محمد علي سنة ١٨٢٧ م أن يوصل منافع الصحة للأهلين ، لذلك فكر في اتخاذ الوسائل المؤدية لتخريج الأطباء فذاكر بهذا الأمر نخبة من العلماء الذين قرّبهم منه ، بينهم كلوت بك ، فأشاروا عليه بايجاد مدرسة تخرج الأطباء ، فأمر بانشائها ، وألحق بالمدرسة حديقة لتعليم النبات وجمعت مجموعة من الحيوانات ، كما احدث مدرسة لتخريج القابلات ، وقد تولى رياستها رجال أعلام منهم الدكتور عيسى حمدي ، وحسن باشا محمود ، وكانت لغة التدريس اللغة العربية . ومما لاشك فيه أن تبديل العربية باللغة الانكليزية في المدارس الطبية المصرية كان بوحي من المستعمر الذي استطاع أن يجد رجالا ينطقون بلسانه وينفذون رغباته .

مدرسة الطب الاميركية في بيروت : منذ سنة ١٨٦٢ م خطر للدكتور دانيال بلس وغيره من المرسلين الاميركانيين في سورية أن يسعوا الى انشاء مدرسة كبيرة لتعليم العلوم العالية ، ففتح باب المدرسة لطلبة الطب ، وقد بذل اساتيذ المدرسة جهدهم في التأليف وجمع المجاميع العلمية ، أما تآليفهم فكثيرة ، وأما مجاميعهم فمنها مكتبة كبيرة فيها كثير من الكتب العربية المخطوطة ،

ومجموع للأصداف والمتحجرات تولى ادارته الدكتور ادون لويس ، ومجموع للنبات وهو من المجاميع الكبيرة الواسعة ولاسيما في نباتات سورية ، وتولى إدارته جورج بوست ، ومجموع للتشريح ، فيه كل مايلزم معرفته بكلية الطب ، تولى إدارته الدكتور يوحنا ورتبات ، ومجموع للحيوانات فيه كثير من الحيوانات المصبرة ومجموع للكيمياء ، وآخر للفلسفة الطبيعية ، وألحق بالمدرسة الكلية مستشفى كبير لتطبيب المرضى ، مما لابد منه في مدارس الطب ، وكانت لغة التدريس في كلية الطب الاميركية ببيروت اللغة العربية ، ثم أحلت الكلية اللغة الانكليزية سنة ١٨٨٣ محل اللغة العربية .

المدرسة الفرنسية للطب في بيروت : تداعى الى انشاء كلية الطب الفرنسية في بيروت سلطتان ، أحداهما حكومية وهي الجمهورية الفرنسية والثانية دينية وهي ارسالية اليسوعيين الى سورية ، وبدأت المدرسة عملها سنة ١٨٨٣ م .

تعليم الطب ومدرسته في دمشق : استطاع بعض رجال الفكر العربي ان يقنعوا الحكومة التركية في مطلع القرن العشرين بفتح جامعة عربية في دمشق ، فاصدر في ٢٧ ايلول سبتمبر ١٩٠١ م السلطان عبدالحميد أمره بانشاء مدرسة لتعليم الطب بدمشق ، وكانت لغة التدريس فيها اللغة التركية .

وبعد أن دخلت تركيا غمار الحرب العالمية الأولى ترك الآباء اليسوعيون مدرستهم الطبية في بيروت فنقلت مدرسة دمشق اليه وظلت فيها حتى اعلان الهدنة سنة ١٩١٨ وعاد الآباء اليسوعيون الى مدرستهم في بيروت ، فانقضت بانسحاب الاتراك حياة مدرسة الطب العثمانية بعد أن استمرت من عام ١٩٠٣ الى ١٩١٨ وتخرج فيها ١١٠ أطباء و١٥٢ صيدلياً .

المعهد الطبي العربي ومدرسة الطب بدمشق : قام في دمشق جماعة من طلاب المدرسة الطبية القدماء الذين توقفت دراستهم اثناء الحرب وعقدوا اجتماعاً

قرروا فيه مطالبة الحكومة العربية بفتح المدرسة الطبية ثانية ، وقدمت نخبة طبية من رجال الشام الى اقناع الدولة بضرورة اعادة مدرسة الطب . واستطاع الدكتور رضا سعيد بما كان له من حنكة ودراية ، لا أن يبقي على حياة المعهد الطبي فحسب ، بل أن يوفر له الأزدهار والنماء ولاسيما الابقاء على التدريس فيه باللغة العربية ، وقد تمكن الدكتور رضا سعيد من التغلب على نقص الاساتذة بان ألف لجنة طبية اختارت اساتذة كلية الطب ممن امتازوا بين أطباء سورية ، فملئت بذلك الامكنة الشاغرة . وفي الوقت الذي كانت تنظم فيه الدروس ، كانت تنشأ المخابر تدريجياً ، وفي سنة ١٩٢٤م الحق بالمعهد الطبي (طب وصيدلة) فرعان للقبالة والتمريض ، وشعبة لطب الاسنان ، وما أن استكملت كلية الطب وسائلها حتى رأت حاجه ملحة الى اصدار مجلة عربية ، وقد تم ذلك سنة ١٩٢٤ م .

كلية الطب اليوم : لقد كان المعهد الطبي العربي - ومازال - المعهد الوحيد في سائر الأقطار العربية الذي استخدم اللغة العربية برباطة جأش وطول أناة ، إذ أنه منذ تأسس كان عربي اللغـــة والروح ومابرح يخدم اللغة ، من نبش المصطلحات القديمة التي اخفى عليها الدهر ، الى تعريب الألفاظ العلميـــة التي لم يعرفها العرب الى النحت والاشتقاق ، وغير ذلك من الجهود الشاقة التي تتطلب في الأفراد توقد الهمم وشد العزائم .

كلية الطب في حلب : أعد مشروعها ولم تباشر بعد عملها .

كلية الطب ببغداد : لقد تأكد أنه لاتقدم يرجى في حالة البلاد الصحية اذا لم يتوفر عدد من الأطباء العراقيين للعناية بصحة السكان وقائيـاً وعلاجياً . لذلك انشئت كلية طب في بغداد .

كلية الطب في الموصل : ادركت السلطات المسؤولة أن كلية الطب في بغداد مهما بلغت من التوسع فانها سوف لاتفي بحاجة البلاد التامة للأطباء في

الحاضر أو في المستقبل ، لذلك شرع بانشاء كلية جديدة للطب في مدينة الموصل . فباشرت عملها وأخذت تخرّج الأطباء .

الحالة الصحية عند العرب في مرحلة يقظتهم : لقد تميز النصف الثاني من النصف الأول من القرن التاسع عشر بتباشير نهضة علمية مباركة ووعي صحي يبشر بالخير . ولقد أخذ طلاب العلوم في الربع الثاني من النصف الأول من القرن العشرين يتوافدون على مدارس الطب العربية والأجنبية ، فخرّجت هذه المدارس عدداً أكثر من ذي قبل ، مالبث أن توزع في طول البلاد العربية وعرضها ، وشغل نفر منهم مراكز رفيعة ، فتمكنوا من السير قدماً بالنهضة الصحية ونشر الوعي الصحي بين الأهالي ، وبعد أن كان الناس يقصدون المتطببين والدجالين للمعالجة بدءوا بمراجعة الأطباء ، وأخذ الناس يسترشدون بآرائهم لا في المعالجة فحسب بل في الوقاية أيضاً ، ذلك لأن الناس ايقنوا بسراية بعض الأمراض وضرورة اجتنابها بالابتعاد عن المصاب ، واخذ الحيطة في خدمته ، حتى لاينتقل مرضه ، كما أقبلوا على التطعيم ضد الجدري .

الطب عند العرب بعد استقلال بلادهم : لقد كان من استقلال البلاد العربية وتمتعها بحريتها ما مكنها من أن تشاهد الهوة التي تفصل بينها وبين العالم الغربي في جميع الميادين ، ولاسيما في الميادين الطبية والصحية ، لذلك شرع كل منها في العناية بهذه الناحية ، فزاد الوعي الصحي ، وزيد عدد المشافي ، و كثر عدد كليات الطب ، واخذت البلاد المحرومة من تدريس الطب توفد بعثات عديدة للدراسة والتخصص ، كما أنها اخذت تفكر في احداث مدارس طبية عندها .

وقد نتج من تحسين الوسائل العلمية وتوفير الاختصاصيين وزيادة عدد المستوصفات ودور التوليد والمشافي في البلاد العربية كلها أن أصبح الناس يرغبون في الاستشفاء فيها بعد أن كانوا يرغبون عنها ، وصار الناس يطالبون بتنفيذ سبل الوقاية بعد أن كانوا يعرضون عنها . وكما انتشرت فكرة الوقاية

المبنية على الأسس الحديثة ، انتشرت فكرة الاعتماد على المخابر في التشخيص وعلى الجراحة في المعالجة ، بعد أن كان الناس يعرضون عنها ، ويقال مثل ذلك في اقبال الناس على قبول أساليب المعالجة الحديثة من فيزيائية ودوائية . ولقد اتسعت العناية الصحية بالأطفال والحوامل ، فأوجدت مراكز عديدة لرعاية الأم والطفل حيث يقدم للوالدة الارشاد الصحي ، ولولدها الغذاء الاضافي الذي قد يحتاج اليه ، وجميع وسائل الوقاية من الأمراض الوبائية ووسائط معالجتها . وكوفحت أيضاً عوامل انتقال الأمراض المستوطنة كفاحاً جماعيـاً ، وذلك بمشروع مكافحة البرداء والزهري والقرع والبلهارسيا ، وكان لذلك أثره الكبير في رفع القيمة الانتاجية للفرد .

القسم السادس

طب الاسنان

في الغابر والحاضر

الطب وطب الاسنان وأقدم وصفاته الطبية :

كان يظن البعض أن طبابة الأضراس والاسنان حديثة العهد على ان الوثائق التي اكتشفت اخيراً تدل على عكس ذلك كما أن الجماجم القديمة التي وجدت في بعض المدافن تدل ايضاً على أن هذا الفن قديم جداً .

يقول في هذا الصدد الدكتور ج . راث[1] أن صناعة الاسنان قديمة جداً حتى أن القدماء سعوا الى تبديل السن الطبيعية المريضة بسن اصطناعية قبل أن يفكروا في معالجة الاسنان . ويرجع تاريخ أول وثيقة تثبت تبديل السن الطبيعية بسن اصطناعية الى القرن الخامس قبل المسيح حيث وضع الرومان قانوناً حرموا بموجبه وجود الذهب في قبور الموتى واستثنوا من ذلك خيوط الذهب التي تستعمل في ربط الاسنان الطبيعية والصناعية بعضها ببعض . يستنتج من ذلك ان صناعة الاسنان كانت معروفة عند الرومان .

يقول هرمن يونكر الأميركي[1] في بحث نشره سنة ١٩١٤ ان الاضراس

---

١ – Gernot Rath هو احد الاطباء العاملين حالياً في معهد تاريخ الطب في بون.

٢ – Herman Junker .

الاصطناعية التي كشفت في مدافن الجيزة تثبت أن المصريين كانوا أول أمة عنيت بطب الاسنان وانهم هم الذين علموها الى الرومان واليونان ، والواقع أن مدنية راقية قد ازدهرت في الألف الرابع قبل المسيح في وادي النيل حيث كان المصريون على جانب عظيم من الرقي إذ سطعت أنوار معارفهم في ذلك الزمن فامتدت الى كثير من العالم المعروف يومئذ . ولقد وجد في افواه المومياءات المصرية أسنان وأضراس مصلحة بالذهب واضراس اصطناعية من العاج أو من الخشب فضلاً عن أن علماء الآثار اكتشفوا في المدن القديمة عدداً كبيراً من الاسنان الاصطناعية ، كما عثر في الاقصر سنة ١٨٧٣ على مجموعة من الوصفات الطبية يرجع تاريخها الى ما بين ٣٥٠٠ و ١٥٠٠ سنة قبل المسيح فهي والحالة هذه أقدم وصفات طبية لدينا وكان من بينها وصفات خاصة بمعالجة الأضراس والامعاء. وكما كان المصريون متقدمين في طبابة الاسنان كان الفينيقيون واليونانيون أيضاً كذلك ، وقد وجدت في قبورهم بقايا تدل على معرفتهم هذا الفن

وقد كشفت الحفريات التي اجريت في صيدا – لبنان – سنة ١٨٦٤ اسناناً اصطناعية يرجع تاريخها الى القرن الرابع قبل الميلاد كما وجد في القبر نفسه هيكل آله مصري مما يدل على شدة الروابط بين المصريين والفينيقيين ويسمح بالقول بأن الفينيقيين تعلموا هذه الصناعة من المصريين ، وما قيل في هذا الشأن عن الفينيقيين ينطبق على اليونانيين ايضاً . غير أن بعض المؤلفين يرى أن ما وجد في اليونان وكشف في لبنان من اسنان اصطناعية تدل على أن انتقال صناعة الاسنان الى فنيقيا والرومان كان له طريق آخر هو طريق الاتروسكيين[1] الذين كان

١ – الاتروسكيون اقوام من آسيا الصغرى فينيقيو الاصل هاجروا الى ايطاليا فاستوطنوها واشتهروا بفنونهم في القرن الخامس عشر قبل الميلاد .

لهم المام عظيم بفن طبابة الاسنان لأن عيشة البذخ التي عاشوها جعلتهم يعانون آلام الاسنان .

وقدعزز أبقراط الذي ولد في سنة ٤٦٠ قبل المسيح وارسطو طاليس الذي ولد في سنة ٣٨٤ علم صحة الفم وكلاهما وضعا مؤلفات عن جراحة الاسنان وأمراضها

ولما انشئت مدرسة الاسكندرية للطب في سنة ٣٣١ قبل المسيح جيء بعدد من أساتذة اليونان للتعليم فيها ولكن النار العظيمة التي التهمت مكتبة الاسكندرية سنة ٦٥ قبل المسيح التهمت كل شيء ولم تبق من كتبها الكثيرة على أي أثر . وفي سنة ١٣٠ بعد المسيح وجد في رومة طبيب يوناني يدعى كلوديوس غالن من تلامذة مدرسة الطب في الاسكندرية وكان عبقرياً بليغاً بقي تأثيره على الطب والطبابة الى أمد طويل ، كان يحشو الاسنان بالرصاص وسواه من المعادن . وأما في روما فقد وجد منذ ألفي سنة اختصاصيون لكل فرع من فروع الجسم كما وجد في كتاب كلوديوس غالن المتقدم ذكره ذكر لأطباء العيون وأطباء المسالك البولية وأطباء الاسنان . وقد اتفق لأحد ملوك الحبشة وهو أنابار الذي حكم في سنة ٦٥٠ قبل المسيح أن مرض مرضاً صاحبته حمى شديدة فاستدعى اليه طبيبه وعنفه تعنيفاً شديداً لأنه لم يشف ألم أضراسه . وقد كان طبيبه إذ ذاك يدعى اراذ نانا فقال للملك إن آلام قدميه وخاصرته ورأسه ناتجة عن أضراسه التي يجب أن تنتزع وقد استند هذا الطبيب الى آثار وجدت في نينوي تتعلق بهذا العلم تفيد أن بعض أمراض الرأس والاقدام ترتد الى تسمم في الاضراس . وقد كان لطب الأسنان آلهة تدعى ابولونيا ولدت في سنة ٣٠٠ للمسيح وهي ابنة قاض مصري وكان يحتفل بعيدها في ٩ شباط من كل سنة .

يبدو بذلك المصريون والاتوسكيون والرومان من الامم التي ينسب اليها

علم طب الاسنان ولكن كثيراً من آثار هذا العلم ضاع على مر الأجيـال وفي ثنيات التاريخ . ولقد اجتهد أطباء الهند ومصر والعجم فتفرغوا للمباحث الطبية العامة والخاصة واشتغلوا في جميع موادها ومنها طب الاسنان حتى اذا مارجعنا الى السنة ١٣٥ قبل المسيح رأينا في مؤلفات جالينوس ابواباً وفصولاً مطولة عن الاسنان وكيفية نبتها ومما قاله في هذا الصدد ان السن عظم حقيقي يتكون قبل الولادة وأن شرايين الاسنان العلوية وأعصابها لها اتصال بفروع من عصب العين وقد سماها لذلك أسنان العين ولما انتشرت تعاليم جالينوس بين العرب بحثوا فيها وزادوا عليها ماوصل اليه بحثهم وعلمهم فأخذت صناعة طب الاسنان تنمو حتى بلغت شأوها الآن .

ويبدو ان لقمان الحكيم هو اقدم طبيب عربي ، وجذيمة والحارث وابنه النضر والتميمي بحثوا في الاسنان وطبها .

طب الاسنان في القرون الوسطى :

اقتحم البربر القادمون من شمال اوروبا سنة ٣٧٨ الامبراطورية الرومانية طامعين بثرواتها وخيراتها فقضوا على مدنيتها وجزأوا بلادها وحالوا دون تقدم الفنون والآداب والعلوم . وكان الطب في هذه الحقبة من الزمن يعتمد على تعاليم بقراط فلحقه من جراء هذا الغزو الوحشي الجمود والتأخر والتدني والتقهقر كما لحق غيره من العلوم . غير ان الرهبان استطاعوا المحافظة في اديرتهم على مابقي من آثار علمية ومعرفة طبية ثم أخذ أطبـاء العرب وعلماؤهم الذين يعدون بحق حفظ التراث العلمي اليوناني ينفخون في تقدم العلوم روحاً جديدة فأنشأوا حضارة جديدة خطت في عهد قليل خطوات واسعة ومن المرجح أنهم في فن طب الاسنان اقتبسوا الكثير عن الصينيين الذين كانت لهم في هذا الميدان معرفة سابقة[1] .

Les mébecins arabes furent essentiellement - les héritiers et les continuateurs des grecs. in traité d'histoire de médecine p. L. Lavastine tome 11 P 572

الوصفات الخرافية في الوقاية والمعالجة وأثر العرب في ابطالها : إن آلام الاسنان قديمة قدم العالم وقد خشيها الناس في كل زمان وسعوا الى التخلص منها بوسائل غريبة ، كانوا يوصون بمضغ قلب حية أو ثعبان او فأرة مرة في كل شهر للوقاية من امراض الاسنان لا بل كانوا يلجأون الى ما هو أوهى من ذلك ، ما يعد حقاً نواحي عجيبة كانوا يأكلون ذرق - هيص الطير وبراز الكلاب وبعر الفيران وكان النهمون المخمورون المصابون بأمراض الاسنان لا يرون علاجاً أفضل من أكل البق الملفوف بأوراق الخبازي ليعالجوا به . بقي الامر كذلك الى أن جاء العرب فقاوموا هذه الخرافات مقاومة مجدية وأبطلوها ولكن اوروبا ظلت تؤمن بها على الرغم من توسع رقعة العالم العربي آنذاك وتبديده جهالة العالم الغربي وظل حتى الاطباء الذين نقلوا عن العرب مقصرين عنهم في هذا المضمار فان مؤلفات غي دوشولياك التي[1] استوحى أكثر ما ذكره فيها من علوم العرب كانت مقصرة عما أثبته اطباء العرب في مؤلفاتهم . واننا لنرى آثار الايمان بالخرافات الغربية التي ذكرتُ نتفاً منها في أقوال الطبيب المخلص فرنسيسكو درلاهاي[2] سنة ١٤٦٩ حيث كان يوصي لوقاية الاسنان ومعالجة امراضها بتعليق جذور الكرفس في العنق أو رؤوس الصردان أو بمس السن بإبرة اخترقت نعلاً من الجلد . لقد كان الغربيون في القرون الوسطى اقل تذوقاً من الشعوب المتوحشة فكانوا يزعمون أن المضمضة بالبول تقي الاسنان وكانوا يفضلون

---

١ - on pourrait constater seulement que les auteurs du moyen âge, même lorsqu ils ont la valeur de guy de Chauliac, semblement marquer une régression sur les médecins arabes .

٢ - Franciscus de la Haye : لقد المحنا الى هذه الوصفات في الصفحة ٣٧ .

البول الآتي من اسبانيا فاذا لم يتيسر استعاضوا عنه ببول الثيران وقد كان ذلك شائعاً في القرن السادس عشر حيث كتب ايراسمه بهذا الصدد يقول : لا يصح تبييض اسنان الفتيات بالمساحيق وفركها بالملح والشاب لعدم ملاءمتها اللثة[1]. أما في اسبانيا فعليهم باستخدام البول وكان لوران جوبر[2] طبيب هنري الثالث يطري باستعمال البول لتحسين الاسنان على انه كان يرجع عليه استعمال مزيج من الماء والخمر الجيد وانتشرت في زمنه عادة استعمال المساحيق وقد كتب ناقد عن فم مليكه العظيم هنري الثالث ما يلي : كنت أظن أن ذلك الشفتين سيكون المرحلة الاخيرة من مراحل تجمله ولكنني أبصرت خادماً يركع أمام الملك ويمسك بلحيته ويخفض فكه ثم يغمس اصبعه في ماء كان يحتفظ به في زجاجة صغيرة ثم يتناول مسحوقاً ابيض فيفرك به أسنان الملك ولثته ثم يفتح علبة صغيرة ويأخذ منها قطعاً عظيمة صغيرة فيدخلها في لثته ثم يربطها من طرفيها بالاسنان المجاورة بخيط حديدي .

تقدم الوقاية : يحسن بنا ان نتبين ان طرق الوقاية اخذت تتبدل بخطى

Les Eeuropéns du moyen âge étaient propablement - 1 moins raffinés que les peuples sauvages . on peut résumer facilement les soins qu ils accordaient à leurs dents . l'usage, hérité des nobles dames romaines, de se rincer la bouche avec de l'urine , était assez courant . L'urine la plus estimée venait d'espagne ; certains la remplaçaient par de l'urine de boeuf . cette pratique était encore courante aux XVI[e] siècle . Erasmie écrivait à ce sujet : se blanchir les dents avec de la poudre n'est bon qu-aux filles, les frotter de sel ou d'alun est fort dommageable aux gencives et se servir de son urine au même effet, c'est aux espagnols à le faire .

Laureat Jaubert — 2

ونُبذة من الممجوج والمرذول الى المعقول والمقبول وخاصة فيما يتعلق بالفم . ولقد عنيت بعض الأديان بالفم وطهارته عناية خاصة فحض الرسول الكريم المسلمين على استعمال السواك لتطهير الفم ، والسواك خشب يحتوي على نسبة عالية من العفص والكلس والحديد . ويستعمل نساء الأعراب حتى اليوم السواك فيدلكن به اللثة فتحمر ويفركن به الاسنان فتبيض وكذلك الحال عند الهنود حيث تقضي دياناتهم بالعناية في جمال الاسنان .

ولقد شاع عند الطبقة الراقية من الغربيين استعمال السنونات المائية[1] في تنظيف الأسنان كابين سكارون[2] في أرجوزة وجهها الى السيدة هوتفورت ذكر فيها ماتستعمله الوصيفات تجميلاً للفم فقال عنهن : ان لهن أفواهاً يفوح منها مزيج رائحة من أنواع الطيب كالقرنفل والقرفة والشمر والنعنع والزعتر ونعنع الماء والخزامى والخندقوت[3] واليانسون وكان النساء ولا سيما منهن الطبقة الراقية يمضغن مضغات معطرة ليجعلن أفواههن طيبـــة النكهة وكانت الخادمات تنعت الوصيفات بأنهن يضعن في أفواههن مضغات من المسك يخفين بها الحُفَر في وجوههن ويطيبن أنفاسهن فتفوح منها رائحة العنبر بدلاً من النتن ولم يشتهر أمر تنظيف الأسنان بالسنونات المائية ويصبح عملاً تجارياً إلا في القرن الثامن عشر وسرعان ما اصبحت الأرباح التي تجنى من هذه التجارة عظيمة جداً حتى احتكرها صانعوها وتوارثوا صنعهـــا خلفاً عن سلف . ولقد قام هؤلاء بالدعاية لبضاعتهم بشكل بارع فكان برانون يطري اليكسيره المضاد للحفر بالعبـــارة الآتية اليكسير يقوي الأسنان ويجعلها اكثر صلابة ، يزيل انتفاخ اللثة ، يقي من أمراض الحفر ويسكن آلام الأسنان وكان يبيع القوارير الصغيرة بثمن باهظ .

---

١ - Eau dentifrice
٢ - Scarron .
٣ - Mébos

أما ما كان يسمى حينها بالماء الكامل الممتاز[1] فكان ثمنه أدنى من الاكسير المار الذكر مع أن حسناته كما يدعي مروجوه اكثر فهو في نظرهم يشفي القروح والبثرات المستقرة في الفم ويترك الفم رطباً ساكناً وعذباً ويطيب النفس الكريه وكانت السيدة فرليار[2] تدعي ان الدعاية العامة لاستعمال هذا العلاج واجب انساني وكانت نخرة الأسنان تعالج بوصفات مختلفة فاذا قلعت عوضها النبلاء بأسنان مصنوعة من الذهب والفضة وكانت تعوضها الطبقة العامة بأسنان من خشب الورد وكانت النكاشات تغرز في الفواكه حتى يتناولها الآكلون وكان اراسمه ينصح[3] قائلاً لاتبق على شيء بين أسنانك وعليك باخراجه بنكاشة أو ريشة أو عظم ديك أو دجاجة وتحاشى اخراجه بالسكين أو بالأظافر .

ممارسة طب الأسنان في الغرب وعند العرب : لقد كانت العناية بطب الأسنان وممارسة طبها ابتدائية في غابر الزمن والواقع أن الرومان وصفوا قواعد وتعليمات ضاعت في غمرة الجهل المطبق وكان في الشرق اوريباز من برغام[4] يشير بقلع السن لمعالجة النواسير الناتجة عنها وكان ايتوس[5] والكسندر دوترل[6] يقلدان في طرق المعالجة من سبقهم من رجال القرن السادس ثم وصف بولس اجين[7] بعض الطرق في قلع السن . ويجب علينا أن نبحث في تاريخ العرب حتى نجد وصفاً صحيحاً لأمراض الفم وطب الأسنان . ولقد اختص بعض اطباء العرب بطب الأسنان فعرفوا معالجتها وشدها بالذهب وممن شدوا أسنانهم بالذهب عثمان بن عفان في كبره وأبو مسلم معاذ الهراء وعبد الملك بن مروان ووصف بعض اطباء العرب ستوفات من

---

١ - Eau Souveraine

٢ - Vrilière ٣ - Erasmé

٤ - Oribase de Pergame ٥ - Aetios

٦ - Alexandre de Tralles ٧ - Paul. S. Egine

مساحيق وأدوية لتقوية اللثة ولتسكين ألم الأسنان وألفوا رسائل وكتباً فيها .

كان ابن سينا[1] يشير على الشخص السليم بتجنب استعمال المساحيق الكاوية وكان العلماء العرب في ذلك العصر يوصون المرضى باتباع نواحي تنطبق مع نواحينا اليوم ومن أجل ذلك اجتناب الأطعمة العرضة للتفسخ الشديد ، واجتناب الأطعمة الصلبة واللزجة كالمعقدات والمربيات واجتناب الاكول والمشروبات الشديدة الحرارة أو الشديدة البرودة واجتناب متابعة الحار منها بالبارد أو العكس ومنها اجتناب أكل اللحوم الليفية ومنها التوصية بفرك الأسنان بالعسل أو الملح المحروق

وكان الرازي محمد بن زكريا[2] من أشهر أطباء العرب وتحطينا تعلماته صورة صادقة عن الطبيب المهارس الواعي البصير في حينه . كان يوصي بعدم اللجوء الى القلع قبل استنفاذ وسائل معالجة الأسنان كلها وكان يوصي في بعض الحالات بتشبيط اللثة وتسكين الآلام بالأفيون أو عطر الورد وكان لا يرى مانعاً من اعلاق العلق على الحد من ناحية الألم فاذا فشلت هذه الوسائل أسقط السن بكيه بالحديد المحمر وكان يدرك سوء تأثير الحوامض في عناصر السن فيوصي بتحاشيها كما كان يوصي باستعمال القابضات لتمكين السن ودعمه ومنع اهتزازه ولذلك كان ينصح بسد الحفر والنخرات السنية بالمسك والشاب بعد تنظيفها وقد وصف العـ ـات المؤلمة في الوجه وتشوه الوجه المعروف بالعكم وغير ذلك من امور لم يدرك قيمتها الغربيون الا بعد قرون عديدة .

---

١ - ابن سينا ولد . ولد في أخشنة قرب بخارى وتوفي في همدان ٩٨٠ - ١٠٣٧ حساب وطبيب ومن كبار فلاسفة العرب وائمة مفكريهم .

٢ - الرازي : ابو بكر محمد بن زكريا ٨٦٤ - ٩٣٢ م ولد في الري مكنى جالينوس العرب او طبيب المسلمين .

أما يحيى بن سرابيون المعروف عند الغربيين باسم سرابيون[1] فقد عرف عدد جذور الأضراس وبين لماذا تحتاج الاضراس العلوية الى ثلاثة جذور بينما لا يوجد في كل من الاضراس السفلية الا جذرين وكان يوصي باستعمال المقبضات وكان يدعم الاسنان بربط بعضها ببعض بخيوط من الفضة او الذهب وقد ظهر بعده علي بن عباس الأهوازي – المجوسي – فقسم الآفـات السنية ستة أقسام واعتمد في التصنيف على علامات الألم ودرجة الانشكال والحرمان من النوم ، ونتن السن واهتزازه وقال ان ليس للاسنان حس خاص بها وان الحس متنقل لها من عصب صغير يدخل في جذورها .

واما ابو القاسم القرطبي الزهراوي[2] فكان أوسع افقاً واكثر براعة من الطبيبين السابقين فقد ذكر الاختلاطات الجسمانية الناتجة عن الامراض السنية وأتى على ذكر النواسير الفمية الناتجة عن امراض الاسنان وآفاتها . وكان يوصي بكي النواسير بالنار بمكاوي ذات رؤوس تتناسب سعتها مع سعة لمة الناسور فاذا لم تكف المعالجة ، كان يلجأ لتعرية العظام وتجريف قسمها المؤوف الذي يسبب بقاء الناسور ومما جاء في توصيه في موضوع الاسنان قوله يجب مكافحة امراض الاسنان بشتى الوسائل ومختلف اساليب المعالجة قبل التفكير باخراجها ويجب أن يكون قلعها آخر سبيل في معالجتها بعد استنفاذ جميع الوسائل لحفظها لأن السن

---

١ – يحيى بن سرابيون : من اطباء القرن العاشر ألف كتابا سماه الكناش أو الجامع الطب باللغة السريانية نقلت نسخه الصغرى الى العربية واللاتينية وطبعت في بال سنة ١٥٤٣م .

١ – الزهراوي ابو القاسم : ولد ١٠٠٩م تعاطى الطب في قرطبة على ايام عبد الرحمن الثالث . من مؤلفاته رسالة التصريف في عمل اليد في الجراحة عني المستشرقون بدرسها وطبعها .

مادة نبيلة واصيلة في الجسم فلا يجوز التضحية بها ، لأقل سبب ، وكان يقول عن الأجواف غير المتصلة الى الخارج بالنواسير أنها متعرجة ككر الأرانب وكان يوصي بالوصول الى الجوف وكيه وكان ينصح برفع القلع عن الأسنان بآلات خاصة أوجدها هو نفسه ،تعد غاية في الاتقان ومنها ما يستعمل حتى أيامنا هذه لقد أوجد أبو القاسم مدرسة سطعت منها اشعة نور العلم الى المدن المجاورة لقرطبة ثم عمت اسبانيا كلها وانتقلت منها الى ما وراء جبال البرانس فانتشرت في فرنسة وكانت مونبليه مركز التقاطها ونشرها من جديد[١]

وقد اشتمل كتاب التصريف للزهراوي على صور من آلات لقلع الاضراس واصولها او لجردها وتنظيفها ونشر الاسنان الناتئة على غيرها وتشبيك الأضراس والأسنان بخيوط من الفضة والذهب كما أوجد آلات لقطع اللحم الزائد في اللثة وشرح اساليب العمل وطرق المعالجة . واشتهر بين العرب من برع في طب الاسنان وقلعها حتى قال شاعرهم :

قد ذقت منه ما ليس يقلعه	الحسين القلاع من ضرسي

وقال الصفي الحلي في قلع ضرسه :

لحى الله الطبيب فقد تعدى	وجاء لقلع ضرسك بالمحال
اعاق الظبي عن كلتا يديه	وسلط كلبتين على غزال

---

١ - Abulcasis fonda une école dont l'influence s'étendit aux villes voisines des pyrénées et singulièrement à Montpellier .

il faut, écrit -il combattre les maux de dent par tous moyens et ressources et en différer l'extraction . une fois arrachées les dents ne peuvent se remplacer ; car c'est une substance noble .

وذكر ابن بطلان في كتابه دعوة الاطباء أشياء عن طب الاسنان لتنظيف الاسنان وقال في ما يضر الاسنان ما نصه :

واعلم أن الحلواء مضرة بالأسنان ، مبثورة للفم واللسان ، لا سيما اذا اتبعت بالماء البارد فان المأمون شكا وجع أسنانه الى طبيبه جبريل فقال له : يا أمير المؤمنين امتنع عن شرب الماء البارد بعد الرطب - تضييج البسر أي التمر - والسكر فقال : ويحك يا جبريل لولاهما لما أردتك وأي لذة تبقى للسان اذا امتنع الانسان من الماء البارد والحلواء،ومن الرسائل المشهورة في هـذا الفن رسالة للشيخ احمد الحنفي الحصبوني سماها ما يضر الاسنان وسائر بدن الانسان وقد يستدل من ابيات بعض الشعراء والبحث في اسباب قولها على ما كان عليه طب الاسنان من تقدم عند العرب من ذلك ما قيل في ثنيتي عمر بن ربيعـة المسودتين بعد ما ضربته ثريا بظاهر[1] كفها .

كان اطباء الاسنان العرب القدماء اذا نظروا الى الاسنان ورأوها خالية من النخر والتآكل والمرض وكان صاحبها يشكو ألماً شديداً نسبوا هذا الألم الى تهيج الاعصاب وكانوا يشددون على تنظيف الاسنان بالسواك وعلى اخراج الفضلات من بينها[2] .

---

١ ـ ثريا : جاء في كتب الادب ان ثريا وهي بنت علي بن عبد الله ، استخف بشأنها عمر بن ابي ربيعة وكانت تتختم بأصابعها العشر فضربته بظاهر كفها فأصابت الخواتم ثنيتيه العليين وكادت ان تقلعها وخاف ان يسقطا فقدم البصرة فعولجنا له فثبتتا واسودتا وعيره بذلك أحد الشعراء فقال :

ما بال سنيك أم ما بال كسرهما	اهكذا كسرا في غير ما بأس
انفحة من فتاة كنت تألفهـا	ام نالها وسط شرب صدمة كأس

٢ ـ وقال شاعر في استخراج فضلات الطعام من بين الاسنان .

ان السواك ليستحب لسنة	ولأنه مما يطيب به الفم
لم تخش من حفر اذا ادمنته	وبه يسيل من اللهاة البلغم

التسوك بسنونات جافة او مائية يدخل فيها الخل وملح الطعام والقرنفل:
نقدم نموذجاً عنها السنون[1] الآتي

١	جزء	قرنفل
١	»	مر
١٠	»	شحمة الحنظل
١٠	»	خل
١٠	»	ماء

ولقد بين الأطباء العرب الأدوية التي تجلو الاسنان من الصفرة والسواد وتطيب رائحة الفم والنكهة وتزيل البخر ، وقد ذكر التميمي في كتابه صنعة حب ملوكي يدخل فيه القرنفل[2] . وصفوة القول تدين القرون الوسطى في أي بلد كان في طب الاسنان والطب للعرب[3] ، وقد نقل رهبان فرنسا وايتاليا عن العرب الطب الى الغرب . على ان انتشار ذلك لم يحل دون انتشار الدجالين والمشعوذين وممارسة الحلاقين لطب الاسنان في الغرب وقد اشتهر رويز[4] الذي كان يتنقل بين المدن بعربات فخمة لابساً ثياباً تحاكي ثياب أعياد المساخر ، وما أن يبلغ المدينة حتى ينزل بساحتها العامة حيث يمارس مهنته على مرأى من الجميع بين قرع الطبول وزمر المزامير . وجل ما كانوا يستطيعون القيام به هو خلع الاضراس وكثيراً ما خلعوا السليمة بدلاً من المصابة . أما شد الاسنان فلم يعرف في أوروبا الا في سنة ١٤٥٠ م حيث أشهره جيوفاني دا كوني[5] الذي لا شك أنه

---

١ ـ السنون بفتح السين وضم النون مايستاك به او تدلك به الاسنان .
٢ ـ الجزء الثاني عشر من نهاية الارب ص ٢٠٠ .
٣ ـ Le moyen âge doit tout à la médecine arabe in Laignel Lavastine .
٤ ـ Ruise .
٥ ـ Géovani

تأثر بالطب العربي فسار حسب مقتضياته وتعاليمه وكان لا يقلع السن الا بعد استعصاء المعالجة واستمرار الألم .

واما في فرنسا فلم يتعرض غي ده شولياك[1] اشهرجراحيها آنذاك للاسنان الا فيما ندر ولم تكن ممارسة طب الاسنان مرغوبة بل كانت تعتبر صنعة ثانوية . وكان ينصح غي ده شولياك اللجوء في المعالجة الى الافيون والمخدرات . وقد طلب متأثراً بآراء الاطباء العرب بجعل معالجة امراض الاسنان والفم اختصاصاً طبياً ونادى بابعاد الدجالين عن هذه المهنة .

ثم بحث فيزال[2] عن تشريح السن وقال عن بناء السن بأنه لا يختلف عن بناء العظم الا بالسمحاق وحس الالم الخاص به واخيراً ظهر امبرواز باره[3] ودرس تولد الاسنان ونشوئها ونموها وامراضها واستخراجها والاعاضة عنها وكان يعتبر السن عظماً يغشيه في الداخل غشاء وكان يوصي باستعمال زيت القرنفل الذي ما زال الممارسون يشيرون باستعماله حتى يومنا هذا . وكانت عملية قلع الاضراس ذات شأن في نظره فكان يُجلس المريض في مستوى منخفض ويوصي بمسك رأسه بين ساقي الطبيب وكتب في هذا الصدد يقول : يجدر بطبيب الاسنان أن يتحلى بالمران في قلع الاضراس والاسنان وان يكون بارعاً في استعمال الكلاّبة حتى لا يزعج المريض . وكان يزيل القلح من الاسنان معتبراً القلح في الاسنان كالصدأ في الحديد فكلاهما يفسد ما تحته . ثم بحث عن زرع الاسنان وذكر في هذا الصدد قصة آنسة قلعت ضرسها وزرع مكانه ضرس آخر فنجح

---

١ ـ Guy de Chauliac : جراح يدين بمؤلفاته وتعاليمه الى مااقتبسه عن العرب .

٢ ـ Vésal ، فيزال او فيسال (اندره) ١٥١٤ - ١٥٦٤ ولد في بروسل وتوفي في زنطه . من علماء التشريح في القرن السادس عشر ومن اوائل الذين تعاطوا فن تشريح الجسم البشري في اوروبا .

٣ ـ Ambroise Paré : ١٥١٧ - ١٥٩٠ جراح افرنسي ، طبيب ملوك فرنسا . اشتهر باختراعه الشد على الشرايين بالرباط عوضاً عن الكي عند بتر الاعضاء . كان قوي الايمان . اذا شفي جريحه قال عالجته والله شفاه .

عمله تمام النجاح . وقد وضع في القرن السادس عشر اوربان هيمار[1] طبيب مطران رودوس جورج دارمانياك[2] كتاباً كاملاً نشر سنة ١٥٨٢ م عنوانه البحث الحقيقي عن تشريح الاسنان اتى فيه على ذكر طبيعتها وصفاتها والامراض التي تتصف بها . وكانت آراؤه تناقض المعتقدات السائدة آنذاك وكان يسخر من كثير من الوصفات المستعملة حينها . وكان يؤمن بأثر الايحاء الذاتي في الاسنان فيقول أن المصاب بالآلام السنية قد ينسى آلامه عندما يكون في طريقه الى طبيب الاسنان فيعدل عن خلع سنه بعد أن كان مصمماً على ذلك وان الكثير من هؤلاء لا يشعرون بعد ذلك بحاجة الى خلع سن سبق لهم ان اشتكوا منها على ان قسماً آخر منهم يضطر الى العودة مطالباً بخلع ضرسه او سنه . ثم يبحث عن اجتماع اخلاط منتنة في الحفر السنية ويقول بأن احتباسها مؤذ جداً وان تفجيرها يكشف عن قيح نتن الرائحة الى حد كبير . ووصف ايضاً التهاب الفم الزئبقي الناجم عن استعمال الزئبق في داء الافرنج او الداء الايطالي كما كانوا يسمونه كما قال بأن الاسنان قد تلتهب بتأثير سموم وعوامل اخرى .

التخدير في طب الاسنان : لقد بوشر باستعمال التخدير في القرن الرابع عشر يدل على ذلك ما جاء في كتاب ده كامه رون[3] وهو ان المعلم مازيو[4] كان يستعمل بنجاح ماء مخدراً للاسنان . ثم انتشرت فكرة التخدير مارسها الدجالون ايضاً ممارسة مبتذلة وصفها كوفرال[5] بقوله كانت تقلع الاسنان بدون الم وبدون استعمال الآلات بل يكتفي بالاصبعين، الابهام والسبابة . يباشر العمل بطلي السن بمادة مخدرة ثم يذر عليه مسحوق كاو

---

١ - Urbrn Hémard ٢ - George d'Armagnac

٣ - Décaméron ٤ - Mazzéo

٥ - Couvral

يأكل اللحم من حول السن فيسهل اخراجها بالاصبعين . وكان هؤلاء المرضى معرضين بعد خلع اسنانهم الى اختلاطات عديدة وآلام شديدة وكثيراً ما كانوا يفقدون اسنانهم كلها ويصبحون في حالة بؤس تدعو الى الرثاء والاشفاق . اما الدواء المخدر المستعمل فكان روح النيكوتين وكان يستعمل بغاية التخدير الى جانب النيكوتين مواد غريبة .

وظلت هذه الوسائل مستعملة حتى القرن السابع عشر وكان المشعوذون يختارون الجسر الحديدي في باريز مقراً لعملهم وكانوا يتحلون بالذهب والفضة وبالسيوف اللامعة ويستصحبون مغنيين ينشدون أناشيد تجلب الناس اليهم وكانوا يعلنون أنهم يعالجون الجنود نبلاً وكرامة والفقراء تقرباً لله والأغنياء لأخذ المال منهم وقد ذاع من بين هؤلاء المشعوذين صيت واحد أسمه توماس البدين[1] اشتهر بركوبه جواداً قوياً علقت في عنقه عدد كبير من الأسنان والفكوك وكان له خادم خاص يجر الجواد ويرقبه خشية من هياج الجواد عندما تهتف الجماهير وتتظاهر لتحيي توماس . وكان لباس توماس البدين فريداً تعلو رأسه قلنسية من فضة تنتهي في وسطها بقمة ركز فوقها ديك صداح ، وكان ذيل رداء توماس ينتهي بعلم رسمت في وسطه أسلحة الفرنسيين والنافار[2] وكان في يساره صورة شمس مع كلمات طلسمية وكانت ثيابه ارجوانية اللون تحاكي الزي التركي وقد علقت بها فكوك وأسنان وحصى من الهياكل وكان يتدرع بدرع فضي لامع لايمكن النظر اليه الا من الجانب وكانت له عصا مضيئة منيرة وكان طول حسامه يبلغ ستة أقدام ، أما حاشيته فكانت مؤلفة من نافخ في البوق وقارع طبل وزمار وحامل أعلام وصانع حلوى وناقع المناقيع .

---

١ - Gros Tomas

٢ - Navarre

إلا أن شهرة المدعو هيرونيمو فيرانتي اوفياتو[1] فاقت شهرة توماس وذلك بفضل دواء مخفف للآلام كان يستعمله سماه اوريفياتان[2] واستجلبه من ايطاليا واستعملت بعد ذلك معالجات غريبة من أركانها مس الأسنان وطليها بالأف – صملاخ الاذن – ومسحوق المرجان وماء خاص سماه الماء العجيب الذي أثرى على حسابه عدد كبير من الناس ، تلك كانت سبل معالجة الميسورين أما الفقراء فكانوا يعالجون آلامهم السنية بمسها بقضيب حديدي محنط الرأس ويزعمون أن هذه الطريقة مفيدة اذا لم يشارك آلام السن التهابها كما كان المشتغلون بطب الأسنان يستعملون مادة سموها عطر مكة[3] ذاع استعمالها حتى فاق على أي علاج آخر اذ اعتبرت علاجاً خاصاً نوعياً للداء الحفر في الأسنان ، ذلك الداء الذي كان منتشراً آنذاك كما عد عطر مكة صالحاً لتسكين آلام السن على اختلاف أسبابها واعتبر دواء ذا نفع كبير خالياً من أي محذور .

وعالج طب الأسنان عدا هؤلاء المشعوذين فئة قليلة جداً من رجال مثقفين حسني التفكير منهم لازرار ريفيار[4] الذي كان يعالج آلام الأسنان عن طريق الأذن وذلك بإدخال قطعة مغموسة بزيت اللوز المر فيها ومنهم أيضاً نقولا تولب[5] المشرح الامستردامي الذي كان يوصي بمعالجة النزف الفمي بضغط الناحية النازفة بقطعة من الاسفنج ومنهم هيغمور[6] وكان مشرحاً مشهوراً.

واستطاع جراحو باريس سنة ١٤٢٥ م الحصول على قرار من البرلمان يمنع الحلاقين من تعاطي الأعمال الجراحية ماعدا تضميد الجروح واستئصال الثفن – مسمار فدخل طب الأسنان بذلك في إطار الجراحة والجراحين وبعد بيير

---

١ – Hieronomyo Ferranti d'Orviet ٢ – Orvietan

٣ – Esprit de la mecque ٤ – Lazare Rivière

٥ – Nicolas Tulp ٦ – Higmore

فوشار[1] . الذي عاش بين ١٦٩٠ - ١٧٦٣ م أول من وضع كتاباً صالحاً في طب الأسنان وذلك سنة ١٧٢٨ م وقد احتوى الكتاب على بحوث تنـــاولت التهاب اللب وخراجاته كما تناولت البحث عن آلات لحفر الأسنان وطرق التعويض عنها بأسنان سليمة[2] وعن معالجة التشوهات وترصيص الأسنان وغير ذلك من آراء جديدة مستندة الى علم وخبرة ومع ذلك فلقد كان في الكتاب بعض الآراء العجيبة . ولقد تمرس على يد فوشار لوكلوز[3] الذي كان يعمل كفنان في الاوبرا الهزلية واصبح بعد ذلك طبيباً لملك بولونيا .

تقدم صناعة الاسنان : ان صناعة الأسنان لم تتقدم في الواقع الا بعد كشف وسائل التطهير ولقد كانت صناعة طب الاسنان الممتازة هي الصناعة العربية التي كانت اكثر تفوقاً واحسن اثراً من غيرها ومع ذلك فانهـا كانت مقتبسة عن الصناعة اليونانية ومماثلة لها . ولقد كانوا يستطيعون تدعيم الاسنان بربطها بخيوط معدنية كما يعوضون عن الأسنان المفقودة بقطع عظمية . ذلك ما كان يجريه

---

١ - Pierre Fauchard

٢ - يبدو من دراسة هذه الناحية في تاريخ طب الاسنان ان مآسي مفجعة قد ارتكبت في هذا الصدد حيث كان الاغنياء والطبقة المعروفة بطبقة النبلاء تستثمر بؤس الفتيات وفقرهن فتشتري أسنانهن باثمان متباينة وكان لايتورع بعضهم عن اكراه الخادمات على نزع اسنانهن لتزرع في افواه النبيلات وقد تعرض الى هذه الناحية الاديب الفرنسي الكبير فيكتور هوغو في كتابه المعروف بالبؤساء ويروي التاريخ ان اللادي هاملتون وقعت في عسر مالي اضطرها الى التفكير في بيع اسنانها وبينا كانت في طريقها الى طبيب الاسنان صادفت من زودها بالمـــال من صديقاتها فاستغنت عن بيع اسنانها . وكثيراً ما كان يؤتى بعدد كبير من الناس تنزع اسنانهم تباعاً حتى ينطبق واحد منها على فم النبيل الراغب في وضع سن مكان سنه المنزوعة .

٣ - Lécluse.

أبو القاسم الزهراوي وغي شولياك وامبرو ازبارة وقد كتب أبو القاسم الزهراوي يقول في هذا الشأن :

اذا أخذت الأسنان الأمامية تهتز أو أصابتها ضربة أو اصطدام من جراء سقوط فاعاقت المضغ ولم تجد في تدعيمها الوسائل الطبية والأدوية القابضة تحتم حينئذ على الطبيب ربطبعضها ببعض بخيوط من الذهب أو الفضة على أن الأولى تفضل عن الثانية لأن خيوط الفضة تخضر وتتخرب بينما تثبت الخيوط الذهبية وفي كل حال يجب دعمها أو تبديلها اذا استرخت أو عادت غير وافية بالمطلوب وكتب غي شولياك يقول : اذا لم تكف المعالجة الطبية وبقيت السن معرضة للسقوط تخلع وتبدل بسن شخص آخر أو بقطع من عظم البقرة تنحت حتى تصبح مماثلة للسن وكتب امبرواز باره يقول : قد تتأذى الأسنان الأمامية بتأثير الرضوض والصدمات فتهتز ويضطرب النطق . تقوى في هذه الحالة المثة وتدعم الأسنان بربطها بخيوط من الذهب والفضة فاذا سقطت أمكن استبدالها بأسنان اصطناعية مصنوعة من العاج،هكذا يقول ابقراط ولقد جاءذكر اجهزة الأسنان في سيرة هنري الثالث حيث عمل له أطباء الأسنان المقربون منه جهازاً منها . وكان ذلك قبل اكتشاف القالب الجبصيني لذلك لم تكن اجهزة الأسنان المصنوعة آنئذ منطبقة تمام الانطباق وصالحة للطعام ويبدو ان الغاية منها كانت تجميلية يدل على ذلك ماروية تالمان دوريو[١] في قصصه التي جاء في بعضها أنه كان للآنسة غورني[٢] التي تبناها مونتين[٣] جهاز أسنان – بدلة – مصنوع من أسنان ذئب البحر وكانت تضطر الى وضعها لتحسن الكلام والى نزعها للتناول

---

١ – Tallemand de Réaux ٢ Gournay

٣ – Montaigne

الطعام و كانت تجري ذلك بسرعة مدهشة فلا يكاد يجيء زمن اضطرارها للكلام حتى تكون احسنت وضع الجهاز في فمها فيساعدها على النطق والكلام .

ثم صنعت أجهزة الأسنان من الفولكانيت سنة ١٨٥٤ ثم من الالومينيوم سنة ١٨٥٨[١] .

التنظيم الحديث لصناعة طب الاسنان : بعد تنظيم صناعة طب الأسنان وليد آخر القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين ، فقد قدمت الى أوروبا بعثة طب أسنان امريكية نظم أفرادها دراسة هذه المهنة وجعلوها خاضعة لشروط علمية ودراسة جدية وقد غزا في مطلع هذا القرن الأطباء الأمريكيون فرنسا فأفادوا واستفادوا وما لبثت فرنسة بعد ذلك أن أحدثت في باريز مدرستين خاصتين لتدريس طب الأسنان وقد نص قانون مزاولة المهن الطبية الفرنسي الصادر سنة ١٨٩٢ على دبلوم جراح وطب أسنان واخضع الحصول على هذا اللقب لدراسة علمية وعملية وعاد بعد ذلك تطبيب الأسنان خاضعاً لترخيص لا يعطى إلا لمن يحمل دبلوم جراح وطبيب أسنان . والواقع أن مهنة طب الأسنان صناعه صعبة لا تتوقف على تصنيع الأسنان وقلعها وما الى ذلك بل لابد لاحترافهـــا من الاطلاع على العلوم الطبية وتعاطي التخدير والتعرف على أمراض اللثة وأنواع قروحها ومعرفة الأمراض العامة المتصلة بالفم اتصالاً مباشراً ، إذ يجب أن يكون طبيب الاسنان في رأي الكثيرين طبيباً أختص بطب الأسنان لقد أدى ذلك كله الى جعل الحصول على شهادة دبلوم طب الاسنان خاضعاً لدراسة صعبة تزداد صعوبتها سنة بعد سنة .

ويصح أن يقال أن حوادث التخدير التي كثرت في القرن الماضي كانت من جملة دواعي التوسع في تدريس العلوم في كليات طب الأسنان . وما ذلك إلا لأن الحوادث

---

١ — Vulcanit

المذكورة دعت المشرعين الى التساؤل عما إذا كان يحق لأطباء الاسنان اللجوء الى التخدير في صناعتهم . وما إذا كانت لديهم الثقافة التي تساعدهم على استعمال المخدرات وما هي درجة مسؤولياتهم . وقد كانت نتيجة المناقشات التي اجريت في هذا الصدد تيسير الدراسة للحصول على دبلوم جراح وطبيب اسنان من جهة ومنحهم من جهة ثانية صلاحيات لم تكن لديهم سابقاً ومنها اجراء التخدير العام والموضعي .

ويطبق القضاة في صدد مسؤوليات اطباء الاسنان القواعد التي يراعونها في تحديد مسؤوليات الأطباء والجراحين وتدور رحى مسؤولياتهم حول مايسمى بالخطأ الفادح .